جامعة الملك عبد العزيز
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

الإلحاد

وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة

رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص الأولى (الماجستير)

من الطالب:
صالح إسحاق بابا صالح

بإشراف الأستاذ:
محمد الغزالي



١٤٠٠ - ١٤٠١هـ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ
وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى
أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ
تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ .
ابراهيم ١٠

وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ
تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ
قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ
لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . البقرة ١١٨

أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ
حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . المائدة ٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

ان الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات أعمالنا .. من يهده الله فلا مضل لـه ومن يضلل فلا هادي له..

وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له.. واشهد ان محمدا عبده ورسوله .. اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين نصبوا انفسهم للدفاع عن بيضة هذا الدين الحنيف ..

أما بعد : ان من اعظم فضل الله ـ عز وجل على الأمة الاسلامية أن ارسل فيها افضل نبي وافضل دين .. دين كان ابرز صفاته ، أنه من صنع بارئ هذا الكون .. ومنشئ نواميسه وقوانينه .. والعالم بما يجد فيه وما يتطور .. دين وجه الفكر الانساني الى العلم بالله ، وملأ القلب الانساني بالخشوع لله . ثم عن طريق العلم شرح قضية الوجود .. ووظيفة المرء في الحياة ، شرحا عامرا بالصدق والجمال ..

لقد كان في علمه ـ سبحانه وتعالى ـ هذا التطور التاريخي ، وما يترتب عليه من تطور اجتماعي واقتصادي وفكري عام .

ولذا وضع الخطوط الثابتة

والقواعد الشاملة

والمبادئ العامة .. التي لا تخرج اطوار الانسان في النهاية عن حدودها وترك التطبيقات لتطور الزمان ، وبروز الحاجات في حدود مبادئه العامة .... وقواعده الشاملة ..

لا لشيء الا انه يريد ان نكون دائما في المقدمة .

قال تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾

وقال ايضا ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾

ولا نريد أبدا ان ننطلق الى التشريع الفرنسي البائس المنكود تارة مع اليمينيين وتارة مع اليساريين نستمد منه القانون ..

أو الى النظريات السياسية الغربية الظالمة الثعلبية ،

نستمد منها نظام الحكم

أو الى الفكر الغربي الملحد الحائر .. نستمد منه التصور لمعرفة الله والكون والانسان .. كلا ! وانما جعل لنا مبادئ وقيما .. نسير على ضوئها . في ظلمات الالحاد والمادية ..

بهذه المبادئ السامية وهذا الفهم العميق لمدلول " لا اله الا الله " قامت دولة الاسلام باذخة الحضارة ، واسعة السلطة ، عظيمة الهيبة ، ظلت في المجال العالمي ، الدولة الأولى بدون أترابها ... لا عشرات السنين بل مئات من السنين قاربت الألف عام .

وهذه الدولة الاسلامية انفردت بالصدارة دهرا طويلا ، ثم شاركتها في هذه المكانة المرموقة ، بعد قرون طويلة دول أخرى ...

واذا كانت الولايات الامريكية ترى في عصرنا هذا اعظم دول الأرض ينازعها في ذلك الاتحاد السوفييتي .. فان الدولة الاسلامية ، في عصرها الطويل المديد ، كانت أشرف مكانة وأعز نفرا ..

وقد ظلت أبدا غير قصير لا يجرؤ أحد على مطاولتها ...

ولم يكن هذا السبق الحالي ، كسبق هاتين الدولتين اللتين تتسابقان الى التسلح لتدمير الجنس البشري — كلا — بل كانت احوال المسلمين العلمية والخلقية والمدنية والعسكرية ، ترجح كفتهم في كل موازنة ·· وتعلي رايتهم في كل سباق ··

ولم يكن هذا الرجحان وليد حضارة قديمة انتفع الاسلام بها ، أو نتيجة ارتقاء محلي مشى الاسلام على قمته ·· لا هذا ولا ذاك !

بل جاء بمبادئه السامية واخلاقياته الفذة التي بذل فيها فقهاء هـــذا الدين ومفكروه جهدهم الضخم المشكور في تطبيق تلك المبادىء علـــى تطورات الأمور ، لكي تلبي حاجات المجتمع المتجددة في ذلك الزمان ، الذي كان المجتمع فيــه يحكوما بشريعة الاسلام ··

* * *

ثم وقف هذا الجهد — مع شديد الأسـف — منذ أن غلب الاستعمار الصليبي دار الاسلام في الشرق والغرب وفي كل مكان ··

فاذا بالأمـة الاسلامية تأخذ في الانحطاط ، وحضارتها تأخذ فـي الذبول ··

فقامت أوربا وتقدمت ونجحت في دراسة الانسان من زوايا كثيرة ··

لقد تقدمت علوم النفس والاجتماع والاخلاق والاقتصاد والسياسة تقدمـــا غـير منكور ·· وسارمعها على الدرب تقدم آخر في علوم الطبيعة والكيميـــاء وسائر الدراسات الكونيـة ··

وبدا كأن الانسان يتبوأ مكان السيادة المطلقة في عـالم دانت له عناصره ، واستكانت قواه ··

والحقيقة : لنعترف بأن علماء الدين في الأعصـر الأخيرة لم تحسموا بسط هذه القضية ولا انارة الأفئدة بتوضيحهـا ···

دراستهم

وقد انكمشت او انهزمت امام التيارات المناوئة لأسباب عديدة ، ان هذا البحث معنى بدراسة تلك الأسباب وآثارها ، حتى لا يكون المبطلون الملاحدة ، أقدر على اقتياد العالم من المؤمنين .. وحتى لا يجرم العالم خيرا هو أفقر ما يكون اليه ..

ومع هذا التقدم الصناعي والسياسي والفكري .. ان اوربا ، قد جرت فلسفتها وعلومها واخلاقها واقتصادها واجتماعها وسياستها وقانونها .. وبالجملة كل ما يتصل بها .. قد جرى كل ذلك من نقطة انطلاق منحرفة .. وهي الالحاد وانكار الغيبيات والنبوات ..

وبقيت تخطو وترتقي في وجهة غير صحيحة حتى انتهت الى مرحلة ترى معها نهاية هذه الحضارة وهي الهلاك ..

لذا اصبح الانسان غريبا في العالم الذى ابتدعه .. لا يستطيع أن ينظم دنياه بنفسه .. لأنه لا يملك معرفة علمية بطبيعته وجهله به مطبق ..

ان الحضارة المصرية ، تجد نفسها في موقف صعب ، لأنها لا تلائمنا لقد انشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية اذ انها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية .. وشهوات الملحدين .. وأوهامهم .. ونظرياتهم .. ورغباتهم ..

وعلى الرغم ، من انها انشئت بمجهود الانسان الا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمه وشكله ..

ومن ثم كان التخبط .. وكانت الشقوة .. وكان خط الدمار الذى تنحدر فيه البشرية الى الهاوية في هذا الزمان ، وكانت هذه الأزمة الحادة التي يواجهها " الوجود " الانساني ..

* * *

لقد وقعت اوربا الجاهلة في الحاد لا مثيل له في التاريخ ثم عمت

بلوته الأرض كلها فيبايعه ..

وكان الالحاد فيما غبر من الزمان يوجد فيكون مزاجا شخصيا أو غفلة عامة او عوجا فكريا .. ولكن الالحاد الأوربي الحديث ليس كذلك ، لأنه ثورة على الايمان تبغي قطع دابره .. واجتياح اهله ..

ان هذا الالحاد ، ليس شبهة توشك ان تلحقها الأدلة فتتلاشى .

لا ! انه الواقع وغيره الباطل !

.... انه الجد وغيره الهزل !

.... انه الجدير بالحياة وغيره الجدير بالفناء ...

* * *

أما في العالم الاسلامي ، فما زال الصراع قائما بين الدين والالحاد .. لأن الدين — من ناحية — ما زالت له قبضته على نفوس الجماهير كعقيدة وفكرة .. رغم الجهد الضخم الذى بذله " المثقفون " لتفتيت العقيدة وتحطيمها .. ليقودوا الجماهير المسلمة الى سوق الالحاد الرائج ، في هذه الأونة الأخيرة ..

ومن ثم فما زالت هناك معركة ..

بعضهم يكتبون في اخلاص عن وجوب تطوير الدين حتى لا يفوته الركب الحضارى الأوربي ولا يبقى في الرجعية والجمود ..

وبعضهم لا يذكر اسم الدين على الاطلاق .. وانما تراه يهاجم المفاهيم الدينية .. كقولهم : " أن هذا الأمر لا علاقة له بالدين .. وانما هو قضية سياسية ، اوقضية اقتصادية "

وبعضهم يقول : ان الدين كان في السابق أفكارا سامية ولكن تشريعاته وتوجيهاته ، قد نزلت بعصر معين ، وظروف معينة .. ونحن اليوم في القرن العشرين ، قرن غزو الفضاء وقرن النزول فوق سطح القمر .. فقد تغيرت الأمور ، وتغيرت احوال الناس اقتصاديا وسياسيا وفكريا ..

فيجب علينا الغاء هذه الخلافة الاسلامية .. لقد شاء الله ان يتم ذلك

على يد الشيطان الكبير والطاغوت العاتي — مصطفى كمال الذى ألغى الخلافة الاسلامية المجيدة في ٣ مارس سنة ١٩٢٤ م الخلافة التي طالما كانت خنجرا في صدر أعداء الاسلام . فصارت الجماهير في عالمنا الاسلامي ، تتشرب هذه الايحاءات المختلفة التي يرددها هؤلاء ، ادعياء الثقافة بمختلف وسائل الاعلام :

التحقيق الصحفي ... والسينما ..

القصة ... والمسرحية ..

والمقالات .. والأخبار

الكتاب ... والتلفيزيون ..

يقولون لهؤلاء البسطاء : هذه هي اوربا ... اوالعالم المتحضر .. أو الأمم الراقية .. قد تقدمت بدون ديانة ..

ويحتم علينا ايضا ، ان ننبذ ديننا نبذ النواة لكي نلحق بالركب الحضاري .. لأن التمسك بالتقاليد البالية هي التي تعرقل خطى سيرنا الى قمة التقدم في دنيا العلم والصناعة .. بل هي التي جعلتنا منعزلين في زاوية النسيان ..

من هنا وقع الجماهير (في الانبهار) بهذه الحضارة المادية الأوربية .. مصداقا لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذى لا ينطق عن الهوى ..

" لتتبعن سنن من كان قبلكم ، شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو أن احدهم دخل جحر ضب لدخلتم .. وحتى ان احدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه .. رواه مالك وأصله في مسلم .

فجاءت على الأمة الاسلامية تيارات فكرية مختلفة :

جاءت القومية والوطنية والديمقراطية والحرية وتحرير المرأة اقتصاديا وسياسيا وجاء مذهب النشوء والارتقاء الداروني ومسألة الجنس بقيادة فرويد اليهودى .. وخرافة العقل الجمعي تحت سيادة دوركايم الملحد اليهودى ...

واخيرا جاءت الاشتراكية والشيوعية باشراف كارل ماركس الملحد الطاغي اليهودى ايضا ..

وجاء أشياء أخرى لا تعد ولا تحصى من الشعارات البراقة الفارغة ..

فاندفع البها البسطاء اندفاع الفراش الى النار حتى سر اعداء الله على ان هذه الأمة ستلفظ انفاسها الاخيرة دون ما تأخير ..

ولكن الله القائل ﴿ نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾ رد كيد الكائدين في نحورهم .. وأنبت في وسط هذه التخبطات والتخرصات ، رجالا مخلصين ﴿ صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾ فأعادوا باقلامهم المؤمنة الشريفة — راية " لا اله الا الله " من جديد ..

وخرجوا للناس بفكر اسلامي اصيل بعيد من شوائب الشرك .. الذى قد غشى التصور الاعتقادى والشعائر التعبدية ، والحاكمية والطاعة ..

ان هذا الفكر المخلص يستمد — بادىء ذى بدء — من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .

فبينوا للناس ان الجفوة المفتعلة بين الدين والعلم في أوربا كانت لأسباب تاريخية — سنذكرها في هذا البحث — ولا نظير لها في تاريخنا الاسلامي ..

وفهموهم ايضا ان الاسلام لا كهانة فيه ولا وساطة بين الخلق والخالق فكل مسلم في اطراف الارض ... وفي فجاج البحر ، يستطيع بمفرده ان يتصل بربه ... بلا كاهن ولا قسيس ..

والامام المسلم لا يستمد ولاياته من " الحق الالهي " ولا من الوساطة بين الله والناس .. انما يستمد مباشرة السلطة من الجماعة الاسلامية ..

كما وضحوا للناس مرة اخرى .. ان الدين الاسلامي لا يعتمد على الخوارق والمعجزات انما قام على التأمل والنظر في ايات الله في الأنفس والافاق ..

ثم ﴿ ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لايات لقوم يعقلون ﴾ البقرة ١٦٤

فلا جفوة — اذن — بين الدين الاسلامي والعلم الصحيح المؤدى الى معرفة الله عن طريق آياته في الأنفس والآفاق ..

فاذا اضطرت اوربا الجاهلة لتنحية الدين عن حياتها العامـــــة فلسنا بمضطرين ان نجاريها في هذا الطريق .. لأن طبيعـة دينهـــــم ليست كطبيعة ديننا ولا تاريخهم كتاريخنا ..

كما اشاروا لهؤلاء " المثقفين " الى ان سبب انحطاط هذه الأمـــة في هذه الغربة الثانية هو انحرافها عن حقيقة كلمة " لا اله الا الله " وأن الطريق الى استعادة عزتنا ومجدنا يبتدىء من تصحيح مفهوم " لا الـه الا الله " كما صححه الرسول صلى الله عليه وسلم في الغربة الاولى للاســلام الذي يقول : بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغربـاء الذين يصلحون ما أفسد الناس .. او كما قال النبي صلى الله عليه وسلم *

ولم تكتف هذه الاقلام المؤمنة بتصحيح مفهوم "لا اله الا الله " بـل بدأت ايضا تكشف عن المذاهب الهدامة الأوربية امام أعيـن النـاس مخافة ان تتكرر المأساة وتحقيقا لقوله تعالى :

﴿ وكذلك نفصل الايات ولتستبين سبيل المجرمين ﴾

ومما لا شك فيه ان طائفنا الافاضل قد اتخذوا شتى الوسائل للوقوف امام الخطر الالحادي . وقد تختلف الاساليب بين مفكر ومفكر .. ولكنه اختلاف كاختلاف الابرة المغناطيسية في السفن التى تعبر المحيط المجهول ..

هذه الى اليمين ..

وهذه الى الشمال ..

وهذه مترددة ..

وهذه عائدة بعد التردد .

وكل ابرة في كل سفينة لها حركاتها ولها رجعاتها ولكنها لا تختلف الا لأنها تحاول جميعها ان تصل الى قطب واحد .. هو قطب الشمال ..

وهكذا كان فكرونا في دحض خرافات الالحاد .. بعضهم كانوا يكتبون ... وبعضهم يلقون الخطب ... وبعضهم يؤسسون دراسات اسلامية تخصصية .. تدرس العقيدة الاسلامية .. كما تدرس العقائد الالحادية على ضوء المنهج الاسلامي النبيل .. وقصدهم جميعا اخراج فكر اصيل للناس من الكتاب والسنة ودحض الافكار الالحادية ..

وكان من بين هؤلاء المؤسسين للدراسات الاسلامية شيخنا المرحوم المخلص " محمد الامين المصرى " اسكنه الله في فراديس جناته ... الذى كان رئيسا لقسم الدراسات العليا بكلية الشريعة بمكة المكرمة .. ولم يدخر جهدا الا بذله حتى ادخل مادة " المذاهب الفكرية المعاصرة " في برنامج الدراسات العليا لفرع العقيدة ..

وكان من توفيق الله ان أسند تدريس هذا الفرع ، فرع العقيدة ، الى أعلام من اعلام الأمة الاسلامية .. منهم الاستاذان الشيخ محمد الغزالي ، والشيخ محمد قطب ..

اما الاول فقد اسند اليه تدريس مادة (الكتاب المقدس) الجامع للمعلومات المضللة والاخبار المتناقضة ، ندرسه لكي نعرف الفرق الجوهرى بين هذا الكتاب المحرف وبين القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم .

وأما الاستاذ الثاني فقد اسند اليه تدريس مادة المذاهب الفكرية المعاصرة .. ندرسها ايضا لنتبين سبيل المجرمين والملاحدة ..

وقد ايقنت بعد موافقة اللجنة على الموضوع انني — لامحالة — مقتحم في لجج بحر لا أنسى بدأت اخوض في ميادين بعيدة عن مجال دراستي الشرعية البحتة التي تلقيناها في رحاب الجامعة الاسلامية شرفها الله بطيبة الطيبة .

فلذا خصصت جلّ اوقاتي في مطالعة الفكر الغربي ، وقد استغرق ذلك

نصف المدة المحددة للرسالة — تقريبا — .. وكنت في ذلك استرشد بالتوجيهات القيمة والاراء المستقيمة التي كان استاذي الفاضل والمشرف على هذه الرسالة الشيخ محمد الغزالي ، يزودني بها فاطلعت على أكثر امهات النظريات والاتجاهات الأوربية في مختلف الميادين .. في العلم والسياسة .. والاقتصاد والاجتماع والأدب والفن ..

هناك كلمة يجب أن اسجلها شكرا لله تعالى الذي ابتلاني ثم عافاني .. فقد ابتلاني الله تعالى باندلاع نار كبيرة في العمارة التي كنت اسكنها فذهب ضحيتها جل ما كان عندنا من ممتلكات .. فبقيت انا وعيالي في تلك الليلة وهي ليلة ٢٧ من شوال سنة ١٣٩٩ هـ بدون مأوى .. والحمد لله على ذلك ..

ثم ابتلاني ايضا في اثناء اعداد هذه الرسالة بشرود اكبر اولادي الذي غاب عن البيت اكثر من ثلاثة اعوام .. فكم من وقت استغرقناه في البحث عنه .. والشكر لله الذي لا يحمد على مكروه سواه ..

ولكن كل ذلك لم ينقص شيئا من حماسي ولا من عزمي الذي لا يعترف باليأس والقنوط ..

وكان من توفيقه تعالى ايضا لكاتب هذا البحث ان يلتحق بفرع العقيدة وان يختار رسالته لنيل درجة التخصص الأولى " الماجستير " في هذه المادة على يد ذلك الاستاذ الشيخ محمد الغزالي حفظه الله ..

وان كان يطيب لي ان اختار موضوعا فكريا ، ولكنني ما كنت اهتدي الى هذا الموضوع بالذات الا بتوفيق الله اولا ثم بتوجيهات هذا الاستاذ الذي كان يحرص دائما على ان نختار موضوعا فكريا للوقوف على تفاهة الالحاد والملحدين ..

ولذا اخترت هذا الموضوع : " الالحاد وأثرها في الحياة الأوربية " وقد آثرته على غيره لعدة أسباب :

١ — تفهيم المثقفين الذين يريدون تعبيد امتنا الاسلامية للغرب • ان ظروف اوربا التي ساعدت على ظهور الالحاد تختلف عن ظروفنا وعن طبيعة الاسلام وطبيعة تاريخنا •

٢ — تحذير الاجيال القادمة من خطورة الالحاد على الانسانية بأسرها ، وما يترتب عليها من آثار سيئة •• فأوربا — اليوم — هي الدليل ••

٣ — غموض المعنى الحقيقي لهذا الاصطلاح •• فقد غاب عن حس كثير من الناس ان الانحراف في التصور الاعتقادي وفي الشعيرة والشريعة لا يدخل في معنى الالحاد •• انما الالحاد عندهم انكار وجود الله فحسب ••

واخيرا احمده تعالى الذي أراني الفكر الالحادي الغربي على حقيقته حتى علمت ان هذه الافكار ليست فحسب ، مجردة من السند العلمي ، ولكنها ايضا تافهة وحقيرة ••

والذي أتمناه — بعد هذا البحث — ان يوفق الله كل شاب من شباب العالم الاسلامي ان يقف على تفاهة هذه الافكار الالحادية وعلى تخبطات رجالها التائهين الحائرين ••• ويقف ايضا على طغيان الكنيسة وحماقات رجالها •• الذين جعلوا الناس — في اوربا — يشردون من ظل الكنيسة •• ومن ظل كل الدين — شرودا لا عقل فيه ولا وعي ، ولا مجال لتحكم العقل والوعي ••

* * *

ثم بدأت الكتابة بقسمة الموضوع الى ثلاثة ابواب •• ثم قسمت تلك الابواب الى جزئين :

أما الجزء الأول فيشتمل على الموضوعات التالية :

أ — التعريفات

ب — ظروف عامة ساعدت على ظهور الالحاد الحديث ••

ج — الباب الأول

أما التحريفات فقد اثبتنا فيها ان الالحاد لفظ عربي موضوع للميل والازورار عن الوسط حسا ومعنى · وأيدنا هذا القول بشواهد من القرآن الكريم والمعاجم اللغوية ··

ثم تحدثنا عن كلمات ثلاث قد استغلها الملاحدة ابشع الاستغلال للوصول الى غرضهم الخبيث ·· لانها تعبر عن المقصود دون صدام للمشاعر والاحاسيس وهي كلمة : الحضارة والتطور والعلمانية · فبينا نوايا هم الخبيثة··

وأما الظروف ·· قد تحدثنا فيها ان هذا الالحاد الأخير لا مثيل له في التاريخ فأيدنا ذلك بشواهد من التاريخ ابتداء من العصر اليوناني فالعصر الروماني — والعصر الجاهلي واخيرا العصر الكنسي ·· فكل ذلك أثبت بشكل واضح ان هذا الالحاد فريد في نوعه وشكله ··

وفي نهاية هذا الفصل سيجد القارئ ان الملاحدة اتخذوا العلم الحديث سندا لاثبات الحادهم والعلم بريء من ذلك··

ثم قدمنا فكرة عامة عن أوربا الحديثة ·· لأنه من المستحيل ان نقدم اكثر من موجز بسيط لتارة تضيق عنها الاسفار الكبيرة فاكتفينا بثلاث نقاط رئيسية ··

(١) — متى بدأت العصور الحديثة

(٢) — الصراع بين الدين والعقل والحس في التاريخ الأوربي

(٣) — أوربا في النهضة العلمية ··· وقد اثبتنا بشواهد كثيرة من قلب اوربا نفسها ؛ كلها تؤكد بصورة جازمة ان الحضارة الغربية لم تأت بشيء من المجالات العلمية الا ويمكن ارجاع اصله الى مؤثرات الثقافة الاسلامية ··

وأيدنا ذلك أيضا بصور فوتوغرافية ؛ لتثبت أن العلم كان أهم ما جادت به الحضارة الاسلامية على العالم الحديث ···

الباب الأول : لماذا الحد الناس في أوربا الحديثة ؟

وسيرى القارىء ان هذا السؤال قد اجيب عنه باسلوبين :

أولا : اسلوب الملاحدة الذين يرون ان سبب الالحاد هو : معارضة العلم مع الدين المبنى على الخرافة ..

ثانيا : اسلوب المفكرين الاسلاميين وغيرهم . فهم قد ذكروا في كتبهم أسبابا كثيرة فاستطعنا ان نجمع هذه الأسباب المنتشرة في ثنايا كتبهم ونقسمها الى قسمين أساسيين :

أ — أسباب ظاهرة ..

ب — أسباب خفية ..

وأما الاسباب الظاهرة وقد ذكرنا منها خمسة اشياء فهي تعتبر بحق اكبر الاسباب التي اقترنت بمسألة العقيدة منذ القرن السادس عشر .. والتي كان لها شأن قوى في اضعاف العقائد الموروثة على تقدير الباحثين بالاجماع .

وقبل ان نتحدث عن تفاصيل هذه الاسباب الخاصة بالالحاد الحديث قد تمر بنا أولا إلى السمات المشتركة بين جميع الملاحدة قديما وحديثا .. وأثبتنا ان هذه السمات توجد لدى جميع الملحدين رغم اختلاف العصور الالحادية .. ذلك ان الالحاد ليس شيئا لا يوجد الا في فترة من الزمن محدودة في ثنايا التاريخ وليس هو الشيء الذي يمثل العلم والحضارة والمدنية والتقدم المادى كما يقولون .

لقد اثبتنا ان الالحاد هو رفض الاهتداء بهدى الله ، ومحاولة اقامة الحياة بمعزل عن الدين .. فهذا لا علاقة له بالبيئة والتطور الاقتصادى والاجتماعي والسياسي ..

فقد أجملنا هذه الملامح في خمسة أشياء :

(١) — كراهة ما انزل الله

(٢) — البحث عن الله عن طريق الحس فقط

(٣) — اتباع الهوى

(٤) — الانحراف في الشهوات

(٥) — وجود الطواغيت في الأرض

ثم بينا الاسباب الخاصة باوربا الحديثة فقلنا :

السبب الاول هو : الدين الذى كفرت بها اوربا وثارت عليه • قد بدأنا الحديث بالتوراة المحرفة حيث اثبتنا تحريفها بعدة طرق :

١ — بالاخبار التاريخية

٢ — بالمعلومات المتناقضة المضللة

٣ — برواية الطوفان ••

وقد اوضحنا ان عقيدة اليهود في الهيم (يهوه) عقيدة فاسدة وكذلك عقيدتهم في انبيائهم الذين صورهم اليهود في صور قطاع الطرق والفسقة ••

وسيلاحظ القارئ وقوفنا الطويل عند طغيان الكنيسة وحماقات رجالها •• وما ذاك الا لعلمنا بأن السبب الأكبر في انحراف اوربا من صنع الكنيسة •• كما بينا ان الاسلام كما يحارب الالحاد ، يحارب ايضا الخرافات والخزعبلات •

السبب الثاني : قوانين المادة •• واثبتنا ان الملاحدة اتخذوا هذه القوانين التي نسميها بالسنن الربانية — سندا لتوطيد أركان الالحاد ••

وتتبعنا تطورات هذه الفكرة في التاريخ •• منذ ايام علامة الفلك الفرنسي (لابلاس) المعاصر للأمبراطور الفرنسي نابليون بونابرت — وأثبتنا كلمته المشهورة التي يقول فيها :

" انني لم اجد في نظام السماء ضرورة القول بتدبير اله "

ثم ذكرنا نظرية كوبرنيق ونظرية نيوتن •• واثبتنا اخيرا ان هذه القوانين لا تدل على الالحاد لو وجدت في بيئة صالحة لأنها آية تدل على وجود

ان هذا أمر يجب أن تكون له صفة الاستمرار والدوام فى حياة الجماعة نفسها وفى نداء القرآن للرسول يقوله :

﴿ يأيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ (١)

وتوجيه النداء على هذا النحو للرسول باعتباره راعيا ورئيسا للجماعة المؤمنة مما يؤيد أن الاسلام لم يكن وقفا على تبليغ رسالة بل كان رعاية أيضا لاستقرار هذه الرسالة وتمكينها ، سواء في وقت الرسالة أو بعده أى هو دين ... ودولة معا ...

أنواع الالحاد

نريد هنا أن نفرق بين الالحاد الذى يجب أن تعلن الجهاد ضده وبين غيره الذى نكتفى فيه بالموعظة الحسنة والجدال بالتى هى أحسن ..

واذا رجعنا الى كتب التفاسير ، نجد أن الراغب قد أشار الى هذه التفرقة فقال : " الالحاد ضربان :

الأول : الحاد الى الشرك بالله

الثانى : الحاد الى الشرك بالأسباب

---

(١) سورة التوبة ٧٣ وسورة التحريم : ٩

(٢) تفسير المنار رشيد رضا جـ ص

واما دور اليهود في افساد اوربا فسيجد القارئ اننا اثبتنا ان هذا الدور كان خطيرا جدا وانه كان في شيئيـــن اثنين :

دور عملي ودور نظري .

فالعملي بمثل الثورة الفرنسية والثورة الصناعية : قد اكدت بروتوكولات اليهود انهم كانوا وراء كل ثورة قامت في اوربا وفي مقدمتها الثورة اليهودية التي نسميها — خطأ — بالثورة الفرنسية ..

وقد اثبتنا طبعا ان اليهود كانوا هم الممولين لهذه الثورة كما اثبتنا ان اليهود ايضا كانوا وراء الثورة الصناعية التي افسدت اخلاق اوربا . وقد وقفنا عندها طويلا .. وسيرى القارئ اننا اوضحنا كيف استغلت اليهودية العالمية النظريات والمنظمات السرية لنشر الالحاد في أوربا ..

ولم نكتف بما يخص اوربا فحسب بل تحدثنا عن اليد اليهوديـــة الخفية التي كانت سببا لالغاء الخلافة الاسلامية .. وقد بينا الوسائل التي اتخذوها للوصول الى هذا العمل الاجرامي الخطيــر ... كاستغلالهم هذا الشيطان الكبير مصطفى كمال واستغلال الصليبية واستغلال القومية العربيـة ..

وأما السبب الثاني من اسباب الالحاد الخفية هو : رجـوع أوربـــا الى ارثها الوثني اليوناني القديم ..

وقد بينا ان الملاحدة لم يكونوا يريدون الخير للانسانية والالرجعـوا الى الدين الاسلامي بعدما رفضوا المسيحية الضالة ..

الى الاسلام الذى يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم .

ولكن الالحاد منعهم من كل ذلك ..

وبهذا انتهينا من الجزء الأول من هذا البحث .

الجزء الثاني : يشتمل على الباب الثاني والباب الثالث

الباب الثاني : موضوعه مناقشة الملحدين •

ان هذا الباب من اهم الابواب في الموضوع وقد رغبت أن اقسمه الى ثلاثة فصول ولكن قبل ان ادخل في تفصيل ذلك مهدت له تمهيدا قلت : اننا عندما نحاول مناقشة الملحدين في انكار وجود الله لا لكونها ادلة قائمة على الحق : وانما نناقشها باعتبارها شبهة تمسك بها الملاحدة •• والا لا يوجد احد على الاطلاق أن يثبت انكاره لوجود الله بدليل • كما لا يستطيع احد ان ينفي فكرة الله بدليل •• ولكن لما تسربت هذه الافكار الى عقول بعض الناس فألحدوا • كان واجبا على أن نقوم — بدورنا — لتحطيم هذه الأفكار الخبيثة في القلوب ••

الفصل الأول : تحدثنا في هذا الفصل عن بعض مستندات الملاحدة •• واكتفينا بمناقشة ثلاثة منها لانها تعتبر اهمها واشهرها وهي :

(١) اصل الكون ونصيب الصدفة منها

(٢) نشأة الحياة وتنوعها

(٣) الدين يتعارض مع العلم الحديث

وقد ناقشنا أولا اصل الكون وسيرى القارئ ان الملاحدة ليس لديهم برهان يقيني في اصل الكون وانما قدموا للناس ثلاثة فروض كل واحد منها ينقض الاخر •• وما اكتفينا بنقض هذه الفروض فحسب بل أبرزنا لهم وجهة نظر القرآن في هذا الباب •

الفصل الثاني : ناقشنا الملاحدة في نشأة الحياة وتنوعها • وأبطلنا جميع ادلتهم فيه حتى تبين انهم يهربون من الأمر الواقع وهو وجود الله •

وتحدثنا ايضا عن روسيا في محاولتها امكانية نشأة الحياة كيماويا كدليل تثبت به مذهبها الالحادي •• وسيرى القارئ انها فشلت في ذلك فشلا ذريعا ••

وناقشناها مناقشة هادئة حتى لم يبق امامها أي مخرج أو منفذ ..

وفي النهاية قررنا ان نشأة الحياة شيء استأثر الله بعلمه ، وأيدنـــا ذلك بآيات قرآنية واقوال بعض العلماء المنصفين من الأوربيين ..

الفصل الثالث : موضوعه الدين يتعارض مع العلم الحديث .. وسيرى القارىء اننا سقنا أولا ما يعتبره الملاحدة كدليل يثبت مزاعمهم هذه ، ثم ناقشنا هذه الأدلة واحدة اثر واحدة حتى لا يستطيع ملحد مهما كان بلغ عتوه ، أن يتفلت منا .

وبينا ان مصدر الضلال عند الملاحدة هو طريق الاستدلال العلمي وذلك ان هذا الطريق لا يعتبر شيئا علما الا اذا كان كيلا او موزونـا ، أوما يدخل تحت التجارب الحسيّة .

وقد فندنا هذا الادعاء بالعلم الحديث نفسه وبالقرآن أيضـــا .

* * *

الباب الثالث : موضوعه : آثار الالحاد في الحياة الاوربية .

لقد رأيت منذ وضع خطة الموضوع انه لا ينبغي بحث الالحاد بصفته مذهبا فكريا تافهـا دون التعرض لآثارها في الحياة الاوربيـة ..

والحق ان تتبع آثار الالحاد جدير برسالة مستقلة لكنني ارجو ان اكون قد وفقت لعرض نماذج منها مع مراعاة حجم هذه الرسالة ومدتها ..

ان الذي يتبع آثار الالحاد في أوربا ، يجد انهم يعيشـون في ضنك شديد لأنهم قد سلموا قيادتهم للنزعة الجنسية حين قصروا غاياتهم في الاشباع المادي .. فصاروا أضل من الأنعام ..

وقد قسمت هذا الباب الى ثمانية فصول .. لأنه هو الباب الرئيسي في

الموضوع .. ذلك ان صلاحية المذهب لا تتبين لكل الناس الا بالاثار .. فسيرى القارئ الويلات التي جلبتها الافكار الالحادية الى اوربا ثم عمت مصائبها العالم بأسره ..

الفصل الأول : قد مهدت له بالحديث عن فساد اخلاق اوربا وان حضارتها قد انشئت على قواعد خاطئة .. ولكنها لا تدرى ان الفساد من اصل حضارتها .. فتجدها — دائما — تحاول معالجة الفروع .. وأيدنا هذا التقرير بشواهد من الواقع المؤلم ومن القرآن الكريم .

وقد تحدثنا في هذا الفصل عن آثار الالحاد في الفكر الغربي وأثبتنا أن هذه الافكار جاءت عن طريق عدد من فلاسفة أوربا منهم ديكارت صاحب المذهب الاستنباطي وفرنسيس بيكون صاحب المذهب التجريبي .. كما تحدثنا عن آثار الالحاد في فكر عمانويل كانت وأوجست (كانت) وفكر هيوم الملحد ..

ثم وقفنا وقفة يسيرة مع رواد الفكر الغربي هم :

داروين وفرويد ودوركايم وكارل ماركس

واختتمنا هذا الفصل بالمذهب البراجماتزمي الذى تتبناه اليوم الولايات الامريكية .

الفصل الثاني : آثار الالحاد في الحكم والسياسة .

اثبتنا فيه ان اوربا لم تعرف دين الله الحق وان شريعة المسيحية لم تطبق في عالم الواقع . فجاء عصر التنوير للقضاء على البقية الباقية وايدت هذا التقرير باقوال بعض المفكرين كامثال ابي الحسن الندوى .

ثم قررنا اول من دعا الى عزل الشئون الاجتماعية عن فكرة التدين هو " ميكيافللي " ثم تحدثنا عن مظاهر الالحاد في المذاهب الجديدة ..

ثم لم نكتف بذلك ولكننا تحدثنا ايضا ان المساواة التى تدعيه

الديمقراطية حبر على ورق ودليلنا في ذلك الدول الديمقراطية نفسها حيث انقسم الناس هناك الى فقراء واغنياء ..

وبينا هنا ان الحرب الفيتنامية التي دخلتها امريكا تتنافى مع الديمقراطية والمساواة .

واخيرا اثبتنا ان ما يتنافى مع المساواة والحرية والاخوة التوسع في بيع العبيد الذى قامت به أوربا وامريكا ..

الفصل الثالث : موضوعه : الخمر وعجز القوانين الوضعية

وقد اثبتنا في هذا العجز ان الانسان عاجز ان يجعل لنفسه منهاجا يسير في ضوئه في حياته .. واستدللنا على ذلك ان امريكا قد فشلت في ذلك بحيث منعت شرب الخمر لمدة لا تقل عن اربعة عشر سنة ثم عادوا لشربه بشكل فظيع ثم قارنا بين التجربة الامريكية وبين التجربة الاسلامية فتبين ان الانسان عاجز ان يضع لنفسه منهاج حياته وان أصر على ذلك فهناك اضطراب وتيه .. وشقاوة وأيدنا هذا التقرير بقول الدكتور الكسيس كاريل القائل : ان جهلنا مطبق .

الفصل الرابع : مشكلة العقوبات في القوانين الوضعية .

قمنا بالمقارنة بين نظرية العقوبات الشرعية الاسلامية وبينها في القوانين الوضعية .. سيجد القارئ ان الفرق بينهما بون شاسع ..

ثم استشهدنا بالمملكة العربية السعودية التي لم تزل تنفذ العقوبات الشرعية واثبتنا ان معدل الجرائم فيها اقل بكثير من الدول المتحضرة ..

الفصل الخامس : ظهور اثار الالحاد في الدول الكبرى .

وقد اتينا بتقارير صارمة تبين ان فوضى الجنسية هي التي بدأت تهلك أمم الغرب .. أتينا بشواهد من فرنسا وبريطانيا وروسيا وامريكا وغير ذلك ..

الفصل السادس: اسباب تدمير الأمم والشعوب .

قد اثبتنا ان جريمة الشعب أو الأمة هي سبب هلاكهما ..

واستشهدنا على ذلك بآيات كثيرة من القرآن الكريم .

كما اثبتنا انه ليس المراد بهذا الهلاك والتدمير ان تقلب طبقات البلاد بل من صور الهلاك ان يشتت أمر الأمم وتكسر قوتهم الاجتماعية وتضرب عليهم الذلة والعبودية والخزى ..

الفصل السابع: عقوبة الفطرة .

فقد اتينا بتقارير صحيحة ما يجرى في عروق الملاحدة من عقوبة .. وسيجد القارئ ما تكبدته البشرية في الحرب العالمية الاولى .. وما يجرى في فرنسا حتى اصبحت بعض النساء تنتحر .. وذكر ما في سائر الدول الغربية وما اشتق منها من امريكا وروسيا ..

وتحرضنا على الاستعدادات الحربية التي توجد اليوم في أمم الغرب انتظارا للحرب العالمية الثالثة .

الفصل الثامن: موضوعه: حضارة لا تلائم الانسان .

تحدثنا عن الشروط اللازمة للمجتمع المتحضر .. ثم قارنا بين المجتمع الغربي والمجتمع الاسلامي فاتضح ان المجتمع الغربي مجتمع متخلف .

وأيدنا هذا التقرير بشواهد من العلماء الأوربيين وغيرهم .

وأخيرا تحدثنا عن كيفية الخلاص من الالحاد ..

وسيرى القارئ اننا اثبتنا ان الايمان العميق الذى لا يعترف بشك ومعرفة صفات الله تعالى كما أخبر بها القرآن من غير تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل ولا تحريف .. هما طريق الخلاص من الالحاد ..

كما سيرى القارئ اننا اثبتنا بالأدلة الصارمة ان الملحد والنافي لصفات الله يلتقيان في النهاية على نقطة واحدة فالملحد يؤمن بقوة مطلقة

سماها الطبيعة . والنافى كذلك يؤمن باله قد جرد من جميع صفاته حتى صار قوة مطلقة .. وأيدنا هذا التقرير بشواهد عديدة من القرآن ومن أقوال العلماء المحققين .. فكان هذا نهاية هذا البحث .

والحق ان تضخم حجم الرسالة مع انتهاء المدة المقررة لها قد حالا دون الافاضة والتفصيل في بعض الموضوعات لا سيما ما يتعلق بآثار الالحاد في العالم الاسلامي المعاصر ..

كما حالا دون الاسترسال في الخاتمة .

وحرصا على ان يستفيد القارئ من بشرح بعض الكلمات وأعلام الانسان والبلدان استعطنا الرقمين : العربي والافرنجي . أما العربي فللاشارة الى المراجع في الهامش وبعض الاعلام تارة ...

وأما الافرنجي فللاشارة الى الحواشي التي سيجدها القارئ بعد كل باب .

وكل ما أرجوه هو ان يتقبل الله مني هذا العمل خالصا لوجهه الكريم .. وأن يسهل الطريق لكل من يريد ان يسلك هذا الطريق من بعد لنصل الى تحطيم جميع الأفكار الالحادية والنزيل الشبهات عن هذه الشريعة الاسلامية الغراء .

(شكر وتقدير)

واني اذ اشكر الله تعالى على توفيقه وكرمه لأشكر من بعده فضيلة الشيخ العباد الذى كان نائبا في الجامعة الاسلامية وفضيلة الشيخ النائب الحالي في الجامعة المذكورة الشيخ (زائد) وسعادة وكيل جامعة أم القرى الدكتور راشد الراجح ، وسعادة عميد الكلية الدكتور عليان محمد الحازمي وفضيلة المشرف على هذه الرسالة الشيخ محمد الغزالي وكل من أسهم بجهده المشكور في شيء منها

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

نحب في مطلع هذا البحث ، القاء الضوء على الأصل اللغوي لكلمة (الحاد) التي شاع استعمالها في العصر الحديث .. اذ الوضع المنطقي السليم في ترتيب أعمالنا العقلية يقتضينا أن نبدأ - أولا - بمعرفة عناصرها العامة و قبل أن نأخذ في البحث عن مميزاتها ومشخصاتها .. (1)

فمن أحبّ - مثلا أن يتعرف كنه الالحاد أو المذاهب الهدامة التي ظهرت في الوجود ... يجمل به أن يوفر همته - قبل كل شيء - على تعرف المعنى الكلّي الذي يجمعها ، والقدر المشترك الذي تنطوي عليه في جملتها .. اذ أنه من الواضح أنه وان تفاوتت أنواع الالحاد ومظاهرها في جميع الحياة الأوربية . فلا بد أن تكون هناك وحدة معنوية تنتظمها ، ويعبّر عنها بهذا الاسم المشترك ..

فما هي تلك الوحدة ؟

ما الالحاد ؟

هذا هو السؤال الذي يجب أن نضعه نصب أعيننا ، ونحن على عتبة باب البحث في الالحاد وآثارها المدمرة في الحياة الأوربية .

---

(1) راجع كتاب الدين ، دكتور محمد عبدالله دراز ص٢٨ ط : دار القلم .

من العقيدة والحكم والسياسة ... والاجتماع والأخلاق .. والعلم وطريقة الاستدلال العلمي . والأدب والفن وكل شيء ..

وللاجابة على هذا السؤال يتطلب منا الرجوع الى معاجم اللغة العربية للنظر في كل من الاشتقاق ، والمعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي:

أولا : الاشتقاق :

بيانه أن كلمة (الالحاد) تؤخذ تارة من أصل رباعي (ألحد يلحد الحادا) وتارة من فعل ثلاثي (لحد يلحد لحدا) .[1]

والمعلوم من القواعد الصرفية ، أن الصور المعنوية التي تعطيها صيغة من الصيغ ، تختلف باختلاف الاشتقاق . ولكننا من الموافقات العجيبة نجد الوزنين (الرباعي والثلاثي) هنا يؤديان معنى واحدا بصرف النظر عن اختلافهما في الوزن ...

وعلى هذا الأساس ، اتفقت كلمة المفسرين واللغويين على صحة قراءتي الضم والفتح في قوله تعالى [2] : ﴿ لسان الذي يلحدون اليه ﴾ .. فقالوا : ان (الالحاد واللحد) بمعنى واحد في هذه الآية . ان هذا لغريب جدا في اللغة العربية .. [3]

---

(١) راجع لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٩ مطبعة دار صادر ، راجع تاج العروس من جوهر القاموس ج ٢ ص ٩٣ مطبعة منشورات دار كتب الحياة ، يراجع أيضا قطر المحيط بطرس البستاني ج ٢ ص ١٩٣٠

(.) يراجع أيضا أساس البلاغة للزمخشري ج ١ ص ٥٦٠ مطبعة دار صادر بيروت .

(٢) الآية في سورة النحل ١٠٢

(٣) الكشاف للزمخشري ص ١٣٢ ج ٢

ولكن ليس معنى ذلك أن الوزنين في درجة واحدة في الاستعمال، فلفظ (الالحاد) أكثر استعمالا في كلامهم من لفظ (اللحد) لقولهم : (هذا ملحد) ولا تكاد تسمع العرب يقولون : (هذا لاحد) بمعنى الانحراف عن الايمان ... [1] وأما الوزن الخماسي : (التحد) ان كان يستعمل أيضا في معنى (ألحد ولحد) ولكنه يتهادى عليهما أنه يستعمل في معنى (اللجوء) كما في قوله تعالى : ﴿ ولن أجد من دونه ملتحدا ﴾ [2] أي ملجأ .

فتلك هي أهم ما تؤخذ منه هذه المادة ..

ونستخلص من ذلك الى القول : ان هذه المادة لها ميزة فريدة وهي عدم وجود اختلاف في معانيها رغم اختلاف أوزانها واشتقاقاتها وعلى هذا نستطيع أن نقول : (ألحد فلان ولحد والتحد) بمعنى واحد وهو الانحراف عن الوسط والعدول عن الحق أو الميل عن القصد ...

ثانيا : المعنى اللغوي :

(الالحاد) لفظ عربي موضوع للميل والازورار عن الوسط حسا ومعنى ولا بد من توضيح ذلك بضرب أمثلة بسيطة :

---

(١) تفسير المنار ، رشيد رضا ج ٩ ص ٤٤١

(٢) في سورة الجن الآية ٢٢

(٣) وراجع تفسير البحر المحيط تاليف محمد بن يوسف ج ٤ ص ٤٢٨

وأمّا الحسيّ ، منه قولهم : " لحد القبر للميت "

أوقولهم : " ألحد السهم الهدف " أى مال فى أحد جانبيه ولم يصيب وسطه (١) .

المعنوى :

وأما المعنوى : لما كان خيار الأمور أوسطها ، كان الانحراف عن الوسط مذموما ومنه أخذ التعبير عن الكفر والتعطيل والشكّ فى الله تعالى بالالحاد وسمى ذووه الملاحدة أو الملحدون ، على حدّ قول أبى عمر الذى يقول : " ان الالحاد هو العدول عن الاستقامة والانحراف عنها " (٢)

وانطلاقا من نفس هذا المفهوم المعنوى يرى الأعمش أن المعنى الحقيقى للالحاد ، هو التكذيب ، قتادة يرى أن معناه : الاشراك ..

هكذا رأينا أن الالحاد يطلق لغة على الميل الحسيّ أو المعنوى اذ المعنى العام هو الميل عن القصد والهدف ومنه قوله تعالى :

﴿ ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾

أى العدول عن القصد والاستقامة المعنوية ، وهى تشمل جميع الآثام وجميع أنواع الظلم حتى احتكار الطعام فى الحرم (٦) .

---

(١) تفسير النسفى الجزء الأول ص ٦٦

(٢) راجع تفسير المنار - رشيد الرضا - ج ٩ ص ٤٤١

(٣) المرجع السابق ص ٤٤٢

(٤) المرجع السابق

(٥) الاية من سورة الحج ٢٥

(٦) للحديث الشريف " احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه) رواه أبو داود باب مناسك ص ٨٩

يقول ابن جرير الطبرى[1] (أصل الالحاد فى كلام العرب : العدول عن القصد والاعراض عنه ثم استعمل فى كل معوج غير مستقيم) وهذا هو المعنى الواسع الذى فهمه الصحابى الجليل ، عبدالله بن عمر رضى الله[2] عنهما الذى كان يعتبر كلمة " لا ! والله " الحادا فى الحرم . فاتخذ لنفسه فسطاطين : أحدهما فى الحل والآخر فى الحرم . فاذا أراد أن يصلى صلى فى الذى فى الحرم ، اذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم فى الذى فى الحل ، فقيل له : فقال : " نحدث أن من الالحاد فيه ، لا والله ، بلى والله " . (١) .

مثال آخر يؤكد أن هذا الفهم العميق لمعنى الالحاد لم يكن مقتصرا على ابن عمر وأمثاله ولكنه كان فهما شائعا عند جل الناس . منهم (عبد بن حميد[3]) الذى صح أن معنى الالحاد هو الذنوب كلها بدون استثناء فقال : " ما كنا نشك أنها الذنوب ، حتى جاء أعلاج من أهل البصرة الى أعلاج البصرة الى أعلاج من أهل الكوفة فزعموا أنها الشرك " . (٢) .

وهذا الفهم كان شائعا أيضا حتى عند الشعراء فلنسمع الى حميد بن ثور :

قدنى من نصر الخبيبين قدى[4] ليس الامام بالشحيح الملحد

أى الجائر في مكة . والمراد بالامام هنا عبدالله بن الزبير (٣) .

---

(١) الطبرى جـ ٩ ص ١٣٤
(٢) لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٩
(٣) تفسير روح المعانى الآلوسى جـ ١٧ــ١٨ ص ١٤٠
الخبيبان : عبدالله بن الزبير وابنه خبيب راجع فاكهة البستان ص ١٢٨
(٤) لسان العرب جـ ٣ ص ٣٨٩

وأنشد الأزهري (٤) في المعنى نفسه :

لما رأى الملحد حين ألحما صواعق الحجاج يمطرن الدما (١)

فاطلاق الالحاد هنا على ابن الزبير (5) دلالة واضحة على أن كلمة الالحاد تستعمل في جميع المعاصي ، لأنه لم يعرف أن ابن الزبير كان ينكر وجود الله تعالى ..

وكما يدل على أن الوحدة المعنوية التي تربط جميع أصناف الالحاد وأشكاله هو الميل عن القصد .

فالالحاد لغة : يتناول التحريف في أسماء الله كما فعل ذلك المشركون في مكة حيث حرّفوا اسم الجلالة " الله " باللات (6)

و " المنان " بالمناة (7)

و " العزيز " بالعزى .. (٢)(8)

كما يتناول كل من يلحدون في تصورهم لحقيقة الألوهية (على الاطلاق) والذين يدعون له الولد ، وكما ينسحب على الذين يدعون أن مشيئة الله سبحانه مقيدة بنواميس الطبيعة الكونية .

وكالذين يدعون له كيفيات أعمال تشبه أعمال البشر وهو سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء .

---

(١) لسان العرب ج ٣ ص ٣٨٩

(٢) في كتب التفسير الآتية :

تفسير الطبري أبي محمد بن جرير المتوفي (٣١٠هـ) ج ٩ ط ٢ ص١٣٣

تفسير الجواهر للشيخ الطنطاوي الجزء الرابع ص ٢٣٩

وكالذين يدعون أنه ـ سبحانه وتعالى ـ إله في السماء وفي تصريف نظام الكون وفي حساب الناس في الآخرة ولكنه ليس إلها في الأرض ولا في حياة الناس ويقولون (أعط لقيصر ما لقيصر وما لله لله) . أو يطالبون بفصل الدولة عن الدين ... (١)

﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ﴾(٢)

فكل هذا إلحاد في الله وفي أسمائه وآياته وصفاته وأحكامه يقول تعالى :
﴿ إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا ﴾(٣)

والمسلمون مأمورون بالاعراض عن هؤلاء كلهم واهمال شأنهم لأنهم موعودون بجزاء الله لهم ما كانوا يعملون .

يقول الله تعالى : ﴿ وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾(٤) .

---

(١) في ظلال القرآن سيد قطب جـ ٧ ـ ٩ ص ٦٣ طبعة أولى

وتفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ، الى عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي جـ ٧ ص ٣٢٨

والتفسير الكبير الفخر الرازي جـ ١٥ ص ٧١

(٢) الآية في سورة المائدة/٥٠

(٣) فصلت /٤٠

(٤) الاعراف/١٨٠

تحديد معنى الالحـــــــــاد الاصطلاحي

وفي الاصطلاح عـرّفـه الباحثون بتعريفات كثيرة متقاربــــة ، تدور حول الشرض المبدئي منه الذي هو العدول عن الحـــــق والاستقامة فمن قائل بأن الملحد : " هو المـ... عن الحقّ المدخـــــل فيـه ما ليس منه " (١)

ومن قائل : انه : " هو الذي أمال مذهـبه عن الأديان كلها لـم يملـه عن دين الى ديـن ... " (٢)

ومن قائل : الملحد : "هو الذي يشك في الله" (٣)

وأما صاحب المعجم الفلسفي ...فيرى أن أحسن تحديد لهذا اللفـظ اطـلاقه على المذهب الذي ينكر وجود الله تعالى لا على المذهب الذي ينكر بعض صفات اللـه أويخالف معتقدات دينيـة أو رأيـا اجتماعيا مقررا :

فلذلك يقول : " فالفلاسفـة الماديون ملاحدة لأنهم قالوا ان المادة وجـودا مطـلقا ، وانما هو عـلة الحركـة والحياة والفكـر .

والدهريون ملاحدة لأنهم زعموا أن العالم لا يحتاج الى صانع وأنــــه بما فيه مبني على الاتفاق ولكن اذا قال الفيلسوف :

" ان الأجسام لا تحشر أوقال : ان الله لا يعلم الجزئيات كان كافـــــرا بأصل من أصول الدين لا ملحـــد " .

---

(١) راجع تفسير الكشاف للزمخشري جـ ٢ ص ١٣٢

(٢) راجع لسان العرب ص ٣٨٨ جـ ٣ والتفسير الكبير للفخر الرازي جـ ١٥ ص ٢...

(٣) راجع لسان العرب جـ ٣ ص ٣٨٨ .

" وكذلك اذا قال : بوحدة الوجود ، فان هذا القول لا يستلزم انكار وجود الله ولا يجعل صاحبه ملحدا " (١)

ومن تأمل فى هذه التعريفات يجد بينها تقاربا شديدا ولا منافاة بينها • وبيان ذلك : ان بعضهم عرف (الملحد) بالمعنى العام للالحاد والبعض الآخر عرّفه بالمعنى الخاص المشهور فى العصر الحديث " •

ولكننا نستطيع أن نوضح أقوالهم على النحو التالى :

ان الالحاد يطلق على كل ظلم وكل جور ، ثم شاع استعماله فى انكار وجود البارى حتى أصبح عند اطلاقه لا يفهم منه الا ذلك المعنى بعد أن كان يستعمل فى كل انحراف وتحريف •

فلذا نجد الشيوعيين يعرفون الالحاد بالتعريف التالى :

الالحاد عبارة " أن لا اله والكون مادة " • (٢)

ان هذه الخرافة ـ ليست عندهم شعارا مجردا بل مادة دستورية فى قانون الاتحاد السوفيتى ••

فيه أنكروا جميع المبادئ السامية والعقائد الدينية ••

فهذا البحث مبنىّ ـ اذن ـ بهذا التعريف الخاص الذى غيّر وجه التاريخ الانسانى • وله فى كل شئ من الشئون الأوربية مظهر ، مظهر فى الحكم والسياسة •• مظهر فى العلم وطريقة الاستدلال العلمى ••

---

(١) المعجم الفلسفىّ :

(٢) بؤس الفلسفة كارل ماركس ص ١١٢

مظهر في الانحلال الخلقيّ والتفكك الأسرى • مظهر في الاقتصاد والبنوك •• مظهر في الأدب والفن •• وفي كل شيء ••

فمهمتنا – اذن – في هذا البحث ليست يسيرة ، لأن علينا أن نخوض معركة ضارية شرسة مع الملاحدة في تصوراتهم الخاطئة نحو الأديان ونحو الانسانية التي أصبحت عندهم لا فرق بينها وبين الديدان والفئران بل جعلوها حيوانا اقتصاديا أو حيوانا ماديا على حدّ زعمهم •••

موقف البشرية اليوم من الالحـــاد

ان هذه الرؤية الصادقـة لمعنى الالحـاد ،تفيدنا من معرفة موقف البشرية اليوم من الالحاد الذى يتمثل فى الدينونة لغير الله ــ سبحانـــه وتعالى من الأرباب المتفرقة ــ ، لا فى الشعائر التعبدية وحدها ولا فى الاعتـقاد القلبي وحده ولكن فى الحاكميـة والاتباع والطاعـة أيضا ...

وقصة البشرية اليوم فى الحـاد ــ حسب المفهوم اللغـوى السابق ، يتمثل فى صور شـتى ...

بعضها يتمثل فى الحاد بالله سبحانه وتعالى ، وانكار لوجوده ... فهو الحاد اعتقاد وتصور كالحاد الشيوعيين ...

وبعضها يتمثل في اعتراف مشوه بوجود الله سبحانه وانحرافـــــــ الشعائر التعبدية ، وفي الدينونة والاتباع والطاعـة :

كالحاد الوثنيين من الهنود وغيرهم من عبادة الأصنام فى أفريقيا وكالحـــاد اليهود والنصارى كذلك .

وبعضها يتمثل فى اعتراف صحيح بوجود الله تعالى وأداء للشعائر التعبدية ، مع انحراف خطير في تصور دلالة شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله مع استيراد القوانين الوضعيـة من الشرق أو الغـــــرب لتطبيقها في بعض قطـرنا الاسلامـى ...

وذلك كالحاد بعض من ينتسبون الى هذا الدين العظيـــــــــم (الاســلام) مع ســوء فهم لمعنى الشهادتين ...

وكلها الحاد فى الله تعالى

وكلها كفر بالله تعالى

وكلها شرك به سبحانه وتعالى

ان رؤية واقع البشرية على هذا النحو الواضح ، تؤكد لنا أن البشرية اليوم — الا ما شاء الله — قد ارتدت الى جاهلية شاملة ان صح التعبير ، وأنها تعانى رجعة نكدة الى الجاهلية التى أنقذها منها الاسلام مرات متعددة ، على يد سيدنا نوح ومن تبعه ٠٠ كان آخرها الاسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ٠

فعلى المسلمين اذن — أن يبدأوا فى دعوة البشرية من جديد الى الدخول فى الاسلام كرة أخرى والخروج من هذا الالحاد الشامل النكد الذى ارتدت اليه ٠

فعليهم أن يحددوا للبشرية مدلول الاسلام الأساسى :

* وهو الاعتقاد بألوهية الله وحده

وتقديم الشعائر التعبدية لله وحده

والدينونة والاتباع والطاعة والخضوع فى أمور الحياة كلها لله وحده ٠٠٠

وأنه بغير هذه المدلولات كلها لا يتم الايمان الحقيقى بالله ٠٠٠ وان تخلفت احدى هذه المدلولات كتخلفها جميعا ، يخرج الناس من الايمان الحق الى لوثة الالحاد ٠٠ والى الشرك والكفر ٠٠٠

انها دورة جديدة من دورات الالحاد

التى تعقب الاسلام — بمعناه العام

فيجب على المتخصصين — كما قلنا — أن يقوموا لتعرية زيفها والحرب

أمامها ويواجهوها بدورة من دورات الايمان ليخرجوهم من عبادة العباد الى عبادة الله وحـــده .

ان هذا الحديث يقودنا الى تبيين موقف الاسـلام من الالحـــــــــــاد ليعلم المؤمنون أن أول عــدو للمسلمين هم المـلاحدة المعاصرة ..

موقف الاسلام من الالحـــاد

ان (الالحاد) خطر على البشرية كلها ، وليس خطرا علـــى (الجماعة الاسلامية) وحدها • من هنا كان موقف الاسلام منـــه عدم المهادنة •••

ان عدم مهادنة (الالحاد) دعوة لدفع الخطر المحدق بالانسانية كلها ، طالب الاسلام من المسلمين القيام بها •

وفى دفع هذا الخطر ، اقرار للسلم ، واستقرار الجماعة الانسانية ، وكفالة اقرار السلم العالمي جانب من رسالة الجماعة الاسلامية في نشر الاسلام ••

ومن هنا كان دفع هذا الخطر فرضا ملازما لقيام الجماعة الاسلامية فـى أطوار حياتها وفى كل أجيالها • وعليها أن تكون متهيئة بصفـة مستمرة للقدرة على دفعه ••

وفى ذلك يقول تعالى :

﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهـو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شرّ لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ (١)

هذا التهيؤ والاعداد لدفع خطر (الالحاد) الذى يتمثل فى الكفر بالله وعدم الايمان باليوم الآخر • وهو ذلك المبدأ المعروف فى الاسلام بمبدأ (الجهاد) •

---

(١) سورة البقرة : ٢١٦

ان هذا أمر يجب أن تكون له صفة الاستمرار والدوام في حياة الجماعة نفسها وفي نداء القرآن للرسول بقوله :

﴿ يايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ﴾ (١)

وتوجيه النداء على هذا النحو للرسول باعتباره راعيا ورئيسا للجماعة المؤمنة مما يؤيد أن الاسلام لم يكن وقفا على تبليغ رسالة بل كان رعاية أيضا لاستقرار هذه الرسالة وتمكينها ، سواء في وقت الرسالة أو بعده أى هو دين ... ودولة معا ...

أنواع الالحاد

نريد هنا أن نفرق بين الالحاد الذى يجب أن تعلن الجهاد ضده وبين غيره الذى نكتفي فيه بالموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ..

واذا رجعنا الى كتب التفاسير ، نجد أن الراغب قد أشار الى هذه التفرقة فقال : " الالحاد ضربان :

الأول : الحاد الى الشرك بالله

الثانى : الحاد الى الشرك بالأسباب

(١) سورة التوبة ٧٣ وسورة التحريم : ٩

(٢) تفسير المنار رشيد رضا ج ص

فالأول يخالف الايمان ويبطله .. (وهو الذى يجب على المؤمنين أن يقاوموه بالجهاد والتضحية).

" والثاني يوهن عراه ولا يبطله .. هو النظر في الأسباب مع الغفلة عن كونها من خلق الله وتسخيره .. "

ان هذا النوع من الالحاد — وان كان يتناوله مسمى الالحاد — لا يجب فيه الجهاد فى سبيل الله .. ولكنهم داخلون في التهديد الربانى المخيف ﴿ ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا ﴾ (١)

كلمات مزيفة

هناك كلمات قد استغلها الملاحدة أبشع استغلال .. استغلوها للوصول الى أغراضهم الالحادية ،لأنها تعبّر عن المقصود دون صدام للمشاعر والأحاسيس .

وتحت شعارات هذه الكلمات تجرى وسائل الاقناع المختلفة لتحقيق نشر الأفكار الالحادية المسمومة فى العالم ، فى الشرق والغرب ، فى كل مكان .. (٢)

---

(١) الآية فى سورة فصلت/٤٠

(٢) أساليب الغزو الفكرى فى العالم الاسلامى ، تأليف الأستاذين د. على محمد جريشة ومحمد شريف الزيبق ص (٥٩) .

فمن واجبنا - اذن - أن نقوم لاستبانة تزييفهم ومخططاتهم المنحرفة عملا بقول الله تعالى الذى ذكرناه سابقا .

﴿ وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين ﴾

فما هى - اذن - هذه الكلمات ؟

انها كلمة الحضارة والعلمانية والتطور ، فلنحط ..

كلا .. كلمة ..

أولا : كلمة الحضارة : / La Civilization

الحضارة لغة : الاقامة فى الحضر بخلاف البداوة[1] ، قال القطامى :

فمن تكن الحضارة أعجبته فأى رجال بادية ترانا[2]

والحاضر خلاف البادى . وفى الحديث : " لا يبيع حاضر لباد "[3] .

فالحاضر هو : المقيم فى المدن والقرى . والبادى هو : المقيم بالبادية .

---

(١) راجع لسان العرب المجلد الرابع ص ١٩٦

(٢) المرجع السابق راجع ايضا قاموس الفرنسي العربي سترى اليكى ١٩٧٥م

(٣) الحديث أخرجه البخاري في باب الشروط

الحضـارة فى الاصطـلاح :

ان الحضارة عند الاجتماعيين الأوربيين ، تعنى الحالة الـراقيـــة التى توجـد عـليها الأمـم تحت العلوم العالية والفنون الجميلة والصنائـــع المناسبة "•

فعلى هذا نعلم ،أن معنى الحضارة عندهم ،غـاية تدرج الأمم فى الوصول الى أوجها الأعلى تحت تأثير العلوم والفنون والصنائـع • وتكــون آصرة التجمـع فيها هى الأرض والجنس واللون فحسب •

ان هذا المعنى _ وان كان هزيلا _ لا يدل ـ بادىء ذى بدء _ على رفض الايمان وانكار وجود الله تعالى •

فالمسلمون قد عرفوا هذا المفهوم من الحضارة قبل أو ربا بل هم الذين نقلوا كنوز القدامى الى بلاد الغرب •• وقد أجمـع المؤرخون المنصفــون على أن أول من عـرّف الحضارة بمفهوم يقارب المفهوم الحالى هو رجـل مسلم قد عرّفـه العالم حتى الأعداء بعمق آرائه وصحـة اتجاهاتـــه فى تقرير القواعد العلمية وخاصة فى علم الاجتماع والتاريخ • ذلك الرجـل هـو " ابن خلدون "•

وقد أدرك هذه السمة المميزة فى تاريخ الاسلام ، كل باحث فى هذا التاريخ حتى المستشرقون الذين نصبوا أنفسهم لهدم هذه الركيـــزة الكبرى •

---

(١) راجع مستقبل الحضارة بين العلمانية والشيوعية والاسلام : يوسف كمال ص ١

(٢) راجع مقدمة ابن خلدون •

وهذا المستشرق " جب " يقول فى كتابه : " الاتجاهات المعاصرة فى الاسلام " :

" أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظة التفصيلية الدقيقة التى قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت على تقدم المعرفة العلمية مساعدة مادية ملموسة وأنه عن طريق هذه الملاحظات وصل المنهج التجريبى الى أوربا فى العصور الوسطى " (١).

ويقول " بريفولت " فى كتابه " بناء الانسانية " :

" لقد كان العلم أهم ما جادت به الحضارة العربية على العالم الحديث ... ولم يكن العلم وحده هو الذى أعاد الى أوربا الحياة ، بل مؤثرات أخرى كثيرة من مؤثرات الحضارة الاسلامية بعثت باكورة أشعتها الى الحياة الأوربية .

ولكن على الرغم من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحى الازدهار الأوربى الا ويمكن ارجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة الاسلامية بصورة قاطعة .

فان هذه المؤثرات توجد أوضح ما تكون ، وأهم ما تكون ، فى نشأة الطاقة التى تكون ما للعالم الحديث من قوة متميزة ثابتة ، وفى المصدر القوى لازدهاره : أى فى العلوم الطبيعية وروح البحث العلمى " .

---

(١) راجع كتاب هل نحن مسلمون للأستاذ محمد قطب ص ٦٢

(٢) راجع الكتاب السابق .

بهذه الشهادات ندرك أن الحضارة — كما عرّفه الأوربيون الاجتماعيون — قد سبق اليها المسلمون ومع ذلك ظلوا مؤمنين بالله سبحانه . ذلك ان الاسلام دين لا يسمح لمطالب الروح أن تطغى على مطالب الجسد وبالعكس أيضا . " دين يجعل كل دقيقة من دقائق هذه الحياة متصلة بعضها ببعض برباط الدين "(١) على حد تعبير المستشرق ويقول جرونيباوم (Von Grunebaum) في كتابه (الاسلام) ..

اذن ان الحضارة بهذا المفهوم السابق لا يتعارض مع الدين الاسلامي وسيأتي تفاصيل ذلك ، وبعد هذا ننتقل سريعا الى تعريف الحضارة عند الملاحدة الماديين لكي نضع أيدينا على نقطة الضلال فيها .

---

(١) بناء الانسانية تأليف بريفولت ، ص ٢٠٢

(٢) راجع المرجع نفسه ص ١٩٠

وراجع أيضا الاسلام ومشكلة الحضارة سيد قطب ص٣٣

مفهوم الحضارة عند الماديين المعاصرين

ان أصحاب الحضارة المادية في أوروبا وغيرها ، يرون أنهـــا نفى للدين من تلقاء نفسها لأنها جاءت لتطهير الانسان من دنس الأديان والمعتقدات القديمــة •

هذه هي نظرية " أوجست كونت "(١٥) • فقد ذهب هذا الفيلسوف الى أن الحضارة الانسانية قد مرت بأدوار ثلاثة :

أولا : دور الفلسفة الدينية • أو المرحلة اللاهوتيــة

ثانيا : دور الفلسفة التجريدية • أو المرحلة الميتافيزيقيــة (Positive Stage)

ثالثا : دور الفلسفة الواقعية • أو المرحلة الوضعيــة •

وهذا الدور الثالث ـ في نظره ـ هو آخر الأطوار وأسماها ، وفى هذه المرحلة ،على حدّ زعمه لا تذكر الأرواح والالهة و القوى المطلقــة•

---

(١) ترجمة أوجست كونت ولد سنة ١٧٩٨ وتوفى سنة ١٨٥٧ م هو فيلسوف فرنسى شهير أسس الفلسفة الوضعية أو الحسية ثم هو واضع علم العمران البشرى على القواعد المصرية • وله تعزى ديانة سماها (الديانــة الانسانية) التى أبدل فيها الخالق بالنوع الانسانى ، والمعابـــد بالمجامع العلمية والكهنة والقساوسة برجال العلم• Loide Troisage هذه الديانة عدل على أن أوجست كونت لا يؤمن بالله ولا باليـــوم الاخر وهى غفلة تأدت به الى هذه الحال نعوذ بالله من شــرّ الفتــن •

راجع دائرة معارف القرن العشرين فريد وجدى (ج ١) ص ٧٥٢ـ ٧٥٣ •

" لقد أثبت نيوتون[11] انه لا وجود لا له يحكم النجوم • وأكد لا بلاس[12] بنكرته الشهيرة أن النظام الفلكى لا يحتاج الى أسطورة لا هوتية ".

" قام بهذا الدور العالمان (داروُن)[13] و (باستور)[14] في ميدان البيولوجيا[15] وقد ذهب كل من علم النفس المتطور والمعلومات الثمينة التى حصلنا عليها في هذا القرن بمكان الاله ، الذى كان مفروضا أنه هو مدبر شئون الحياة الانسانية والتاريخ " (١)

ويؤكد ذلك الملحد الحاقى البروفسار جوليان هكسلى بقوله :

" تعتبر التطورات العلمية التى حدثت فى القرن الماضى " انفجارا مصرفيا " فى وجه الأساطير الانسانية من الالهة والدين كما تفجرت الأفكار القديمة عن المادة و نسفت بمجرد تفجير الذرة " (٢).

هكذا يرى أصحاب هذه الحضارة المادية أن الناس بعد ما أن كانوا يحللون الظواهر الكونية بقوة أو بقوة ارادية خارجة عنها انتقلوا الى تفسيرها بمعان عامة وخصائص طبيعية كامنة فيها .. ثم انتهوا الى رفض كل تفسير خارجى او داخلى ، واكتفوا بتسجيل الحوادث كما هى •

وعلى هذا في نظر هؤلاء الماديين تكون الحضارة الدينية يمثل الحالة البدائية التى لعبت بها الانسانية فى مرحلة طفولتها ، فلما كبرت أخذت شوبا وسطا في دور مراهقتها حتى اذا بلغت أشدها واكتمل رشدها أخذت حلتها الأخيرة من العلوم التجريبية•

---

(١) راجع الاسلام يتحدى، وحيد الدين خان ص٣٤ ــ٣٥ نقله من كتاب :

(٢) راجع الاسلام يتحدى ،وحيد الدين خان ص ٣٢ ط السابعة ، المختار الاسلامى نقله عن كتاب :
Hisbstantimes Sunday Magzie,
Spet. 24 (1961)

تلك هي مفهوم الحضارة عند الملاحدة المعاصرين • وبهذا المفهوم الهابط ساقوا الجماهير السذّج الى سوق الالحاد • فأفهموهم بأن معنى الحضارة هو رفض جميع الأفكار القديمة التي منها الدين والقيم الأخلاقية والمبادئ السامية •

من هنا — فقط — أصبحت كلمة الحضارة تستعمل في محاربة الأديان فاذا قالوا مثلا " ان الغرب متحضر " معناه : انه رفض الأفكار الدينية والأخلاق والمبادئ السامية •

واذا قالوا أن الشرق متأخر مثلا معنى ذلك انه متمسك بدينه وتراثه المجيد ••

اذا كان هذا هو مفهوم الحضارة عند الماديين فلا شك أنه يصطدم بالدين وقد اصطدم — فعلا — مع الدين في أوربا — لأسباب سنتكلم عنها ان شاء الله •

ثانيا : كلمة العلمانية : Secularisme

ان هذه الكلمة من الكلمات التي استعملها الملاحدة لضرب الأديان في أوربا الا أنها في حد ذاتها — لا تدل على الالحاد • ولا علاقة لها بالالحاد • لا من قريب ولا من بعيد ••• ويتضح لنا ذلك في التعريفات الآتية :

تعريف العلم :

العلم في اللغة هو : في اللغة نقيض الجهل • وهو من أشبع

الكلمات المستعملة قديما وحديثا • وهي في كل دور من أدوارها تطلق على ما يضاد الجهل بنوع محدود من المعارف • ومثال ذلك :

كانت هذه الكلمة ـ عند العرب في الجاهلية ـ تطلق على ما ينافي الجهل بمعارف الجاهليين المحدودة • وكانت لا تتعدى الشعر والكهانة والقيافة والخطابة •• والانساب ••

فلما ظهر الاسلام كان يراد من العلم ما ينافي الجهل بما ظهر من المعارف الجديدة : وهي الكتاب والسنة وأخبار الملائكة وغيرها ••

ولما زادت معارف العرب صارت تطلق على ما ينافي الجهل بما ظهر من المعارف الجديدة كالفقه والتفسير وشرح السنة والتاريخ وطبقات رواة الحديث والنحو والبلاغة وغير ذلك ••

ثم انتشرت العلوم الكونية فيهم وتشعبت المعلومات لديهم فصار يستعملها كل فريق بما يناسب ما لديه من العلم • فاتسع مدلولها اتساعا يناسب اتساع مجالات المعارف الجديدة •• (٢)

وبهذا يتضح لنا أن كلمة العلمانية التي تعني رفع شعار العلم لا تعارض بينها وبين الاسلام بل هي احدى وسائل الاسلام وبعض أهدافه وإذا عرفنا هذا فلننتقل الى تعريفات للكلمة عند الغربيين الماديين لنضع أيدينا على نقطة التحول من المعنى الايجابي الى المعنى السلبي الالحادي ••

---

(١) راجع كتاب لسان العرب ج ١١ ص ٤١٧

(٢) راجع عرضا دائرة معارف القرن العشرين ، فريد وجدي الجزء السادس ص٥٨٣ مع تغييرات طفيفة •

العلمانية في تعريفات الغربيين الماديين :

لقد ذهب دعاة العلمانية الى القول بأن العلمانية هى : " الدعوة الى الاعتماد على الواقع الذى تدركه الحواس ، ونبذ كل ما لا تؤيده التجربة ، والتحرر من العقائد الغيبية التى هي عندهم ضرب من الأوهام ومن العواطف بكل ضروبها .. وطنية كانت أو دينية ، بزعم أنها تضلل صاحبها ، وتحول بينه وبين الوصول الى أحكام موضوعية محايدة " (١) .

ويقول المعجم الدولى الثالث الجديد " مادة "

" العلمانية " اتجاه فى الحياة أو فى شأن خاص يقوم على مبدأ أن الدين أو الاعتبارات الدينية يجب أن لا تتدخل في الحكومة أو استبعاد هذه الاعتبارات استبعادا مقصودا فهى تعنى مثلا :

السياسة اللادينية البحتة فى الحكومة ..

" وهى نظام اجتماعى فى الأخلاق ، مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعى دون النظر الى الدين " (٢) .

---

(١) اتجاهات هدامة فى الفكر المعاصر ، د . محمد محمد حسين

ايضا كتاب سقوط العلمانية ، أنور الجندى ص ٣٩ نقلا عن المرجع السابق .

We Bster's Third New International(٢)

ويقول قاموس (العالم الجديد) لو بستر شرحا للمادة نفسها :

" والروح الدنيوية أو الاتجاهات الدنيوية ، ونحو ذلك وعلى الخصوص نظام من المبادئ والتطبيقات يرفض أى شكل من اشكال الايمان والعبادة .

" الاعتقاد بأن الدين والشئون الكنسية لا دخل لها في شئون الدولة وخاصة التربية العامة " .

ويقول معجم اكسفورد شرحا للكلمة :

دنيوى أو مادى ـ ليس دينيا ولا روحيا : مثل التربية اللا دينية : الفن او الموسيقى اللا دينية السلطة اللا دينية الحكومات المناقضة للكنيسة .

الرأى الذى يقول : انه لا ينبغى أن يكون الدين أساسا للأخلاق والتربية ... "(1)

وعلى ضوء هذا التعريف المزيف : اتخذ الماديون في أوربا ، العلم سلاحا لمقاتلة الدينيين والنص عليهم . فلم يجيء القرن التاسع عشر حتى كان أنصار الدين في ضعف مطلق أمام خصومهم وظهرت المبادئ المادية ظهورا لا مزيد عليه ، وتذرعوا بهذا السلاح ينكرون الخالق والروح والخلود لخروج هذه العقائد عن دائرة اختصاص " العلم " الحديث .. والعلم الحديث برئ من هذه الفرية ...

---

(1) نقلا عن رسالة العلمانية وأثره فى الحياة الاسلامية : تأليف سفر ص ٢

وهكذا صرّح الماديون أن معنى (العلمانية) هو انكار لوجود الله واقامة الحياة بمعزل عن الدين ولكن المترجمين الذين نقلوا هـذه الكلمـة الى العربية كانوا خبثاء وخونة حيث قالوا : ان (Secular) معناها : العلمانية . بينما صرح الماديون بأن معنى العلمانيه هو اللادينيه فلنستمع الى تصريحاتهم .

ويقول المستشرق " اربـرى " فى كتابه (الدين في الشرق الأوسط) عن الكلمة نفسها :

" ان المادة العلمانية والانسانية والمذهب الطبيعي والوضعية كلهـا اشكال اللا دينية .. واللادينية صفة مميزة لأوربا وأمريكا .. ومع أن مظاهرها موجودة فى الشرق الأوسـط فانها لم تتخذ أى صيغة فلسفيـة أو أدبية محددة .. والنموذج الرئيسى لها هو فصل الدين عن الدولة فـى الجمهورية التركية " (١).

تقول دائرة المعارف البريطانية مادة " (Secular) هى حركة اجتماعية تهدف الى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخـرة الى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها .."

ذلك انه كان لدى الناس في العصور الوسـطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخـر ، وفي مقاومـة هذه الرغبـة طفقت الـ (Secularism) تعرض نفسها من خلال تنمية

---

(١) Religion in The Middle East A. J. Abber Vol. 2. P. 606-607

(٢) Ency. Britannica Vol. IX P. 19
راجع رسالة العلمانية وأثرها في الحياة الاسلامية المعاصرة ، سفر ص٣

النزعة الانسانية حيث بدأ الناس في عصر النهضة لظهور تعلقهم الشديد بالانجازات الثقافية البشرية ، وبامكانية تحقيق آمالهم في هذه الدنيـــا القـــريبة ..

وظل الاتجاه الى الـ (Secular) يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله باعتبارها حركة مضادة للدين ومضـادة للمسيحية ". (16) ثم إن العلم الحديث لا يمثل إلا جانباً يسيراً من العلم المطلوب؛ هذا ما أكده (جود) الذى يقـول : " ان الفكر الحديث من ناحية ثانية يتصف بنزعة من الشك في احكامه واستنتاجاته ، ينتج عنهما ميل الى الحرية والانطلاق في امتحان مختلف الفرضيات وتمحيصها . فـالكون كما يبدو لنا نحن المحدثين ملئ بالغموض والأسرار الخفية خلافا لنظرة القرن الـ... عشر لقـد أصبحنـا نشعر بضآلة معارفنا على أنـه كلما ضاقـت حدود المعرفة المقررة ، اتسعت ميادين النظر الى الاحتمالات الممكنة وأفسح الخيال في تصورها ، ولا تتعلق شكوكنا في الأحكام التي تقررها فحسب ، بل تتجاوز ذلك الى أساليب البحث في الوصول اليها .

" ومن هنا تستولى على الناس رغبة ملحة في ارتياد مختلف السبل لفهم طبيعة الكون في جوانبه المتعددة ، سواء عن طريق العلم أو الفن أو عـن طريق النشرات الدينية في حالات العبادة . وليس ذلك فقط ، بل هناك رغبة ضمن نطاق الدراسات العلمية نفسها في التجريب بمختلف مناهج البحث ، مع استخدام أدوات جديدة لهذا الغرض ، فنحن نسعـى الى فهم الكـون من جوانب متعددة وأساليب متباينة ".

" ويبدو لدى المتأمل أمرا لا مفرّ منه ، ذلك أنه كلما اتسعت دائرة معارفنا مست أمورا لا تزال غامضة علينا ، ولذلك يزداد شعورنا

بالجهل .. و شبهه بذلك ما حصل في ميدان الدين ، فان الشـــــــاء في العقائد الدينية التقليدية يقترن بالاهتمام الذى يتزايــد شيئـــــــا فشيئا بالنظرة الدينية للكون عامة ، وبالاعتقاد بأن العلم لا يلزم أن يكـــون قد قال كلمته الأخيرة بعد " (١) .

وبهذه الشهادة وأمثالها ، نعلم أن العلم على النحو الذى حددته المفاهيم المستحدثة لا يمثل الا جانبا صغيرا من العلم الأسمى الذى سبقت الأديان الى اضاءة الطريق فيه ، ورسم منهج واضح له ، لأنه يتصل بعالم الغيب الذى لا يستطيع العقل أو العلم في خطواته بعد الوصول الى حقيقتــه .

وكما قال جولد في تقريره السابق من أن الفكر الحديث " من ناحية ثانية يتصف بنزعة من الشك في أحكامه واستنتاجاته " فهذا (مارتيـــــن ستانلي كونجون) يصل في بحوثه الى النتائج نفسها فهو يقول :

ان نتائج العلم تبدأ بالاحتمالات ، وتنتهي بالاحتمالات وليس باليقيــن والنتائج بذلك تقريبية ، عرضة للأخطاء في القياس والمقارنات ونتائجها احتمالية وقابلة للتعديل والحذف ، وليست نهائية . وقد أضطر العلم منذ أجيـــــال أن يترك البحث في كنه الأشياء بعد أن تبيّن أنه لا سبيل الى معرفة الكنــه المغيب عن الحواس واكتفى بدراسة ظواهرها ". (٢)

---

(١) جــود ، منازع الفكر الحديث ، عرّبه عبّاس فضلي خماش ، وتمم الترجمة عبد العزيز البسام ص١٦–١٧ – طبعة المجمع العلمي العراقي ١٣٧٥هـ – ١٩٥٦م .

(٢) راجع كتاب سقوط العلمانية (أنور الجندى) ص ٤٢

ونود أن نختتم هذا الفصل بكلمة (رسل تشالرأرنست)(١) التي تعتبر بحق الكلمة الفاصلة في هذا الباب فلندعه يتكلم :

" ان كل الجهود التي بذلت للحصول على المادة الحية من غير الحية قد باءت بالفشل والخذلان الذريعين ، ومع ذلك فان من ينكر وجود الله لا يستطيع أن يقيم الدليل المباشر المتداع على أن مجرد تجمع الذرات والجزيئات عن طريق الصادفة ، يمكن أن يؤدي الى ظهور الحياة وصيانتها وتوجيهها بالصورة التي شاهدناها في الخلايا الحية ".

وبعد هذه الجولة نستطيع أن نقول انه من الخطأ المحض أن تشتق العلمانية من العلم . فالتجربة نفسها كذبت دعواهم الكاذبة القائلة : ان العلوم وحدها ستنقذ الانسانية " أو العصر الذي يسود فيه العقل ، يصل الانسان الى الكمال " تلك كانت دعواهم التي أصارتها التجربة الى وهم وجهل مريـر .

وبعد هذه الجولة نصل الى الحقائق التالية :

ان كلمة (Secular) معناه اللاديني أو غير عقيدي ولكن الذي قاموا بترجمة هذه الكلمة الى العربية دسوا هذا المعنى السخيف . فقالوا معناه : العلمانية لأنها كلمة محبوبة لدى الجميع .

وان دل هذا على شيء فانما يدل على خبث هؤلاء المترجمين الملاحدة .

---

(١) المرجع السابق ص٤٧

ثالثا – (كلمة التطور) :

التطور في اللغة : التارة • تقول : طورا بعد طور • أى تارة بعد تارة وقال الشاعر في وصف السليم (١)

* تراجعه طورا وطورا تطلق * (٢)

وتطلق هذه الكلمة ويراد بها (الحال) كما في قوله تعالى : ﴿ وقد خلقكم أطوارا ﴾ (٣) معناها : ضروبا وأحوالا مختلفة •

كما رأيت ، ان هذا المفهوم لا يتعارض مع الدين الاسلامي • ولكن الملاحدة اخترعوا من عند أنفسهم مفهوما آخر خبيثا للتطور ، فهو لا بد أن يتعارض مع الأديان لأنهم يستعملون مفهوم التطور في مقابل الجمود ، جمود العقيدة وجمود العبادة •• وجمود القيم •• وجمود المفاهيم •• وجمود التقاليد ، وجمود الحياة •• فهم يرون أن القياس الحقيقي لعظمة الانسان وتطوره هو جهاز الراديو أو التلفزيون أو السيارة التي يركبها أوجهاز التسجيل الآلي أو القنبلة التي يدمر بها الحياة على وجه الأرض •

وعلى هذا المفهوم قامت الثورة الفرنسية باسم التطور • حتى صارت " الموضة " هي التطور • وما لا يتطور بذاته ينبغي أن يتطور بالقوة !

(١) لسان العرب ج ٤ ص ٥٠٧
(٢) البيت للنابغة الذبياني • وهو بكامله :
تناذرها الراقون من سوء سمها   تطلقه طورا وطورا تراجع
انظر المرجع السابق •
(٣) سورة نوح الآية رقم ١٤ •

انه لا ينبغى ان يظل شئ على الاطلاق ثابتا في كل الأرض . لا الدين ولا فكرة الله . ولا الأخلاق . ولا التقاليد . ولا القيم . ولا الروابط الاجتماعية . لا شئ ... لا شئ على الاطلاق .

تسمع فى كل أنحاء أوربا : (دعه يمرّ)! (دعه يفعل)! ينبغى أن نحطم قيود الأخلاق فهى قيد يعوق التطور . فينبغى اليم أن نطرحها في المجتمع الصناعى المتطور الذى يتطور بتطور وسائل الانتاج ...

بل ينبغى أن ننشئ أنفسنا فى المجتمع الجديد ... المتطور ... المتحرك ... الوثّاب ... وتركزت الفتنة كلها فى " تحرير المرأة " لكى تخرج الى الطريق فتنة للرجال . (١)

فبدأ الكتاب يكتبون ... والصحافيون يزينون التبرج ... والقصاصون يقصون القصص الماجنة والمصورون يصورون الصورة الخليعة . كل ذلك باسم التطور ... كأن السبيل الى تحقيق هذه الرغبات هو :

السينما والأفلام الداعرة العارية الداعية الى الفساد .

كان السبيل هو بيوت الأزياء .

كان السبيل هو صناعة أدوات الزينة .

كان السبيل بكل السبيل والوسيلة . (٢)

---

(١) التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص(١ ٢ـ ٢٥)

(٢) المرجع السابق ص٣١

وكان أهم شيء عند هؤلاء المتطورين أن ينفخوا في الصور المادية " المتطورة ". ومن حصيلة هذا كله حدثت حركات ضخمة في المجتمع الغربي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . وهي حركات التطور الفريد لأنهم تجاوزوا عن عالم الغيب الذي لا يرونه ودخلوا في عالم المحسوس الذي يعاملونه بالكيل والوزن والمسافة ..

هذا هو مفهوم التطور عند الغربيين وقد ساعدهم على ترويج هذه الفكرة الشنيعة ما أعلنه " داروين " في كتابه (أصل الأنواع سنة ١٨٥٩) وفي كتابه : أصل الانسان سنة ١٨٧١ م أن الانسان أصله حيوان وبتعبير عصري أوضح ان الانسان نهاية التطور الحيواني .

لقد رحب الماديون بفكرة (دارون) لأن عقيدتهم تقوم على العنف وصراع الطبقات ولم يكن الدافع لتبني هذه الفكرة هو الأدلة الملموسة وانما المذهب السياسي الأعمى . لذلك أحلوها المقام الأول بين جميع العلوم . واذا ذكرنا هؤلاء الملاحدة ، نذكر أيضا تلك اليد اليهودية الخفية التي كانت تعمل دائما في خفاء لبث مثل هذه الأفكار الالحادية .

تقول بروتوكولات حكماء صهيون : " لقد رتبنا نجاح دارون وماركس ونيتشه بالترويج لآرائهم . وان الأثر الهدام للأخلاق الذي تنشئه علومهم في الفكر غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد " (١) . ولقد حدثت بالفعل ذلك الأثر الهدام للأخلاق باسم التطور . .

---

(١) راجع البرتوكول الثاني ص ١٢٣ ط . الرابعة : دار الكتاب العربي بيروت – لبنان

وهكذا رأينا جزءا من مفهوم التطور عند الغرب ، وسنعود الى ذلـك ان شاء اللـه في (باب النشوء والارتقاء) الذى سنعقده فيما يأتي من الصفحات .

تلك هي الكلمات التي استعملها الملاحـدة كالسلاح لضرب الأديـان متسترين وراء المعنى اللغـوى الظاهر لسـوق السـذج البسـطاء الـى سـوق الالحاد . والحمد لله الذى أيدنـا للكشف عن هذا الزيـف وهذا الخبث والضـلال .

فكرة عامة عن أوروبا الحديثـــة

لما كان عنوان هذا البحث هو : الالحاد وأثره في أوروبا الحديثة، يجمل بنا أن نعطي فكرة عن كل من الكلمتين " الالحاد " و" أوروبـــا الحديثة " ، وقد تحدثنا عن كلمة الالحاد لغة واصطلاحا . والآن نود أيضا أن نقدم فكرة موجـزة عن " أوروبا الحديثة ".

وكيف لا ؟ ان أوروبا هي التي تصارع فيها " الايمان " و " الالحاد " ورجال الدين مع رجال المادة ... والتطور مع الثبات . والحـق مع الباطل .. ولو مضينا بالبحث دون أن نعطي أية فكرة عن أوروبا الحديثة ، كأننـــا تحدثنا في عماية ، وقديما قيل : " الحكم على الشيء فرع تصوره ".

وفوق ذلك ان معرفة شيء من بداية العصر الحديث تساعدنا على معرفة تطور الأحداث الالحادية هناك ولكن من المستحيل أن أقدم هنا أكثر من موجز بسيط لقارة تضيق عنها المجلدات الضخمة . ولذا سوف نكتفي بثلاث نقاط . وكفى .. وهي :

(١) متى بدأت العصور الحديثة ؟

(٢) كيف بدأت النهضة العلمية في أوروبا الحديثة ؟

(٣) الصراع بين الدين والعقل والحس في تاريخ الفكر الغربي ...

وقبل أن نتحدث عن أوروبا الحديثة . يحسن بنا أن نقدم صـــورة صغيرة عن القرون الوسطى التي تابعتها العصور الحديثة لأن التاريخ متصل الحلقات لا يمكن أن يعرف فترة انتقال من عصر الى عصر الا بدراسة شاملة للفترتين معا . اذن متى بدأت العصور الوسطى ؟

أولا – بداية العصور الوسطى :

ان كان أبناء المدرسة القديمة من المؤرخين قد أصروا دائمـــا على اتخاذ سنة ٤٧٦ – وهي السنة التي سقطت فيها الامبراطورية فـي الغرب – حدا فاصلا بين العصور القديمة والوسطى ، وسنة ١٤٥٣ – وهي السنة التي سقطت فيها القسطنطينية في أيدي العثمانيين ،وانتهت فيهـا حرب المائة عام (١) بين انجلترا وفرنسا حدا فاصلا بين العصـــور الوسطى والحديثة الا أننا لا نستطيع أن نسايرهم باطمئنان في هــذا الاتجاه ..

ذلك ان اختيار سنة بعينها أوحدث بذاته لتحديد نهاية عصر من عصور التاريخ أوبداية عصر آخر يبدو في نظرنا – كما سبق – أمرا بعيدا عن الحقيقة ، لأن التطور التاريخي يمتاز دائما بالتدرج والاستمرار وتداخل حلقاته بعضها في بعض ، أشبه شيء بنمو الكائن الحي. وكما أننا لا نستطيع اتخاذ لحظة بعينها نقول : ان الفرد ينتقل فيهـا من مرحلة الطفولة الى مرحلة الشباب أومن هذه المرحلة الأخيرة الى مرحلة الشيخوخة . فكذلك من المبالغة التاريخية أن نختار سنة محدودة لنقول : ان العصور الوسطى توقفت فيها عن السير تماما لتفسح المجال للعصـور الحديثـــة .

هذا ما ورد في كتاب التاريخ الأوربي الحديث مؤكدا لما قلنا :

---

(١) راجع أوربا العصور الوسطى ، د. سعيد عبد الفتاح عاشور جـ الأول ص ٣ ط : مكتبة الأنجلو المصرية .

" عندما ندرس التاريخ ، نجد التطور الانساني يسير في تيارات فكرية تتغير معها نظرة الانسان الى الحياة وادراكها لمفاهيمها وتصرفه بازائها ، ومن العسير أن نحدد تاريخا محددا لظهور هذه التغيرات الهامة في مجرى التاريخ أو الانتقال من العصور القديمة الى العصور الوسطى أو من الوسطى الى الحديثة "(١) .

وليس معنى ذلك أن نترك الأمر دون أي بحث ، واذا لم يكن التحديد الدقيق في استطاعتنا ، نستطيع أن نتخذ بعض السنوات الهامة أو الأحداث التاريخية الكبرى لتكون فواصل بين العصور التاريخية .

وعلى هذا الأساس اتخذ المؤرخون القرن الرابع الميلادي بداية للعصور الوسطى لكثرة الحدوث العظيمة التي لها تأثير في تغيير وجه التاريخ القديم .

نوجز بعض هذه الأحداث فيمايلي :

(١) اعتراف الامبراطورية بالديانة المسيحية سنة ٣١٣ م

(٢) نقل عاصمة الامبراطورية الى القسطنطينية سنة ٣٠٣ م

---

(١) راجع كتاب التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فيينا ، تأليف الاستاذين : الدكتور عبد الحميد البطريق ، أستاذ التاريخ الحديث بجامعة عين شمس والجامعة الأردنية .
والدكتور عبد العزيز نوار ، استاذ التاريخ الحديث المساعد بجامعة عين شمس وجامعة بيروت العربية ص (١١) ط : دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ص ب ٧٤٩ .

(٣) ازدياد خطر الجرمان على كيان الأمبراطورية عقب موقعة "أدرنة" سنة ٣٧٨

(٤) اتخاذ المسيحية ديانة رسمية للأمبراطورية سنة ٣٩٢

(٥) تقسيم الأمبراطورية الرومانية الكبرى الى قسمين : شرقى وغربى سنة ٣٩٥ (١).

فالقرن الرابع اذن - يمثل العصر الذى اجتمعت وتفاعلت فيه مختلف العناصر الأساسية التى كيّفت تاريخ اوربا فى العصور الوسطى : وهى (الكنيسة المسيحية ، والجرمان ، والامبراطورية) (٢).

---

(١) راجع أوربا العصور الوسطى ، ج الأول - د. سعيد عبد الفتاح عاشور ص٤ ، أستاذ كرسى تاريخ العصور الوسطى كلية الآداب - جامعة القاهرة .

(٢) المرجع السابق ص٤

راجع دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى

ج ص .

بداية العصر الحديث

وما هو جدير بالذكر ، أن الكثير من الآراء التي سادت في العصور الوسطى عاشت أيضا بعض الزمن في العصر الحديث . فمن الصعوبة أن توجد حدّا فاصلا بين عصر وآخر كما قلنا سابقا . ولذا يعتبر عصر النهضة من دلائل الانتقال من العصور الوسطى الى العصر الحديث .

واليك أهم ما اعتبره المؤرخون بداية لتاريخ العصر الحديث :

سقوط القسطنطينية في يد الأتراك العثمانيين عام ١٤٥٣ م لأنه قد ترتب على هذا الحادث قيام حركة احياء العلوم في أوربا عندما غادر القسطنطينية عدد كبير من العلماء اليونانيين الى أوربا حاملين معهم مخطوطاتهم الثمينة التى انبثقت منها دراسات جديدة أضاءت الطريق لظهور النهضة الأوربية وحركة احياء العلوم . (١)

(الناحية الثقافية) :

أما الناحية الثقافية ،فهي سمة بارزة في الانتقال من العصور الوسطى الى العصور الحديثة . وذلك ان الكنيسة كانت وحدها ملاذ الثقافة والتعلم ولذا اصطبغت الثقافة في العصور الوسطى بالصبغة الدينية فقد كان العلماء في تلك العصور هم أنفسهم رجال الدين ، وما يقوله رجال الدين حينئذ يتقبله الناس وما يرفضونه يرفضه الجميع (٢).

---

(١) التاريخ الأوربي الحديث الدكتور عبد الحميد البطريق ود. عبد العزيز نوار ص ١٤ .
(٢) المرجع السابق ص ١٤ .

وكل تعاليم مسلّم بها لا تقبل النقض ولا تحمل النقاش الملى وكانت اللغة اللاتينية هى اللغة الأساسية التى يجب على كل فرد أن يتعلمها ويتقنها. أما اللغات القومية فكانت للتخاطب المحلي .

ومن أراد المعرفة فلا سبيل اليها الا عن طريق اللغة اللاتينية التى كانت اذ ذاك لغة الجامعات يتفاهم بها الطلبة مع أساتذتهم لذلك نصّت لوائح الجامعات الأوربية في العصور الوسطى على عدم اجازة من يثبت أن لغتــه اللاتينية غير سليمة .

ثم تطورت الدراسة حتى اتجهت في العصور الحديثة الى الناحية القوميــة ولم تعد اللغة اللاتينية وحدها هى لغة الثقافة والأدب .

ولم تلبث الجامعات أن تصدت لسيادة الكنيسة البابوية وناهضت المبدأ بخضوع الكنائس في البلاد الغربية خضوعا تاما للبابويــة وكان على رأس الجامعات المعارضــة ، جامعة باريس التى أيدت مبدأ استقلال الكنيســـــة الفرنسية .

وقد تحقق فعلا للكنيسة الفرنسية هذا الاستقلال واكتسبت صبغتهـــــا القومية في عهد لويس الحادى عشر (١٤٦١ ـ ١٤٨٣) (١).

فلذا عــدّ المؤرخــون الناحيــة الثقافيــة فترة انتقــال من العصــور الوســطى الى الحديثــة .

---

(١) المرجــع الأول مع تغييرات طفيفة ص (١٥) .

(الاكتشافات الجغرافية) :

ومن المظاهر الثقافية لانتقال أوربا الى العصور الحديثة ، عناية بعض الشعوب الأوربية بجغرافية العالم واكتشاف أبعاده .

وقد كان احتلال البرتغاليين (سبته) على الساحل الافريقي عام ١٤١٥ بمثابة الحلقة الأولى في سلسلة المغامرات البحرية التى أدت دوران (فاسكو دا جاما) حول افريقيا سنة ١٤٩٢ م وتأسيس الامبراطورية البرتغالية والاستعمار البرتغالي في الشرق ثم أدت تلك المغامرات الى اكتشاف أمريكا .

الناحية الاجتماعية والاقتصادية :

أما من الناحية الاجتماعية والاقتصادية ، فقد تميز العصر الوسيط بالنظام الاقطاعي الذى بدأت تتلاشى مظاهره في العصور الحديثة فقد كانت الأرض موزعة بين أشراف يمتلكونها بما عليها من انسان وحيوان ، ويحكمون اقطاعاتهم بمطلق ارادتهم ، يقضى بين الناس بما شاء له حكمه ، وبذلك كانت الأرض هي عماد الثروة الاقتصادية لذلك انعدم وجود الطبقة الوسطى التى تعتبر عماد الحياة .

الخلاصة : كان المجتمع طبقتين : أشرافا يمتلكون بكل شيء .

وفلاحين يعتبرون أرقاء للأرض .

ولما كان أكثر الأحداث وقعت في القرن الرابع عشر اعتبره المؤرخون بداية العصور الحديثة ، وهى الفترة التي اصطلح المؤرخون على تسميتها باسم عصر النهضة (Renaissance) بمعنى البعث الجديد أو بالمعنى الحرفي (الولادة الجديدة) .

وقد ظهرت حركة النهضة في بدايتها في ايطاليا وكان ذلك في منتصف القرن الرابع عشر ، اذن ان العصور الحديثة تبدأ من القرن الرابع عشر والله أعلم .

(١) المرجع السابق ص ١٦

(ثانيا) ـ أوربا في النهضة العلمية والأدبية :

نحاول في هذا الجزء من البحث أن نتعرف على أثر الحروب الصليبية ونتائجها في النهضة الأوربية في مجالات العلم والأدب والحضارة . الا أننا ـ نحاول ـ أن نتحاشى عن التعصب والمزايدات . سواء أكانت من تلك الأفكار التي تبالغ في تأثير هذه الحروب على أوربا من حيث استفادتها من حضارة الاسلام أم كانت من تلك الأفكار التي تهوّن من شأن تأثير هذه الحروب . اعني أفكار المثقفين الذين وقعوا في الانبهار من هذا الابداع المادي للحضارة الغربية المعاصرة .

ذلك أن الأصالة قدر مشترك بين الحضارات جميعا . فكل حضارة أبدعت ونقلت وكانت لها سمة تميزها بين الحضارة العالمية . ولم توجد لحضارة تفردت بالابداع أو تفردت بالنقل أو خلت من السمة التي تميّزها بين سمات الحضارة (١) .

والحق الذي ينبغي أن يتمسك به كل باحث في تاريخ أوربا العلمي ، هو أن أوربا قد مرت بثلاث مراحل :

الأولى منها كانت مظلمة حقا وهي تقع في الفترة ما بين نهاية القرن الثالث ونهاية القرن التاسع الميلاديين ، وكانت معبرا انتقل عليه القديم الى ما بعده .. (٢)

---

(١) عباس محمود العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوربية ص٢٨ ط : دار المعارف بمصر ١٩٦٥م .
(٢) الغزو الصليبي والعالم الاسلامي تأليف الدكتور عبد الحليم محمود، ص ٢٧
(٣) هل نحن مسلمون ، محمد قطب ص٧٥

والثانية منها : كانت تشهد تدفق العلوم والدراسات العلميــــة الاسلامية على أوربا الغربية وهي تقع بين بداية القرن العاشر ونهايـــة القرن الثاني عشر الميلاديين ، وهي مستغرقة أكثر من قرن في زمــن الحروب الصليبية .

والثالثة منها : وهي المرحلة التي أدت الى ازدهار العلوم والدراسات العلمية تمتد من بداية القرن الثالث عشر الميلادى . من نهاية العصــور الوسطى وهي التي أفادت تماما من اتصال دول أوربا الغربية بالعالــم الاسلامي عن طريق الحروب الصليبية . (١)

ولقد أفادت أوربا من علوم المسلمين وطبهم في هذه المراحــل الثلاثة جميعا وليس بين الباحثين المنصفين من ينكر أن المسلمين قد فاقوا في الطب والعلوم من عاصروهم من سكان أوربا منذ ظهور الاسلام الى أن كان عصر النهضة العلمية في أوربا .

وفي الوقت الذى كانت الكنيسة تحرم صناعة الطب لا عتقادها أن المرض عقاب الهي لا ينبغي للانسان أن يصرفه عمن يستحقه وهو الوقــت المسمى عندهم بعصر الايمان . في هذا الوقت عند استهلال القــرن الثاني عشر الميلادى ، كان المسلمون يمارسون الطب منذ زمن مبكر عن ذلك . (٢)

وتأييدا لما قلنا نسوق اليك شهادات من قلب أوربا قد أداهــا رجال منصفون أربيون .

---

(١) الغزو الصليبي والعالم الاسلامي ، تأليف دكتور عبد الحليم محمود ص ٢٧١
(٢) المرجع السابق ص ٢٧١ .

(شهادة من النسا) :

وهي شهادة يؤديها (محمد أسد النساوى) المسلم في كتابه القيّم : (الاسلام على مفترق الطرق) يقول فيها :

" ان تحرير العقل الاوربي من القيود العقلية التي فرضتها عليه الكنيسة المسيحية قد اتفق في أثناء النهضة التي كانت مدينة الى حدّ بعيد لذلك العامل الثقافي الذي كان العرب ينقلونه الى الغرب .

وكل ما كان خيرا في الثقافة الاغريقية القديمة ثم في العصر الهيلانى التالي ، فان العرب بعثوه في علومهم وزادوا فيه في القرون التي تلت تأسيس الامبراطورية الاسلامية الأولى . أنا لا أقول ان تقبل العرب والمسلمين لنتائج الفكر الهيلانى كان على وجه العموم فائدة لا شك فيها لهم ــ اذ أنه لم يكن كذلك .

ولكن مع كل العقبات التي يمكن أن تكون الثقافة الهيلانية قد خلقتها في سبيل تقدم المسلمين بالمعنى الاسلامي الصحيح ، فان تلك الثقافة نفسها كانت باعثا قويا عن طريق العرب أنفسهم في سبيل نهضة أوروبة .

ان العصور الوسطى قد اتلفت القوى المنتجة في أوربة : كانت العلوم في ركود وكانت الخرافات سائدة ، والحياة الاجتماعية فطرية خشنة الى حدّ من الصعب علينا أن نتخيله اليوم . في ذلك الحين أخذ النفوذ الاسلامي في العالم ــ في بادئ الأمر ، بمغامرة الصليبيين الى الشرق ، وبالجامعات الاسلامية الزاهرة في اسبانيا المسلمة في الغرب ، ثم بالصلات التجارية المتزايدة التي أنشأتها جمهوريتا جنوه والبندقية ــ أخذ هذا النفوذ يقرع على الأبواب الموصدة دون المدنية الغربية . (٢)

(١) راجع كتاب الاسلام على مفترق الطرق ، محمد أسد ص ٤٢ ، ترجمة د/عمر فروخ
(٢) المرجع السابق ص ٤٢

" وأمام تلك الأبصار المشدوهة لأبصار العلماء والمفكرين الأوروبيين ظهرت مدنية جديدة — مدنية مهذبة راقية خفاقة بالحياة ذات كنوز ثقافية كانت قد ضاعت ثم أصبحت في أوربة من قبل نسيًّا منسيًّا.

ولكن الذى صنعه العرب كان أكثر من بعث لعلوم اليونان القديمة، لقد خلقوا لأنفسهم عالمًا علميًّا جديدا تام الجدة.

لقد وجدوا طرائق جديدة للبحث وعملوا على تحسينها، ثم حملوا هذا كله بوسائط مختلفة الى الغرب. ولسنا نبالغ اذا قلنا ان العصر العلمي الحديث الذى نعيش فيه لم يدشن في مدن أوربة النصرانية، ولكن في المراكز الاسلامية، في دمشق وبغداد والقاهرة وقرطبة.

وان أثر هذا النفوذ في أوربة كان عظيما. لقد بزغ، مع اقتراب الحضارة الاسلامية نور عقلي في سماء الغرب ملأها بحياة جديدة ويتعطش الى الرقى. ولم يأت التاريخ الأوربي بأكثر من اعتراف عادل بقيمة الحضارة الاسلامية حينما سمى عصر التجديد الذى نتج من الاحتكاك الحيوى بالثقافة الاسلامية " عصر البعث " (١) فانه كان في الحقيقة ولادة لأوربة، ولم يكن أقل من ذلك.

هذه هي شهادة رجل أوربي نمساوى، قد أتيحت له فرصة الاطلاع على الثقافتين، الاسلامية والعربية فهداه الله تعالى الى الاسلام الحنيف فهو يدلى بهذه الشهادة بدون أى تعصب أو تحيّز. (٢)

---

(١) عصر النهضة (Renessance) كما يقال في التاريخ الحديث ولا ريب ان انصراف المسلمين في الأندلس، في العصور الوسطى الى العلوم والفنون جعلهم الى حد يهملون الناحية العسكرية الحربية في حياتهم فشجع ذلك الكنيسة على تأليب الأوربيين على العرب فكان ذلك سببا من أسباب ضياع الأندلس.

(٢) راجع هامش كتاب " الاسلام على مفترق الطرق " محمد أسد ص ٢٠٣.

شهاده من فرنسا :

ومن الجدير بالذكر ان نتائج الأبحاث العربية الفريده التى تتعلق بعلمى الطبيعه والفلك ، قد تمتعت هى أيضا فى العالم قاطبه بأهمية واهتمام زائدين .. وقد شهد بذلك كثير من الباحثين الأوربيين .. فاليوم نختار شهادة رجل كاتب غير متعصب ... فمن هو ذلك الرجل ؟؟

هو رجل من فرنسا وهو الأستاذ سديو (Sedillot) انّ هذا الاستاذ رغم كون فرنسا تعتبر أم الحضاره الماديه الحاليه ـ لم يتحيز اليها ، بل صرح بالحق .

فشهادة فرنسا فى مثل هذا الموطن مقبوله لمكانتها بين دول العالم لما قامت به من الثورة الفرنسيه المشهوره وما نادت به من حقوق الانسان . فلنستمع اذن الى هذه الشهاده :

" لقد توصل " فلكيو بغداد ، فى نهاية القرن العاشر الى أقصى ما يمكن أن يتوصل اليه انسان فى رصد السماء وما دار فيها من كواكب ونجوم بالعين المجرده دون اللجوء الى عدسات أو منظار . ولكن لم يجد جموع فلكى العرب مترجما لا تهتما فلذا لم تدخل علومهم جميعها الى بلاد الغرب .

---

(١) عن كتاب شمس العرب تسطع على الغرب ، تأليف المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه ص ١٤٥ .

ومن بين العرب الذين وصلت آثارهم الى مواطن العالم الغربـــــي بطريق مباشر نجد العالم (الفرغانى)[1] (Al Farghani) الذى كان يعمل فى بغداد أيام أبناء موسى . انه قام الفرغانى بقياسات طول خط الأرض المستقيم ..

وكان أول من ادرك ان مدار الشمس والكواكب على مر الزمـــــان يجرى فى اتجـاه خلفى . وكتاب " جوامع علم النجـوم " " للفراجانوس " (Al Fraganus) ثم ترجم كتاب الفرغانى الى اللاتينيه ، وأصدره مالانشتون : (Melanchlon) فى حله جديدة عام ١٥٣٧ م فى نورنبرغ كملحـق لكتـاب " راجيمومنتانوس " — (Regiomntanus) وبهذا يعترف هذا الجيل الغربـي بتفوق العرب على الغرب — آنذاك — فى جميع المجالات العلميه ...

---

(١) الفرغانى : فلكى أرسله الخليفـه المتوكل الى الفسطـاط (القاهرة) لمناظر بنايـة مقياس النيل (٨٦١) . له : جوامـع الكـــــلم والحركات السماويـه ... نقل الى اللاتينيـه والعبريـه ... ولـه أيضا كـتاب فى الأسطرلاب : المرجـع السابق ص١٩٥ .

شهاده أخرى من فرنسا : يؤديها بكل أمانه الاستاذ (موريس بوكاى) الفرنسى :

يقول :[١]

" ولكن علينا أن نتذكر أن فى عصر عظمة الاسلام ، أى بين القرن الثامن والقرن الثانى عشر من العصر المسيحى ، وعلى حين كانت تفرض القيود على التطور العلمى فى بلادنا المسيحيه ، انجزت (الحضاره الاسلاميه) كميه عظيمه من الابحاث والكشفات بالجامعات الاسلاميه .

فى ذلك العصر كان الباحث بهذه الجامعات يجد وسائل ثقافيه عظيمه .. ففى قرطبه كانت مكتبة الخليفه تحتوى على اربعمائة ألف مجلد . وكان ابن رشد يعلم بها . وبها أيضا كان يتم تناقل العلم اليونانى ، والهندى والفارسى . لهذا السبب كان الكثيرون يسافرون من مختلف بلاد اوربا للدراسه بقرطبه مثلما يحدث فى عصرنا أن نسافر الى الولايات المتحده لتحسين وتكميل بعض الدراسات . وكم هى كثيره تلك المخطوطات القديمة التى وصلت الينا بواسطة الأدباء العرب ناقلة بذلك الثقافة الى البلاد المفتوحه ....! ولكم نحن مدينون للثقافه العربيه فى الرياضيات (فالجبر عربى) وعلم الفلك والفيزياء (البصريات) والجيولوجيا وعلم النبات وطب (ابن سينا) [21] و(الرازى) [22] الى غير ذلك ، لقد اتخذ العلم لأول مره صفة عالميه فى جامعات العصر الوسيط الاسلاميه . فى ذلك العصر كان الناس أكثر تأثرا بالروح

---

(١) راجع كتاب دراسة الكتب المقدسه فى ضوء المعارف الحديثه ، موريس بوكاى ص ١٤٠ ط : دار المعارف .

الدينيــه ، مما هي عليه في عصرنا ... ولكن لا يمنعهــم من أن يكونوا في آن واحــد مؤمنين وعلماء . كان العلم الأخ التوأم للدين . لكـن كان ينبغي على العلم ألا يكف عن أن يكون كذلك ...

" كانت البلاد المسيحيــه ، في تلك الفترة من القرون الوسطى ، في ركود وتزمت مطلق ، توقف البحث العلمي ، ليس بسبب التوراة والانجيل وانما ، وعلينا ان نكرر ذلك ، بأيدي هؤلاء الذين كانـوا يدعون أنهم خدام التوراة والانجيل . وبعد عصر النهضه في أوربا ، كان رد الفعل الطبيعي أن يأخذ العلماء بثأرهم من منافس الأمس (وهو الله) وهذا الثأر مستمر حتى اليوم . لدرجة أن التحدث حاليا في الغرب عن الله في الأوساط العلميه يعتبر فعلا ــ على الرغبه في التفرد . ولهذا الموقف تأثيره السيء على العقول الشابــه التي تتلقى تعليمنا الجامعي " .

شهادة من المانيا :

ان هذه الشهادة قد أدلتها امرأة من المانيا فقد ساءها ما تراه من انتقاص قيمة الحضارة الاسلامية في الغرب ، مع أنها تعلم يقينا أن الحضارة الغربية لم تأت بشيء من المجالات الطبية والتكنولوجية الا ويمكن ارجاعه الى أصل عربي ؟ لذلك جاءت منها هذه الشهادة لتؤديها للعالم وهي المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكه) حيث تقول :

" قبل ٦٠٠ عام كان لكلية الباريسية أصغر مكتبة في العالم (١) لا تحتوي إلا على مؤلف واحد ، وهذا المؤلف كان لعربي كبير .

وكان هذا الأثر العظيم ذا قيمة كبيرة ، بدليل ان الملك المسيحي الشهير ، " لويس الحادي عشر " اضطر الى دفع اثني عشر ماركا من الفضة ومئة (تالر) (Talar) من الذهب الخالص لقاء استعارته هذا الكنز الغالي رغبة منه في أن ينسخ أطباؤه نسخه يرجعون اليها اذا ما هدد مرض أو داء صحته وصحة عائلته .

وكان هذا الأثر العلمي الضخم يضم كل المعارف الطبية منذ أيام (٢)

---

(١) ترجمة المستشرقة هي الدكتورة زيغريد هونكه ، مستشرقة المانية طائرة الشهرة لها عدة كتب في بيان فضل العرب على الغرب منها : الرجل والمرأة ، وكتاب شمس العرب تسطع على الغرب وغير ذلك وقد زارت عددا من البلدان العربية مثل مراكش ومصر والعراق على اثر دعوة من رؤساء تلك الدول .

(٢) راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب ، تأليف (زيغريد هونكه) ص٢٤٣

الاغريق حتى عام ٩٢٥ بعد الميلاد • وظل المرجع الأساسي في أوربة لمدة تزيد على الاربعمائة عام بعد ذلك التاريخ ، دون أن يزاحمه مزاحم أو تؤثر فيه أو في مكانته مخطوطة من المخطوطات الهزيلة التي دأب في صياغتها كهنة الأديرة قاطبة ، وهو العمل الجبار الذي خطته يد عربي قدير •

ولقد اعترف الباريسيون بقيمة هذا الكنز العظيم وبفضل صاحبه عليهم وعلى الطب اجمالا • فأقاموا له نصبا في باحة القاعة الكبيرة في مدرسة الطب لديهم ، وعلقوا صورته وصورة عربي آخر في قاعة أخرى كبيرة تقع في شارع ، (سان جرمان) ، حتى اذا ما تجمع فيه اليوم طلاب الطب وقعت أبصارهم عليهما وجمعوا بذاكرتهم للوراء يسترجعون تاريخه •• فمن هو ؟ انه الرازي أو رازاس (Rhases) كما سمته بلاد الغرب ، وأما اسمه الحقيقي فهو أبو بكر محمد بن زكريا • ولد في مدينة (الري) في خراسان شرقي مدينة طهران حاليا "•

شهادة من امريكـــــا :

يقول الأمريكي دريبر في كتابه النزاع بين العلم والدين :

" واننا لندهش حين نرى في مؤلفاتهم من الآراء العلمية ما كنا نظنه من نتائج العلم في هذا العصر . ومن ذلك أن مذهب النشـوء والارتقاء للكائنات المضويــة الذي يعتبر مذهبا حديثا . كان يدرس في مدارسهم ".

---

(١) المرجع السابق (٢٤٤)

(٢) راجع كتاب الاسلام دين علم خالد للاستاذ محمد فريد وجدى ص ٢٣٢ من الطبعة الثانية ويلاحظ من هذا التقرير «شيء» لعـــه أخطاره الكبيرة وهو انه جعل التطور الذى عرفـــه المسلمون والتطور الذي اخترعـه (داروين) و (ولاس) في درجـــة واحدة .. حاشا وكلا .. فبينهما بون شاسع . وذلك ان التطـور الذى اهتدى اليه المسلمون كان ملاحظة للتدرج في مراتب المخلوقات من الجوامد الى الانسان . ولكنهم لم يقولوا ، كما قال داروين ـ ان الانسان من أصل حيوانى ولم يبخسوه قدره ولا نفوا عنه أخـــص خصائصه الذى تفرد به ، وعرفوا أنـه متميز من بين سائر الحيوانـــات ومن ثم عرفوا فكـرة التطور ولكنها لم تتحول في تفكيرهم الى لوثة مدمرة كما حدث في الفكر الغربي الملحـد .

شهادة من بريطانيا :

ان شهادة بريطانيا كانت عامة ، فهى ترى أن السر الذى تقدم به العرب كامن فى القرآن الكريم/فكو (غلادستون) وزير بريطانيا الأول أحد موطدى أركان الامبراطورية فى الشرق — حينما قال : ان الذي اراها (23)

" مادام هذا القرآن موجودا فلن تستطيع أوربة السيطرة على الشرق ولا أن تكون هى نفسها فى أمان ".

هذا ما يقوله المفكرون المنصفون في أوربا أن الحضارة الغربية الحالية لم تنهض الا على ما قدمته الحضارة العربية الاسلامية . هذا ما يؤكده المستشرق (بريفولت) — (Briffault).

" ان روجر بيكون : درس اللغة العربية ، والعلوم العربية فى مدرسة (اكسفورد) على خلفاء معلميه العرب فى الأندلس . وليس (لروجر بيكون) ولا لسميه الذى جاء بعده .

---

(١) محمد اقبال : تجديد التفكير الدينى : ترجمة عباس محمود نقلا عن كتاب بناة الحضارة (بريفولت) نقلناه عن كتاب التفكير الفلسفى فى الاسلام . عبد الحليم محمود شيخ الأزهر سابقا ص ٢٨٣ .

(٢) راجع ايضا المسلمون بين الماضى والحاضر والمستقبل ، وحيد الدين خان ص١٠

الحق فى أن ينسب اليهما الفضل فى ابتكار المنهج التجريبى ، فلم يكن روجر بيكون الا رسولا من رسل العلم والمنهج الاسلاميين الى أوربا المسيحية ، وهو لم يمل قط من التصريح بأن تعلم معاصريه اللغة العربية وعلوم العرب ، هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقة .

والمناقشات التى دارت حول واضعى المنهج التجريبى : هى الطرق من التحريف الهائل الأصول للحضارة الأوربية . وقد كان المنهج التجريبى ، فى عصر بيكون : قد انتشر انتشارا واسعا وانكب الناس فى لهف ، على تحصيله فى ربوع أوربا .

شهادة من الهند :

يقول الكاتب الاسلامي والمفكر الموفق في القطر الهندي السيد وحيد الدين خان :

" توجد في المتحف البريطاني بلندن عملة معدنية قديمة ، يحمل أحد طرفيها اسم (أوفاريكس) بالحروف اللاتينية في ثنايا محمد رسول الله في ثلاثة أسطر باللغة العربية ، ويحمل الطرف الآخر كلمة (لا اله الا الله وحده لا شريك له) الى جانب اسم اثنين من ضاربي العملات ببغداد ، باللغة العربية ." (١)

ثم قال :

" وأوفاريكس (Offarex) هذا ملك انجليزي كان يحكم منطقة مرشيا (Mercia) في القرن الثامن الميلادي . وهذا يدل على أن حكام أوربا كانوا يطلبون من ضاربي النقود البغداديين أن يصكوا لهم نقودهم . وهذا يدل كذلك على اننا ، معشر المسلمين كنا نتمتع في زمن من الأزمنة بما يتمتع به الغرب اليوم من تقدم علمي وصناعي ، ان المسلمين خلال مائتي سنة فقط

---

(١) Charles Owen, History of England Before The Norman Conquest, 1910.
راجع كتاب المسلمون بين الحاضر والماضي والمستقبل وحيد الدين خان ص (٧)

من الهجرة النبوية كانوا قد أصبحوا أئمة العالم ، وأصبحت حاضرتهم — بغداد — عاصمة العالم الحضارية بدلا من اصطخر الايرانية ورمسيس المصرية وروما الأوربية .

" ان أسلافنا بدأوا لاحلتهم من مرحلة البداوة حتى قفزوا الى أعلى مدارج الحضارة بينما نحن أخلافهم التعساء ، الذين تمكنوا من استئناف المسير ، من مرحلة متقدمة ، الا أننا فضلنا أن نسير في الاتجاه المضاد ".

ثم نقل الاستاذ عن أحد المستشرقين كان يصف النهضة الاسلامية بما يلي :

" لقد ولد الاسلام في حي مجهول بمكة في الصحراء العربية . ولم يكد يخرج منها حتى غزا الشرقين الأدنى والأوسط بسرعة مدهشة . ثم وصل الى الأندلس عبر شمال افريقيه والى حدود الصين عبر ايران . وكانت آخر نقطة وصل اليها الاسلام في أوربا هي (بودابست) ، حيث لا تزال مقبرة جل بابا ، بطرازها التركي على ضفاف (الدانوب) ، تذكرنا بأن المسلمين وصلوا حتى هذه البقعة النائية .

وكان من معجزات هذا الزحف أن أنشأ العرب المتوحشون امبراطوريه عالميه ، ولم يكتفوا بنشر لغتهم في كل أرجاء العالم ، بل اكتشفوا العلوم الانسانيه واستفادوا بها ورفعوا من مستواها .

" وفي القرن السابع الميلادي أنشئت الأسس السياسيه والاقتصاديه للامبراطوريه العربية العالمية ".

وقامت الخلافة العباسية ، فى القرن الثامن الميلادى ، بخلق أعظم الحضارات فى التاريخ كان مؤسسوا هذه الحضارة يريدون نشر الاسلام ، ولكنهم اهتموا باحتضان جميع الأشياء الجديدة وأفادوا الاسلام بها ... "

شهادة الاستاذ جوستاف لوبون :

ان هذا الاستاذ الكبير شهد - رغم كونه من الغربيين - شهادة رجل واثق على ما يقول : ويصرح تصريحا لا غموض فيه من أنه ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوربي الا ويمكن ارجاع أصلها الى مؤثرات الثقافة العربية بصورة قاطعة .

فلندعه يتكلم :

يقول : " ظهر مما تقدم أن تأثير الشرق في تمدين الغرب كان عظيما جدا بفضل الحروب الصليبية ، وأن ذلك التأثير كان في الفنون والصناعات والتجارة .. أشد منه في العلوم والأدب ...

واذا ما نظرنا الى تقدم العلاقات التجارية العظيمة باطراد بين الغرب والشرق والى ما نشأ من تحاك الصليبيين والشرقيين من النمو في الفنون والصناعة تحكى لنا أن الشرقيين هم الذين أخرجوا الغرب من التوحش ، وأعدوا النفوس الى التقدم بفضل علومهم وآدابهم التي أخذت جامعات أوربة تعول عليها فانبثق عصر النهضة منها ذات يوم ...

وبهذه الشهادة نعلم أن مصدر الحضارة الغربية الثقافية مستمد من الحضارة الاسلامية . ولكن كيف كانت النتائج ؟

هل اعترف الغرب بالجميل ؟ هل أدوا الاحترام لأساتذتهم ؟

الجواب لا !

بل لأن الاحتقار التقليدي الذى وطد قواعده رجال الكنيســـة أخذ يتسلل الى بحوثهم العلميــة ..

وبعد فترة من الزمـن أصبح احتقار الاسـلام جزءا أساسيـــا من التفكير الأوربي ... فتحامل المستشرقون على الاسلام تحامـــلا لا مثيل له حتى تركوه غريزة موروثـة فى أعقابهم ... وهـــذا جولد تسيهر فى كتابه (العقيدة والشريعة فى للاســـلام) يقول كلمة مزيفة

" لا فى الأفكار ولا فيما يتصل بعلاقة الانسان بما هو فوق حسه وشعوره وبالا نهاية ".

وتوضيح ذلك ، ان الاسـلام فى نموه مصطبغ بالأفكار والآراء الهلينستية ونظامه الفقهى الدقيق مستمد من القانون الرومانى ، ونظامـه السياسـى متأثر بالنظريات السياسيه الفارسيه ... وتصوفـه يمثـل تيارات الآراء الهنديـه والأفلاطونيه الجديدة ..!!

﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا ﴾

وهذا (فليبـن رايـن) تلميذ مرجليــوث فى كتابه : " اللغات القديمه فى غربى بلاد العرب " الذى يقول كلمة يعلم كذبه فيها قبل غيره : " ان القرآن قد احتوى على أخطاء لغوية ونحوية (!!) وان المسلمين على مر الأجيال قد صححوا كثيرا منها ولكن ما زال بعضها باقيا حتى اليوم ". الى آخر هذا اللغو الذى لا يحترمـــه عقل ولا علم ولا ضمير ...

هذا هو جزاء المعلمين من قبل تلاميذهم ... لم أر شعبا ينكـــر الحقائق ويخفيها كشعب أوربا .... ان هذا الشعب الحســـود استطاع أن يخفي عن أعين الناس هذه الحقائق الضخمة مـــع وجودها في الكتب .

ان هذا لغريب في تاريخ الانسان العام...

أنظر الى العرب لما أخذوا الفلسفة والمنطق وغيرهما . من اليونان ، بينوه للناس ولم يخفوا من ذلك شيئا وما نقصوا من قيمة الاغريق بل رفعوا أرسطو الى ما هو فوق منزلته : فقيل لـه : انه هو المعلم الأول ".

وأما أوربا الجاهلة كانت مواقفها خلاف ذلك : تطاولوا عـــلى صاحب الرسالة الاسلامية محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم . ان كرجيسليوت الذي يعتبر اماما من أئمة المستشرقين يقول : فـــي بحثه عن الاسلام في موسوعة تاريخ العالم :

(Universal History Of The World)

" ان محمدا صلى الله عليه وسلم رجل مجهول النسب ، لأنـه (محمد ابن عبد الله) .. فأى سخف وأى تفاهة في التفكير والتعبير ؟

أخبروني هل سمعتم من أحد/ يقول أن العرب كانوا يطلقون على من لا يعرفون نسبه (اسم عبدالله) أويسمونه محمد بن عبدالله بـــن عبد المطلب بن هاشم بن قصي ... انه لغريب ؟

يقوم محمد المجهول النسب يتحدى آلهة قريش وتقاليدهـــا وعباداتها وعاداتها وأوضاعها كلها بنسبه المجهول !!!

هل يبلغ الحسد بانسان حتى يهجم على الناس بمثل هذا الافتراء المكشوف ؟

وان أنكرتم هذا الاحسان الكبير نقول لكم (ان للبر عينا لا تغمض)

وفى الفصل التالى سنرى ما يدل على عدم اعتراف أوربا بالجميل ..

لقد قدم الاسلام لهؤلاء الأوربيين خدمات كثيرة فى شتى المجالات لا يتسع المكان لذكرها : واليك بعضا من هذه الخدمات ...

هدايا العرب الغــــــرب

من هدايا العرب للغرب هذه الساعة التي كانت تسير على الـــــماء وعلى الزيبق وعلى الشمع المشتعل ، أو التي بواسطة الأثقـــال المتدلية .

كما أنهم وجدوا الساعات الشمسية الدقيقة التي كانت تعلن مـــواعيد الصلاة بصوت رنان ..

والساعات المائية كانت تتألف من ساعة كرية في شكل نصف وتدور حول محور تظهر فيه النجوم ورسومات من عالم الحيوان ، أو ساعات تحمل فتحات منسقة الواحدة تلو الأخرى في شكل دائرة وما تلبث أن تبرق كلما جاوزت الساعة الثانية عشرة ليلا في حين يمر فوقها هلال وضاء ..

وفي عام ٨٠٧م قدم عبدالله رسول هارون الرشيد (٤٥) الى الامبراطور (٤٦) شارلمان في مدينة آخن (Aachen) (١) من أعمال المانيا ساعة من هذا النمط .. وقد علق مؤرخ القيصر " اينـارد " (Einard) على هذا الحدث في يومياته قائلا :

" كانت ساعة من النحاس الأصفر مصنوعة بمهارة فريدة مدهشة ، وكانت تقيس مدة اثنتي عشرة ساعة وفي حين انتهائها الدلــــاء

---

(١) آخن (Aachen) مدينة في ألمانيا عدد سكانها ٠٠٠ر١٤٥ نسمة وهي مدينة صناعية مشهورة .

تسقط الى الأسفل اثنتى عشرة كرة صغيرة محدثة لدى اصطدامها برقاص معدنى مثبت دويا ايقاعيا جميلا بالاضافة الى عدد مماثل من الأفراس الصغيرة التى كلما دارت الساعة دورتها الكاملة قفزت(١) من فتحة أثنى عشرة بوابة واغلقتها بقفزاتها هذه ..

وهناك أشياء أخرى كثيرة تسترعى الانتباه فى هذه الساعة تدعو الى العجب والدهشة ، وليس ثمة مجال لعدها اذ ذلك قد يقودنا الى تفاصيل كثيرة ... "

وعلقت المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة على هذا التقرير بقولها :

" نحن ما زلنا حتى يومنا هذا نقف فاغرى الأفواه دهشة واعجابا كلما رأينا ساعة كبيرة فى مبنى البلدية ، وما يرافق دقاتها من ظهور شخوص صغيرة متحركة تذكرنا بما فعله العرب فى الماضى ، حبا بالألعاب الميكانيكية ، ولعا بها ... "

(ثانيا) ـ طريقة الاستدلال العلمى القائم على التجربة :

لقد اعترف الجميع للعرب بفضلهم فى ايصال أعمال الفلاسفة والعلماء القدماء وآثارهم للعالم الحديث ... ولكنهم لم يأخذوا العلم التى ورثوها عن طريق الاقتباس كما أنهم أيضا لم يأخذوا الآلات العلمية

---

(١) راجع شمس العرب تسطع على الغرب المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة ص ١٤٢

ورواد العلم القريب دون مناقشه أو تحقيق فمنذ البدء ادهشوا العالم بأسره بالحرية الموضوعية والشجاعة العلمية اللتين استقبلوا بها نتائج السالفين وأقوالهم لفحصوا بحثا ونقدا وتفنيدا وتحقيقا للأخطاء ودحضها وعملا دائبا فى الحقل الجديد ، دون أن يغشى بصرهم غاشية صمت ذائع ومن قهر أن يدخل الوجل الى قلوبهم اسم كبير فيرهبهم . ولعل أبلغ برهان على هذه الصفة التى كانت تقضى بألا يؤمنوا حقا وصوابا الا بالأشياء التى تثبت صحتها التجارب وتدعمها .. نقول لعل أبلغ برهان على هذا ما نراه من عناوين لمخطوطات كانت تسمى الى نقد كتب أرسطو (المعظم) نفسه أو بطليموس .

لقد كانت روحهم العلمية الشديدة تدفعهم دفعا ثابتا الى القيام بتجارب واختبارات عديدة ، ولئن كان ادراك الاغريق دوما الشمول فى نظرة واحدة كاملة واكتشفوا النظام البديع والترتيب العقلانى فى كل الظواهر الطبيعيه فان العرب كانوا يرون الهدف العلمى الذى من أجله يبحثون لأنفسهم بكليتها ليس فى اجراء تحقيق واحد أو عشرة تحقيقات فحسب ، بل فى المئات الكثير منها ..

---

(١) لا يفهم من كلامى هذا أن العرب كانوا مثل الماديين الملاحده للذين لا يؤمنون بشئ الا ما كان وزنا وكيلا ومسافة .. حاشا وكلا .. ان العرب كانوا يطبقون هذه القاعده على المحسوسات فقط .. وأما الغيب كانوا يؤمنون به كما أراد الله تعالى .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٢

(٣) المرجع السابق ص ١٤٣

ان هذا الحديث يقودنا الى بيان سر تفوق العرب على الاغريق فى الابحاث العلميه أولا وسر تفوقهم على الأمم المسيحية ثانيا ...

أولا – سر تفوق العرب على الاغريق فى الابحاث العلمية :

وليس غريبا ان يتفوق العرب على الاغريق فى ميدان علم الهيئة والتنجيم بل في المجالات العلميه المتعددة .. بيان ذلك ان الأبحاث العلميه التى حققها العرب ، كانت تلبية لحاجتهم الدينية ...

كالقيام بالصلاة فى مواعيدها المحدودة ، ... وهو يحتاج الى معرفة صناعة الساعة . وكالقيام بتمييز ظهور القمر فى شهر رمضان فى لحظاته الأولى ... وهو أيضا يحتاج الى معرفة علم الهيئة والتنجيم معرفة دقيقة ...

وكالقيام بتحديد سير القوافل فى الصحارى الذى يحتاج أيضا الى معرفة تامة بكل ما يتعلق على ذلك...

بل كان هناك دافع قوى يدفعهم الى الابحاث العلمية بكل ما أعطوا من قوة ... وذلك الدافع هو الأوامر الربانية التى تحث دائما الى طلب المزيد من الأبحاث العلمية ...

كقوله تعالى ﴿ وقل ربى زدنى علما ﴾

وكقول النبى صلى الله عليه وسلم : " اطلبوا العلم ولو فى الصين "

" أطلبوا العلم من المهد الى اللحد "

" طلب العلم فريضة على كل مسلم "

وكان الاغريق على خلاف ذلك الليم انهم كانوا يتساهلون غالبـــا بالدقة ويهملون عن رضى كثيرا من الحسابات المويصة ... وليــس عندهم هدف فى هذه الأبحاث الا الترف العقلى فقط ... ولا يرجــون منها لا ثوابا ولا عقابا .

ان هذه الأسباب كافية فى أن يتقدم العرب على الا غريـــــق في الأبحاث العلمية .

ثانيا ـ ولكن ما هو سر تقدم العرب على الأمة المسيحية وهى ديانة كالمسلمين ..

ولم لم يتقدموا فى المجالات العلميه مثل العرب . مع وجــــود الفرصة السانحة أمامهم كالعرب . بل ان فرصتهم كانت اكبر فى أن يأخذوا التراث العظيم ويتجاوزوا به درجات فى سلم الرقى ؟؟

هذا ما نحاول الاجابة عليه فيما يأتى :

سر تقدم العرب على المسيحية فى الأبحاث العلمية :

ان الاجابة على هذا السؤال سهل ميسور انه يرجع ـ بادئ ذى بدء ـ الى طبيعة الديانتين : الاسلام والمسيحية البولسية .. انهما فى خطين متوازيين :

الاسلام يحض أصحابه بطلب العلم ويجعله فريضة عليهم ، ويعتبر دراسة المخلوقات وعجائبها وسيلة التعرف على قدرة الخالق .. كقوله تعالى : ﴿ ولقد بينّا الآيات لقوم يوقنون ﴾ (١)

---

(١) سورة البقرة : ١١٨

وأما المسيحية البولسية تعتبر كل من يدرس المخلوقات من الأغبياء والحمقى — يقول بولس : " الم يصف الرب المعرفة الدنيوية بالغباوة ؟؟ "

فهوما ن مختلفات بل هما على طرفي النقيض ومنفصلان تماما ، حددا بهذا ، طريق الاسلام للعلم والفكر عن طريق المسيحية ...

وبهذا اتسمت الهوة بين الحضارة التي أسسها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والحضارة التي طمس بولس نورها وقضى قسطنطين على البقية الباقية بينما كان المسلمون يعتبرون دراسة الكون شرحا لقرآنهم ، نجد المسيحية تعتبرها تناقضا لأناجيلها .

ولا بد من ايضاح ذلك بالمثال :.

وأما المسلمون يحكى عنهم مايلي :

" يحكى أنه كان يجلس ، ذات يوم ، فلكيان عربيان في ساحة الجامع وأمامهما كتاب " المجسطي (27) " مرت بهما جماعة من علماء الدين فتوقفت مستفهمة عن النبع الذي منه يرتوون ؟ فأجاب أحدهما : " اننا نقرأ شرح الآية التالية :

﴿ أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت .. ﴾

ويوضح ذلك أحد كبار فلكيي العرب (البتاني (28)) في قوله :

فان " علم النجوم هو يجب على كل امرئ أن يعلمه ، كما يجب على المؤمن أن يلم بأمور الدين وقوانينه .. لأن علم الفلك يوصل الى البرهان وحدة الله والى معرفة عظمته الهائلة وحكمته

السامية وقوته الكبرى وكمال خلقه "(١).

هذا هو موقف المسلمين من دراسة الكون.

وأما موقف المسيحيين من الدراسة نفسها كالتالي :

قد رأينا قول القديس أن المصدر الوحيد لمعرفة الله هـــو الكتاب المقدس وأما دراسة الكون كفر وضلال ...

والغريب أن يستمر هذا الالتفكير العقيم سائدا لا يتغير فيحـــدث بمثل هذا في القرن الثالث عشر ، القديس " توما الاكويني (Toma El-Akwiny) فيقول : " ان المعرفـــة التافهة لأمور سامية أجل قدرا من معرفة كبيرة موضوعها أمور حقيرة ".

بعد هذه المقارنـــة اللطيفة نصل الى النتائج التالية :

(١) انه لا الرومان ولا الهنود ولا اليونان ، هم الذين قادوا فيق تطويـــر هذا العلم .. وانما كان من فخر المسلمين أن يفعلوا ذلك وحدهم.

(٢) بينما كان العرب يعتبرون دراسة الطبيعة شرحا لكتابهم فجمـــد المسيحية الحمقاء تستقذر معرفة الطبيعة .

(٣) فالتعلم أوربا الجاهلـه ، أن مدنيتهم هذه ، لولا العرب لتأخـــرت الى عدة قرون ولبدءوا من حيث بدأ العرب ...

وقبل أن نختتم هذا الفصل يحسن بنا أن ننبه القارئ الكريم الى فريـــة عظيمـــة اختلقها المسيحيون لأجل النيل من الاسلام عن طريق تلطيـــخ المسلمين .

---

(١) شمس العرب ؛ ص ١٣٠

فرية عظيمة

ان هذه الفرية / قد رفع لوائها المستشرقون فى كل مكان يريدون بذلك أن يثبتوا للعالم أن المسلمين ما كانوا يحترمون العلم ولا العلماء ...

فما هى هذه الفرية العظيمة اذن ؟

تزوير لحقيقة تاريخية ...

ان الكنيسة لما كشف أمرها امام الأنظار من أنها ضد العلم وأن الاسلام هو دين العلم ، ادعت أن المسلمين – بقيادة عمرو (٤٩) بن العاص – لما دخلوا الاسكندريه عام ٦٤٢ قد قاموا باحراق مكتبة الاسكندريه بصفه بربرية وحشية ...

نقول أنها فرية لا أساس لها من الصحة ...

لأن التاريخ يخبرنا أن عمرو فاتح الاسكندريه هو نفسه عمرو الذى ضرب المثل بتسامحه طوال فتوحه ، وقد حرّم النهب والسلب والتخريب على جنوده وعمل ما كان غريبا عن فهم الشرقيين القدماء والمسيحيين على السواء : لقد ضمن صراحة للمغلوبين حرية ممارسة شعائرهم الدينيه المتوارثه ..

ولم يكتف عمرو باصدار الأوامر لهذه المعاملة الطيبة بل عقد صلحا معهم على تلك المعانى .. وكان هذا الاتفاق يشمل الرعايا المسيحيين من كهنة ورهبانا وراهبات وهو يضمن لهم الحماية والأمن أينما كانوا حسب مشيئتهم .. وبالمثل يحمى كنائسهم ومساكنهم وأماكنهم المقدسة وكذلك يحمى من يزور تلك الأماكن من كل من يؤمن بالنبى عيسى ...

وهم يفعلون ذلك للتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم : لأنه

هو أول من كرّم المسيحيين منها أن يكون المسلمون كذلك معهم ..
واليك نص الأمان الذي تمّ الاتفاق عليه بين عمرو بن العاص وبين
أهل مصر المجيدة عند فتحها ، ونصه بعد البسملة :(١)

" هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم
وملتهم وأموالهم وكنائسهم وبرّهم وبحرهم .. لا يدخل عليهم شيء
من ذلك ولا ينتقص ... ولا تساكنهم النوبة .. وعلى أهل مصر أن
يعطوا الجزية اذا اجتمعوا على هذا الصلح ، وانتهت زيادة نهرهم
- خمسين ألف ألف وعليه ممن جنى نصرتهم ، فان أبى أحد
منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزى بقدر ذلك ، ومن دخل في صلحهم :
من الروم والنوبة فله ما لهم وعليه ما عليهم ... ومن أبى واختار الذهاب
فهو آمن حتى يبلغ مأمنه أو يخرج من سلطاننا . وعليهم ما عليهم
أثلاثا في كل ثلث جباية ثلث ما عليهم .

شهد على ما في هذا الكتاب : عهد الله وذمته وذمة رسوله وذمة
الخليفة أمير المؤمنين وذمم المؤمنين .. وعلى النّوبة الذين استجابوا
أن يعينوا بكذا وكذا رأسا ، وكذا فرسا على أن لا يغزوا ولا يمنعوا
من تجارة صادرة ولا واردة ..

شهد الزبير وعبدالله ومحمد ابناه ... وكتب وردان وحضر ..(٢)

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب ريغريد هونكه ص
(٢) راجع صبح الأعشى ، قلقشندي ج ١٣ ص ٣٢٤

ان هذا النص لا يدع مجالا للشك من أن الكذبة لا أساس لها من الصحة .. فالمجد والتقدم العلمي للأمة الاسلامية ، وأما الحقد والحماقة للأمة المسيحية المحرفة ..

ولا نكتفي بهذه العبارة القليلة في بيان حماقة المسيحية حتى نسندها بأدلة قاطعة :

ولقد ذهبت الحماقة بالمسيحيين الى أبعد مدى حتى قدموا الى احراق الكتب العلمية الثمينة ، وأعتبروا الحضارة الاغريقية لعنة كبرى وعارا في جبين الانسانية ...

وهذا الأب أيرونيموس (Hieronymus) يعلن بالتصريح التالي :

" ان الفكر الاغريقي لعنة على البشرية ، وقال : لقد ترجم الانجيل الى اللاتينية ليطرد عن الأذهان ذكر (هوميروس) ..

ولم تكتف الكنيسة بهذا التشنيع والتلطيخ بل قامت فعلا باحراق جميع هذا التراث ... فلنقطف ما يلي من كتاب شمس العرب تسطع على الغرب لبيان مدى هذه الحماقة الفريدة ..

" وكان أكبر دليل مؤلم على هذا التفكير الغريب أعمدة الدخان وألسنة اللهب التي اندلعت فوق الاسكندرية ، كنز المعرفة الاغريقية على مر العصور ... والتي أصبحت حينذاك مركزا للكنيسة

(١) يراجع شمس العرب تسطع على الغرب تأليف زيغريد هونكه ص ٣٧١

المسيحية الى جانب رومة . احمرت السماء بنيرانها فوق دلتا النيل ..

وحرقت نفائس ثمينة لا تعوض من الشعر والأدب والفلسفة والتاريخ والعلم والثقافة الاغريقية .. حرقتها وأبادتها جموع من المسيحيين المتعصبين ."

وأضاف قائلا :

" وبهذه الطريقة فقدت البشرية جزءا هاما من ثقافتها لا يمكن تعويضه .. وهكذا اختفت مراكز الحضارة الاغريقية واحدا اثر واحد وأقفلت آخر مدرسة للفلسفة فى (أثينا)[30] عام ٥٢٩ م وأحرقت فى رومة عام ٦٠٠ م مكتبة البلاتين وهدم ما تبقى من آثار ابنية القدماء " .

وليس غريبا أن يصدر مثل هذه النحلة الشنيعة من المسيحية وقد فعلت أشنع من ذلك : قد أحرقت جميع الكتب التى كانت تثبت عبودية المسيح وتنفى عنه الألوهية : وتمسكت بأربع كتب فقط التى وضعوا فيها ألوهية المسيح وبنوته ...

تلك جزء من المأساة الى/ التى جلبتها المسيحية الى الانسانية ومع ذلك أرادت أن تدفع هذه التهمة الى الاسلام العظيم الاسلام الذى يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم ؟

---

(١) المرجع السابق ص :

(ثالثا) ـ من هدايا العرب موسوعات الطب الاسلامية :

ان التاريخ يخبرنا أن أطباء المسلمين والعرب ، لم يقتصروا بما كان سائدا من كتب طبيه للاغريق والفرس أو الهنود ، وانما توسعوا فى المباحث الطبيه كتوسعهم فى بحوث الهندسة والنجوم وسائر العلوم ووضعوا الكتب فيما قرأوه وترجموه فاذا هى موسوعات تشمل جميع مختلف الفنون (١) .

ومن موسوعات الطب الاسلامية ما لم يوضع له نظير في الضخامة والتمحيص على قدر أسباب التمحيص فى زمانه • وقد ترجمت كلها الى اللاتينيه فنقلت هذه الصناعة بين أطباء أوربه من حال الى حال • ولم يضارع مؤلفى العربية فيها أحد من علماء الأوربيين الى مطالع العصور الحديثة مع شغف الأوربيين أخيرا بادعاء ملكة العلم للعلم • واتهام الشرقيين بأنهم لا يطلبون العلم الا للصناعة وأرباحهم (٢) .

ولكى نفند هذا الاتجاه الأوربى الماكر ، كان علينا أن نذكر بعض أمهات الكتب الطبيه الجامعه التى استفادت منها دول أوربا •

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى صنفه سنة ٩٤٧م ونقحه سنة ٩٥٧م وهى سنة وفاته فى ٩ أجزاء طبعة باريس وطبعة القاهره فى ٤ أجزاء

(٢) راجع منهج البحث العلمى عند العرب فى مجال العلوم الطبيعية أو الكونيه جلال محمد عبد الحميد موسى ص١٤٤

(٣) عباس محمود العقاد : أثر العرب فى الحضارة الأوربيه ص٣٨ ط دار دار المعارف بمصر ١٩٦٥م

ومن هذه الكتب :

(أولا) ـ كتاب "القانون" للشيخ الرئيس ابن سينا فقد اعتمدت عليه

جامعات أوربا في تدريس الطب حتى منتصف القرن السادس عشر الميلادى وهو كتاب نال تقدير الأوربيين وغيرهم . ولا تزال موضوعات كثيرة مما تحدث عنها ابن سينا جديرة بالتقدير حتى الآن على الرغم من التقدم "التكنولوجي" الذي نعيشه في هذا العصر . (١)

(ثانيا) ـ كتاب "الحاوى" لمحمد بن زكريا أبي بكر الرازى المتوفى

سنة ٣١١ هـ وهو كتاب في الطب الاكلينيكي ، والرازى هو الذى ابتدع علم التشخيص واستقصاء الدلالات والتمييز بين الأمراض المتشابهة . وهو الذى قدر التدوين في ذلك كله . (٢)

---

(١) الغزو الصليبي والعالم الاسلامي على عبد الحميد محمود ص ٢٨٣ ط : دار الصناعة والنشر . القانون لابن سينا توجد منه طبعات شرقية كثيرة : اجودها طبعة بولاق سنة ١٨٧٧ م وفي الغرب طبعة روما سنة ١٥٩٣ م وهى تشتمل على النجاة أيضا وهو مختصر الشفا .

راجع هامش كتاب ا منهج البحث العلمى عند العرب السابق ص ١٤٤ .

(٢) الحاوى : أوسع كتب الرازى الطبية . وهو دائرة معارف ضخمه لا يمكن الجزم بعدد الأجزاء ومحتوياتها وتحتوى ترجمة اللاتينية التى قام بها اليهودى (فرج بن سالم سنة ١٢٧٩) على ٢٥ جزءا ليس هناك اتفاقا أصلا بين الموضوعات والترتيب في مختلف المخطوطات ولا توجد طبعة حديثه له سوى الطبعة الوحيده لحيدر أباد الدكن سنة (١٩٥٥ م) وقد تم حتى الآن نشر خمسة عشر جزءا

===

ولهما (أي ابن سينا والرازي) كتب كثيرة ولكن الكتابين المذكورين هما أشهر كتبهما .

(ثالثا)ـ كتاب " التصريف لمن عجز عن التأليف " لخلف بن عباس الزهراوي :

المتوفى ٤٢٧ هـ . وهو كتاب ترجم الى اللاتينية . أفاد منه الأوربيون في الطب وفي الجراحة فهو يذكر في كتابه الآت جراحية ... ويوضح طريقة استعمالها . وله ... يرسم بالرسم شكلها ... لبعض هذه الآلات وسيراها القارئ في ...

(رابعا)ـ كتاب "الأدوية المفردة" لعبدالله بن أحمد البيطار :

المتوفى سنة ٦٤٦ هـ وقد أفاد الغربيون منه أكبر ... في علم العقاقير والأدوية المركبة والمفردة . وظل كتاب ابن البيطار مرجعا للأوربيين حتى أواسط القرن الثامن عشر الميلادي .

(خامسا)ـ كتاب نظام المستشفيات " البيمارستانات " : (٣١) وهو نظام

عرفه المسلمون ونقله عنهم الأوربيون . وقد حث البابوات بعض ملوك أوربا باقامة المستشفيات على نظام البيمارستانات العربية .

=== والحاوي بخلاف الجامع الحاصر لصناعة الطب والذي يشتمل على ١٢ مقالة . وقد ظن البيروني أن الحاوي والجامع واحد . نقلا عن كتاب منهج البحث العلمي ، جلال محمد عبد الحميد موسى ص١٤٤ في الهامش

(٣١) راجع عرضا كتاب الغزو الصليبي .. والعالم الاسلامي ، على عبدالحليم محمود ص (٢٧٣ـ٢٧٤) .

وكذلك الحال فى طبيعة الضوء وسرعته وانكساره ، والذى كتب فيه ابن الهيثم قبل ابطاله من علماء أوربا .

كذلك قاسوا محيط الأرض وسجلوا جداول الاعتدالين ، وقد رووا حجم الكواكب وما بينهما من مسافات قبل جاليليو وكبلر وكوبرنيق . وأضافوا الى المعارف الفلكية الشيء الكثير . أضافوا : البتانى والفرغانى (32) والكندى (33) والخوارزمى (34) والصوفى (35) وغيرهم .

وابتدع الخوارزمى استعمال الأرقام فى الحساب بدلا من حساب الجمل الذى كان سائدا . واختار سلسلتين من الأرقام : الأولى ما يعرف بالأرقام الهندية (١ ـ ٢ ـ ٣) والثانية ما يعرف بالأرقام الغبارية أو العربية (1 - 2 - 3) وتستعمل الأولى فى أغلب البلاد العربية ، والثانية فى بلاد المغرب العربى وفى أوربا (١) . ولقد كانت لا تعرف (الصفر) فى الحساب وانما علمته من علمائنا والدليل على ذلك ما يأتى :

يقول المؤرخ المدقق " كانتور " قائلا : " لقد امتحنا (ليوناردو) (36) بعد أن قرأنا كتابه الأول ولكننا ، فى الواقع ، بعد قراءة تلك المخطوطات ، لا ندرى بأى لغة نكيل له الثناء .. ان الكلمات لتعجز عن اكرامه " .

---

(١) راجع شمس العرب تسطع على الغرب ، المستشرقة زيغريد هونكه ص ٩٢ .

وكتب ليوناردو الفصل الأول من كتابه (Liber Abaci) عن الأرقام العربية فقال : " ان الأرقام الهندية التسعة هي : ١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ وبواسطتها جميعا ، علاوة على تلك العلامة " 0 " التي تسمى الصفر العربى[1] . فانه يمكن كتابة أى عدد مهما كان .

ولا يمكن أن يحجب فضل ابن الهيثم[37] والبيروني[38] والكندي والنافقي والبغدادي[39] والقزويني[40] وابن مسكويه[41] والجاحظ[42] والخازن[43] وجابر بن حيان[44] ، وابن النفيس[45] وابن البيطار[46] وداود الانطاكي[47] والمقدسي[48] والبناني والفرغاني والادريسي[49] وابن ماجد[50] والدينوري[51] والدميري والصوفي وابن حمزة وابن يونس[52] والرازي والجلدكي والخوارزمي وموسى[53] بن شاكر بل وابن سينا وابن الرشد[54] وعباس بن فرناس[55] وغيرهم .

---

(١) المرجع السابق ص ٩٣

قد أخذ كلمة الصفر عن العرب ليوناردو وكتبه باللاتينية (Cephirum) وفى ايطاليا تحولت هذه الكلمة الى (Zefro) ثم الى (Zero) وفى فرنسا قال الناس (Chiffre) بمعنى الرقم القريب ، وفى انكلترا الى (Cipher) ثم الى (Zero) وفى المانيا (Ziffern) ، المرجع السابق ص ٩٣ .

وظلت مؤلفات هؤلاء كما قلنا سابقا المراجع المعتمدة في جامعات أوربا حتى القرن السابع عشر . واعترف عدد كبير من مؤرخي العالم بفضلهم على العلم والانسانية حتى قال قائلهم : " انه لولا أعمال العلماء العرب لاضطر علماء النهضة الأوربية أن يبدأوا من حيث بدأ هؤلاء ولتأخر سير المدنية عدة قرون " .

وحتى قال آخر : " ان كثيرا من الآراء والنظريات العلمية حسبناها من صنعنا فاذا العرب سبقونا اليها " (١) .

وظلت الأمة الاسلامية والعربية حاملة لواء النهضة عدة قرون في وقت كانت أوربا ما تزال غارقة في الظلام . وكانت أدمغتهم محشوة بالخرافات والخزعبلات .

---

(١) راجع كتاب أثر العرب والاسلام في النهضة الأوربية ص٢٠٤ـ ٢٠٦ تأليف د . عبد الحليم منتصر .

La Traduction (رابعا) ـ الترجمة :

ان الترجمة حيث هي عامل حضاري ، وهذه الترجمة هي العماد الثاني الذي قامت عليه الثقافه العربيه في العهد الأموي والعباسي وما بعدهما ..

وقد ثبت تاريخيا أن الدولة الاسلامية ، ما أن استقرت وامتد سلطانها من مشارق الصين شرقا الى مشارف فرنسا غربا حتى أخذ العلماء المسلمون ينهلون من موارد العلم بمختلف فروعه وفنونه ، فأخذوا يترجمون الذخائر العلميه وينقلون الى اللغة العربية علوم الاغريق والرومان والفرس والهنود .. ترجموا عن الاغريقيه والفارسيه والقبطيه والآراميه والهنديه .. ونقلت ألوف الكتب من المكتبات القديمه ، وأقيمت دور الكتب والمكتبات ، وفتح الخلفاء والأمراء قصورهم للعلم والعلماء ، وتنافس الخلفاء والحكام في رعاية العلم والعلماء وسابقوا في الانفاق وبسخاء على العلم والعلماء ...

واليك أمثلة على ذلك :

(56)
قد قبل هارون الرشيد الجزية كتبا ، كما دفع المأمون وزنها ترجم ذهبا وانشئت الجامعات في جميع أقطار العالم الاسلامي :

وكان جامع المنصور في بغداد

والجامع الأموي في دمشق

والجامع الأزهري — في القاهرة
وجامع القيروان — بتونس
وجامع القرويين — بفاس
وجامع قرطبة — بالأندلس
والجامع الكبير — بصنعاء
وبيت الحكمة — في بغداد أيضا
ودار الحكمة — في القاهرة أيضا

وكانت جميعها بمثابة معاهد العلم في أرقى صوره وكان من رعاية الخلفاء والحكام من أمثال المأمون ونظام الملك ونور الدين زنكي والحاكم بأمر الله[57] وصلاح الدين الأيوبي من يوضحون مدى القمة من حيث رعاية العلم والعلماء ...

وقد خصص أبناء موسى بن شاكر الثلاثة ريع أملاكهم الضخمة للترجمة وجمع الكتب فضربوا بذلك المثل لغيرهم من أمثال الطبيب قسطا بن لوقا البعلبكي .

ولقد أضاف المسلمون والعرب كثيرا من الآراء والنظريات التي نسبت الى غيرهم فمثلا " ابن مسكويه وإخوان الصفا[58] وابن خلدون[59] قد تكلموا في التطور ولكن نسبوه الى داروين ..

وتحدثوا في الجاذبية والربط بين السرعة والثقل والمسافة وان نسب كل ذلك الى نيوتن[60].

وتحدثوا في أثر البيئة على الأحياء قبل (لامارك)[61] . وشرح ابن النفيس الدورة الصغرى قبل (هارفي) ببضعة قرون.[1]

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٥

كلمات عربية في اللهجات الأوربية

تتميما للفائدة نود هنا أن نشير الى بعض الكلمات العربيـــة قد استعملها الأوربيون أيام كانوا يتلقون دروسهم من الجامعـــات الاسلاميـــة ... واليك بعض ذلك :

(Café) بالفرنسية : هي (القهوة) التي تشرب

(Sofa) هي كلمة (صفـّة) العربية التي تعني المقعد المظلل في جوار جامع . وما يقابلها في سائر اللغات يدل في الغالب على مقعد طويل ذى خشبة في موضع الجلوس.

(Tass) بالفرنسيه : هي (الطاس أو الكاسة) .

(Sucre) بالفرنسيه و (Sugar) بالانكليزية (Zugar) بالألمانية ، أى السكر وقد انتقلت هذه الكلمة لضرورتها في التغذيه الى معظم لغات العالم.

(Limonade): اداة نسبة :(Ade).

وعلى ذلك تكون الكلمة منسوبه الى الليمون ، من كلمة ليمون الذى اشتهرت . وقد أخذ الأوربيون هذا الاسم عن العرب فبقى مستعملا عندهم الى هذا اليوم ..

(AlKohol) هو الكحل أو الكحول : والكلمة عربيـــة كما ترى وقد استعارها الأوربيون في حاجتهم الملحة .

(Banane) هو الموز . ونحن نعرف أن الموز ، تشبه البنان أى الأصبع . فقلنا : بنان الموز . فجاء الأوربيون ، وأخذوا

الكلمة الأولى أى البنان واستغنوا عن الثانية ، أى الموز وهكذا صارت (Banane) تعني الموز .

(Coton) القطن : مأخوذ من العربية كما هو واضح .

(Chiffon) الشفاف : وقد استعملت هذه الكلمة في اللغة الفرنسية فيما بعد بمعنى الخرقة أو المحاة من القماش

(Atlas) الأطلس مأخوذة من العربية .

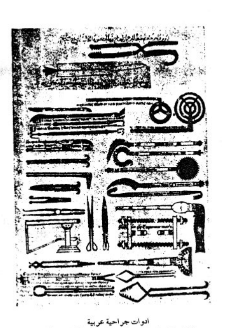
(Diwan) الديوان : هذه الكلمة وأمثالها تدل على مقعد طويل ذي حشايا أونحوها في موضع الجلوس وهي بالفرنسية (Arroz) وكذلك في الانجليزية ويقال في الروسي أيضا .

(Arroz) الأرز بالاسبانية وبالبرتغالية (Arroz) وبالفرنسية (Riz) .

نكتفي بهذا القدر للاثبات أن المدنية الأوربية ـ رغم نكران اهلها الجميل ـ مستمدة من الحضارة الاسلامية .

وأكبر دليل هذه المفردات التي بقيت في لغاتهم الأوربية بدون تغيير لتكون شاهدا عليهم ..

والى الجزء الثاني من هذا الفصل .



ادوات جراحية عربية

كان ابو القاسم الزهراوي من ألمع جراحي العرب وأعظمهم فضلا وقد نقل للأطباء الغربيين صور الادوات الجراحية العربية .

عن كتاب شمس العرب تسطع على الغرب ٥٧٢- تأليف الدكتورة زيغريد هونكه ألمانية - ص: ٥٧١



ساعة عربية فنية

رسم قديم لاحدى الساعات الفنية (حوالي عام ١٢٠٠ م) يظهر فيه بوضوح عالم الحيوان المتحرك والشخوصات المتنقلة من صقور تقذف الحلقات في وعاء معدني محدثة صوتاً ايقاعياً جميلاً ، الى عازفين على آلات موسيقية مختلفة ...

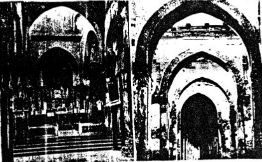
... شمس العرب تسطع على الغرب ... الدكتورة زيغريد هونكه ... ص: ٥٦٧



صيدلية عربية

صيدلية عربية كما جاءت مخطوطة بالعربية لابن سينا

المرجع السابق ص



طراز البناء العربي

١/١

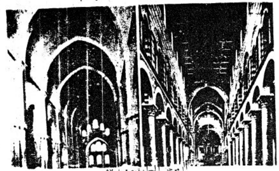
انتقل الطراز العربي في بناء العقود المنحنية الى اوروبة وتطور حتى اصبح عنصراً هاماً في من البناء القوطي (Gotik) ، الصور من اليمين :

١ – تمثل لنا جانباً من هذه العقود في جامع « ابن طولون » بالقاهرة .

٢ – قبة مونديال بالقرب من بالرمو في النصف الاول من القرن الثاني عشر .

٣ – قبة « بيزا » وقد بدىء ، تشييدها عام ١٠٦٣ اي بعد الاستيلاء على « بالرمو » .

٤ – كنيسة دير فونتناي Fontenay وقد بوشر في بنائها عام ١١٣٠ . ونرى الطراز العربي في بناء العقود المنحنية ، حتى في طراز الابواب ، كما يظهر في الرسم .



المرجع السابق ص ٨ ٥٧

الصراع فى تاريخ الفكر الأوربى

ان المتأمل فى التاريخ الأوربى ، منذ القرن الرابع عشر الى الآن ، يجد أن العقليه الأوربيه شهدت صراعا فكريا حادا واتجاهات عقليه مختلفه . فكل ذلك يدور حول شىء واحد، وهو : أى شىء يصلح أن يكون مصدرا للمعرفه اليقينيه ؟ هل هو الدين أو العقل أو الحس ، فكان الصراع دائما يدور حول هذه الأشياء الثلاثة فى أوربا . واليك تفاصيل ما أجمل :

أولا ــ سيادة الدين ، (١)

كان الدين أو النص سائدا طوال القرون الوسطى فى توجيه الانسان سواء فى سلوكه وتنظيم جماعته ، أو فى فهمه للطبيعة . وكان يقصد بالدين " المسيحية " . وكان يراد بالمسيحية ، الكاثوليكية وكانت الكاثوليكية تعبيرا عن " البابوية " . (٢)

" والبابويه نظام كنسى ركز " السلطة العليا " باسم الدين فى يد البابا ، وقصر حق تفسير " الكتاب المقدس " على

---

(١) عقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ص ٢٤ ط : دار الكتاب العربى .

(٢) الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د . محمد البهى ص ٣١٩ ط / السادسه

البابا وأعضاء مجلسه من الطبقه الروحيه الكبرى — وجعل الثليث عقيدة أصيلة في المسيحية كما جعل الاعتراف بالخطأ " وصكوك الغفران " من رسوم العبادة وغير ذلك مما يتصل بالكاثوليكية كمذهب وكنظام لاهوتي •

واستمر الحال كذلك حتى كان القرن الخامس عشر ، وحتى انتهت الحروب الصليبية (٣) تثمر ثمرتها الايجابيه في العالم الأوروبي فقام مارتن لوثر (٤) (Luther) وكانت تعاليم الكنيسة كما سواها •• فحارب صكوك الغفران — كما سيأتي بيان ذلك — والقسس الأدعياء على عقيدة (التثليث) كما حارب سلطة البابا • وجعل السلطة الوحيدة هي " الكتاب المقدس " وكلمة الله " المسيح " وطالب بالحرية في بحث الكتاب •••

---

(١) مقارنة الأديان د• شلبي ج ٣ المسيحية ص ٢١٢
(٢) محاضرات في النصرانيه الشيخ أبو زهره ص ٢٠٢ ط : الخامسه
(٣) راجع كتاب التاريخ الأوربي الحديث ، د• عبد الحميد بطريق د• عبد العزيز نوار ص :   ط ١٩٧١ م
(٤) ترجمة مارتن لوثر : (١٤٨٣ — ١٥٤٦ م) زعيم الاصلاح البروتستانتي نال شهادة أستاذ في العلم من جامعة ايرفورت ١٥٠٥م وبدأ يدرس القانون ثم تحول عنه ودخل ديرا للرهبان وحرّم ليثر رسميا صكوك الغفران ١٥٢١ م • ومسألة العشاء الرباني وتزوج ١٥٢٥ م باحدى الراهبات •

وجاء بعد لوثر – فى طريقه – (كالفن)[١] (Calvin) وبين هاتين الثورتين تعرضت الكنيسة للجدل الفكري وأصبحت موضوعا للنقاش العقلى والمذاهب الفلسفية وحتى عصر جديد وهو : عصر سيادة العقل الذى زحزح العقائد المسيحية من قلب كثير من الفلاسفة وغيرهم .

ثانيا – سيادة العقل :

استمر اعتبار الوحى كمرجع أفضل للمعرفة ، حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر وهو عصر التنوير فى تاريخ الفلسفة الأوروبية وسمى أيضا (عصر الانسانيه) وكذلك سمى عصر ( ) أى عصر الايمان الفلسفى بالله ليس له وحى وليس بخالق للعالم .

فالتنوير – اذن لا يقصد به الا ابعاد الدين عن مجال التوجيه واحلال العقل محله[٢] . فوضعوا بعض المؤلفات للتدليل على سذاجة أصول الدين وزعموا أن اصوله من أوهام الجماعات الأولية ، واكثروا من الحط من كرامة الدين فى كل فرصة سنحت لهم حتى افضت هذه الحال الى نفور مستمر من الأديان ، والى انتشار الالحاد بين كثير

---

(١) ترجمة (كالفن " جون : (١٥٠٩ – ١٥٦٤م) لاهوتى فرنسى بروتستانتى من رجالات الاصلاح ولد فى مدينة (نويون) وكان ضليعا فى اللاهوت والقانون . ثم تحول (١٥٣٣م) الى البروتستانتية .

(٢) الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د . محمد البهى ص ٣٦٢ .

من الطبقات وما زال ينتشر حتى اعتبروا التمسك بالدين دليلا على الجهل ...

ولنضرب للقارئ مثلا ما كان يهاجم به الدين فى ظلال حرية الفكر فى عصر التنوير ، ننقل ما جاء فى دائرة معارف لاروس القرن التاسع عشر تحت كلمة " دين " فى كلام عن [illegible] :

" إن قلنا أن الذوق الانسانى يقتضى اعتناق الأشياء التى يكتسبون تمثيلها يقولون : لا ! لا ! ثم يحاولون اذلال هذا العقل الانسانى الذى يدعى لنفسه حق التمييز بين الخير والشر [illegible] والظلم حتى اذا تم تعمية عين العقل وتغشية بصيرة البصيرة .... الى حد أن تعتبر المعجزات أمورا [illegible] ، وان تتوهم الأبيض أسود ، وأن تعد الرذيلة فضيلة ، يصير الدين فيهيب بالناس الى الطاعة .

فان سألتهم تطيع من ؟ أنطيع عقولنا ، أم واجباتنا الطبيعيه أم احساساتنا القلبيه ؟

أنطيع القوانين المقيدة للانسانيه ، والتى تنتج من تلك الاراء المقيدة نفسها ، أجابوك لا ، ولكن أطع وأنت أعمى ... " (١)

---

(١) راجع روح الدين الاسلامى : عفيف عبد الفتاح طبارة ص ٢٥٩ .

ومن فلاسفة هذا العصر :

أولا — فى (ألمانيا) (ولف) : (Chirstian Wolff)

و (لسنج) : (Lessing)

ثانيا — فى انجلترا : (لوك)[١] (John Locke)

ثالثا — فى فرنسا (فولتير)[٢] (Voltaire)

و (بايل) (piere Bayle)

و (لا مترى) (Larnettrien)

هؤلاء هم أشهر الفلاسفة الذين أسسوا هذه المدرسة العقلانية .

---

(١) لوك جون (١٦٣٢ــ١٧٠٤م) فيلسوف انجليزى ، تعلم فى اكسفورد وحاضر بها ثم ألف كتابه المشهور فى العقل البشرى فلذا عرف فى أوربا كلها بأنه نصير الحريه . راجع الموسوعة العربيه الميسره ص ١٥٧٨ .

(٢) (فولتير ، فرانسوا (١٦٩٤ــ ١٧٧٨) فيلسوف ومفكر فرنسى ، نشأ فى باريس وتعلم فى كلية لويس الاكبر اليسوعيه اتهم باهانة الوطنى فيليب الثانى فعوقب بالسجن فى الباستيل احد عشر شهرا وكان حر الفكر فى الدين لذا رفض رجال الدين أن يدفنوه فى باريس حسب الطقوس المسيحيه ولكن نقل جثمانه (١٧٩١) ودفن فى مقبرة العظماء " البانثون " جمعت آثاره فى سبعين مجلدا .

ولكن يجب أن نشير هنا الى نقطة هامة وهي :

ان ديكارت الفيلسوف الفرنسي (١٥٩٦ــ١٦٥٠) [١] هو الذي أرسى قواعد الفلسفة العقلانية ، المعروف بصاحب المذهب الاستنباطي [٢] الا أن هذا المذهب في جملته فكر مادي . وكانت أول عبارة نادى بها هي " العقل أعدل الأشياء قسمة بين الناس " [٣] .

أما (جون لوك) السالف الذكر فقد خطا خطوة أبعد من ديكارت بأن طالب باخضاع الوحي للعقل عند التعارض قائلا : (من استبعد العقل ليفسح للوحي مجالا فقد أطفأ نور كليهما وكان مثله كمثل من يقنع انسانا بأن يفقأ عينيه ويستعيض عنهما بنور خافت يتلقاه بواسطة المرقب من نجم سحيق ..) [٤]

ديكارت : (١٥٩٦ــ١٦٥٠)م واسمه رني ديكارت ، ولد بلاهي من أعمال مقاطعة تورين بفرنسا . دخل في أول حياته مدرسة (لا فاليش) للآباء اليسوعيين التي يغلب عليها الطابع الفلسفي ثم غادرها بعد ثماني سنوات ، وبعد أربع سنوات أخرى نال الاجازة في القانون ــ بعدها تطوع للخدمة في جيش الأمير موريس ناسو بهولانده حليفة فرنسا على اسبانيا ثم عدل عن المهنة العسكرية للعمل في معالجة المسائل الطبيعية بالطريقة الرياضية وتجريدها من المبادئ الفلسفية .

(١) راجع تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف كرم ص ٥٦

(٢) راجع أساليب الغزو الفكري د. علي محمد جريشة ومحمد شريف زئبق ص٨

(٣) تاريخ الفلسفة الحديثة ،يوسف كرم ص٥٦

(٤) انظر المشكلة الأخلاقية والفلسفية

ورسالة في اللاهوت والسياسة لسبينوزا ترجمة حنفي ص ١٢٢ــ١٣٣

كما دعا الى تطبيق مبدأ جديد على الحياة الأوروبية آنذاك وهو مبدأ التسامح الديني ومطالبة الحكام [illegible] في أن يحترم [illegible] ويكرم ما يشاء من الأديان والمذاهب .

على أن أحد هؤلاء [illegible] لم يصل بعد الى انكار الوحي والمعجزات [illegible] بصراحة [illegible] ذلك [illegible] الأثر أمام ضغط [illegible] جزءا من كيانه وتراثا عزيزا عليه .

[illegible] في الصراع من أجل [illegible] :

[illegible] الألماني فيشته (١) (Fichte) .

وهيجل (٢)

الا أن فيشته يختلف عن هيجل لأنه [illegible]

---

(١) ترجمة فيشته : يوحان جوتليب (١٧٦٢ ـ ١٨١٤) [illegible] سياسي ألماني شغف بالفلسفة [illegible] (بيينا) حيث كان يشتغل بالتدريس . وبفضل كتابه خطب الى الشعب الألماني صار زعيما قوميا . استدل فيشته على وجود ارادة أخلاقية للكون ، هي بمثابة الله ..

(٢) ترجمة هيجل ، جورج فلهلم فريدريك : (١٧٧٠ـ١٨٣١) فيلسوف ألماني ، بسط مذهبه في مؤلفات أهمها " علم المنطق " و " موسوعة العلوم الفلسفية " وكتب في الأخلاق والتاريخ والدين . فلسفته مثالية [illegible] ، مؤداها أن الكون روحا تبتدىء في مراحل تطورية بعينها المنطق الجدلي . ومعناه أن فكرة ما تولد نقيضها ، ومن تفاعل النقيضين تنتج فكرة جديدة ، ثم تؤلف [illegible] الفكرة الجديدة نفس المراحل الثلاث المذكورة وهكذا .. ففكرة الوجود تولد فكرة العدم ، ومن تآلفهما تنتج الصيرورة .. الموسوعة العربية الميسرة ص ١٩٢٤ .

مطلقـه على كـل شيء آخر سـواء ، حـتى على الدين والوحـــــــي بينما هيجـل يميـل الى سيادة العقل فحسب على الطبيعـة ، مـع العلم ان كـلا منهما أخـذ مبدأ النقيض لفلسفتـه المقلانيـه ، المبدأ الذى اعـتمد عـليه كارل ماركس فى تأسيس الشيوعيـه أو الاشتراكيه .

ثالثا ــ سـيادة الحـس :

انتهى عـصر التنويـر بانتهاء القرن الثامن عـشر تقريـبا ، وابتدأ عـصر آخر من عـصور الفكر الأوربى بظهور فجـر القرن التاسـع عـشر . وموضـوع الصراع العقلى عـند الأوربيين واحد لم يختلف عن ذى قبـــل ــ هـو الدين والعقل والحـس أو الطبيعـه .

ولكـن تميـز القرن التاسـع عـشر بفلسـفـة معينـه . لأن اتجـاه التفكير مـال فيـه الى سيادة الطبيعـه على الدين والعقل معا . والـى استقـلال " الواقـع " كمصـدر للمعرفـة اليقينيـه مقابل الديـــــن والعقل .

تميز القرن التاسـع عـشر بأنه (عصـر الوضـعيـة " (positive) و " الوضعيـة " والغايـه الأولــى للمذهب الفلسفى الوضـعى هى معارضـة الكنيسـه وبالتالى : معارضـة معرفتهـا . ومن باب التغـطيـة عـارض هذا المذهب باسم (العلم)(1) ولـيضـع ، مكان الكنيـسـه دينا جـديدا ، هـو

---

(1) راجـع الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى محمد البهـى ص ٣٤١ .

الديـن الانسانيـه الكـبرى ويقوم هذا الديـن عـلى (عبادة) و (طقوس) كما تقوم المسيحية وله قداسة واحترام فى نفوس تابعيه عـلى نحـو ما للكاثلكة .

وأما الأساس الخاص لهذه السيادة ، سيادة الحس هو اعـلان صريح لسيادة الطبيعه على حساب الأديان والعقل .. انهـا طريق المعرفه اليقينيه ، وهى التى تناقش الحقيقة فى عقـل الانسان .

وفى نظـر هذه السيادة ، ان المعلومات التى تأتـى من وراء الطبيعة خداع ومكر . وقد مر بنا فى هذا البحث أن لينين (64) قال :

" اننا ننكر بشدة جميع هذه الأسس الأخلاقيه التى صدرت من طاقات وراء الطبيعه غير الانسان والتى لاتتفق مع أفكارنا الطبقية ونؤكد أن كل هذا مكر وخداع ".(١)

هكذا رأينا أن الفكر الأوربى قد مر بهذه الأدوار الثلاثه التى هى :

سيادة الديـن

سيادة العقـل

سيادة الحس (١)

---

(١) عقائد المفكرين ، العقاد ، ص ٣٥

ويلاحظ هنا شيء يحسن الوقوف عنده قليلا : وهو أن الايمان بالعقل والايمان بالعلم الحديث ليسا شيئا واحدا كما يلوح من النظرة العاجلة ، لأن الناس آمنوا بالعقل وحسبوا أنهم يفهمون به كل شيء من طريق المنطق والقياس ومن طريق القضايا والبراهين .. فلما اختلطت عليهم الأمور وقصر بهم العقل دون الحكم بالمحسوسات فضلا عن المغيبات — تحولوا الى التجربة الحسية ووقفوا عليها جهود العلم الحديث ، فلا علم بغير سند من الحسّ والتجريب ..

فاليوم — في القرن العشرين — أين تسير الحضارة الغربية بين هذه الشكوك التي بدأت بالشك في الدين ثم مضت أشواطا بعد أشواط تارة مع العقل وتارة مع العلم الحديث ، فلا شك أن دعوى العقل قد تواضعت في أوائل القرن التاسع عشر وتواضعت دعوى العلم في أوائل القرن العشرين ، وكاد العلماء — الآن — أن يتفقوا على أن التفسير والتعليل فوق طاقة العلم ولا سيما تفسير الغايات والأصول .

بناة هذا المذهب الوضعي

يذكر التاريخ أن من بناة هذا المذهب الوضعي ، (أوجست كومت) (١) الذى تحدثنا عنه أولا في بحث قانون الدور ، الثلاثيه ، فهو يقول هنا : " يجب أن يحل (العلم الواقعي) محل اللاهوت ٠

ثانيا (فرباخ) (٢) هو الفيلسوف الالماني الذى يعتبر بحق همزة وصل بين هيجل وكارل ماركس فهو يرى أن علم الانسان هو الدين ٠ والدين اذن محصول للعقل الانساني وليس موحى به من خارج الانسان ٠

والطبيعة الالهية كذلك هي طبيعة الانسان نفسه (قبحه الله) ٠

---

(١) أوجست كومت (١٧٦٨–١٨٥٧)م فيلسوف فرنسي مؤسس الفلسفه الوضعيه التي ترفض الميتافيزيقا ، وتعتمد على نتائج العلوم الطبيعيه الحديثة هدفه الأسمى هو اصلاح المجتمع لعيش الناس في توافق وانسجام ٠ ومذهبه مبسوط في كتابه " محاضرات في الفلسفه الوضعيه " وفيه يبين المراحل الثلاثه التي اجتازها الفكر في تطوره (١) اللاهوتيه التي تعلل الأشياء بقوى خارقه (٢) الميتافيزيقيه التي تعلل الأشياء بمبادئ مجرده (٣) الوضعيه التي تعلل الأشياء بالمشاهده ٠ ٠

(٢) والتجارب تأييد للفروض وتتفاوت العلوم بساطا وتركيبا ٠ فأبسطها الرياضه فالفلك فالفيزيقيه فالكيميا فعلم الاجتماع وكل يعتمد على سابقه والاجتماع يعتمد عليها جميعا ، وكلها في خدمته ٠٠ الموسوعه العربيه الميسره ، ص ١٥١٧

وثالثا (ماركس) (١) (Marx)

ان هذا الفيلسوف هو الذى أثر تأثيرا كبيرا في انتصار البحث الطبيعي الواقعي على الميتافيزيقا . وعلى طريقة التفكير الخاصة بعصر التنوير في القرن التاسع عشر .

---

(١) (كارل ماركس) ولد في عام ١٨١٨ في بلدة تريف في ألمانيا حيث تغلغل النفوذ الفرنسي وبسط جذوره أكثر مما تغلغل في أي جزء آخر من ألمانيا .

وقد انحدر من سلسلة طويلة من الحاخامات اليهود ، ولكن والده كان محاميا ، وعندما بلغ ماركس السادسة من العمر ، اعتنقت اسرته المسيحية ونشأ هو برتستانتيا ، ولكنه لم يلبث ان تخلى عنه ، وكان لانحداره من اسرة الحاخامات اليهودية أهمية كبيرة لسببين :

انه استمد منها روح السلطة التي تميز بها .. وانه تأثر بشخصية المسيح المخلص وهي العقيدة التي تلعب دورا هاما في الفكر اليهودي (واليهود يعتقدون ان المسيح لم يظهر بعد وانما سوف يظهر) ولم يكن التفكير اليهودي في يوم ما تفكيرا في العالم الآخر ، وانما يصر على واجب اقامة عهد سلام وسعادة في العالم الحالي .

وهكذا لم يكن من محض الصدفة ان يكون كثيرون من زعماء الشيوعية من ايام ماركس الى الان من اليهود (انظر كاريو هنت ، الشيوعية نظريا وعمليا ص ١٧) ... درس كارل ماكس في

====

....

=== الجامعات الألمانيه حتى حصل على درجته دكتوراة فى الفلسفه ولم يستطع أن ينال عملا بالجامعه بسبب اتجاهاته الديمقراطيه ، التى كانت تعد تطرفا آنذاك ، فلجأ الى الصحافه ليعمل بها ، وأصبح محررا بمجلة (الرين) بكولونيا ، لكن حكومة (بروسيا) ضاقت ذرعا بمقالته وأوقفت صدور هذه المجله ... وعلى اثر ذلك انتقل ماركس الى باريس حيث تقابل مع مجموعه من المفكرين الذين شغلوا انفسهم بمشكلات المجتمع الاقتصاديه والسياسيه والاجتماعيه واشتبك معهم فى نضال عنيف اذ كانت آراؤه بعيده عن اتجاهاته . فلما تقابل مع (فردريك) أنجلس أدرك الاثنان أن افكارهما متقاربه ، فسارا معا طيلة حياتهما ، وأربطت باسمهما (الاشتراكيه العلميه) وكان لكارل ماركس قصب السبق ، ولكن أنجلس أتم بعد وفاة (ماركس) أيضا اتجاهات هذا الرائد فكان أنجلس بذلك امتدادا لحياة ماركس .
(راجع احمد شلبى ، الاشتراكية ص ١١٧).

وقد حفل العقد الخامس من القرن التاسع عشر باضطرابات بالغة حتى سمى عام الثورات ، وقد ناضل الأحرار القوميون فى سبيل الديمقراطيه والاستقلال وكانت ثورة فرنسا من أبرزها . وقد كان من أسباب الثورات المتاليه وقتئذ التعطل وانخفاض الأجور وسوء حالة العمال مع كثرة ساعات العمل .

وحدث أن تكونت جمعيه سريه دوليه سميت باسم (عصبة العدول) وبحلول عام (١٨٤٨) م بثوراته واضطراباته أعلنت هذه الجمعية عن اهدافها وطلبت من ماركس وانجلس ان يكتبا بيانا يحمل صيغة اهدافها فاستجاب ماركس وانجلس لذلك وأصدرا البيان الشيوعي . . وبعد ان انهارت ثورة ١٨٤٨ م انتقل ماركس الى لندن عام ١٨٤٩ م ليقضى بقية حياته في عمل متواضع يكسب به عيشه ككاتب في صحيفة (نيويورك تريبيون) في حين كان صديقه انجلس- وكان ابن رجل انكليزى ثرى - يسدد نفقات صديقه (ماركس) بما يقدمه له من مساعدات . . وبعد لجوئه الى لندن دون كتبه الكبرى وهى (نقد الاقتصاد السياسى ١٨٥٩م) (ونداء الطبقات العاملة في اوربا عام ١٨٦٤م) وكتابه الاشهر (رأس المال ١٨٦٧م) فأسس الدولة الاشتراكية الاولى سنة ١٨٦٦م التي ظلت قائمة الى ١٨٧٠ومات سنة ١٨٨٣ م

وآراء مع انجلز (١) (Enclos) تعتبر دستورا للماركسية فيما سمي بالاشتراكية الجماعية او ما يسمى بالشيوعية او البلشفية .

وهذا المذهب الشيوعي (١) ينبني على الاسس التالية :

(١) الصراع بين الطبقات :

وماركس له جدل (Dialektik) ، ومنطق استخدم

---

(١) معظم اعضاء المجلس الشيوعي الذى يحكم روسيا الان سنة ١٩٥١ من اليهود الصرحاء . فالاعضاء ١٧ هم : ستالين رئيس المجلس ، وكاجانوفيتش نائبه ، ثم بيريا ، وفيرشيلوف ومولوتوف ، وشفرنيك ، وكيرتشينسنين ، وجوركين ، و (اليا اير هيبرج) ودينفنسكى وهينسبرج وميخاليس ، وترصين ، وجودى ، ولوزوفسكي ، وكافتانوف وبيترليفنتسكي وهؤلاء يهود صرحاء الا ثلاثة منهم : ستالين وفيرشيلوف ومولوتوف ولكن زوجات الثلاثة يهوديات . والحركة الشيوعية حركة يهودية . فمؤسسها يهودى (كارل ماركس) لقد نجح الشيوعيون اليهود اخيرا في النفوذ الى الصين على ايدى وكلائهم من الصينيين وغيرهم . وشرعوا يبسطون سلطانهم علانية بالعنف والخديعة على آسيا ، الى جانب ما استحوذوا عليه من

= = = =

فيه (النقيض) الذى عرف للفيلسوفيين الالمانيين (فيشته وهيجل)
ولكنه استخدمه في مجال اخر غير مجال التصوير الذهني الذى كان عند
([illegible]) وغير (مجال الفكره) الذى كان عند هيجل [illegible] استخدمه
في مجال الاقتصاد . واستند في هذا الاستخدام الى تبرير الجماعة .

=== من الاقطار الاوربية ولا يوجد قطـر في العالم لم تتسلط [illegible]
الشيوعية اليهودية مستغلة ضيق الناس وشرهم وجهلهم . [illegible]
حسدهم وبغضهم على من هم اعلى منهم . [illegible]
في الحكومات والشركات وغيرها ممن لا يعملون باسم الشيوعية [illegible]
وليسوا مع ذلك الا صنائع في الحكومات والشركات وغيرها مـــــ[illegible]
لا يعملون باسم الشيوعية ظاهرا . وليسوا مع ذلك الا [illegible]
منفذين لأغراض صهيون . وفي ذلك ما يدل على انهم يريدون
تسخير الصين وامريكا كما هو حاصل . وتسخير اليابان ايضـا
ضد اوربا عند الضرورة وهذا شيء لم يكن في حساب سياسـي
قط منذ خمسين سنة الا حكماء صهيون .
(راجع بروتوكولات حكماء صهيون الترجمة العربية محمد خليفـة
التونسي ص ٦٨)

فكل شيء في ناظره ـ يتضمن نقيضه ، بحيث ان كل (شيء) يهدم نفسه وهذا هو التطور العام لمبدأ النقيض .

ولكن (ماركس) يستخدمه كي يدلل على وقوع انهيار المجتمعات فالمجتمعات السابقة على الرأسماليه وهي :

دول الملوك والمجتمعات الاقطاعيه (أصحاب المزارع الكبيره) انهارت بناء على تفكير (ماركس) لأنها تضمنت عنصر المقابل ، أو النقيض كما يقولون : " ان كل بـذرة تحمل بذور نقيضه " .

وعلى هذا النحو ستنهار هذه المجتمعات الحديثه الرأسماليه وتتحول الى المقابل أو النقيض لها وهو المجتمع الشيوعي ذو الطبقه الواحده من العمال . وهو مفهوم الصراع بين الطبقات عند ... الفيلسوف كارل ماركس .

وخلاصه آرائه في هذا الصراع الدوؤب بين الأمم يرجع أولا وآخرا الى البحث عن الطعام لا غير وعدوه الوحيد هو الملكيه الفرديه .

وهذه هي سلسله الصراع التي تخيلها ماركس منذ أن ظهر الانسان الأول على ظهر هذا الكوكب الأرضي .

الشيوعيه الأولى ـ الرق ـ الاقطاعيه ، الرأسماليه الشيوعيه الأخيره . هذه هي حتميات التاريخ عند كارل ماركس . ومعنى ذلك أن الانتقال من طور الى طور

آخـــر حـتى لا طـاقـــة للانسان التخلـص منه أبدا .[1]

---

(١) نظـره عن الشـيوعـيه : فهي مذهـب يقضى أن يمتلك الناس الأشياء شـيوعاة ويعملون فيهـا معا دون اختصاص أحـد بشـيء معيـن . وقد دعـا الى هذا المذهب كـثير من الشيوعيين المذكيه منهم " مزدك " الذى ظهر فى فارس قبل الاسـلام منذ ٤٨٧ م وناد شـيوعية النساء على شـيوعـيـــة الأموال واعـتبر ذلـــــك دينا ، فتبعـه كـثير من السفهاء حتى كاد يذهـب بالدولـه ، ولكن الملك قباد ، كاد يستأصلـه هو وأتباعـه فى مذبحـه عامه سنه ٥٢٣ م . كما دعا الى هذا المذهـب ، القرامطـه أيام دولة العباسيين وفتنوا كـثيرا من الخلق وارتكبوا كـثيرا من الشنع البشعـه فى جنوبى العراق وما والاه حيث قامت دولتهم نحو سنة ٨٩٠م الى أوائل القرن الحادى عشر ، كما دعا اليـه الشيوعيون فى العصر الحديث ورأس مذهبهم (كارل ماركس) اليهودى . وقد تمكن بلاشفتهم اليهـــود من وضع روسيا تحت هذا النظام . وأكرهوها بالعنف على هذه الفكرة الخاطئـه ولا يزالون يتخبطـون فـى تطبيقهـا هناك متحدريـــن من خيبـة الى خيبـــه ، مع تمكنهم من الحكم المطلق فيها منذ سنه ١٩١٧ م وهم يحاربون الرأسماليه الفرديه . ولكن الشعب هناك فى يدى الحاكم المطلق الذى يملك المال والأرباح . فيجمع بين استبداد المال واستبداد الحكم معا .

راجع الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى د . محمد البهى
راجع البروتوكولات ص١٨٦ فى الهامش

نقول ان هذه الحتميات لا أساس لها من الصحة ، فلذا لا تحتاج الى وقوف طويل معها • فوجود العالم الاسلامي ينقض هذه الحتميات لأنه آمن بامكانية اقامة المجتمع وعلاقته الاقتصاديه والسياسيه على أساس ايماني بقطع النظر عما طرأ على المجتمع من تغيير في شروطه المدنيه والماديه خلال أربعة عشر قرنا •

وباجماع الموثرخين ، ان الاسلام لم يمر قط في هذه الحتميات المزعومه ••

ولما اتضح ذلك للماركسيين تراجعوا عن غلوتهم فقال أنجلز :

" ان الظروف التي ينتج البشر تحت ظلها ، تختلف بين قطر وآخر ، وتختلف في القطر الواحد من جيل لآخر • لذا فليس من الممكن أن يكون للأقطار كافه ولأدوار التاريخيه جميعا اقتصاد سياسي واحد "(١) .

وهكذا فشلت الماديه التاريخيه في أداء مهمتها العلميه المزعومه وثبت لدى التحليل أنها لا تعبر عن القوانين الصارمه الأبديه للمجتمعات البشريه ، فمن الطبيعي اذا أن تنهار الماركسيه المذهبيه التي ترتكز على هذه الفكرة المتطرفه •••

---

(١) راجع ضد دوهرنك : ج ٢ص٥ نقلا عن كتاب اقتصادنا محمد باقر الصدر ص٨٤ •

(ثانيا) الديـن مخـدر :

هذا هو الأساس الثاني الذى تقوم عـليه الشيـوعـيه الماركسيه .

ولـ (كارل ماركس) نظـريه ماديـه ، وهو لا ينكر (العقل) كمـا ينكره المذهب الميكانيكي ولكنه لا يدعي فحسب أن الماده توجـد قبل أن توجد العقل بل يدعي أيضا أن الماده أكثر [illegible] العقل . ان العقل متوقـف على الماده أكثر [illegible] أن يوجـد منفصلا عنها ونتيجـة ذلك :

أن (ماركس) لا ينكر فقـط أن يبقى العقل أو الروح بعد الجسد بل يرفـض الفكره الأسـاسـيه في الدين وهي الايمان بالـه كموجـود أزلـيّ مستقل تماما ومتجـرد تماما عن الماده ...

والحقيقـه واضحـه في الماركسيه : كل دين بالنسبه للماركسيه من حيث المبدأ لعنه ... وماركس يحدثنا أن كل ديـن مخـدر للشـعب : (1) وهذا نصـه :

" ان البؤس الديني ، لهو التعبير عن البؤس الواقعي ، والاحتجاج على هذا البؤس الواقعي في وقت معا . الدين زفره الكائن المثقل بالألم ، وروح عالم لم تبق فيه روح ، وفكر عالم لم يبق فيه فكر ، انه أفيـون الشعب " . (٢)

---

(١) الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي د . محمد البهي ص :

(٢) كارل ماركس ص ١٦ــ١٧

نقلا عن كتاب اقتصادنا ، محمد باقر الصدر ص ٢٠٦ .

اذ ن فنقد القدين هو الخطوة الأولى لنقد هذا الوادى الغارق في الدموع .

" بالنسبة الينا في ميدان التاريخ ان المادية القديمة لا تصدق مع ذاتها لأنها تعتبر القوى المثالية المحركة في التاريخ عاملا نهائية وذلك بدلا من البحث عما وراءها أى البحث عن القوى المحركة الفعلية الكامنة وراء هذه القوى المحركة ويبدو التناقض لا في الاعتراف بهذه القوى المثالية فحسب ، بل في عدم مواصلة البحث وراء هذه القوى ، حتى يمكن ازاحة الستار على العلل المحركة" (١)

هذا هو المقصود عند ماركس وأتباعه من التفسير المادى للتاريخ الذى هو عبارة عن تحليل للحوادث التاريخية بواسطة تطبيق مبادئ البحث الجدلى القائم على مبدأ النقيض .

(ثالثا)ـ المذهب المادى التاريخى :

ان التفسير المادى للتاريخ ، من أهم المزايا المادية الحديثة ، اذ لا يمكن بدونه اعطاء التاريخ تفسيرا صحيحا ، يتجاوب مع المادية الفلسفية ويتسق مع المفهوم المادى للحياة الانسانية والكون .

---

(١) راجع كتاب التفسير الاشتراكى للتاريخ ص ٧٥ .

وما دام التفسير المادى للتاريخ صادقا فى رأى الماركسيه على الوجود بصوره عامه ، فيجب أن يصدق بالنسبه الى التاريخ ، لأن التاريخ ليس الا جانبا من جوانب الوجود العام . (١)

" وعلى هذا الأساس ، تعيب الماركسيه على ماديه القرن الثامن عشر ، موقفها من تفسير التاريخ . لأن ماديه القرن الثامن عشر الميكانيكيه ، لم تتوفق الى هذا الكشف المادى الجبار فى الحقــل التاريخى " .

بل كانت مثاليه فى مفاهيمها عن التاريخ ، بالرغم من [illegible] الماديه فى المجال الكونى العام .

ولماذا كانت فى مفهومها التاريخى مثاليه ، [illegible] فى رأى الماركسيه لأنها آمنت بالأفكار والمحتويات الروحيه للانسانيه ، ومنحتها دورا رئيسيا فى التاريخ . ولم تستطع خلال العلاقات الاجتماعيه التى كانت تعيشها ، أن تتخطى هذه العوامل المثاليه ، الى السبب الأعمق ، الى القوى الماديه للتاريخ ، ولم يحالفها التوفيق فى وضع تصميم على ، لماديه تاريخيه تتجاوب مع الماديه الكونيه . وانما ظلت تتعلق بالتفسيرات المثاليه السطحيه التى تدرس السطح التاريخى ولا تنفذ الى الأعماق " (٢) .

---

(١) راجع لودفيج فيورباخ ص١٠٣ ــ ١٠٥
راجع كتاب اقتصادنا ، محمد باقر الصدر ص : ٣١
(٢) راجع التفسير الاشتراكى للتاريخ : ص ٥٧

(رابعا) الماركسية كنظام سياسي للجماعة :

وهذا الأساس الرابع الذي يعتمد عليه الماركسيون في توطيد أركان الشيوعية .

ان النظام الشيوعي [66] ليس فيه مكان لأكثر من حزب واحد هو الحزب الشيوعي [68] والاشتراكية [67] . يجب أن تحل محل الرأسمالية ، وكل الصناعات والمزارع ومصادر الثروة الطبيعية والخدمات ، يجب أن تملكها الدولة وتشرف عليها .

وهذه الجماعة الجديدة الاشتراكية أو الشيوعية ، تبرز للوجود عن طريق الكفاح بين الطبقات كنتيجة لحرب أو ضغط ، ويسقط النظام القديم السابق عليها ، وتنشأ دكتاتورية من العمال ...

ان المرحلة الاشتراكية أو الشيوعية تتلخص معالمها الرئيسية وأركانها الأساسية فيما يلي :

أولا — محو الطبقية [69] وتصفية حسابها نهائيا بخلق المجتمع اللاطبقي .

ثانيا — [71] استلام البروليتاريه للأداة [70] السياسية بانشاء حكومة "دكتاتوريه" قادرة على تحقيق الرسالة التاريخية للمجتمع الاشتراكي .

ثالثا — تأميم مصادر الثروة ووسائل الانتاج الرأسمالية في البلاد وهي الوسائل التي يستثمرها مالكها عن طريق العمل المأجور — واعتبارها ملكا للمجموع .

رابعا — قيام التوزيع على قاعدة : (من كل حسب طاقته ولكل حسب عمله) [1]

---

(1) راجع اقتصادنا محمد باقر الصدر ص ١٩٠ — ١٩١ .

هذا هو المذهب الماركسى بكلتا مرحلتيه ، الاشتراكيه والشيوعيه وقد رأيناه من خلال هذا الاستعراض السريع أنه يستهدف [illegible] لازالة فكره التدين أو فكره وجود خالق لهذا الوجود [illegible] الحاد لا مثيل له فى التاريخ البشرى •

وهذه هى أوربا الحديثه قد رأينا كيف بدأت [illegible] النهضه العلميه وأخيرا [illegible] على الأدوار [illegible] مرت بها •

وكما رأينا أن عصر سيادة [illegible] أنه أفضل العصور التى مضت على أوربا لنكرانه للدين ورفضه كل قيم [illegible] اخلاق • هذا ان دل على شىء فانما يدل ان هذا [illegible] الحاد عرفته البشريه من لدن آدم الى أيامنا هذه •

ولكى تتضح أمامنا هذه القضيه يجب علينا أن نستعين بشهادة التاريخ ابتداء من العصر اليونانى والعصر الرومانى وكذلك العصر الجاهلى وأخيرا العصر الكنسى • لنرى أن هذا الالحاد فريد [illegible] فى نوعه وأشكاله •

(٢) الحاد فريد فى التاريخ الانسانى :

أن الالحاد الذى نعنيه هنا ، هو انكار وجود الله – سبحانه – انكارا كاملا ، وهو المذهب السائد اليوم – فى أوربا أولا وفى أقطار كثيرة من " " .. (١)

فهذا النوع من الالحاد لم يسبق له نظير فيما سلف من الزمان (٢) .. لان الالحاد قد يوجد على انه عوج فكرى اوخلل نفسى او انحراف فردى اوجيل موقوت اوغفله عامه على اسوأ الاحوال ..

اما الالحاد الاحمر الحديث ، فهو ثوره على الايمان ، تبغى تدمير دعائمه ، وابتلاع اهله .

هو ثوره تتحقق وراء اسباب اقتصاديه خطيره ، وتستظهر بعصبيه قويه من العامه المحتاجين والمتطلعين ..

ان هذا الالحاد ، ليس شبهه – شأن الالحادات الماضيه – توشك أن تمحقها الأدله فتتلاشى ، لا ! انه الواقع . وغيره الباطل ..

انه الجدير بالحياه ، وغيره الجدير بالفناء .. انه الجد وغيره الهزل ..

انه الرأى الاول والاخير فى نظام الانسانيه ، ولا مكان لرأى اخر أبدا ..

---

(١) راجع كتاب كيف نحارب الالحاد ، محمد احمد باشميل ص ٥ الطبعه الاولى ١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م .

(٢) راجع كتاب الاسلام فى وجه الزحف الاحمر محمد الغزالى ص ٤٨ منشورات المكتبه العصريه راجع ايضا كتاب حوار مع الشيوعيين فى اقبيه السجون عبد الحليم خفاجى ص ٦٩ ومابعدها .

فقد ادعى اصحاب هذا الالحاد النريد ، انه لا يوجد لهذا الوجود خالق .. بل يقولون بان كل ما فى الوجود ازلى صادر عن " المادة " والنواميس الطبيعية نشأت على سبيل الصدفة والاتفاق وبلغت ما بلغتـــه من الكمال والاتفاق عن طريق التطورات المتعاقبة وان الانسان نهاية هذه التطورات الحيوانية .. وقد سرت تعاليم الماديين الى بعض الناس فعدوا وادعوا ايضا ـ ظلما وبهتانا انهم قد عرفوا سر الحياة ، اى كيف نشأت الحياة فيقولون : " ان الحياة بدأت خلية بسيطة او مجموعة خلايا ، ثم بدأ التكاثر يحمل عمله والتطور يحمل عمله بدون اى تدخل خارجى ، حتى وصلت الحياة الى ما وصلت(٤).

ان هذا الكلام ليس من عندنا وانما يقوله عميد مذهب التطور (تشارلز داروين) فى كتابه أصل الانواع ، وهذا نصـــه :

" لا يمر بى خلجـــه من الشك فى ان ما اقطع ، كما قطع به الطبيعيون من القبل بان كل نوع من الانواع قد " خلق " مستقلا بذاتـــه (خطأ محض) .

وانى لعلى تمام الاعتقاد بان الانواع دائمة التحول وان الانواع التى تاحق بما نسميه الاجناس اصطلاحا ، هى اعقاب متسلسلة عن انواع طواها الانقراض على نفس الطريقـــه التى تعتبر بها الضروب التابعة لأى نوع ، أعقابا متسلسلة عن ذلك النوع ذاته ...

---

(١) راجع روح الدين الاسلامى ، عفيف عبد الفتاح طباره ص ٨٥ الطبعة التاسعة

(٢) راجع ايضا كتاب من ازمة العصر ، محمد محمد حسين ص ٨١ الناشر عكاظ للطباعة والنشر ..

(٣) راجع كتاب هل نحن مسلمون ، محمد قطب ص /

(٤) العلم يدعو الى الايمان : تاليف ا . كريسى موريسون ص ٩٣ .

ثم قال وهو ينفي تدخل الله في الخلق :

" واني فوق ذلك لشديد الاقتناع بالانتخاب الطبيعي هو السبب الاكبر والمبي" الاقوى لحدوث التحولات .. " (١) هكذا يدعون ..

وبعضهم يقول ان الدين تفسير زائف للوقائع التاريخيه .. والبعض الاخر يقول :
" ان الدين اكبر خدعــه في التاريخ وأما كارل ماركس الملحد العاتي يقــول :
" الدين افيون الشعوب " (٢).

ويشبهه بعضهم برجل يكتب شيكا لا رصيد له في المصرف .. ومعنى ذلك ان علماء الدين صاغوا عبارات وليس وراء ها حقائق علميه ، فعباره " وجود الله " — على حد زعمهم — ليس لها اي اساس علمي .. (٢)

الجدير بالذكر ان الملاحده المعاصرين اتخذوا العلم الحديث لتوطيد اركان الحادهم — والعلم بري منه ..

وحينما نعود عوده سريعه الى اشهر علمهم ستجدهم قد بذلوا كل جهودهم فيها لتفنيد فكره وجود الله ، واتجهت هذه العلوم كلهـا نحو هذه الفكره اتجاه الابر المغناطيسيه نحو القطب الشمالي : واليك نموذجا من هذه الموافقات المجيبه على الالحاد ..

---

(١) اصل الانواع ، تاليف دارون ص ١٢٦ ترجمه : اسماعيل مظهر ، مكتبه النهضه بيروت — بغداد .
(٢) التفسير الاسلامي للتاريخ .. الدكتور عماد الدين خليل ص ٦٣ ، راجع الدين تاليف وحيد الدين ص ١٩ .

أولا : (علم الفلك) :L'Astronomie

فى مفتتح القرن التاسع عشر وجه نابليون بونابرت (١٨٠٨ ـ ٧٣) سؤالا الى علامه الفلك فى زمانه " لا بلاس " (١) عن عمل القدره الالهيه في تنظيم الافلاك السماويه ، وكان لتوجيه هذا السؤال الى (لا بلاس) ( ) سبب خاص وهو ظهور كتابه عن علم الحركه العلويه " او الميكانيكا السماويه ، وفيه شرح حركه الفلك ويعللها بالقوانين الالهيه كما يدل اسم الكتاب ، فقال علامه الفلك مجيبا سائله الكبير الذى كان يقول فى الدين بمثل قوله : " اننى لم اجد فى نظام السماء ضروره للقول بتدبير اله. (١)

ومضى القرن التاسع عشر الى نهايته والرأى الغالب فيه بين المشتغلين بالعلم والمؤمنين به هو هذا الراى الذى تحدث به لا بلاس الى نابليون : ان العلم كاف كل الكفايه لتفسير جميع الاسرار الكونيه .

كتب السير جيمس فتزجيمس ستيفن فى سنه ١٨٨٤ (٢) فصلا يعتبر يومئذ مثالا للاراء العلميه فى تلك الفتره نختطف منه مايلى :

" اذا كانت الحياه الانسانيه فى نشأتها قد استوفى العلم وصفها فلست ارى بعد ذلك ماده باقيه للدين ، اذ ما هى فائدته وما هى الحاجه اليه ،

---

(١) لا بلاس ، بيرسيمون : ١٧٤٩ ـ ١٨٢٧ فلكى فرنسى ورياضى ، ساهم فى علوم مختلفه وكان استاذا فى الرياضيات بالمدرسه الحربيه فى باريس . بحث فى تغير حركات القمر . الموسوعه ص ١٥٣٥ .

(٢) (سير جيمس) ١٨٧٧ـ١٩٤٦ عالم رياضيات فى مسائل الطبيعه والفلك . راجع المرجع السابق ص ٦٨٢ .

اننا نستطيع ان نسلك سبيلنا بغيره وان تكن وجهه النظر التى يفتحها العالم لنا لا تعطينا ما نعبده فهى كفيله ان تعطينا كثيرا مما نستمتع به ونتملاه ..

نحن قادرون على ان نعيش عيشه حسنه بغير الديانه ، وان اقمناها على اصول غير هذه الاصول قلما تخالف فى لبابها اصول العيش التى يدين بها نفسه كل ذى اخلاق. (١)

انقضى القرن التاسع عشر وهذا هو الراى الغالب على اصحاب الراى فيه ممن يؤمنون بالعلم الحديث ويتوقعون له القدره على الاحاطه فى المستقبل بمجهولات الغيب التى لم يحط بها فى ذلك الحين ..

ثانيا : (علم النفس) : Sycologie

ها هو علم النفس بزعامه (فرويد) يدعى ان العقل الانسانى مكون من شيئين : هما : (الشعور) وهو مركز الافكار التى تخطر على قلوبنا فى ظروف عاديه ... و (اللاشعور) : وهو مخزن الافكار التى مرت بنا ونسيناها ، ولا تظهر الا فى احوال غير عاديه ، كالجنون والهستريا وهذا القسم الثانى اكبر بكثير من الاول ..

اكتشف فرويد بعد جهد طويل ان اللاشعور ، قد يقبل افكارا فى

---

(١) راجع الموسوعه للعقاد .

(٢) (فرويد) سيجموند : ١٨٥٦ ـ ١٩٣٩ م طبيب نمساوى مؤسس مدرسه التحليل النفسى . اشترك مع جوزيف بروير فى علاج الهستريا بالنوام ، واثارت نظريته فى تطور الغريزه الجنسيه منذ الطفوله الاولى وفى عقد أوديب . وله عده كتب . وكان لنظريته اعمق الاثار فى الدراسات النفسيه والاجتماعيه ، وفى التربيه والفن والادب . راجع الموسوعه العربيه الميسره ص (١٢٩٧ م) .

الخرافية وتؤدي الى اعمال غير عقليه ، وهذا ما يحدث بالنسبه الى العقائد الدينيه . فان فكره الجحيم والجنه ترجع الى صدى الاماني التي تنشأ لدى الانسان ابان طفولته ولكن لم تسمح له الفرصه لتحقيقها ، فتبقى دفينه في (اللاشعور) ثم يخرجها اللاشعور بدوره حياه اخرى يتيسر له فيها تحصيل ماكان يتمناه ، شأن الرجل الذي لا يظفر بما يحب في الواقع فيحصله في المنام . (١)

ثالثا : (علم مقارنه الاديان) : Comparison Des Religions

واما علم مقارنه الاديان ، فيقول اصحابه : ان القضايا الدينيه وجدت لاسباب تاريخيه احاطت بالانسان فلم يكن في استطاعته ان يفلت من السيول والاعاصير والحيوانات والزلازل والامراض " فأوجد قوى غريبه " يستغيثها لتنقذه من البلايا النازلة . وهكذا ظهرت الحاجه الى شيء يجتمع الناس حوله ، ولا يتفرقون فاستغل اسم (الاله) الذي تفوق قوته قوه الانسان ويهرب اليه الجميع الى رضاه . (٢)

هذه النظريه التي سموها : (بالمذاهب الكونيه او الطبيعيه) اشهر مقرري هذه النظريه هو العالم الالماني (ماكس مولر) (Max Muller) في كتابه عن الاساطير المقارنـــه (Compative Mythology) .(٣)

---

(١) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص٣٦ الطبعه ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م
راجع ايضا كتاب علم النفس د . فاخر عاقل ص١٢

(٢) الدين ـ د . محمد عبدالله دراز ص١١٤ وراجع ايضا كتاب علم النفس الحديث الدكتور سارجنت ص٣٥

(٣) راجع الدين ـ د . محمد عبدالله دراز ص١٠٧

وأما المذهب التقدمي ، او التصاعدي :

(Evolutionnisme progressisie Ascendent)

الذي ساد اوربا في القرن التاسع عشر ، في اكثر من فروع من فروع العلوم ، وحاول تطبيقه على تاريخ الاديان عدد من العلماء منهم سبنسر [١] (Spencer) وتيلور [٢] (Tylor) وفريزر [٣] (Frazer) ودوركايم [٤] (Durkheim) وغيرهم ، وان اختلفت وجهات نظرهم في تحديد صوره العباده الاولى وموضوعها الا انهم اتفقوا على ان التدين بدأ في صوره الخرافه والوثنيه ، وان الانسان اخذ يترقى في دينه على مدى الأجيال حتى وصل الى الكمال فيه بالتوحيد ، كما تدرج نحو الكمال في علومه وصناعاته ، حتى زعم بعضهم أن عقيده " الاله الواحد " عقيده جنسيه وأنها وليده عقليه خاصه بالجنس السامي .. (٥)

---

(١) سبنسر ، هربرت (١٨٢٠ ـ ١٩٠٣) فيلسوف انجليزي ، درس الهندسه ثم تحول الى دراسه العلوم الطبيعيه وعلم النفس . يرى ان الفلسفه هي حصر المعرفه في مبدأ التطور وطبق يطبقه على جميع الظواهر حتى لقب " فيلسوف التطور " راجع الموسوعه العربيه الميسره ص :

(٢) تيلور ادوارد : ١٩٠٨ ـ عالم بالفيزيقا النوويه امريكي ، ولد ببودابست وتلقى علومه بليبزج قدم ١٩٣٥ الى الولايات المتحده . ثم حصل على الجنسيه الامريكيه ١٩٤١ (الموسوعه ص ٥٧٢)

(٣) فريزر ، سير جيمس جورج : ١٨٥٤ ـ ١٩٤١ انثروبولوجي اسكتلندي معروف بكتابه (الغصن الذهبي ١٢ مجلد وهو دراسه في السحر والدين ومن كتبه الطوطميه والزواج بغير ذي القربى ١٩١٠م

(٤) دوركايم ، اميل ١٨٥٨ ـ ١٩١٧ رائد علماء الاجتماع الفرنسيين بعد " كونت " وله عده كتب منها : تقسيم العمل في المجتمع ١٨٩٣ وقواعد المنهاج الاجتماعي ١٨٩٥ والانتحار ١٨٩٧ والاشكال الاوليه للحياه الدينيه ١٩١٢ ..

(٥) المرجع السابق ٨١٦ وانظر ايضا الجفوه المفتعله بين العلم والدين ، محمد علي يوسف ص ٣٦ .

philosophie

رابعا : (الفلسفه المقلانيه) :

نلخص الفكره الالهيه بين الفلاسفه المقلانيين بتلخيص الاراء التى رددها اشهر مفكريهم الى مطالع القرن العشرين • ويكفينا منهم ثلاثه هم :

(نيتشه) (وهارتمان) (وشبنجلر) وهم الذين قرروا فى مسائل ما بعد الطبيعه رايا مستقلا لا يحسب شرحا من شروح الكاثلكه او البروتستانتيه • ولا يحسب حاشيه على ما يمس المنطق ومعايير العلم •

" فعند نيتشه ١٨٤٤ ـ ١٩٠٠ ان الله (قد مات) * كبرت كلمه تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا * وان الشجاعه الزم ما يلزم النفس من حايقه ... او عقيده ـ فى عالم خلا من الله " •

---

(١) نيتشه فردريك فلهلم ١٨٤٤ ـ ١٩٠٠ فيلسوف الماني مات عنه ابوه صغيرا • فربته امه على التقوى فانقلبت تقواه ثوره عقليه • كان استاذا لاصول الفقه فى بال (١٨٦٩) وتأثر بفلسفه شوبنهور وصادق فاجنر ثم خرج عليهما وعلى سائر اصدقائه بعد اصابته باضطرابات عصبيه • ومرضى منه فتراك التدريس وطفق يتنقل مستشفيا • ولكنه يجهد نفسه حتى انتهى به الامر الى مرض خطير • الموسوعه ص ١٨٦٤ •

(٢) ادوارد فون هارتمان : ١٨٤٢ ـ ١٩٠٦ فيلسوف الماني الف كتاب (فلسفه الوعى) ويقصد باللاوعى القوى المهيمنه التى تسير الكون• سواء اكانت كائنات ذرات او عضويات او العالم باسره • وهو متشائم ان لا سبيل الى السعاده الا بالتحرر من السعاده • راجع المرجع السابق ص ١٨٧٨ •

(٣) شبنجلر ١٨٨٠ ـ ١٩٣٦ راجع الموسوعه لعباس محمود العقاد ج ١ ص ٢٩٢ •

وعند ادوارد فون هارتمان " ان الله ليس بذات وانه غير شاعر بنفسه" أي علمي "أنا" تتشخص في كيان ..."

وليس الله في راي شبنجلر الا " اراده " على عادة الالمان المحدثين في ترجيح الاراده على الفكر ، يقول : " ان الله بالنسبه الينا ــ الله الذي هو محه العالم والذي هو القوه المحركه ، والذي ينعكس في فناء العالم ا ــــ فناء الروح التائه بالخيال ".

خامسا : (علم الاجتماع) : La Sociologie

يرى دوركايم في كتابه قواعد المنهج في علم الاجتماع ، ان الدين ليس فطريا في الانسان ولا الاخلاق فلا يصلح اذن ان ناخذ قواعد الدين دستورا للمجتمع ولندعه يصرح بنفسه (1) في اسطورة العقل الجمعي) :

" ... ومن هذا القبيل ان بعض هؤلاء العلماء يقول بوجود عاطفه دينيه فطريه لدى الانسان ، وان هذا الاخير مزود بحد ادنى من الغيره الجنسيه والبر بالوالدين ومحبه الابناء ، وغير ذلك من العواطف ، وقد اراد بعضهم تفسير نشأه كل من الدين والزواج والاسره على هذا النحو ، ولكن التاريخ يوقفنا على ان هذه النزعات ليست فطريه في الانسان " (2).

---

(1) راجع التطور والثبات في حياه البشريه ، محمد قطب ص ٥٣ .

(2) راجع قواعد المنهج في علم الاجتماع تأليف اميل دوركايم ، ترجمه محمود قاسم ومراجعه الدكتور السيد محمد بدوي ــ مقدمه الطبعه الثانيه ص ١٦٥ .

وحينئذ فانه يمكن القول بناء على الرأى السالف بانه لا وجود لتفاصيـــل القواعد القانونيه والخلقيــه فى ذاتها ، اذا صح هذا التعبير ..

ومن ثم فليس من الممكن ، تبعا لهذا الرأى ، ان تصبح مجموعــه القواعــد الخلقيــه التى لا وجود لها فى ذاتها موضوعا لعلم الاخلاق .. " (١)

واضح فى هذا التصريح :

ان الدين ليس شيئا فطريا ، وكذلك الزواج والاسره والقواعد الخلقيــه لا وجود لها فى ذاتها ".

اننا لا نناقش دوركايم هنا ولا غيره ممن سبق ذكرهم ، انما اردنـــا هنا فقط ان نثبت ان هذا الالحاد الحديث لا مثيل له فى التاريخ الانسانـــى وستأتى مناقشتهم فى حينها ان شاء الله تعالى .

سادسا : (كلمه دائره المعارف الانسانيه) :

يقول محرر دائره معارف العلوم الانسانيه الاجتماعيه تحت اسم الدين :

" وبجانب المؤثرات الاخرى التى ساعدت فى خلق الدين ، فان اسهام الاحوال السياسيه والمدنيه عظيم جدًا فى هذا المجال .

ان الاسماء الالهيه وصفاتها خرجت من الاصول التى تسود على ظهـــر الارض .. فعقيده كون الاله " الملك الاكبر " صوره اخرى للملكيـه الارضيه . وكان الملك الارضى القاضى الاكبر ، فاصبح الاله يحمل هذه الصفات ، ولقب " بالقاضى الاكبر الاخير " الذى يجازى الانسان على الخير والشر من اعماله . وهذه العقيده القضائيه التى تؤمن بكون الاله محاسبا ومجازيا لا توجــــد

(١) المرجع السابق ص٥٩ ـــ ٦٠

في اليهودية فحسب ، وانما لها مقامها الاساسي في العقائد الدينيـــــه المسيحيه والاسلاميه " (١).

" لقد خلق العقل الانساني الدين ، واتم خلقه في حالة جهل الانسان وعجزه عن مواجهه القوه الخارجيه "

ويضيف جوليان هكسلي الى هذا قوله :

" فالدين نتيجـــه لتعامل خاص بين الانسان وبيئته " (٢)

ويقول أيضا :

" ان هذه البيئه قد فات اوانها اوكاد ، وقد كانت هي المسئوله عن هذا التعامل فأما بعد فنائها وانتهاء التعامل معها فلا داعي للدين ".

ويضيف : " لقد انتهت العقيده الالهيه الى اخر نقطه تفيدنا ، وهي لا تستطيع ان تقبل الان ايه تطورتت ، لقد اخترع الانسان قوه وراء الطبيعه لتحمل عبء الدين، جاء بالسحر ، ثم بالعمليات الروحيه ، ثم بالعقيده الالهيه حتى اخترع فكره (الاله الواحد) ، وقد وصل الدين بهذه التطورات الى اخر مراحل حياته ، ولا شك ان هذه العقائد كانت في وقت ما جزءا مفيدا من حضارتنا بيد ان هذه الاجزاء قد فقدت اليوم ضرورتها ، ومدى افادتها للمجتمع الحاضر المتطور " (٣).

---

(١) Encyclopaedia of Sciences, 1957 Vol, 13, P. 233

(٢) Man in The Modern World, p. 130.

(٣) راجع كتاب الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٣٨ ـ ٣٩ .

سابعا : (علم الاقتصاد والشيوعيه) : Communisme

يقول (لينين) فى خطاب له القاه فى المؤتمر الثالث لمنظمه الشباب الشيوعى فى اكتوبر سنه ١٩٢٠ م .

" اننا لا نؤمن بالله ، ونحن نعرف كل المعرفه ان ارباب الكنيسه والاقطاعيين والبورجوازيين لا يخاطبوننا باسم الاله استغلالا ، ومحافظه على مصالحهم اننا ننكر بشده جميع هذه الاسس الاخلاقيه التى صدرت عن طاقات وراء الطبيعه غير الانسان ، والتى لا تتفق مع افكارنا الطبقيه ، ونؤكد ان كل هذا مكر وخداع وهو ستار على عقول الفلاحين والعمال ، لصالح الاستعمار والاقطاع ، ونعلن ان نظامنا لا يتبع الا ثمره النضال البروليتارى ..

" ونعلن ان نظامنا الاخلاقى ، هو الحفاظ على الجهود ، الطبقيه البروليتاريه " (٢) .

وهكذا ترى الفلسفه الشيوعيه ان الدين (خدعه تاريخيه) وهى تركز الاسباب فى عوامل اقتصاديه ، لانها تنظر الى التاريخ فى ضوء الاقتصاد ، وهو تاريخ البحث عن الطعام . بل هى ترى ان العوامل التاريخيه التى خلقت الدين

---

(١) راجع كتاب : Linin, Selected Works Moscow 1947 Vol. 11 P. 667

راجع كتاب الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٤٠

وراجع ايضا كتاب الاسلام والشيوعيه ، وزاره الاوقاف الادارة العامه للدعوه ص : ٢٧ .

(٢) البروليتاريه هى الطبقه الكادحه من العمال والفلاحين .

هى النظام البورجوازى الاستعمارى القديم • وهذا النظام القديم يلقى المصير نفسه • فلتدع الدين ايضا يذهب معه •

وفى عام ١٩٤٩ م جاءت التعليمات الرسمية للحزب الشيوعى الى المعلمين فى جميع انحاء الاتحاد السوفييتى ما نصه :

" ان المعلم الذى يؤتمن على تعليم النشء لا يمكنه ولا يجب ان يكون محايدا فى موقفه من الدين •• ان عليه ان لا يتخلص من الايمان فحسب بل ان يقوم بدور ايجابى فى الدعوة الى عدم الايمان بوجود الله وان يكون داعيا متحمسا الى الالحاد " (١)

يقول ستالين عام ١٩٢٧ : لا يستطيع الحزب ان يقف من الدين موقف الحياد •• ان الحزب يشن حملة دعاية ضد اى انحياز للدين • لان الحزب يؤمن بالعلم بينما العلم يتعارض مع الانحياز للدين • لان الدين كله شىء مناوىء للعلم " (٢)

وفى عام ١٩٢٨ جاء فى برنامج المؤتمر السادس الدولى ما نصه :

" الحزب ضد الدين – افيون الشعب – تشغل مكانا هاما بين عمال الثورة الثقافية •ويلزم ان تستمر هذه الحرب باصرار وبطريقة منظمة •• وحكومة العمال تعترف بحرية الضمير ولكنها فى نفس الوقت تستعمل كل الوسائل التى تملكها للقيام بدعاية ضد الدين • وتنظم التربية على اساس التصور المادى للدنيا " (٣).

---

(١) مقال للدكتور احمد بدران الوارد فى الاخبار بتاريخ ١٣/١/١٩٧٤م

(٢) حقيقة الشيوعية لا مين شاكر • ومحمد العريان • وعلى ادهم : عن كتاب الاسلام والشيوعية ص٦٢

(٣) حقيقة الشيوعية السابق ص ١٩١

ويقول لونلشاريكي وزير التعليم في حكومة السوفييت " وهو يهودي " :

" نحن نكره المسيحية والمسيحيين • وحتى احسن المسيحيين خلقا نعده شر اعدائنا وهم يبشرون بحب الجيران • والعطف والرحمة وهذا يخالف مبادئنا والحب المسيحي عقبة في سبيل تقدم الثورة فليسقط حبنا لجيراننا •

فان ما نريده هو الكراهية •

والعداوة وحينئذ نستطيع(١)

غزو العالم " •

ولأجل ذلك كله يقول البيان الشيوعي (La Manifestation-Communiste)

" ان الدستور والاخلاق والدين كلها خدعة البورجوازية وهي تتستر وراءها من اجل مطامعها " (٢) •

يقول فيلسوف الشيوعية انجلز :

" ان كل القيم الاخلاقية هي في تحليلها الاخير من خلق الظروف الاقتصادية "

فالتاريخ الانساني هو تاريخ حروب الطبقات التي امتص فيها البورجوازيين دماء الفقراء • وقد كانت الشايه من وضع الدين والأسس الاخلاقية حماية حقوق البورجوازيين • هذا هو ملخص آراء الشيوعيين •

---

(١) الاسلام والشيوعية تاليف محمد عرفة ص ٦٧

(٢) الاسلام يتحدى • وحيد الدين خان ص ٢٩

هكذا رأينا الملاحده فى مختلف علومهم الحديثه يحاربون الدين باسم البحث العلمى والتحقيق ولكن العلم براء من هذا التعطيل الذى يشل العقل ويفقدها شجاعه الاعتقاد فاذا جاز له ان ينكر فانما يجوز بحجه واحده وهى انه يجهل وليس انه يعلم . ومن الجهل لا من العلم ان نجعل الجهل مرجعا للوجود من اعلاه الى ادناه . فليقل " العالم " انه يجهل/الأمر اكبر من ان يعرفه ويحيط بحدوده ولكن الامر الذى لا يعرفه ولا يحيط بحدوده موجود لا شك .

من هنا فقط ـ قلنا ان الالحاد الحديث أعتى الحاد عرفته البشريه لأنه يدعى علم ما يجهل به . ومن راجع الكتب التاريخيه يدرك حقيقه ما نقول من ان هذا الالحاد فريد فى نوعه واشكاله وميزاته ومشخصاته .. فلنستمع الى/ شهاده التاريخ .

" شـهادة التاريـــــخ "

فيما مضى رأينا ان الملاحده صرحوا فى مختلف علومهم ان التدين طارئ على البشريه وأن الالحاد هو الفطرى فى الكيان الانسانى . ولذا ذهب بعض كتاب القرن الثامن عشر الذين مهدوا الثوره الفرنسيه الى ان الديانات والتدين ما هى الا منظمات مستحدثه واعراض طارئه على البشريه حتى قال "فولتير"(1) :

" ان الانسانيه لا بد أن تكون قد عاشت قرونا متطاولـه فى حيـــــاه ماديه خالصه . قوامها الحرث ، والنحت ، والبناء ، والحداد والتجاره ، قبل أن يفكر فى مسائل الدينيات والروحانيات بل قال : " ان فكره التدين انمـــا اخترعها دهاه ماكرون ، من الكهنه والقساوسه الذين لقوا من يصدقهم ــــن

---

(1) توجيه فولتير : (١٦٩٤ ــ ١٧٧٨ م) فيلسوف ومفكر فرنسى . نشـأ فى باريس وتعلم فى كليه لويس الاكبر اليسوعيه . اتهم باهانـــــه الوصى فيليب ٢ دوق اورليان . فعوقب بالسجن فى الباستيل احد عشر شهرا وهناك اعاد الى كتابه مسرحيه " اوديب " فنال شـــــهره عظيمه ثم سجن مره ثانيه فى الباستيل لا تهامـه باهانـه احـــــد النبلاء ... وفى السياسه دعا فولتير الى الاصلاح . ولكنه كان يخـــاف الثوره وكان حر الفكر فى الدين لذا رفض رجال الدين ان يدفنوه فى باريس حسب الطقوس المسيحيه .
راجع الموسوعه العربيه ص ١٣٣٢ .

الحمق والسخفاء " (١).

وكذلك كان نظر (جان جاك روسو)(٢) الى فكره التدين والقانون ، حيث ظن انها ليس لها الا قيمه وضعيه تحكميه . وفسر ذلك بقوله :

" ان الافراد الذين سبقوا الى وضع ايديهم على بعض مساحات من الارض حدا بهم جشعهم وحرصهم على المحافظه على ملكيتهم ، الى ان يأتمروا فيما بينهم على وضع تلك النظم والقوانين ، ليخدعوا بها الجمهور . ويذللوا لهم الفقراء " (٣).

فالدين عند هؤلاء الماديين العصريين نقيض للعلم كما صرح بذلك سيناتين في تصريحه السابق .. فهما ضدان لا يجتمعان لماذا ؟

لانهم قصروا الكون على المحسوسات وانكروا ما وراء الطبيعه جمله وتفصيلا

فلا روح ، ولا خلود

ولا الملائكه ولا الشيطان

ولا الغيب ولا الجنه ولا النار

بل ان هذا الوجود لا يحتاج الى خالق ...

وتصوروا الدين على الشكل الذي يرون عليه بعض المتدينيين من الخلط والخبط والبعد عن التصور الصحيح للدين .

---

(١) Voltaire, Essai Sur Les Moeurs p.1[illegible]

(٢) روسو جان جاك (١٧١٢-١٧٧٨ م) فيلسوف فرنسي مشهور له عده مؤلفات منها موسيقته . راجع الموسوعه العربيه الميسره ص٨٩٤ .

(٣) Rousseau, Discours Sur L'origine Et Le Fondement De L'ingalité parmi Les Hommes

راجع كتاب الدين ـ د . محمد عبدالله دراز ص٨١

ولماذا لم يحكموا بتضاد هذين العاملين : العلم والدين ويسعون في ازالة الثاني من العالم ..

ولكنهم لو انصفوا كما انصف في هذا العصر اكابرهم ووقفوا على ما فتح الله به على العالم العصرى من الحجج المهائلة في اثبات عالم ما وراء المادة. (١)

ثم لو نظروا للدين في اصله ومنبوعه وعلاقته بالروح الانسانية نظر الحكيم المتبصر لعلموا انهم كانوا في احكامهم الاولى غلاة مفرطين ولأصبحوا من أعز ابناء الدين كما اصبح اليوم كذلك اكابر علماء المادة .. الذين صرحوا الى ضرورة التدين لأن الانسان لا يستغنى عن الدين الفطرى مهما تغيرت به الظروف المعيشية .. واليك بعضا من تصريحاتهم في فطرية التدين:

فطرية التدين

انه لم ينقض القرن الثامن عشر نفسه حتى ظهر خطأ هذه المزاعم حيث كثرت الرحلات الى خارج اوربا واكتشفت العوائد والعقائد والاساطير المختلفة وتبين من مقارنتها ان فكرة التدين فكرة شائعة لم تخل عنها امة من الأمم في القديم والحديث ، رغم تفاوتهم في مدارج الرقي ودركات البهيمية .. وهكذا ظهر ان التدين اقدم في المجتمعات من كل حضارة الحادية . كما ظهر

---

(١) يراجع عرضا دائرة معارف القرن العشرين ج ٤ ص ١٠٧ (مادة دين) تأليف فريد وجدى .

ان الالحاد لم يكن معروفا الا عند عدد قليل جدا • ولم يحدثنا التاريـــــخ عن شعب أو دولة — فى فترة من فترات التاريخ — قد اعتنقت المذهــــــب الالحادى فقط الا كان فى هذا العصر الحديث المنحرف الخاطئ الماركســـي الالحادي (١) وذلك ان الانسان اذا ترك وفطرته فلابد أن يتساءل عن الاسئلة التالية :

من يدبر هذا العالم الضخم ؟

ما الانسان ؟

ما هذه الحياه ؟

ما المــــــوت ؟

ماذا بعد الموت ؟

ان هذه الاسئلة ، فلا بد ان تاتى على انسان فى اوقات السكون والهدوء .. يقول معجم (لاروس) القرن العشرين " ان الغريزه الدينيه مشتركه بيـــن الاجناس البشريه حتى اشدها همجيه واقربها الى الحياه الحيوانيه • وان الاهتمام بالمعنى الالهى وبما فوق الطبيعه ، احدى النزعات العالميه الخالده للانسانيه •"

ويضيف : ان هذه الغريزه الدينيه لا تختفى بل لا تضعف ولا تذبل الا فى فترات الاسراف فى الحضاره وعند عدد قليل مــــــــن الافـــراد • (٢).

---

(١) الدين — دكتور محمد عبدالله دراز ص ٨٠

(٢) La Resusse Du X[illegible]me Siecle, Article Religion.

وأما الباحث هنري برجسون يزيد على ذلك بقوله :

" لقد وجدت وتوجد جماعات انسانيه من غير علوم وفنون وفلسفات ولكنه لم توجد قط جماعه بغير ديانه " (١)

ويصرح (بارتيلي سانت هيلير) بقوله :

" هذا اللغز العظيم الذى يستحث عقولنا : ما العالم ؟ ما الانسان ؟ ما الحياه ؟ ما الموت ؟ ما القانون الذى يجب ان يقود عقولنا فى اثناء عبورنا فى هذه الحياه ؟ اى مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياه ؟ هل يوجد شئ بعد هذه الحياه العابره ؟ وما علاقتنا بهذا الخلود ..؟

هذا العالم وهذا الانسان ؟ من اين جاءا ؟ من صنعهما ؟ من يدبرهما ، ما هدفهما كيف بدءا ؟..

هذه الاسئله .. لا توجد أمه ، ولا شعب ولا مجتمع ، الا وضع لها حلولا جيده او رديئه مقبوله او سخيفه ، ثابته او متحوله .. " (٢)

ويقول شاشاوان : " مهما يكن تقدمنا العجيب فى العصر الحاضر .. علميا ، وصناعيا ، واقتصاديا ، واجتماعيا ، مهما يكن اندفاعنا فى هذه الحركه العظيمه للحياه العمليه ، وللجهاد والتنافس فى سبيل معيشتنا

Henri Bergson. Les Deux Sources (1)
De La Morle Et De La Religion p.105
B.S.T. Hilaire, Mahomet et LE CORAN (2)
P. XXXIV.

ومعيشه ذويها ، فان عقلنا في اوقات السكون والهدوء (عظاما كنا او متواضعين خيارا كنا ام اشرارا ، يعود الى التأمل في هذه المسائل الأزليه : لم وكيف كان وجودنا ووجود هذا العالم ؟ والى التفكير في العلل الاولى او الثانيه وفي حقوقنا وواجباتنا " (١).

يقول الدكتور (ماكس نوردو) عن الشعور الديني : " هذا الاحساس أصيل يجده الانسان غير المتمدن ، كما يجده اعلى الناس تفكيرا ، واعظمهم حدسا .. وستبقى الديانات ما بقيت الانسانيه ، وستتطور بتطورها وستتجاوب دائما مع درجه الثقافه العقليه التي تبلغها الجماعه " (٢).

يقول سالمون ريناك : " ليس امام الديانات مستقبل غير محدود فحسب بل لنا أن نكون على يقين من انه سيبقى شيء منها ابدا ، ذلك لانه سيبقى في الكون دائما اسرار ومجاهيل ، ولأن العلم لن يحقق ابدا مهمته على وجه الكمال " (٣).

و يقول ارنست رينان (Renan) في تاريخ الاديان :

" ان من الممكن ان يضمحل كل شيء نحبه وان تبطل حريه استعمال العقل والعلم والصناعه .. ولكن يستحيل ان ينمحي التدين .. بل سيبقى

- Chachoin, Evolution Des Ideés Religieuses p. 158 (١)
- Max Nordau, Reponse au Mercure De France paris 1908. (٢)
- Salomon Reinach, orpheus, p. 35-6 (٣)

وقال : ﴿ وان من أمة الا خـلا فيها نذير ﴾ (١)

وقال : ﴿ ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبـــوا الطاغـوت ﴾ (٢)

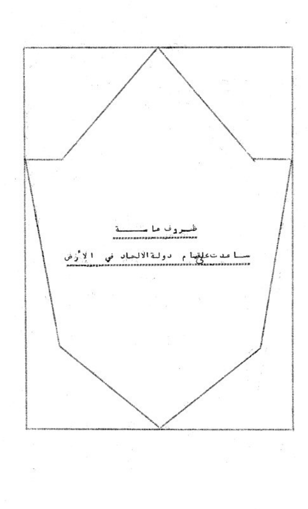
هذه هي تقارير العلماء ، وهذه هي النصوص القرآنيه تتفقان على ان الالحاد شيء أصيل في الفطره الانسانيه ٠٠٠ فقد آن الاوان ان نسمع الى شـــهاده التاريخ ٠٠٠ ابتداء من الحضاره الاغريقيـه وانتهاء بالجاهليـه الحريبـــه نسمع ذلك لنصل الى نتيجـه واحده ، وهي : ان الالحاد الحديـــث لا مثيل له في التاريخ الانساني العام ٠٠

ان الالحاد فيما عبر من الزمان ، كان مزاجـا شخصيا ولكن هؤلاء الملاحـده المعاصرين جعلوا العلم سندا للالحـاد وأقاموا لـه دولـــه بل دولا تحميـه بالحديد والنار ، وليست روسيا الشيوعـيه الا نموذجـــا من هذه الدول الالحاديه ٠

---

(١) سوره فاطر : ايه : ٣٥

(٢) سوره النحل : ايه : ١٦



ظروف عامة

ساعدت على قيام دولة الإلحاد في الأرض

اول ملحد يعرفه التاريخ فى العهد اليونانى

رأينا فى الصفحات الماضيه ان التدين هو لعموم جميع الأمم . ولكن لا يعنى ذلك عمومه لكل افرادها ، فانه لا يخلو امة من وجود اناس يحسبون الحياه لهوا ولعبا ويتخذون الدين وهما وخرافه ، لكن هؤلاء دائما كما قلنا — هم الأقلون فى كل أمة . وحتى فى عصور اليونان المتسمه بالحركات العلميه الواسعه والفلسفات المطلقه الحره التى فى حريتها لم تعرف الحدود كان القول بانكار وجود الله تعالى ، لا يكاد يسمع له صوت بين الفلاسفه والمفكرين ورجال السياسه والحكم . (١)

من هؤلاء الذاهلين يذكر لنا التاريخ الفيلسوف اليونانى "ديمقريطس" (٢)

---

(١) كيف نحارب الالحاد ، محمد باشميل ص٦ الطبعه الاولى .

(٢) ترجمه (ديمقريطس) تقول الموسوعه العربيه الميسره ص ٨٣٧ ان ديمقريطس ٣٦٠ — ٢٧٠ قبل الميلاد ، فيلسوف يونانى يرى العالم مؤلفا من ذرات متجانسه فى طبيعتها ، لكنها مختلفه حجما وشكلا وثقلا ، ولا تدرك بالحواس ولا تنقسم . ولا تفنى . وتتحرك دائما ، فتلتصق بعضها بعضا وتتكون الاجسام . وقد تدرك الحواس اختلافات فى الكيف بين الاشياء . لكن "كيف" الاشياء كلها متجانس ، واختلافها راجع الى فروق كميه ناشئه عن توزع الذرات التى تتألف منها . ولهذا فلا يركن الى الحواس فى ادراك حقائق الاشياء . بل يركن الى العقل وغايه الحياه عنده هى السعاده ، متحققه بالسكينه النفسيه ".

المعروف بصاحب المذهب الذرى ، وان كان قد سبقه فى تأسيس النظريه الذريه استاذه (لوسيبس) الا انها كثيرا ما تنسب اليه.

ان هذا الفيلسوف كان ممن تبنى مذاهب الالحاد وانكر وجود الخالق سبحانه ومن شيعته الفيلسوف اليونانى " فيلوخوس " (١) الا انه اشهر من (ديمقريطس) . واليك مجمل ارائه فى انكار وجود الخالق :

يقول : " ان الكون يتالف من عدد لا يتناهى من الذرات (Atomes) وهى متشابهه متجانسه ازليه ابديه ، متحركه بذاتها ، فى فراغ ، ومن حركتها واختلاطها تكونت الاشياء ، وتكون العالم باسره .

اما اختلاف صفات الاشياء فناتج عن اختلاف تلاقى هذه الذرات وتآلفها واوضاعها فى الجسم ، واختلاف الناظر اليها ، والحجه على انها ازليه أبديه متحركه ، هى ان الوجود لا ينشأ من اللاوجود ، كما ان الوجود لا يصير الى اللاوجود ، ولولا وجودها فى فراغ لا متنعت عليها الحركه ، وقد انتهى الى القول : ان فى الكون حقائق اوليه ثلاثا وهى : الذرات والفراغ والحركه (Les Atomes, Le Vide, Le Mouvement). (٢)

" وقد زعم هذا الفيلسوف بكل وقاحه ، ان ما فى هذا الكون من بدائع الصنع وروائع التجهيز والتركيب فى الانسان والحيوان والنبات ليس من صنع الله تعالى وانما هو نتيجه الحركه الذاتيه المطبوعه فى الماده والتى لا أول لها ". (٣)

---

(١) الملل والنحل شهرستانى ج ٢ ص ١٥٩ سنه ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م

(٢) راجع كتاب قصه الأيمان بين الفلسفه والعلم والقرآن نديم الجسر مفتى طرابلس ص ٣٥

(٣) راجع كيف نحارب الالحاد ، محمد احمد باشميل ص ٦

وقد يقول ارباب النظره المتسارعه ، ان المذهب الذرى ليس فيـــه الحاد ، وانما هو بيان لكيفيه الخلق ، قد يكون هذا من الله كما يقول المؤمنون ، وقد يكــون ايضا من الماده كما يزعم بذلك الملاحـده .

فنحن نبادر هؤلاء فنقول : ان موضع الالحاد فى قول هذا الملحد الاول الا غريــقى ، لا يمكن فى تصريحـه بان الكون مؤلف من ذرات متجانسه تتلاحم حسب هذا التجانس بل فى قوله : " ان الحركه المطبوعه فى الماده هـى الخالقه الصانعـه المدبره " ان هذا بلا شـك الحاد كما حققنا ذلك فى مبحث التعريف اللغــوى لكلمه الالحاد .

هذا ما يؤكده الشهرستانى بقوله : " وانما شنع عليه الحكماء من جهـه قوله : " ان اول مبدع هو العناصر ، وبعدها ابدعت البسائط الروحانيـــه فهو يرتقى من الاسفل الى الاعلى ، ومن الاكدر الى الاصفى " (١) .

هكذا وصلنا الى النتائج التاليه :

(١)ـ ان هذا الفيلسوف هو الملحد الاول فى التاريخ اليونانـى ، الذى استطاع ان يخرج الفكره الالحاديه من دائره المـوج الفكرى حتـــى صار علما يدرس .

(٢)ـ فكان هذا هو النواه الاولى للفكر الالحادى الذى قام على انكار وجود الله تعالى .

---

(١) الملل والنحل ــ الشهرستانى ج ٢ ص ١٥٩

فما أحسن ما قاله الاستاذ محمد احمد باشميل في ذلك :

" وكان على رأس هؤلاء الملحدين الفيلسوف اليوناني (ديمقريطس) صاحب المذهب الذري ... وهذا المذهب الذرى (الديمقريطسي) الموغل فـــي القدم هو اساس المذهب الشيوعي وكل مذهب الحادي يقوم على انكـــــــار الخالق سبحانه وتعالى " (١)

(٣) ان الالحاد الاحمر الحديث لا مثيل له في التاريخ الانساني ، لأن المذهب الديمقريطسي لم يكتب له البقاء حيث تصدى له فلاسفـــــــه يونانيون اخرون منهم (اناكساغورس) فقد رأى ديمقريطس في الضـــروره العمياء وسفهها وقال : ان هذا النظام المحكم لا يمكن ان يصدر الا عن عقل حكيم ".

أول من فتح باب الفلسفه الروحيه في اليونان

(٧١)

ولذا عد " (اناكساغورس) اول من فتح باب الفلسفه الروحيه ، وأتـــى برأى يحوم حول الحــق ، وهذا ما جعل ارسطـو يقول عنه انه أى (اناكساغورس) هـــو الوحيد الذى احتفظ برشده امام هذيــــــــان أسلافه . (٢)

---

(١) كيف نحارب الالحاد – محمد احمد باشميل ص٦

(٢) قصه الايمان بين الفلسفه والعلم والقرآن – نديم الجسر مفتي طرابلس ص ٣٦ .

نقد المذهب الذرى الديمقريطسي

نود ، قبل ان ننتقل الى الصعيد الروحانى ، أن نقف وقفه خفيفه عند قول الفيلسوف : " ان الطبيعه هى الخالقه المدبره ".

نقول هل يستطيع هذا الملحد ان يثبت بالمذهب الذرى ان الله غير موجود ، الجواب لا ، اذن نقول ايضا هل هذا الكون موجود ؟ فلا بد ان يقول نعم !! لانه اثبت وجوده منذ ان كان ذرات متناثره حتى اصبح كتله متآلفه .

نقول مره اخرى : اذا سلمنا بان هذا الكون موجود فكيف نفسر وجوده؟

فلا بد لهذا الفيلسوف واشياعه ان يقفوا امام اربعه احتمالات :

أولا :ـ اما ان يكون هذا الكون مجرد وهم وخيال ، وهذا يتعارض مع ما اثبته الفيلسوف نفسه لانه اثبت وجود ذرات متجانسه ..

اذن فالكون ليس وهما بل هو موجود وجودا حقيقيا ..

ثانيا :ـ اما ان يكون هذا الكون قد نشأ من تلقاء نفسه من العدم ..

ثالثا :ـ اما ان يكون ابديا ازليا ليس لنشأته بدايه ..

ورابعا :ـ اما ان يكون له خالق ..

اما الاحتمال الاول فلا يقيم امامنا ايه مشكله لان من يكذب وجود هذا العالم يكذب ان يكون هو نفسه موجودا .(١)

---

(١) راجع الوجود الحق ، الدكتور حسن هويدى ص٨ ط : ١٣٩٨ــ١٩٧٨ بيروت

فقد نقد هذا القول الفيلسوف الفرنسي الشهير [1] بقوله : (انا افكر اذن انا موجود) (Je pense, Donc, je suis)

(72)

ولا يعرف في التاريخ من يقول بهذا القول الا افرادا منهم السفسطائيه فـــي القديم وأما في العصر الحديث ، يقول (فرانك آلن) [2] عالم الطبيعـه البيولوجيه أن " سير جيمس جينز " [3] العالم الطبيعي " يرى ان هذا الكون ليس له وجود فعلي ، وانه مجرد صوره في اذهاننا " .

ولا نرد على هذا الهذيان اكثر من ان نقول : اننا نعيش في عالـــم من الاوهام .

فمثلا هذه القطارات التي نركبها ونلمسها ليست الا خيالات . وبيننا ركاب وهميون . ونعبر انهارا لا وجود لها وتسير فوق جســور غـير ماديه .

نقول ان هذا الراى ، رأي وهمي ايضا لا يحتاج الى مناقشه او جدال .

---

(١) وهو ديكارت ١٥٩٦ ـــ ١٦٥٠ م واسمه رني ديكارت ، ولد بلاهي من اعمال مقاطعه " تورن " بفرنسا ، المشهور بالفلسفه ثم غادرها فنال الاجازه في القانون .
راجع تاريخ الفلسفه الحديثه ، ليوسف كرم ص ٥٦

(٢) فرانك الن عالم الطبيعه البيولوجيه اخذ الماجستير والدكتوراه من جامعه (كورنل) استاذ الطبيعه الحيويه بجامعه (مانيتوبا بكندا) من سنه ١٩٠٤ الى سنه ١٩٤٤ .. الخ
راجع الله يتجلى في عصر العلم ص ٥

(٣) سير جيمس جينز العالم الطبيعي هو انكليزي ١٨٧٧ ـــ ١٩٤٦ .
راجع الموسوعه العربيه الميسره ص ٦٨٣ .

وأما الرأى الثانى : هو القائل : ان هذا العالم بما فيه من ماده وطاقـه قد نشأ هكذا وحده من العدم ، فهو رأى من المضحكات المبكيات ، فـلا يقل عن سابقه سخفا وحماقـه ، ولا يستحق هو ايضا ان يكون موضعا للنظر فى الأوساط العلميه • ومع ذلك سنوضح نقطه السخافه فيه حينما نتكلـم عن الصدفه العمياء ••

وأما الرأى الثالث : هو الذى ينادى بوجود خالق لهذا الكون ، ويتمثل فى عنصر واحد هو الأزليه •••

اذن نحن نسأل الفيلسوف اليونانى (ديمقريطس) : الى من ننسب صفـه " الأزليـه " ؟

الى عالم الميت ؟ أو ننسبها الى اله حى يخلق ما يشاء ؟

ولكن لو أردنا ان ناخذ بالرأى الاول ، اى ان الذرات الصماء هى التـى تستحق صفه الازليه اكثر من اله مدبر ، يقف امامنا العلم الحديث الذى يحبذونه وهو يقول :

(72)

" ان قوانين الديناميكا الحراريه تدل على ان مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجيا وانها سائره حتما الى يوم تصير فيه جميع الاجسام تحت درجـه من الحراره بالغه الانخفاض هى الصفر المطلق ، يومئذ تنعدم الطاقه وتستحيل الحياه ••

" ولا مناص من حدوث هذه الحاله من انعـدام الطاقـات عندمـا تصـل درجـه حـراره الاجسـام الـى الصفـر المطلـق

بمضى الوقت ... » (١) أما الشمس المستعرة والنجوم المتوهجة والأرض الغنية بأنواع الحياة ، فكلها دليل واضح على ان اصل الكون أو أساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة ، فهو إذا حدث من الاحداث . ومعنى ذلك أنه لا بد لاصل الكون من خالق ازلى ليس له بداية عليم محيط بكل شيء قوى ليس لقدرته حدود ولا بد ان يكون هذا الكون من صنع يديه ".

فعلى هذا التقرير العلمي الحديث ندرك ان المادة ليست ابدية ، ومعنى ذلك ايضا انها ليست ازلية .

كما ندرك ايضا ان ديمقريطس لا عيب فيه الا أن آياته تقدمت على هذه العلوم الحديثة التي تنص بصفة قاطعة على ان بداية المادة لم تكن بطيئة أو تدريجية ـ كما يدعيه المذهب الذرى الديمقريطسى بل وجدت بصورة فجائية .

فلندع " ايرفنج وليام " ليرد على سلفه فهو يقول :

" فعلم الفلك مثلا يشير الى ان لهذا الكون بداية قديمة ، وان الكون يسير الى نهاية محتومة وليس مما يتفق مع العلم ان نعتقد بان هذا الكون ازلى ليس له بداية ، او ابدى ليس له نهاية ، فهو قائم على أساس التغيير ... » (٢)

---

(١) راجع كتاب الله يتجلى في عصر العلم ، تأليف نخبة من العلماء الامريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض ، اشراف (جون كلوفرمونسما) ترجمة الدكتور الدمرداش عبد المجيد سرحان ص٦ مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع ١٤ شارع جواد حسنى القاهرة .
(٢) المرجع السابق ص :

هذا كلام هؤلاء على كفرهم — ردوا على اسلافهم — اذ الايمان بالله له متطلبات لم يقم بها هؤلاء لشيء الا ان علمهم بقوانين الكون اوصلهم الى هذه الحقائق الخالده والنائمه فى كل فطره .

فهذا عالم طبيعى اخر وفيلسوف يرد على هذا المذهب الديمقريطسى ايضا ان هذا العالم هو (ستانلى كونجدن)(1).

يقول : " والنظريات الماديه التى قدمها " ديمقريطس " وكذلك النظريات المثاليه الصرف التى تفسر هذا الكون تفسيرا معنويا خالصا مما قدمه (ايتز) و (بيركلى) و (هيجل) ، نقول : ان هذه النظريات الالحاديه جميعا لا تعدو ان تكون مجرد افتراضات تقوم على التخمين ولا تستند الى اى اساس من الحقيقه التجريبيه ... ولا بد لأى فلسفه تحاول ان تفسر الطبيعه والكون من ان تختبر اولا لمعرفه مدى قدرتها على تفسير سائر انواع الحقائق والعوامل والعناصر التى يتألف منها هذا الكون او تظهر فيه " .

وأضاف (هولمهوتز) (Helmhotez) فى احدى محاضراته التى القاها عام ١٨٦٩ م والتى أمست مشهوره :

" ان الهدف النهائى للعلم (الطبيعيه تتمثل فى اكتشاف الحركات — (Motion) التى تكمن وراء كل تغيير والقوى الدافعه فيها "(2).

وقال ايضا : " اذن فان النظريه الذريه (الديمقريطيسيه) هى اسطوره وليست بتجربه "(3).

---

(1) الله يتجلى فى عصر العلم ص ١٨
(2) تدهور الحضاره الغربيه تاليف اسوالد اشبنغلر ص ٣٠ جـ ١
(3) المرجع السابق جـ ٢ ص ١٤٧

ومن قبل قد ناقشهم القرآن الكريم مناقشه هادئه • ليس للملاحده الا سمعه الا أن يسلم ويتوب الى الله تعالى •• ولكن الملاحده لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها وهم أضل من حمار أهلهم ••

يقول تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أو هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض ﴾

ان هذا الكلام ليس وراءه شر للملاحده لانهم اثبتوا ان اصلهم من الذرات المتحركه ••

نسأل لهم هل للذرات عقل ؟ فيقولون لا !

نقول كيف يخلق غير العاقل شيئا يعقل ويفكر ويتأمل الاعاجيب ؟

اذا لم يكن لديهم جواب ننتقل الى الخطوه الاخيره وهي :

هل انتم العقلاء الذين خلقتم هذا العالم فيقولون لا !

نقول اذن من الذى خلقكم وما تعلمون ؟

اذا سكتوا نقول لهم : ذلكم الله ربكم ﴿ فالق الحب والنوى ﴾

وبهذا وذاك يفقد المذهب الذرى وزنه المستعار ويرجع (يقصد او يفهم تصد الى وزنه الطبيعى ... بكل صراحه وصرامه ــ ان المذهب الذرى الذى اتخذه اللاحقون من الملاحده ويعتمد عليه المتأخرون منهم : لا أســاس

---

(١) سوره الطور : آيه : ٣٥ ــ ٣٦

له من الصحه • لان الفطره السليمه [1] تكذبه والعلم الحديث يكذبه وقد كذبه القرآن الكريم من قبل • وقبل الحمد لله رب العالمين •

(عود لبدء) وقبل هذه المناقشه كنا نتحدث عن الالحاد الحديث من حيث كونه فريدا في اتجاهاته وقد رأينا في العهد اليوناني ان صيت الالحاد كاد أن يكون مفقودا لولا هذا الفيلسوف (ديمقريطس) •

والان نود ان ننتقل الى العهد الروماني لنرى ايضا كيف كانت هنـاك قيمه الالحاد والملحدين • اكانت لهم دوله ام كانوا افرادا منحرفين ، هل كتب لهم البقاء على الحادهم ، ام تصدى لهم فلاسفه آخرون فأهالوا التراب على مذهبهم السخيف ؟

وفي الصفحات الاتيه نحاول الاجابه عن هذه الاسئلـه ان شاء الله تعالى •••

---

(١) كما كذبهم امثال سقراط وافلاطون وارسطو وغيرهم : فهؤلاء هم اشهر فلاسفه اليونان وان كانوا قد خلطوا اصول القول بقدم العالم وتخطى الحدود في الحديث عن كنه البارى سبحانه غير انهم دافعوا دفاعا مجيدا عن فكره وجود البارى سبحانه حتى قضوا على المذهب الذرى •

العهد الرومانـــــــى

وأما العهد الرومانى ـ كما تفيدنا المعطيات التاريخيه الموثوق بها (١) ـ ان صوت الالحاد كان مختفيا داخله عهد الفلسفه اليونانيه ولم يكتب لهذا المذهب السخيف الظهور الا فى العهد الرومانى على يد الفيلسوف الرومانى (لوقريطس) الذى حاول فى اوائل القرن الاخير قبل الميلاد ، احياء هذا المذهب النزق السخيف ، فكان يردد مزاعم ديموقريطس .

ومن مزاعمه التى سجلها عليه التاريخ مايلى :

" ان الروح والعقل وكل ما فى الكون انما هو نتاج مادى بحت . وعلى هذا الاساس انكر ان يكون هناك خالق " .

ثم ان هذا المذهب لم يكتب له البقاء بحيث تعرض لمقاومه عنيفه من قبـــل الفلاسفه الذين كانوا يدينون بالفلسفه الافلاطونيه ، قاوموه حتى انقطع صوته وانتصر الحق .

وهكذا راينا ان الالحاد لم يكن له سند فى العهد الرومانى يستنـــد عليه ، ولم يكن له انصار ينصرونه وما كان منتصرا .

---

(١) كيف نحارب الالحاد ـ محمد احمد باشميل ص٨

الملل والنحل لشهرستان جـ ٢ص١٦٠

العهد الجاهـــلي

اختلفت آراء الباحثين الاسلاميين في وجود ملحدين في العهد الجاهلي الى رأيين اساسيين : رأي ينفي ، ورأي يثبت .

أولا : الرأى النافي :

ان الباحث محمد احمد باشميل يرى في كتابه (كيف نحارب الالحاد) ان الالحاد لم يكن له صوت في جميع عصور الجاهليه العربيه .

يؤكد قوله هذا بان الالحاد لم يوجد قط في جميع عصور الجاهليه الوثنيه بين مختلف الأمم ابتداء من ايام نبي الله نوح عليه السلام الى ايام الجاهليه العربيه .. (١)

هكذا ذكر بدون ان يستدل بآيه اوحديث اوغيرهما ..

ثانيا : الرأى المثبت :

ان القائلين بوجود ملاحد وزنادقـه في العهد الجاهلي كثيرون نختار منهم ثلاثـه علماء لشهرتهم في الاوساط العلميه :

أ ـ الشيخ الشهرستاني (٢) : انه من القائلين بوجود ملحدين في العهد الجاهلي فهو صرح بالكلمات التاليه :

" فصنف منهم (العرب) انكروا الخالق والبعث والاعاده وقالوا بالطبع المحي والدهر المفني وهم الذين اخبر عنهم القرآن المجيد :

﴿ وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ﴾

---

(١) كيف نحارب الالحاد ، محمد احمد باشميل ص٨

اشاره الى الطبائع المحسوسه فى العالم السفلى ، وقصرا للحياه والموت على تركيبها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر : ﴿ وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون ﴾ (١)

ان هذا التقرير الواضح الذى لا يحتاج الى اى تعليق ، يشير الى ان العرب كان منهم منكرون وجاحدون ..

ب ـ أبو حامد الغزالى : انه كذلك يثبت وجود منكرين فى الجاهليه العربيه فهو يقول فى كتابه " المنقذ من الضلال " مايلى :

" .. منهم من جحد الصانع المدبر العالم القدير ، وزعموا : ان العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه ، وبلا صانع ، ولم يزل الحيوان من النطفه ، والنطفه من الحيوان كذلك كان ، وكذلك يكون أبدا .. وهؤلاء هم الزنادقه " (٢) .

جـ ـ الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر المرحوم ، انه اثبت بشكل واضح ان هناك فى الجاهليه العربيه من كان ينكر وجود الله سبحانه وتعالى كما وجد فيهم من تزندق .. ويرى ان ذلك مستورد من الحيره الى قريش ، نقل ذلك عن ابن قتيبه من كتاب المعارف .. ويضيف أيضا :

" والحق ان جزيره العرب لم تكن ـ كما يظن عاده ـ بمنأى عن التفكير الدينى القوى انكارا وجحودا او اثباتا وتأييدا " (٣) .

---

(١) الملل والنحل الشهرستانى جـ ٣ ص

(٢) المنقذ من الضلال ، ابو حامد الغزالى ص ١٥ مكتبه الحرم المكى تحت الرقم ٩٨١

(٣) التفكير الفلسفى فى الاسلام د. عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ص ٦٤ .

وهكذا رأينا ان العهد الجاهلي قد وجد فيهم من ينكر الصانع ولكنهم كانوا دائما قليلين .

والذي ينبغي ان يقال هو : ان الالحاد لم تكن له دولة في العهود الوثنية ولم يكن هناك " علماء " يدافعون عنه ويجعلون له سندا علميا كما هو الحاصل في الالحاد الحديث ، ولكننا اذا نفينا ذلك بتاتا نتعارض مع المعطيات التاريخية الثمينة ...

اذن فالذي يصار اليه من الرأيين هو الرأي المثبت لظهور أدلة مؤيده .. والله أعلم .

في عهد الكنيسة

وفي ظل سلطان الكنيسة في اوربا ظل صوت الالحاد منقطعا انقطاعا كاملا حيث كان البطش شديدا بالعلماء الذين ليسوا ملحدين ، وانما ظن الرهبان ان في اقوالهم ما ينزع الى الالحاد او يجر الى الكفر كالعالم الايطالي (غاليلو) واضرابه ... الامر الذى جعل الجهر بالالحاد وانكار الخالق سبحانه وتعالى مستحيلا طيلة عهود الكنيسة .

يقول برنتن :

" لم يكن بوسع الكثيرين من افراد المجتمع الغربي ان يصرحوا صراحة وجهارا بالالحاد او اللادرية او بمذهب الاتصال بالله او بأية عقيدة اخرى غير المسيحية الا خلال القرون القلائل الاخيرة وقد كان الكفار الذين يجاهرون بكفرهم قلة نادرة في الالف سنة التي استغرقتها القرون الوسطى . ولما كان الناس جميعا مسيحيين فلم يكن هناك مفر من ان تكون المسيحية هي كل شيء لكل الناس ، فلقد كان القديس فرانسيس وارازمس ولويولا وميكافيلي وباسكال وورزلي ونابليون وغلادستون وجون روكفلر جميعا مسيحيين " (١) .

والامر كما قال برنتن ، ان شدة البطش على العلماء من قبل الكنيسة لا يعني ذلك انه ليس هناك ملحدين بالالحاد ، فالذي لا جدال فيه هو ان هناك افرادا من الفلاسفة والمفكرين (في اوربا) كانوا يعتنقون الالحاد مذهبا لهم فوضعوا له القواعد والأسس .

---

(١) يراجع كتاب افكار ورجال من تاليف برنتن ص ٢٠٧ .

بل ارادوا احياء المذهب الذرى الديمقريطسي الذي اختفى منذ عهد طويل .

الا انهم كانوا يكتمون (تكتما شديدا على نزعاتهم الالحاديه فصاروا لا يفصحون عن مذاهبهم الالحاديه الا شيئا فشيئا وتمشيا مع تقلص سلطانه الكنيسه الزمنيه في أوربا .

وقد حفظ لنا التاريخ اسماء هؤلاء الفلاسفه الملاحده الذين قالوا ان الحادهم قائم على اصول علميه كأمثال :

(80) (79)

الفيلسوفين : (بخنر وهيغل) فى المانيا

والفيلسوفين : (هيدسون تتل وتوماس هكسلى) فى أنكلترا

والفيلسوفين : (لامارك ولتريه) فى فرنسا

الا ان اراء هؤلاء الفلاسفه الملاحده ـ كما قلنا ـ ظلت اراء فرديه لم يشغل نفسه بها الا المرضى الذين تعطلت فيهم اجهزه الإستقبال الفطرى .

وهكذا كانت الافكار الالحاديه (مجرد فكره) فى اذهان هؤلاء الافراد ولم تصل ابدا الى مستوى الشعب او مستوى الحكومه واستمرت الحال كذلك حتى وقعت الطامه الكبرى ، القاصمه التى تم بها الفصل بين الدين والدنيا .. بين السياسه والعقيده او بين الكنيسه والمجتمع وانقطع ـ نهائيا ـ ما بين التصور الاعتقادى والنظام الاجتماعى على يد كارل ماركس اليهودى .

أوربا الماديـــه

فاصبح الناس فى اوربا بهذا الفصل النكد يعبدون المادة لا النصرانيه ... من ... النفسيه الاوربيه ... الاوربيه ... كتب ... بل ومن كتب ايضا •

فاصبحت كنائس هذا " الدين الجديد " المصانع الضخمـــه ودور السينما والمختبرات الكيماويه ودور الرقص ومراكز توليد الكهرباء • واما كهنتها فهم رؤساء المصارف والمهندسون والممثلات وكواكب السينما واقطاب ... والصناعه والطيران •

وصارت هذه الحضاره لا يوجد فى نظامها ... موضع لله ، ولا ... له فائده ولا تشعر بحاجه اليه •

وهذه هى شهاده احد كبار المعلمين فى " لندن " وكتاب الانجليز البارزين • هو الاستاذ جود (Jod) رئيس قسم الفلسفه وعلم النفس فى جامعه لندن فى كتابه (1) Guide to Modern Wickedness

يقول : " سألت عشرين طالبا وتلميذه كلهم فى اوائل العقد الثانى من اعمارهم كم منهم مسيحى بأى معنى من معانى الكلمه فلم يجب بـ " نعم " إلا ثلاثه فقط •

قال سبعه منهم : انهم لم يفكروا فى هذه المسأله ابدا • اما العشره الباقيه فقد صرحوا انهم معادون للكنيسه " •

---

(1) راجع كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، لابى الحسن الندوى •

وبهذا نصل الى النتائج التالهه :

(١) رأينا العهد اليونانى والرومانى والعهد الجاهلى والكنسى كان صوت الالحاد هناك لا يكاد يسمع أبدا ان دل هذا على شىء فانما يدل على ان الالحاد الذى حصل فى اوربا الحديثه الحاد فريد فى نوعه .

(٢) ان اوربا كانت يوما صاحبه الديانه لها نفوذ وقوه ومنعه نكيف تحول الناس من هذه الديانه الى اعتناق المذهب الالحادى ؟ وقامت القيامه ضد هذه الديانه ؟ فارتفعت الصيحات هنا وهناك تقول :

" اشنقوا آخر ملك .. بامعاء آخر قسيس "

وتقول :

دعه يمر ! (Laissez passer)

دعه يعمل ! (Laissez Faire)

وهذا العجب الذى جعلنى أخترت ان يكون موضوع الباب الاول كالتالى :

" لماذا ألحد الناس فى اوربا الحديثه ؟ "

والصفحات الاتيه تعتبر اجابه عن هذا السؤال ، والله الموفق ، وبالاجابه جدير ، والصلاه على النبى الكريم .

حواشي وتعريفات

(1) الطبري ابو جعفر محمد ابن جرير (٨٢٩ - ٩٢٣) مؤرخ ومفسر وفقيه ولد في طبرستان ثم اقبل على الدرس وحفظ القرآن صغيرا .. وزار عددا من البلدان الاسلامية طلبا للعلم منها : سوريا ومصر وبغداد والبصرة والكوفة .. وكان على مذهب الشافعي وعارض الحنابلة .. وحاول ان يكون له مذهب خاص .. وهو (الجريرية) واشهر كتبه : تفسيره (جامع البيان في تفسير القرآن) (وتاريخ الرسل والملوك)

(2) عبدالله بن عمر (٦١٢ - ٦٩٢) اكبر ابناء عمر بن الخطاب .. شقيق حفصة ولد في مكة قبل الهجرة بسنتين اسلم مع والده اشترك في معظم الغزوات الا بدرا لصغر سنه .. عاون الخلفاء الاربعة في السلم والحرب .. وله سمة العالم باخبار النبي صلى الله عليه وسلم وعاش طويلا .. عرف بالصلاح والزهد والتقوى .

(3) الشحيح : هو البخيل مع الحرص لسان ج ٢ ص ٤٩٥

(4) الازهري خالد بن عبدالله (١٤٢٤-١٤٩٩) نحوي ولد بجرجا بمصر وما ت بجوار القاهرة التي نشأ بها .. درس بالازهر واشتغل بالتعليم ببعض المساجد شرح على الاجرومية وكتب كثيرة وتفسير اية

* فلا اقسم بمواقع النجوم *

(5) عبدالله بن الزبير (٦٢٣ -) قائد عربي اشترك في غزوة القسطنطينية التي جهزها معاوية ٦٧٠ .. ولما قتل الحسين ثار عبدالله في الحجاز .. ثم بويع له بالخلافة وولى الولاة .. ولما توفي يزيد ٨٤/٨٨٣ كانت له اكثر البلاد الاسلامية ما عدا الشام .. حاصره الحجاج بن يوسف الثقفي بمكة ستة اشهر ثم قتل وارسل الحجاج رأسه الى الخليفة (عبدالملك) .

(6) اللات احد اصنام العرب الكبرى ، يرمز للشمس له معبد بالطائف وصنم في الكعبة أبيد الصنم والمعبد بعد فتح مكة

(7) مناة صنم اسود كبير بين مكة والمدينة يرمز لالهة القضاء والهة الموت كانت الأوس والخزرج تعظمه و تنحر له الذبائح ؛ عدتها الجاهلية مع اللات والعزى بنات لله. أبيد بعد فتح مكة .

(8) العزى : اعظم اصنام قريش كانت تزوره و تنحر له الذبائح في مكة والطائف ثم كلف النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد بهدم معبده بعد فتح مكة . .

(9) صاحب المعجم الفلسفي .

(10) سبقت ترجمته في هامش صفحة ٢١

(11) نيوتن ، سير اسحاق (١٦٤٢ - ١٧٢٧) فيزيقي انجليزي عين استاذ بجامعة كمبريدج (١٦٦٩-١٧٠١) من اعظم علماء القرن ١٨ في الفيزيقا والرياضة . . خلد ذكره باكتشاف ناموس الجاذبية العامة و بتحليل النور اختير لمنصب رئيس الجمعية الملكية بانجلترا تقديرا لاعماله . .

(12) لا بلاس (١٧٤٩ - ١٨٢٧) من مشاهير علماء الفلك الفرنسيين صاحب الرأي السائد ان العالم تكون في بدئه كرة ضبابية انفجرت و صدرت منها الاجرام السماوية ومنها ارضنا .

(13) داروين تشارلس روبرت (١٨٠٩ - ١٨٨٢) عالم طبيعي انجليزي درس الطب برغبة ابيه ولكنه كان يفقد الميل نحو هذه المهنة وبدأ يدرس العلوم في كيمبردج . . قام برحلة بحرية مدة خمس سنوات على الباخرة (بيجل) حيث وصل الى فكرة التطور العضوي من اصل واحد وقال ان الانسان نهاية التطور الحيواني .

(14) باستور لوتفخ فريهوفون (١٨٥٤ - ١٩٢٨) مؤرخ الماني مؤلف الكتاب الضخم " تاريخ البابوات من ختام العصور الوسطى " ٣٤ مجلد : ١٨٩١-١٩٤٢ سمح له الفاتيكان الاطلاع على وثائق كانت مجهولة . .

(١٥) البيولوجيا : (علم الاحياء) علم الكائنات الحية ويقسم الى علمى النبات والحيوان ويتضمن على كل من هذين القسمين علوم الخلية والانسجة والتشريح والمرفولوجيا (علم التركيب) والفسيولوجيا (علم الوظائف) وعلم الاجنة وعلم البيئة وعلم الوراثة والتطور وعلم الاحافير وعلم التصنيف والميكرو- بيولوجيا : لفظ مستحدث يطلق على الدراسة العلمية للكائنات المجهرية التي تشمل البكتريا والطحالب وغير ذلك وتقدم ادراكه البيولوجي منذ الاغريق واخص بالذكر ارسطو حتى اختراع المجهر في القرن ١٦ فتقدم الى ابعد مدى .

(١٦) جود سيرل ادوين (١٨٩١ - ١٩٥٢) فيلسوف انجليزي عقلي المذهب حاضر وكتب باسلوب واضح فجعل الفلسفة في متناول غير ذي الاختصاص ..

(١٧) أوروبا : قارة (مساحتها مع الجزر المتاخمة ١٠٢٦٠٠٠٠ كم٢ وتعدادها ٥٥٠,٠٠٠,٠٠٠ نسمة) يفصلها عن اسيا جبال اورال ونهر اورال وبحر قزوين والقوقاز والبحر الاسود والبوسفور والدردنيل .. وعن افريقيا البحر المتوسط ومضيق جبل طارق ويحدها شمالا المحيط المتجمد الشمالي .. وغربا المحيط الاطلنطي ..

(١٨) انجلترا : مساحتها ١٣٠٠٨٠٠ كم٢ وسكانها ٤١,٤٧,٩٣٨ نسمة وكانت تسمى بريطانيا العظمى لكونها انذاك تتكون مع ويلز واسكتلندا وشمال ارلندا .. وحكومتها برلمانية .. وعاصمتها (لندن) وديانتها المسيحية .. وكانت انكلترا في القرن ١٩ تقود العالم في صادرات السلع المصنوعة .. وفيها ١١ جامعة اعظمها واقدمها جامعة اكسفورد وكمبردج ..

(١٩) جمهورية فرنسا : ٥٥٠٨٩٣ كم٢ و ٤٥,٨٤٠,٠٠٠ نسمة وتشمل ٨٩ قسما اداريا وعاصمتها (باريس) ويغلب على فرنسا الثقافة اللاتينية والدين الكاثوليكي .. ويرجع الفصل بين الكنيسة والدولة الى الصراع الذي دار ١٩٠٥-١٩٠٦م فأدى ذلك الى قيام الثورة الفرنسية الكبرى ١٧٨٩م

(20) العدسة : قطعة مستديرة من الزجاج ذات انحناء في احد سطحيها او في كليهما تحدث انكسارا للاشعة الضوئية الساقطة على احد وجهيها وتستخدم العدسات في الات التصوير الضوئي . .

(21) ابن سينا (٩٨٠ - ١٠٣٧) ولد في افشنة قرب بخارى وتوفي في همدان حساب وطبيب ومن كبار فلاسفة العرب واشهر مفكريهم تعمق في درس فلسفة ارسطو وتأثر ايضا بالافلاطونية الجديدة قائلا بوجود العقل الكلي الا ان اراءه في الخالق لا تخلو من شيء من الحلولية الافلاطونية . . من مؤلفاته المطبوعة : " القانون في الطب " و " الشفا " و " الاشارات والتنبيهات " و " كتاب النجاة " .

ولا يزال قسم من تآليفه مخطوطا في خزائن الكتب . وظلت كتبه الطبيعية عماد الدراسة في كليات الطب في اوربا قرونا عديدة " . . راجع شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٠٨

(22) الرازي ابوبكر (٨٦٤ - ٩٢٥) طبيب وعالم ولد في الري . . اهتم بالموسيقى والغناء ثم نبغ في الطب والكيمياء تولى رئاسة بيمارستان بغداد ومات في مسقط رأسه . . كان اول من فرق بين الحصبة والجدري واكتشف زيت الزاج (حامض الكبريت) واستخرج الكحول من مواد نشوية وسكرية وابتكر الفتيلة في الجراحة الف اكثر من مائتي كتاب اهمها : " الحاوي " وهو موسوعة في الطب استند فيها كثيرا على التجريب والاسرار والجدري والحصبة " راجع المرجع السابق ص ٢٠٣ .

(23) جلادستون وليم ايوارت ١٨٠٩ - ١٨٩٨ سياسي بريطاني كان الشخصية المسيطرة على حزب الاحرار ١٨٦٨-١٨٩٤ وخطيبا وحجة في الشئون المالية . . كان وكيل وزارة الحرب والمستعمرات ١٨٣٤-١٨٣٥ . . عين رئيسا للوزراء اربع مرات . .

(24) بيكن روجر فيلسوف انجليزي وعالم تعلم في اكسفورد وباريس وعلم في اكسفورد اتقن العبرية ليدرس الانجيل واليونانية ، ليدرس ارسطو والعربية لصلته بالعرب ، ، نسب اليه اختراع البارود واول من فحص عن العلاقات بجمهور ، ، وهو صاحب المذهب التجريبي راجع الموسوعة ص ٤٦٩

(25) هارون الرشيد ٧٨٦ - ٨٠٩ خامس الخلفاء العباسيين واوسعهم شهرة ابن الخليفة المهدي ثالث خلفاء بني العباس امه الخيزران حج ثماني او تسع مرات وغزوات غلب نيقيفورس ملك الروم وحالف شارل الكبير ملك الفرنجة .

(26) شارلمان (شارلمان الكبير او شارلمان الاول) ٧٤٢ - ٨١٤ امبراطور الغرب ٨٠٠ - ٨١٤ ملك الفرنجة هو اكبر ابناء ببين القصير وحفيد شارل مارتل اقتسم مع اخيه كارلومان حكم المملكة بعد وفاة ابيه وعندما توفي كارلومان ٧٧١ نودي بشارل بمفرده ملكا على الفرنجة ، ، راجع الموسوعة ص ١٠٦٦ حالف هارون الرشيد على خلفاء الاندلس الامويين ، ،

(27) المجسطي : كتاب لبطليموس مؤلف من ثلاثة عشرة مقالة . اول من عني بتفسيره واخراجه الى العربية يحيى بن خالد بن برمك ثم فسره أبو حسّان وسلم لبيت الحكمة والى غير ذلك راجع شمس العرب ص ١٨٠

(28) هو ابو محمد بن جابر بن سنان الرقي ، وكان اصله من حران صابيا وابتدأ الرصد ، على ما ذكره جعفر بن المكتفي انه سأله فاخبره انه ابتدأ في سنة اربع وستين ومائتين الى سنة ست وثلثمائة واثبت الكواكب الثابتة في زيجه لسنة تسع وتسعين ومائتين ، ، ثم جاء الى بغداد فلما رجع مات في طريقه بقصر الجص سنة ٣١٧ وله من الكتب كتاب الزيج وكتاب معرفة مطالع البروج فيما بين ارباب الفلك راجع كتاب شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٧٧

(29) عمر بن العاص ٥٧٥ - ٦٦٣ قائد عربي اذن له عمر بن الخطاب في فتح مصر . انتصر في معارك صدر الاسلام وفلسطين انتصر على الروم في العريش والفرما ٦٤٠ وبلبيس وأم دنين ثم هزمهم ببابليون ٦٤١ حاصر الاسكندرية وفتحها عنوة وترك بها حامية ، افتتح برقة وطرابلس ارسل نافع ابن عبد القيس الفهري لفتح النوبة لتأمين مصر من الجنوب . . اسس مدينة الفسطاط وبنى فيها جامعه المعروف فكان اقدم الجوامع في افريقيـــا وحفر خليج امير المؤمنين من النيل الى القلزم وشيّد مقياسا للنيل .

عزله عثمان عن ولاية مصر ٦٤٦ فعاش مدة بفلسطين ولما ولي معاوية الخلافة اعاده ٦٥٩ الى ولاية مصر بعد ان غاب عنها ١٢ سنة وتوفي بها الموسوعة العربية الميسرة ص ١٢٣٨

(30) اثينا : مدينة تاريخية في سهل اتيكا زعيمة الحضارة والديمقراطية في العالم الاغريقي القديم وعاصمة اليونان اليوم (عدد سكانها وحدها ٥٥٩٫٢٥٠ نسمة ومع مينائها بيرايوس وعدة ضواحي ١٫٣٦٨٫١٤٢) ومركزها الثقافي والديني فيها الكنيسة الارثوذكسية اليونانية . .

(31) بيمارستان : كانت البيمارستانات في العهد الاسلامي دورا للعلاج ، ومكانا لتدريس الطب . . انشأ الوليد بن عبد الملك اول بيمارستان بدمشق حوالي ٧٠٧ واجرى الارزاق للمرضى وامر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا . . وفي صدر الدولة العباسية بنى المنصور دورا للعجزة والايتام ، واخرى لمعالجة الجنون . وانشأ الرشيد بيمارستانين وفي نهاية القرن التاسع بنى الخليفة المعتضد بيمارستانا ببغداد وفي سنة ٨٧٢ بنى ابن طولون بيمارستانا بالفسطاط . . وشرط انه اذا جيء بالعليل فرش له . . والبس ثيابا ويغدى عليه ويراح بالأدوية والاغذية والاطباء حتى يبرأ .

وكانت فيه خزانة كتب تحوي ما يزيد على مائة الف مجلد في سائر العلوم وهكذا انشئت البيمارستانات كثيرة حتى انشيء اول مستشفى بالاندلس سنة ١٣٠٥ بمدينة غرناطة ثم في الشام .

وكان العرب اول من اخترع المستشفيات المتنقلة منها ما كان يحمله على اربعين جملا راجع الموسوعة ص ٤٧٣

(32) الفرغاني : فلكي ارسله الخليفة المتوكل الى الفسطاط (القاهرة) ليناظره بناية مقياس النيل ٨٦١ . له " جوامع علم النجوم والحركات السماوية " نقل الى اللاتينية والعبرية وله ايضا كتاب " في الاسطرلاب " وهو آلة يقيس بها الفلكيون ارتفاع الكواكب (راجع شمس العرب ص١٩٥) .

(33) الكندى : ابو يوسف يعقوب ولد في الكوفة لقب " فيلسوف العرب " تعلم في البصرة وبغداد واقام في بلاد العباسيين وترجم بالعربية مؤلفات اليونان التي نقلت من ثم الى اللاتينية كان حجة في علم الفلك وكان من المعتزلة توفى ٨٧٣ ، المرجع السابق ص ٢٠٠

(34) الخوارزمى : قال ابن النديم " اسمه محمد بن موسى واصله من خوارزم وكان منقطعا الى خزانة الحكمة للمأمون وهو من اصحاب علوم الهيئة وكان الناس قبل الرصد وبعده يعولون على زيجه الاول والثاني ويعرفان بالسند هند . وله من الكتب : كتاب الزيج نسختين ، كتاب الرخامة ، كتاب العمل بالاسطرلاب ، كتاب عمل الاسطرلاب كتاب التاريخ "

(35) عبدالرحمن الصوفي : ٩٠٣ - ٩٨٦ ولد في الري من كبار علماء الفلك والتنجيم اتخذه عضد الدولة البويهي الفلكي معلما لمعرفة مواضع وحركات النجوم الثابتة .. من مؤلفاته " التذكرة ومطارح الشعاعات و" رسالة في الاسطرلاب " المرجع السابق ص ٢٠٠

(36) ليوناردوا دافنشى ١٤٥٢-١٥١٩ فنان ايطالي امتاز بالبناء والهندسة والموسيقى وخاصة بالتصوير صاحب صورة العشاء السري الشهيرة .

(37) ابن الهيثم : هو ابو الحسن ابن الهيثم ٩٦٥ - ١٠٣٩ ولد في البصرة من علماء العرب في الرياضيات والطبيعيات وفلسفة ارسطو . من مؤلفاته : " المناظرة " كان له اثر كبير في معارف الغربيين وكيفيات الاظلال و" في المرايا المحرقة بالدوائر " وفي مساحة الجسم المكافي" نقلها الافرنج الى لغاتهم .

(38) البيروني : ٩٧٣ - ١٠٤٨ هو محمد بن احمد البيروني ابو الريحان ، ولد بضاحية خوارزم موٴلف عربي من اصل فارسي درس الرياضيات والفلك والطب والتقاويم والتاريخ والعلوم اليونانية والهندية ..
من موٴلفاته " كتاب الصيدلة في الطب كتاب الجماهير في معرفة الجواهر كتاب الدستور تاريخ الهند . تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل او مرذولة وغير ذلك المرجع ص١٠٥

(39) البغدادي موفق عبد اللطيف ١١٦٢-١٢٣١ ولد في بغداد ودرس الطب والفلسفة واشتغل بتدريسها حينا بدمشق ومنها سافر الى مصر والتقى بموسى بن ميمون ودرس العظام دراسة دقيقة واستطاع ان يكشف من اخطاء جالينوس وردت في وصفه للهيكل العظمي .. ومن كتبه الافادة والاعتبار - توفي في بغداد -الموسوعة ص ٣٠٤

(40) القزويني زكريا : ١٢٠٣ - ١٢٨٣ رحالة من اصل عربي ولد باقليم قزوين في (سن ، فارس) ترك كتابين : (١) في الفلك والجغرافيا الطبيعية وعنوانه " عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات "
(٢) في الجغرافية التاريخية بعنوان عجائب البلدان .. توفي في بغداد ..
والملاحظة هناك القزويني محمد بن عبد الرحمن ١٢٦٨- ١٣٣٨ الفقيه المحدث ليس هو المراد هنا ..

(41) ابن مسكويه ، ابو علي الخازن الملقب بمسكويه : معناها (رائحة المسك) وهي تركيب اعجمي ت ١٠٢٠ فيلسوف واديب وموٴرخ وعالم بالكيمياء كان مجوسيا ثم اسلم . من مصنفاته : تجارب الامم حاول التوفيق بين الفلسفة اليونانية وبين الشريعة الاسلامية .. وكانت فلسفته تدور في الاخلاق ..

(42) الجاحظ عمر بن بحر ٧٧٠ - ٨٦٨ كاتب اديب مشهور له كتب منها (الحيوان) والبيان والتبيان) والبخلاء والمحاسن والاضداد يظن ان اصله من افريقيا راجع الموسوعة ص٥٩١

(43) خازن ابو جعفر توفي ٩٦٠ ولد بخراسان رياضي وفلكي عربي كتب تعليقات على اعمال اقليدس وبخاصة الكتاب العاشر الموسوعة ص ٧٤٨

(44) جابر بن حيان طبيب عربي اول من اشتغل بالكيمياء القديمة عاش بالكوفة وبغداد في اخر القرن ٨ واوائل ٩ ترجمت كتبه الى اللاتينية وهي تزيد على الثمانين ؛ وتعتبر اهم ما كتب في ذلك العصر . .

(45) ابن النفيس على ابن الحزم القرشي ت ١٢٨٨م احد اطباء دمشق المشهورين كان اماما في علم الطب . . صنف كتاب الشامل في الطب اول من اكتشف الدورة الدموية الرئوية ووصفها وصفا علميا دقيقا فسبق بذلك مايكل سرفتس الذى يعزو الاوربيون اليه هذا الاكتشاف . . ولا ريب ان هذا اعظم اكتشاف في التشريح قام به العرب راجع الموسوعة ص ٢٩

(46) ابن البيطار : ابو محمد عبدالله بن احمد المالقي ت ١٢٤٨م عالم نباتي ولد بطلقه وسافر الى بلاد الاغريق واقصى بلاد الروم والمغرب عاين منابت النبات و تحقيقها ومن كتبه : الجامع في مفردات الادوية والاغذية " وصف فيه الفا واربعمائة نوع من العقاقير

(47) داود بن عمر الانطاقي ت ١٦٠٠ ولد بانطاكية مكفوف البصر و تتلمذ على شيخ فارس قرأ المنطق و درس الطبيعيات والرياضيات واللغة اليونانية فاجادها . . له كتاب تذكرة داود في الطب ولا يزال بعض المرضى يعالجون انفسهم بوصفاته . .

(48) المقدسي ابو عبدالله محمد بن احمد القرن ١٠ ولد ببيت المقدس من اشهر الجغرافيين العرب واقدمهم ساح في معظم جهات العالم الاسلامي ورسم للبلاد التي زارها خرائط ملونة له كتاب (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) .

(49) الادريسي ابو عبدالله محمد بن محمد ١١٠٠ - ١١٦٦ ويلقب بالشريف ولد في الاندلس وقيل سبتة بلد في المغرب من اسرة علوية و تعلم بقرطبة و برع في علم الهيئة والجغرافيا والطب والحكمة والشعر زار بلاد الروم واليونان ومصر والمغرب و فرنسة وبريطانيا وله كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق " وكان مصنفه هذا اهم الاعمال الجغرافية في عصره . .

(50) ابن ماجد شهاب الدين احمد ملاح عربي ولد بجزيرة العرب الف ٣٠ كتابا في البحرية بين سنتي ١٤٦٢-١٤٩٠ أشهرهـــــا (الفوائد في اصول علم البحر والقواعد)

(51) الدينوري أبو حنيفة احمد ت ٨٩٥ فقيه ولغوي ومؤرخ عربي له كتاب "الاخبار الطوال" طبع بلندن ١٨٨٨ وله كتاب "النبات" الذي حظي بتقدير العلماء

(52) ابن يونس ابو الحسن على ت ١٠٠٩ اكبر علماء الفلـــك العرب ساعد ته اجهزة مرصد القاهرة في ايام الفاطميين .. ووضع جداول فلكية جديدة من أدق ما عرف حتى ذلك التاريخ " الزيج الكبير الحاكمي".

(53) موسى بن شاكر واولاده الثلاثة محمد واحمد والحسن وهؤلاء كانوا ممن تناهوا في طلب العلوم القديمة من الهندسة والحيل (ميكانيك) والحركات والموسيقى والنجوم .. توفي محمد بن موسى سنة تسع وخمسين ومائتين في شهر ربيع الاول

(54) ابن رشد هو الوليد بن احمد بن رشد ١١٢٦ - ١١٩٨ فيلسوف وطبيب اندلسى ولد في قرطبة وتوفي في مراكش ودفن في قرطبة لخص كثيرا من الكتب الفلسفية الاغريقية . وله كتاب الكليات في الطب . وقد رد على الغزالي "تهافت الفلاسفة" بكتاب (تهافت التهافت) ومن اشهر كتبه "بداية المجتهد ونهاية المقتصد" ترك اثرا بعيدا في التفكير وعرف بالفيلسوف والشارح وكانت له مدرسة في الجامعات الاوربية .. شمس العرب ص ٢٠٣

(55) عباس بن فرناس من اصحاب الفن والصناعات ادخل الموسيقى الشرقية الى اسبانية قالوا انه استنبط صناعة الزجاج من الحجارة وحاول الطيران برداء من ريش كسا نفسه به توفي عام ٨٨٨ م .

(56) المأمون ٧٨٦ - ٨٣٣ من الخلفاء العباسيين ابن هارون الرشيد احب الفرس ولم يكتسب ود العرب غلب البيزنطي بالقرب من طرطوس انحاز الى مذهب المعتزلة في عصره ازدهرت العلوم والفنون الاسلامية ونقلت مؤلفات اليونان نقش خاتمه : (الموت حق) وأسس بيت الحكمة ٨٣٠ م راجع شمس العرب ص ١٧٨

(57) صلاح الدين الايوبي ١١٣٨-١١٩١ ولد في تكريت وتوفي في دمشق مؤسس الدولة الايوبية أكبر ملوك المسلمين ايام الصليبيين هزم الافرنج في وقعة حطين ١١٨٧ م وفتح بيت المقدس واخذ عود الصليب اشتهر بكرمه وعزة نفسه وبسالته وبتقشفه و قناعته . .

(58) اخوان الصفا جماعة سرية دينية وسياسية وفلسفية شيعية او اسماعيلية باطنية : هم (١) محمد بن مشير البستي الملقب بالمقدسي (٢) ابو الحسن علي بن هارون الزنجاني ومحمد بن احمد النهرجوري . . والعوفي و زيد بن رفاعة . .

جماعة تآلفت و تصافت واجتمعت على القدس والطهارة . . فوضعوا مذهبا يزعمون انه يؤدي الى رضوان الله تعالى : هو انتظام الفلسفة اليونانية بالشريعة المحمدية . . ذلك ان الشريعة - كما يزعمون - قد دنست بالجهالات ولا تطهر الا بهذا بادماجها في الفلسفة فوضعوا رسائلهم في اربعة اقسام : قسم في الرياضيات وقسم في الجسمانيات (الطبيعيات) وقسم في النفسانيات (العقليات) وقسم في الناموسيات (الالهيات) وقد عاشوا بالبصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري (الموسوعة ص ٦٦

(59) ابن خلدون ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون - ١٣٣٢-١٤٠٦ م مؤرخ وفيلسوف اجتماعي عربي مسلم مشهور . . ينتهي نسبه الى اوائل بن حجر من عرب اليمن . . اقامت اسرته في تونس حيث نشأ و تعلم بها ثم حتى سنة ١٣٨٧ وله عدة كتب منها : " العبر وديوان المبتدأ والخبر " و " مقدمة ابن خلدون " فهو يعتبر بحق واضع علم الاجتماع الذي استمر فيه الغربيون كامثال فيكو واوجست كونت و هربرت سبنسر . . راجع الموسوعة ص ١٥

(60) نيوتن سير اسحق قد ذكرناه تحت رقم (١١)

(61) لا مارك (جان بابست) ١٧٤٤-١٧٢٩ عالم طبيعي فرنسي اشتهر بتقديمه نظرية التطور، له كتاب: الزهور الفرنسية ١٧٧٨ م

(62) الحروب الصليبية ١٠٦٩ - ١٢٩١ وسميت بالحملات الصليبية لأن المحاربين النصارى كانوا يضعون اشارة الصليب على ثيابهم واسلحتهم جاءوا من اوربا الغربية ليستردوا قبر المسيح والاراضي المقدسة .. وكان من نتائجها التعارف بين الشعوب وتبادل العلاقات الثقافية والتجارية بين المشرق والمغرب وازدهار فن البناء وترقي الصناعات في اوربا وهاك لائحــــة الحملات مع تاريخها:

الحملة الاولى: ١٠٩٦ - ١٠٩٧ الحملة الثانية: ١١٤٨ - ١١٤٩

الحملة الثالثة: ١١٨٩ - ١١٩٢ الحملة الرابعة ١٢٠٢ - ١٢٠٤

الحملة الخامسة: ١٢١٧ - ١٢٢١ الحملة السادسة ١٢٢٨ - ١٢٢٩

الحملة السابعة: ١٢٤٨ - ١٢٥٤ الحملة الثامنة: ١٢٧٠.

(63) لامرتين الفونس ماري لوي دي ١٧٩٠ - ١٨٦٩ شاعــــر فرنسي اشتغل بالسياسة وشغل مناصب سياسية كثيرة ..

(64) لنين فلاديمير اليس ١٨٧٠-١٩٢٤ القائد الفعلي والفكري للثورة الروسية التي انتهت باقامة النظام الشيوعي ١٩١٧ م ومن اهم كتبه "الاستعمار اعلى مراحل الرأسمالية" و "الثورة والدولة"

(65) انجلز فردريك ١٨٢٠ - ١٨٩٥ اشتراكي الماني اسهم مع كارل ماركس في وضع اسس النظرية الاشتراكية الحديثة وفي صياغة البيان الشيوعي الشهير ١٨٤٨ م .. اشترك في عدد من الحركات الثورية في اوربا واضطر الى الاقامة الدائمة في انجلترا على اثر فشل ثورة ١٨٤٨ م

ومن اهم كتبه (معالم الاشتراكية العلمية) ١٨٧٨م وكتاب (الدولة والملكية الخاصة) و (اصل الاسرة ١٨٨٤) وغير ذلك.

(66) الشيوعية : مصطلح يصعب تحديد معناه . وهو في صحيحه نظام اجتماعي تكون فيه الملكية (وخاصة ملكية الاراضي ووسائل الانتاج) في يد المجتمع باكمله .. وبعبارة اخرى : هي محاولة لالغاء الملكية الفردية الموسوعة ص ١١١٠

(67) الاشتراكية : مذهب اقتصادى وسياسى يعارض النظام الرأسمالي الذى يقوم على الملكية الفردية والمشروعات الخاصة ويدين بالحرية الاقتصادية ويقر الفوارق الطبقية .. اى نظام يحاول تحديد الملكية الفردية -المرجع السابق ص١٦٥

(68) النظام الاقتصادى الذى يقوم على الملكية الخاصة لموارد الثروة .. ويطلق المجال لحريات الافراد والمشروعات الخاصة

وبعبارة اخرى : هو نظام اقتصادى يتيح الملكية الفردية بدون قيد ولا شرط راجع المرجع السابق ص٨٥٣

(69) بروليتاريا : في النظرية الاشتراكيــة .. طبقة العمال الخاضعين للاستغلال .. الذين يعيشون من اجورهم

وفي روما القديمة : كان " البروليتارى " هو المواطن الذى لا يملك شيئا .

وعند (كارل ماركس) ان انهيار النظام الاقطاعي خلق طبقة جديدة معدمة من الفلاحين والاتباع اصبح افرادها مرغمين على بيع عملهم لقاء اجور فـــي المراكز الصناعية الجديدة .. يقول (لينين) ان (البروليتاريا) يجب ان ينتزع من الطبقة الرأسمالية ..

(70) دكتاتور : اصلا حاكم رومانى معين لحكم ولاية في وقت الازمة ومعناه الان : الحاكم المطلق او الاوتوقراطي .. ويعتبر هتلر مثالا لذلك .. اما روسيا فقد نمت فيها في ظل الحكم الشيوعي دكتاتورية حزبية ذات عناصر كبيرة من الدكتاتورية الفردية .. راجع الموسوعة ص٧٩٩

(71) اناكسجوراس ٥٠٠-٤٢٨ ق٠م هو فيلسوف يوناني نقل الفلسفة الى اثينا ويقال انه استاذ سقراط .. راى ان في الكون عقلا يسيره وينظمه وقال ان الشمس حجر ملتهب والقمر تراب وصخور و يعكس ضوء الشمس . فاتهم بالالحاد فهرب .. الموسوعة ص ٢٣١

(72) سوفسطائيون : جماعة من الفلاسفة قبل سقراط كانوا يعلمون البلاغة والخطابة انكروا الوصول الى حقيقة موضوعية ثابتة .. فالمهم هو اقناع خصمك لا بلوغ الحقيقة ..

ومن اشهرهم : جورجياس و بروتاجوراس : حارب سقراط تعليمهم ثم افلاطون .

(73) ديناميكا الحرارة .. الديناميكا : تبحث في تأثير القدرة على الاجسام المتحركة .. والحرارة : احدى صور الطاقة التي تتحول الى حرارة . وتعرف بطاقة حركة الجزىء . الشمس اهم مصادر الحرارة .. وتتولد الحرارة من الاحتكاك والتفاعلات الكيميائية وضغط المواد ومرور تيار كهربائي في مقاومة عالية ص ١٩٤

(74) لوكريتيوس ٩٩ - ٥٥ ق ٠م شاعر روماني اسمه تيوس لوكريتيوس كاروس نظم قصيدة هامة في الأدب اللاتيني تعتبر اروع ما خلفه الرومان .. عنوانها " عن طبيعة الاشياء " وتتكون من ستة اجزاء استلهم موضوعها من فلسفة ديمقريطس وابيقور وحاول فيها ان يقنع الانسان بأنه سيد نفسه وبانه ليس في حاجة في مخافة الالهة ومن ثم لا مبرر لخوفه من الموت . اعتمد في فلسفته هذه على النظرية الذرية التي تقول : ان الجسم والروح معا نشآ من الذرة .. وانهما اذا انفصلا فنيا معا .. الموسوعة ١٥٧٩م

(75) الرومان أو الرومانيون : هم سكان روما القدماء ، وقد تأسست روما عام ٧٥٣ ق٠م راجع شمس العرب ص١٠٣

(76)

(77) فرنسيس الاسيزي القديس ١١٨٢ - ١٢٢٦ مؤسس رهبنة الفرنسيسكان من اكبر قديسي المسيحية ايطالي الجنسية قضى فترة قصيرة في الجيش ثم اتجه الى حياة التقوى والاعراض عن غرور الدنيا بدا الوعظ سنة ١٢٠٩

(78) نابليون الاول ١٧٦٩ - ١٨٤١ امبراطور الفرنسيين ولد م ا افسطس في اجاكسيو بجزيرة كورسيكا وهو ابن كارلو وليتشيابونابرت .. وهو مشهور ..

(79) بخنر لودفج ١٨٢٤ - ١٨٩٩ طبيب وفيلسوف الماني ارغم بسبب ارائه الفلسفية على ترك منصبه بجامعة توبنجن فكرس حياتــــه للطب والتاليف ، تاوم الميتافيزيقا المثالية . واتخذ من المادية المتطرفــة مذهبا له .. ومن كتبه (القوة المادية) ١٨٦٤ والطبيعة والروح ج ١٨٥٧م

(80) هيجل ، جورج فلهلم فردرك ١٧٧٠ - ١٨٣١ فيلسوف الماني ومحصل فكرته مذهب النقيض وهو ان فكرة ما تولد النقيض لهــــا ومن تفاعل النقيضين تنتج فــكرة جديدة تؤلف بينهما ثم تأخذ الفكـــرة الجديدة نفس المراحل الثلاث المذكورة وهكذا .. ففكرة الوجود تولد فكرة العدم ومن تألفهما تنتج الصيرورة ..

(81) هكسلي توماس هنري ١٨٢٥ - ١٨٩٥ بيولوجي ومربّ انجليزي وقد كان داعية للداروينية وان كان قد اعتنقها بشيء من التحفظ .

الباب الاول

لماذا ألحد الناس في أوربا الحديثة

الفصل الاول : اسباب الالحاد العامة

الفصل الثاني : اسلوب المفكرين في اسباب الالحاد الحديث

الفصل الثالث : طغيان الكنيسة

الفصل الرابع : قوانين المادة

الفصل الخامس : مقارنة الأديان

الفصل السادس : الثورة الفرنسية

الفصل السابع : مذهب النشوء والارتقاء

الفصل الثامن : دور اليهود في افساد اوربا

الفصل التاسع : رجوع اوربا الى ارثها القديم

البـــــاب الاول

لماذا ألحد الناس في اوربا الحديثة

ان هذا السوءال الخطير ، قد اجيب عليه باسلوبين :

١ - اسلوب الملاحدة .

٢ - اسلوب المفكرين من المسلمين والغربيين المنصفين . .

فلنشرح لكل واحد منهما شرحا موجزا :

الأول :- اسلوب الملاحدة :

اذا قلت لأى ملحد ، من هوءلاء المعاصرين ، ما هو سبب الالحاد في اوربا الحديثة ، سيقولون ، لاول وهلة - انما هو معارضته العلم الدين مطلقا . وذلك ان التطور الذى بلغ به الانسان - اليوم - هو اعلى مستوى من الانسانية وهو نفي للدين من تلقاء نفسه . .

وبعبارة اخرى : ان التفسير اللاهوتى للأحداث والوقائع لا يمكن اثباتها بالوسائل العلمية فهو باطل لا حقيقة له . . هذا هو منطق ملاحدة العصر الحديث واليك شواهد من اقوالهم يثبت ما قلنا :

يقول عميد الالحاد في العصر الحديث وبالذات في القرن السابع عشر ، (برتراند رسل)(١) كلمة تعتبر - بحق - تلخيصا للارادة الالحادية آنذاك :

" ان تقرير الحقائق يجب ان يبنى على الملاحظة لا على الروايـــة غير الموءيدة " (يعني بالرواية ، النصوص او الدين) .

---

(١) يراجع اثر العلم في المجتمع ، برتراند رسل ، ترجمة تمام حسان ، مصر ص ٦ راجع كتاب الدين وحيد الدين خان ص ٣٦

يقول العلامة (ألفرد هوالت هو) (Alefred White Hed)

" ما من مسألة ناقش العلم فيها الدين الا وكان الصواب بجانب العلم والخطأ بجانب الدين" (١)

وأصرح من كل ذلك قول ستالين في عام ١٩٢٧ م : اذ يقول : (2)

" لا يستطيع الحزب أن يقف من الدين موقف الحياد : ان الحزب يشن حملة عاية ضد الدين أى انحياز للدين .. لأن الحزب يؤمن بالعلم بينما العلم يتعارض مع الانحياز للدين .. لأن الدين كله مناوئ للعلم" (٢)

وفى عام (١٩٢٨) جاء فى برنامج المؤتمر السادس الدولى ما نصه :

" الحزب ضد الدين ـ أفيون الشعوب ـ تشغل مكانا هاما بين اعمال الثورة الثقافية ويلزم أن يستمر هذا الحزب باصرار وبطريقة منتظمة .. وحكومة العمال تعترف بحرية الضمير ولكنها فى نفس الوقت تستعمل كل الوسائل التى تملكها للقيام بدعاية ضد الدين .. وتنظيم التربية على أساس التصور المادى للدنيا" (٣)

ويقول جوليان هكسلى صراحة فى كتابه الانسان فى العالم الحديث

"ان الجهل والعجز فقط هما اللذان يخضعان الانسان لله !

فاذا ازدادت معرفته وقوته فلا موجب ـ اذن لفكرة الله ، وما يرتبط بها من عبادات ، وليكن الانسان (هو الله) ! (؟)

تقول دائرة المعارف البريطانية ما نصه :

" ان المعلومات الكونية واللاهوتية والعلمية التى وردت " فى الكتب المقدسة

---

(١) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين تأليف محمد على يوسف ص ١٢ نقلا عن كتاب: Science And The Modern World

(٢) الاسلام فى وجه الزحف الأحمر محمد الغزالى ص ٢٧

(٣) جاهلية القرن العشرين محمد قطب ص ٦٨ ـ ٦٩

لا تخرج عن كونها مسائل جانبية لا تستحق النظر أو الاعتبار اذا وضعت تحت منظار العلم الحديث • (١)

هذا يعني أن نعرف بأن الملحدين لا يرون سببا آخر للالحاد الا معارضة النظام الحديث الدين لأنهم — على ما يقولون — في خطين متوازيين :

العلم مبنى على الحقائق ،

والدين مبنى على الخرافة والجهل •

هل الملاحدة كانوا يؤمنون بما يقولون ؟ الجواب لا !! انما تمسكوا بهذا المذهب تعصبا للالحاد وشوقا اليه بل فرارا من سيطرة الكنيسة ودليلنا على ذلك ان برتراندرسل نفسه ، صرح في بعض مقالاته أنه يؤمن بحقيقة الدين لأن هذا النظام الكوني الذي يفوق حدّ الوصف يستلزم أن يكون هناك منظم ••• ولكنه من شدة تعصبه الى الالحاد يرفض هذا الدليل المعقول لمعارضته مذهب داروين •• الذي لا يرى هدفا من وجود الانسان والكون •• فهو يقول :

" هناك دليل من هذه الأدلة ليس منطقيا محضا •• انه الاستدلال بـ نظام تخطيط الكون ، مع أن داروين على كل حال أبطل هذا الدليل " (٢).

وهكذا نرى أن أهم ما في هذا الاقتباس هو اعتراف (رسل) بجواز الاستدلال المنطقي بـ " نظام الكون " ولكن بالرغم من اعترافه بهذا الدليل — كمبدأ فانه يذهب الى ان الداروينية قد أبطلت ذلك الدليل •

ان هذا يدل بكل وضوح أن الملاحدة لم يؤمنوا بالالحاد لأجل كونـــه

---

(١) هزيمة الشيوعية ، أنور الجندي ، ص ٨٢

(٢) الدين / وحيد الدين خان ص ٣٦ نقله عن كتاب : Why I am not a Christian 1959, P.XI.

الاستدلال المنطقي الوحيد ولكنهم آمنوا به بالتعصب الأعمى .

والذي يقوله هذا الملحد يقول به أيضا جميع الملاحدة ، وهــــــذا واطـــس يقول :

" ان علماء الحيوان يؤمنون بالنشوء لا كنتيجة للملاحظة أو الاختبـــار أو الاستدلال المنطقي ، ولكن لأن فكرة الخلق المباشر بعيدة عن التصور " (١) .

ويقـــول د . هـ سكوت : " ان نظرية النشوء جاءت لتبقى ولا يمكن أن نتخلى عنها حتى ولو أصبحت عملا من أعمال الاعتقاد " (٢) .

يقول السير آرثركيث (١٨٦٦ـ١٩٥٥) :

" الارتقاء غير ثابت ولا يمكن اثباته ، ونحن نؤمن بهذه النظريــــة لأن البديل الوحيد هو الايمان بـ (الخلق المباشر) وهو أمر لا يمكن حتى التفكير فيه " (٣) .

وهكذا رأينا أن الملاحدة القائلين بأن الدين خرافة انما يقولون ذلـــك بألسنتهم وتأبى قلوبهم ..

وبهذا القدر نكتفي للاثبات أن سبب الالحاد عند الملاحدة هو اقامة الدين على تفسير زائف للحقائق التاريخيـــة ، واقامة " العلم الحديث " على الحقائق الثابتة لا يمانه بالملاحظات فحسب . وسنرى ان شاء الله في الصفحات القادمة مقدار صحة هذا الزعم .

---

(١) مذهب النشوء والارتقاء ، منيرة على الغاياتي ، تقديم محمد البهي ، مصر ١٩٦٥م ص(٦) .
(٢) المصدر السابق ص (٧)
(٣) المصدر السابق ص (٦)

الفصـــل الأول

أســباب الالحـــاد العامـــــة

وقبل أن نتكلم في اسباب الالحاد في أوربا الحديثة ، نود أن نعطـــي القارئ فكرة عن أسباب الالحاد عامة ومن راجع الكتب التاريخيـــة الثابتـــة ، يجـــد أن في الالحاد ســـمة مشتركـــة بين جميع الملحدين قديما وحديثا ،وان اختلفت الصور الالحاديـــة لأجل ملامح البيئة التي تميز فيها .. ومـــلامـــح " الطـــور " الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الذي يحيط بهم ، تجدهم دائما يشتركون في خصائص أصيلة هي التي تمنحها سمة الالحاد على مدار التاريخ ..

وذلك ان الالحاد ليس شيئا لا يوجد الا في فترة من الزمن محدودة فـــي ثنايا التاريخ .. وليس هو الشيء الذي يمثل العلم والحضارة والمدنية والتقدم المادي كما يقولون ، وانما هو رفض الاهتداء بهدى الله (١) ، قد يكون ذلك فـــي التصور الاعتقادي أوفي الشعيرة أوفي الشريعة .. فهذا لا علاقة له بالبيئـــة والدور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي .

اذا عرفنا ذلك ، فقد تهيأت أذهاننا ونفوسنا للحديث عن الملامح المشتركة بين جميع الملاحدة في التاريخ القديم والحديث ..

فما هي ـــ اذن ـــ تلك الملامح والسمة المشتركة ؟..

في القرآن الكريم يجد الباحث هذه السمات المشتركة بين الملحدين فـــي عدة صور وأشكال ولكن نستطيع أن نجملها في هذه العناصر الخمسة الآتية :

---

(١) أزمة العصر ، محمد محمد حسين ص (١٠)
راجع كتاب قذائف الحق ، محمد الغزالي ص ٨
تهافت العلمانية ، الدكتور عماد الدين خليل ص ٢٦

(١) استنكار هدى الله

(٢) البحث عن الله عن طريق الحس والمشاهدة

(٣) اتباع الهوى

(٤) الانجراف في الشهوات

(٥) اتباع الطواغيت

واليك شرحا قصيرا لكل ما ذكر :

أولا — استنكار هدى الله :

ان كل الأمم الملحدة — على مدار التاريخ — تشترك فى رفض الاهتداء بما أنزل الله على رسوله، وتستجيب العمى على الهدى ، وتزعم أن ما هى فيه هو الخير المحض ، وأن ما تدعى اليه من الهدى هو الضرر والخسران(١) . ولقد ضرب لنا القرآن الكريم مثات الأمثلة على ذلك : واليك ما يوضح ذلك :

يقول الجاهليون : ﴿ ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا ﴾ (٢)

﴿ واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها ﴾ (٣)

﴿ وسيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ﴾ (٤) هذا بعض ما قاله الملاحدة القدامى .. وسنرى أيضا أن الملاحدة المعاصرين يقولون مثل هذا بدون أى اختلاف الا اختلاف الأساليب .. وأما الحقائق الجوهرية تظل دائما دون ما تغيير فى تصورها وفى أفاعيلها على مدار التاريخ .

---

(١) الاسلام والشيوعية ، وزارة الأوقاف ص ٣١

راجع ايضا المسلمون تحت الحكم الشيوعى / محمد سامى عاشور ص ٣٥ — ٥٢ بتصرف

الاسلام أو الشيوعية ص ١٢ تأليف محمد عرفة

(٢) الاية رقم ٥٧ من سورة القصص

(٣) الاية رقم ٢٨ من سورة الاعراف

(٤) الاية رقم ١٤٨ من سورة الانعام

(٥)
ويقول السير جيمس جينز جيمس ستيفن السالف الذكر : " ان بعضهم يظن — أو يقول أنه يظن — أن الحياة كما يصورها العلم لا تستحق أن نحياها وهو عندي رأي باطل ، فنحن في هذه الحالة خلقاء أن نحيا على أصول غير التي تعودنا أن يعتقدوها ..

" وسيبقى الحب والاخاء والدامح والمعرفة والأدب والفن وأمور السياسة والتجارة والصناعات والحرف وألوف غيرها — سارية في مسراها كما كانت من قبل دون حاجة الى اله "

" نعم ! وان الذين يقدرون — مخلصين — أن ينظروا الى الدنيا هذه النظرة لتسمو بهم عقيدتهم وترفعهم فوق صغائر الحياة ، ويحق لهم أن يسرعوا هذه العقيدة امام غيرهم حيث تسويغ العقيدة الى حالها وجودها ولا يرجع الى صحتها ودلائل ثبوتها ..

" أما اذا وجب أن نطرح هذه العقيدة جانبا فلا أخال أن الحياة " تخسر قيمتها " .. " وأن الاخلاق " على الخصوص تنقطع وتزول .. "

وسوف تموت الديانة .. ولكننا — كما اسلفنا — قادرون على أن نعيش عيشة حسنة بغير الديانة .. وان أقمناها على أصول غير هذه الأصول قلما تخالف في لبابها أصول العيش التي يدين بها نفسه كل ذي أخلاق " (١) .

ان هذا الاستعراض الصريح لا يدع مجالا للشك من أن الملاحدة قديمهم وحديثهم مشتركون في سمة الرفض لما أنزل الله على رسوله : صدق الله سبحانه وتعالى اذ يقول ﴿ كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾ .

---

(١) عقائد المفكرين ، العقاد ص ٣٦

ثانيا — : البحث عن الله بطريق الحس وهو السمة الثانية :

ومن تأمل في صفحات التاريخ ، يجد أن أناسا في القديم والحديث أنكروا وجود الله لأنهم لم يدركوه بحواسهم متصورين أن هذا هو الطريق الوحيد اليه . ورموا المؤمنين بأنهم واهمون وضالون وخرافيون ومشوشون وغير علميين الى آخر السلسلة الطويلة من السب والهزء والسخرية والازدراء التي يوجهها الملاحدة بالله الى المؤمنين لأنهم آمنوا بالله عن غير طريق الحس (١) (٢) (٣)
ويحكى لنا القرآن أن ملاحدة في القديم جعلوا رؤية الله أو تكليمه شرطا للايمان .. (١)

أما الرؤية يقول فيها القرآن : ﴿ فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾ . (٤)

وقال أيضا : ﴿ قال الذين لا يرجون لقاء نا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا ﴾ (٥)

وأما التكليم يحكيه القرآن بهذا الأسلوب الفذ :

﴿ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم ، قد بينا الآيات لقوم يوقنون ﴾ . (٦)

---

(١) الاسلام والشيوعية وزارة الأوقاف الادارة العامة للدعوة (مصر) ص ٢٦
(٢) الفكر الاسلامي والمجتمع المعاصر ، محمد البهي ج ٢ ص ٨٩ و ٩٢ بتصرف
(٣) راجع أيضا المسلمون تحت الحكم الشيوعي : محمد سامي عاشور ص ٣٥ — ٥٢ بتصرف
(٤) الآية رقم ١٥٣ في سورة النساء
(٥) الآية رقم ٢١ — ٢٢ في سورة الفرقان
(٦) الآية رقم ١١٨ في سورة البقرة

وهذه الآية الأخيرة تشير — بوضوح — الى أن هذه الخصيصة مشتركة بين جميع الملاحدة بدليل قوله تعالى ﴿ تشابهت قلوبهم ﴾ . وإذا رجعنا الى تاريخ الملاحدة المعاصرين نجد هذا التشابه الذى أشار اليه القرآن ينطبق فيهم تمام الانطباق . وهم أيضا يشترطون الاتصال الحسى للايمان بالله تعالى . واليك نموذج من أقوالهم :

يقول هيوم الملحد : " لقد رأينا الساعات وهى تصنع فى المصانع ، ولكننا لم نر الكون وهو يصنع فكيف نسلم بأن له صانعا " (١) .

ويقول عالم كبير من علماء النفس :

" ليس الاله سوى انعكاس للشخصية الانسانية على شاشة الكون " (٢) .

ويقول أستاذ أمريكي في طب الأعضاء :

" لقد أثبت العلم أن الدين كان أقسى وأسوأ خدعة فى التاريخ " (٣)

ونختتم هذا الجزء بمقالة آخرى لهيوم تؤكد أن الملاحدة انما رفضوا الايمان لعدم امكانية اتصالهم بالله حسيا يقول هيوم :

" لقد جلى التطور العلمى للانسان كثيرا من سلسلة الأحداث التى لم يشاهدها من قبل فهو لم يكن على علم بأسباب شروق الشمس وغروبها ، حتى زعم أن هناك قوة فوق الطبيعة تجعلها تشرق وتغرب . وها قد عرفنا اليوم ان شروق الشمس وغروبها يحدث لدوران الأرض حول نفسها ، وبذلك انتهت ضرورة القول بهذه الطاقة تلقائيا بعدما عرفنا الأسباب المؤدية الى هذه الحركة الكونية : فاذا كان قوس قزح مظهرا لانكسار أشعة الشمس على المطر فماذا يدعونا الى القول بأنها آية الله فى السماء " (٤) .

---

(١) الاسلام يتحدى / وحيد الدين خان ص ٣٥ — نقلا عن : Religion without, Relelation, N.Y. 1958 P.58

(٢) المرجع السابق ص ٣٦

(٣) المرجع السابق ص ٤٠ ونقلا عن كتاب : Lenin, Selected works; 1947, VOL. II P. 667.

(٤) المرجع السابق ص ٣٥

كما رأينا القدامى أنهم رفضوا الايمان بالله لعدم امكانية رؤيته أو تكليمه ،
رأينا هنا أيضا الملاحدة المعاصرين يرفضون الايمان للسبب ذاته وذلك أثر
من تشابه قلوبهم . كما أخبرنا بذلك كتابنا المبين . ان هذا يكفي للاثبات
أن التصور الحسي للبحث عن الله سمة مشتركة عند جميع الملاحدة قديما
وحديثا ..

فكلما يبلغ الانسان الى هذه الدرجة تتعطل فيه أجهزة الاستقبال الفطرى.
فحينئذ يضطرب كيانه و يشمل هذا الاضطراب جميع تصرفاته ، فتتنوع مشاعره
وأعماله ووجدانه وسلوكه ومبادئه فلا يعود تلك الفطرة الموحّدة التي
كان يتمتع بها منذ ولادته .. والقرآن الكريم أشار الى هذه الحقيقة بقوله :
﴿ الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾

وعندئذ يوجد الالحاد ويوجد البحث عن الله بطريق الحس بل توجد
محاربة الله ودينه ورسوله بصورة علنية دون حياء ولا خلق .

انظر الى هذا الملحد الظالم لنفسه لما افتقد الله من بين ذرات المادة
(على حد زعمه) ولم يجده هناك بدأ يقول هذه السخافات الآتية :

" ان عقيدة القادر المطلق الظالم في نهاية الأمر ، الذى لا يرضى
الا بالطاعة الكاملة والوفاء ، كانت أول ما انتجته نظام المجتمع السامي . لقد
خلق هذا النظام جبروتا غير عادى .. وكانت نتيجته أن شريعة موسى
خرجت بقوائم ضخمة مفصلة عن المحرمات في كل مجال من الحياة الانسانية .
وقد آمن بهذه القوائم الطويلة السوام الذين كانوا يتقبلون أحكام آبائهم العمياء
ويطيعونها . وما التصوير الالهي (اليهودى) الا خيال مثالي لأب سامي .
مع شيء من المبالغة والتجريد في الأوصاف والطاقات " (١)

(١) الاسلام يتحدى / وحيد الدين خان ص ٣٧
وراجع كتاب :
Tree of Culture, Ralph Linton

مرض من الأمراض القلبية

ويبدو أن هذا الوهم الذى يتمسك به كثير من الملاحدة أثر عن أمراض فى النفس والقلب • وليس أثرا عن فكر سوىّ أو عقل مستقيم أو انصاف فى تحقيق • فقد حدثنا القرآن الكريم أن هذه الأمراض ذاتها ، هى التى ينتج عنها هذا التصور الفاسد والكلام الخاطئ • ويحدد القرآن أسباب هذه الأمراض بأنها : الجهل ، والكبر ، والانحراف ، والظلم •

فلنعط شرحا موجزا لكل كلمة :

١ ــ الانحراف : يحدثنا القرآن الكريم أن فرعونا من فراعنة مصر ، لما استد انحرافه صدر قرارا الى وزيره يقال له " هامان " يأمره أن يبنى له بناء عاليا ليتقم بالبحث عن اله موسى الذى يدعيه ، من بين ذرات المادة الخرقاء ، ومن هنا زين لفرعون هذا التصور الخاطئ • وضل عن طريق الوصول الى الله عز وجل • فلنستمع الى القرآن الكريم يصور لنا هذا المطلب السخيف :

﴿ وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب • أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل ﴾ (١) •

اذ ان الانحراف عن منهج الله القويم مرض قلبى ينتج عنه الالحاد والبحث عن الله تعالى عن طريق الحس •

٢ ــ الكبر : يذكر لنا القرآن الكريم أن قوما أدّاهم كبرهم الى أن طلبوا رؤية الله أو نزول الملائكة للايمان • وبلا شك ان هذا كبر فريد وعتو غريب

(١) الاية رقم ٣٦ ، ٣٧ فى سورة غافر

﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ ان هذا يدل على جهلهم من أن قوانين هذا العالم المادية ليس فيها للحواس من عالم الغيب من نصيب . يقول تعالى عنهم : ﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا ٠لقـــد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا . يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئـذ للمجرمين ﴾ (١)

والاية تشير الى أن الذين يريدون أن يروا الله ، انهم الذين يتصورون أن الحياة الدنيا هي كل شيء وليس وراءها الا العدم . ثم نوهت الاية الى أنه اذا كانت الملائكة في قوانين هذا العالم المادية لا ترى فأولى اذن أن تكون الذات الالهية كذلك. كما بينت الاية ان الكبر وحده هو الذى دفعهم الى مثل هذا المنطق . وليس الوضع السوى للانسان الذى يرغب بالحق ويسلك اليه طريقه الصحيح .

٣ ـ الظلم : وكما أخبرنا القرآن الكريم أن اليهود قد طلبوا هذا المطلب الالحادى ظلما . فليس العدل هو الذى دفعهم الى أن يطلبوا مثل هـذا الطلب ، بل هو ظلم النفوس للحق ، اذ تجرفه وتتنكر له ، فلنقـــرأ الايات التالية : :

﴿ واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ﴾ (٢)

وفي موضع آخر يقول : ﴿ فقد سألوا موسى أكبر من ذلك ، فقالوا : أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ﴾ . (٣)

---

(١) الاية ٢١ ـ ٢٢ في سورة الفرقان
(٢) الاية رقم ٥٥ في سورة البقرة
(٣) الاية رقم ١٥٣ في سورة النساء

هذه هى من عقائد اليهود القدامى حين نزول القرآن وقبله ، بل وحتى اليوم لأنهم يؤكدون فى البروتوكولات أنهم يتمسكون بهذه العقيدة الفاسدة حين يحتلون عرش الدنيا بأسره . فاقرأ ذلك فى البروتوكول الرابع عشر ان شئت :

" حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة العالم — لن نبيح قيام أى دين غير ديننا ... ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الايمان " .

فالظلم — اذن — من الأمراض القلبية التى ينتج عنها الالحاد فى الله ، ولولا هذا الظلم لما طلب اليهود رؤية الله جهرة فلتحرر — اذن عن الظلم .

٤ — الجهل : ان الجهل بحقيقة الألوهية يجعل الانسان فى مصاف الملحدين . وقد ذكر لنا القرآن أن كل من أراد أن يتصل بالله حسيا قديما وحديثا نتيجة من الجهل بحقيقة الاله ، لأنه لا يطلبه مؤمن جاد ولا كافر جاد وانما يطلب ذلك الجهال من العلماء يقول تعالى :

﴿ وقال الذين لا يعلمون ، لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية ، كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم ، تشابهت قلوبهم قد بينا الآيت لقوم يوقنون ﴾ . ويلاحظ فى الاية أنها أشارت الى أن هذا القول ليس كلام عالم بل كلام جهال . ان هذا الكلام ليس جديدا بل هو منطق الكافرين دائما قديما وحديثا وذلك أثر عن تشابه القلوب . وأخيرا تقرر أن الطريق الى الله هى آياته ، أى آثاره التى تدل عليه .

(١) ليلاحظ القارئ أن علماء اليهود يجدون كل ما فى وسعهم ليهدم الأديان عن طريق المذاهب الاجتماعية والسياسية والفكرية والبيولوجية مثل مذهب (دوركايم) والشيوعية والوجودية ومذهب التطور وأنهم القائمون على دراسة علم الأديان المقارن متوسلين به الى نشر الالحاد ونسف الأديان من النفوس . وأن تلاميذهم من المسلمين والمسيحيين فى كل الأقطار يروجون لآرائهم الهدامة بين الناس جهلا وظلما .

(٢) البروتوكول الرابع عشر ص (١٦٩) (٣) الاية رقم ١١٨ فى سورة البقرة .

واقعهم المادي يكذبهم

ان أمثال هؤلاء الذين يقولون : انهم لا يؤمنون الا بما ادركته حواسهم يكذبهم واقعهم المادي الذي يعيشونه ، فهم مثلا يؤمنون بالجاذبية وقوانينها ولم يشاهدوها ، بل رأوا آثارها فقط. (١)

ويؤمنون بالعقل ولم يروه بل رأوا آثاره ، كما يؤمنون بالمغناطيسية فقد شاهدوا فقط انجذاب الحديد الى الحديد دون رؤية الجاذب .

ويؤمنون بوجود الالكترون والنيترون ولم يشاهدوا الكترونا أو نيترونا ، فواقع أمرهم يدل على أنهم آمنوا بأشياء لم تدركها حواسهم ، ولكن آثارها هي التي دلتهم عليها وهم فيها على يقين لا يخالطه شك ، وهذا يعني بوضوح أن كثيرا من حقائق الوجود يؤمن بها هؤلاء لاحساسهم بآثارها دون احساسهم بها ذاتها .

والعلم الحديث الذي يتبجحون به يقرّ تقريرا جازما بأن الحواس تعطينا أحيانا صورا كثيرة وهمية ، فنضرب على ذلك أمثلة بسيطة :

أولا — فالعصا المغمور بالماء تبدو مكسورة .

ثانيا — والخطوط المتوازية التي تفصل بينها خطوط تبدو غير متوازية

ثالثا — والأرقام البيضاء تبدو أكبر من الأرقام السوداء .

رابعا — ان شعورنا دائما أننا نسير ورؤوسنا الى أعلى سواء كنا في القطب الشمالي أو الجنوبي أو على خط الاستواء والحقيقة خلاف ذلك .

فمثل هذه الصور تبين لنا بوضوح أن الحواس — لولا العقل — لأعطتنا أخطاء بدلا من حقائق ، ولولا العقل لم تكن لنا أي معرفة . والملاحدة

---

(١) راجع كتاب الدين ، سعيد صري ص (١٠)

يقرون بكل هذا ثم ينحرفون إ لا لشيء الا أن الالحاد يعمى القلب ، وهو كالحسد الذى يبتدئ بصاحبه قبل المحسود .

وبعد هذا يقف المسلم يتساءل وهو يهز رأسه السؤال التالى :

هل كان هؤلاء على صواب عندما حصروا المعرفة كلها بالحواس ؟

وهل كانوا منطقيين مع أنفسهم عندما رفضوا الايمان بالله لأنه لم تدركه حواسهم ، مع أنهم بالآثار وحدها آمنوا بأغلب الحقائق العلمية الحديثة ..

ومع اعترافهم بأن الحواس أحيانا تكون قاصرا . كيف يعتمدون عليها كل هذا الاعتماد ؟

يا ليت شعرى كيف آمنوا بالالكترون الذى لا يرى بالعين ولم يكن في وسعهم أن يؤمنوا برب العالمين الذى هو أعرف المعارف كلها . الذى خلق هذا العالم الضخم الفسيح .

فهذه هى الأمراض التى توجد فى كل قلب ملحد كافر ونعوذ بالله من الالحاد والكفر .

الآن ننتقل الى السبب الثالث الذى اشترك فيه جميع ملاحدة الدنيا منذ الماضى السحيق الى يومنا هذا .

ثالثا — الهوى :

واذا كان الملحد ينكر وجود الله ولا يتبع هداه — لا محالة — أن يتبع هواه وذلك هو السبب الثالث للالحاد قد اشترك فيه جميع الملاحدة على مدار التاريخ .

ولكن هذا السبب الثالث ينتج عن الأصل الأول الذى هو انكار وجود البارى والابتعاد عن منهجه القويم . ثم ان اتباع الهوى بدوره يجعل الانسان ماديا خالصا لا يركن الا الى الدنيا حيث يجعل حظه من حياته التمتع من

لذائذها الجسدية ، ولا يوجه الى الحياة الروحية عزما ، ولا يهتدى بشيء مما آتاه الله من آياته المقروءة أو المنظورة . والآيات القرآنية الآتية تشهد بذلك :

﴿ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ (١)

والآية توضح أن أى انسان أوتى الهدى فانسلخ منه الى الضلال والالحاد ومال الى الدنيا فتلاعب به الشيطان كانت عاقبته البوار والخذلان وخساب فى الآخرة والأولى . هذا ما نشاهد فى تاريخ الملاحدة قديما وحديثا .. ثم أوضحت الآية الكريمة أن سنة الله قد اقتضت أن من يترك الهدى ويتبع هواه ويميل الى هذه الدنيا فلا شك أن يصبح فى أسوأ حال كحال الكلب الذى فى صفته هذه وهى أقبح حالاتها وأخسها . فهو فى هم دائب وشغل شاغل فى جميع عرض الدنيا وزخرفها ، يعنى بخسيس أمورها وجليلها . وتراه كلما أصاب سعة وبسطة فى الدنيا زاد طمعا فيها وتاريخ أوربا الحديثة شاهد على ذلك . ﴿ ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ .

ثم يأمر الله فى نهاية هذه القصة الغريبة ، نبيه أن يقص للناس قصة ذلك الرجل لعلهم يتفكرون فى المخلص مما هم فيه ، والنظر فى الآيات بعين البصيرة لا بعين الهوى والمداورة فقال : ﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ هذه هى الحقيقة الثالثة التى اشترك فيها جميع الملاحدة فى القديم والحديث والعياذ بالله من الالحاد واتباع الهوى .

(١) الاية رقم ١٧٥ من سورة الاعراف

ثم ان الهوى كما يفسد العقائد يفسد أيضا في مجال البحث العلمي لأنه يزيّن ضعيف النظريات ويحسنه لدى النفوس ويكبره ويجسم بالوهم وبالتخيل الكاذب وما يزال ينفخ فيه حتى يسيطر على المشاعر ويستحوذ على أنه حقيقة . وأقرب مثال لهذا الوهم مذهب النشوء والارتقاء الدارويني الذي لم يصل بعد مرتبة الحقائق العلمية ولكن الملاحدة وطلاب التلمود ، اتخذوه — بحكم الهوى والاضلال — حقيقة علمية يدرس في الجامعات المشهورة وهذا ما يفعله الهوى بأصحابه ..

رابعا — الانحراف في الشهوات :

ان السمة الرابعة المشتركة عند جميع الملحدين هي : (الانحراف في الشهوات) .

المعلوم ، ان الله قد أودع في الانسان دوافع الطعام والشراب والمسكن والملبس والجنس وحب البروز والتملك لتربطه بالحياة وتدفعه الى الحياة كما قال تعالى : ﴿ زين للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث . ذلك متاع الحياة الدنيا .. ﴾ (١)

ولكن الشهوات حين تزيد عن قدرها المعقول ، وتصبح " شهوة " مسيطرة على كيان الانسان فعندئذ لا تؤدي مهمتها الفطرية التي أوجدها الله من أجلها وانما تصير مبددة لطاقات الانسان صارفة له عن مهمة الخلافة وهابطة به عن مستوى الانسان الكريم الذي كرمه الله وعلاّه الى مستوى البهائم ومستوى الشياطين. هناك الميل العظيم الذي أخبر به القرآن الكريم بقوله : ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما ﴾ .

(١) الاية رقم ١٤ من سورة آل عمران

والتجربة البشرية خلال القرون تؤكد هذه الحقيقة . وكثيرون يحسبون أن التقيد بمنهج الله وبخاصة في علاقات الجنسين — شاق مجهد — والانطلاق مع الذين يتبعون الشهوات ميسر مريح وهذا وهم كبير ... فاطلاق الشهوات من كل قيد ، وتحري اللذة — واللذة وحدها — في كل تصرف ، وقصر الغاية من التقاء الجنسين في عالم الانسان على ما يطلب من مثل هذا الالتقاء في عالم البهائم ، والتجرد في علاقات الجنسين من كل قيد أخلاقي ، ومن كل التزام اجتماعي ... ان هذه كلها تبدو يسرا وراحة وانطلاقا ولكنها في حقيقتها مشقة وجهد وثقلة ، وعقابيلها في حياة المجتمع بل في حياة كل فرد — عقابيل مؤذية مدمرة ماحقة .

لقد كانت الفوضى الجنسية هي (المعول) الأول الذي حطم جميع الحضارات القديمة والحديثة — وسنرى تفاصيل ذلك في الباب الذي سنعقده في آخر البحث تحت عنوان " من آثار الالحاد المدمرة " ان شاء الله تعالى .

خامسا — وجود الطواغيت في الأرض :

ان وجود الطواغيت سمة ملازمة للبعد عن منهج الله فحين ينحرف الناس عن العبادة الحقة يتوجهون الى عبادة كائنات أخرى — بمفردها ، أو بالاشتراك مع الله ، وعندئذ تصبح هذه المعبودات طواغيت .

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : " معنى الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع . ثم قال : " والطواغيت كثيرون ، ورؤوسهم خمسة : ابليس لعنه الله ، ومن عبد وهو راض ، ومن دعا الى عبادة نفسه ، ومن ادعى شيئا من علم الغيب ، ومن حكم بغير ما أنزل الله . "(1)

---

(1) راجع ابطال التنديد شرح كتاب التوحيد ، الشيخ حمد بن علي بن عتيق ص ١٨ سنة ١٤٠٠ طبع على نفقة صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية

ثم استدل بقوله تعالى :

﴿ لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها والله سميع عليم ﴾ .

وبهذا التقرير الواضح نعلم أنه يستوى أن يكون الطاغوت فردا أو طائفة أو جماعة أو عرفا أو تقليدا أو أى قوة تستعبد الناس لها فلا يملكون الخروج عن أوامرها .

والطاغوت — سواء كان فردا أو طائفة أو جماعة ... الخ — لا يحب للناس أن يؤمنوا بالله ويعبدوه حق عبادته ، فانه لا يستطيع أن يعيش ويتمكن حيث يكون الولاء لله ، ولا يعيش ويتمكن الا بصرف الناس عن عبادة الله ليتمكن هو من أن يفرض هواه ..

ومن ثم يقف الطاغوت دائما موقف العداء من العقيدة الحقة ، لأنها تجعل الولاء الكامل لله وهو يريده لنفسه .

ومن ثم أيضا فان الالحاد — الانحراف عن منهج الله — تتلازم دائما مع وجود الطاغوت .

ان الطغيان من الأسباب المشتركة بين جميع الملاحدة . فقد حدثنا القرآن الكريم ان طاغوتا قد تجبر وازداد فى غطرسته حتى نسى حجمه الطبيعى فأسند الى نفسه احياء واماتة . ورد ذلك فى أثناء الحوار الذى جرى بينه وبين سيدنا ابراهيم عليه السلام حين قرر أن ربه هو الذى يحيى ويميت فانبرى هذا الطاغوت ليدعى أنه يحيى ويميت ، فلنستمع الى أسلوب القرآن فى ذلك الواقع المضحك :

﴿ ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال : أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان

الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين " .

فالآيات الكريمة توضح أن الذي أورث ذلك الطاغي ، الكبر والبطر وحمله على الاسراف في الغرور والاعجاب بقدرته حتى حاج ابراهيم — هو ايتاء الله اياه الملك — ومن تأمل في الآية يجد بكل وضوح ان هذا الطاغي لم يفهم مراد ابراهيم في الاحياء والاماتة . فابراهيم هو يريد بالحياة انشاءها في جميع العوالم الحية من نبات وحيوان وغيرهما كما يريد بالاماتة ، ازالة الحياة بالموت . ولكن هذا البليد الطاغي فهم من ذلك ، أن من حكم على شخص بالاعدام ثم عفا عنه فقد أحياه ، كما فهم من الاماتة بالأمر بقتله . وهذا غاية من الغباوة وقصور فهم .

فلذا لما رأى سيدنا ابراهيم عليه السلام أنه لم يفهم مراده ، أوضح جوابه كما حكى عنه سبحانه ﴿ قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب ﴾ أي ان ربي الذي يعطي الحياة ويسلبها بقدرته وارادته ، هو الذي يطلع الشمس من المشرق ، فيسير الكون لهذه الكائنات على ذلك النظام البديع ، والسنن الحكيمة التي نشاهدها .

فهذا ما كان في شأن الطاغوت في القديم ، والآن نود أن نسمع من الطغاة المعاصرين لنعلم أن وجود الطواغيت في الأرض سبب من أسباب الالحاد في جميع العصور .

بعض أقوال الطواغيت في العصر الحديث

وقد قلنا أن الطواغيت لا يريدون للناس أن يعبدوا الله وحده لأن هذا يزلزل عروشهم من تحتهم •• واليك بعض تصريحات طواغيت في العصر الحديث مما يؤكد أن الطواغيت دائما يرفضون الاعتراف بعبودية الله ثم لا يحبون أن يوجد من يقول لا اله الا الله محمد رسول الله •

أصدرت الحكومة السوفيتية في [illegible] قانونا بشأن فصل الكنيسة عن الدولة • وكان لينين الطاغي الكبير من وضع هذا القانون ••

ونصت المادة الثانية عشرة منه :

١ — بالتحريم على جميع الزعماء الدينيين أن تكون لمعابدهم وكنائسهم ومساجدهم صفة الشخصية القانونية • وبعبارة أوضح أهدرت هذه الأماكن فاستبعدت من حيز النظام القانوني •

٢ — الكنيسة منفصلة عن الدولة •

٣ — محظور اصدار أي قوانين أو لوائح محلية في أرض الجمهورية يكون من شأنها عرقلة أو تقييد حرية الضمير أو ايجاد أي امتيازات على أساس معتقدات المواطنين الدينية ••

٤ — لا تجرى أية مراسم أو احتفالات دينية في أي عمل من اعمال الدولة أو أي احتفال رسمي عام أو اجتماعي •

٥ — لا يستخدم أحد معتقداته الدينية كعذر التنصل من واجباته المدنيــة •

٦ — يلغى عمل قسم أو عهد ديني في الأحوال الضرورية • يكتفى فقط بالوعد الصادق •

٧ — تقوم السلطات المدنية وحدها بجميع أعمال التسجيل المدني عن طريق مكاتب الزواج والميلاد ••

٨ — التعليم الديني محظور في جميع المدارس الخاصة والعامة .

٩ — حرية القيام بالطقوس الدينية مكفولة الى الحد الذى لا تؤدى فيه الى اضطراب النظام العام ، فاذا كانت غير مصحوبة بالتعدى على حقوق المواطنين فللسلطات المحلية الحق في اتخاذ جميع التدابير اللازمة في هذه الأغراض لضمان المحافظة على النظام العام والأمن. (١)

وظاهر هذه المادة الحرية لكل مواطن أن يعبد الله ان شاء أو يرفض الاعتراف به طبعا . أما في باطنها فقد أمدت الشيوعيين بسلاح مشروع يشن حملا تهم على الأديان في ظل حماية القانون ورعايته .

ومما يزيد الأمر خطورة ما نصت عليه المادة ٥٨ من قانون الجنايات السوفييتي سنة ١٩٥٣ م فقد وضعت هذه المادة التي تتفرع منها ١٤ فقرة (٢) وضعت جميع المتمردين تحت باب أعداء الثورة ..

وورد في المادة (١٤٢) من نفس القانون النص على تحريم تلقين الأطفال والأحداث ، العقائد الدينية سواء في مدارس الحكومة أو في المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية الأخرى ، وجعلت كل مخالفة في هذا الشأن جريمة تستوجب الحبس الاصلاحي مع الأشغال مدة لا تزيد على السنة. (٣)

وقد جاء في كتاب الرد على الماديين للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي :

---

(١) راجع عرضا كتاب المسلمون تحت الحكم الشيوعي / محمد سامي عاشور ص٣٥—٤٥ راجع أيضا : مجلة الاعتصام عدد مارس سنة ١٩٧٥ ص ٢٠

(٢) الاسلام والشيوعية ، وزارة الأوقاف ، الادارة العامة في القاهرة ص٣١

(٣) المسلمون تحت الحكم الشيوعي / محمد سامي عاشور ص ٣٥—٥٢ بتصرف المسلمون تحت السيطرة الشيوعية ، محمد شاكر ص ١٢

" فى روسيا نجد أن المادية فيها بدأت بحملة قاسية على رجال الدين فقتل عدد كبير منهم وحرم عليهم الظهور فى المجتمعات ، واغلقت بيوت العبادة وصودرت أوقافها وحرّموا تدريس الدين ، وألغوا القسم به ، وأنشـــئوا الجمعيات للدعاية اللادينية وأصدروا مجـلة اسبوعية اسمها " بلا دين " [1] .

رأينا فى هذا العرض أن الطواغيت دائما لهم موقف المعارضة ضد ما أنزل الله ينكرون وجود الله ثم يقضون على كل ما يتصل بالدين أو يمتّ للناحيـة الروحـية بصـلة . ان الطواغيت ثانيا ، يقومون بعملهم الاجرامى هذا لتعطيل أكبر مولد للطاقـة الدائمة الى الخير فى حياة البشريـة ألا وهـــو الدين ..

وعلى هذا يأمر الله تعالى بقتل الطواغيـت اذا رقموا عـندنا فـــى الأســـر ..

يقول تعالى :

﴿فقاتلوا أئمـة الكفر انهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾ [2]

هذا بعض ما فعله الطواغيـت فى العصر الحديث . فوجود الطواغيت سبب من أسباب الالحـاد .

---

(١) الرد على الماديين / محمد عبد المنعم خفاجى : نقلا عن الاسلام والشيوعـية ص ٣١

راجـع أيضا مجلة روز اليوسف عدد ١٧ / ٢ / ١٩٧٥ م ص ٦ ، ٧ و ٨ .

(٢) في سورة التوبة الآية ١٢

الفصل الثاني
أسلوب المفكرين في أسباب الالحاد في أوربا الحديثة

ومن يتأمل في كتب المفكرين الاسلاميين وغيرهم ممن بذلوا أقصى جهودهم للوقوف أمام الخطر الالحادي ، يجد أن هذه الاسباب الكثيرة ترجع الى أمرين أساسيين :

أحدهما : خفي والآخر : ظاهر .

فأما الأمر الخفي يتمثل في شيئين هامين :

أولهما : هو ذلك الميراث النكد الوثني من الجاهلية اليونانية القديمة ،والجاهلية الرومانية ، الذى كان كمينا في الضمير الأوربي .

لقد رجعت أوربا بعدما تحررت من عبودية الكنيسة الطاغية ، الى ارثها اليوناني — الروماني مع كل اتجاهاته المادية التامة ، فيما يتعلق بالحياة الانسانية وقيمتها الذاتية .

وكان هذا الرجوع ، بالنسبة لأوربا ، بمثابة سدّ مانع عن النظر في أي دين آخر بعد هروبها من سلطان الكنيسة الظالم المعتدى (١).

وثانيهما : دور اليهود في افساد أوربا (٢) :

ان هذا السبب لا يقل أهمية عن أي سبب آخر من أسباب الالحاد ،ولكننا — مع ذلك — وجدنا بعض الباحثين لم يلتفتوا اليه ، بحجة أن اليهود من شأنهم أن يستغلوا الأحداث ولا يصنعونها ..

ان هذا حق ولكننا لا نأخذه على علته ، لأن اليهود أنفسهم صرّحوا في بروتوكولاتهم أنهم كانوا وراء كل منظمة سرية ، وكل نظرية هدامة (٣).

ولأن القرآن الكريم أخبرنا عنهم بقوله : ﴿ ويسعون في الأرض فسادا ﴾.

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج ، وليام ذى كارص
(٢) راجع جاهلية القرن العشرين ، محمد قطب ص (٤٥)
(٣) راجع البروتوكول .

ولأجل ذلك كله قلنا ، ان أسباب الالحاد الخفية فى شيئين :

١ ــ رجوع أوربا الى ارثها الوثنى القديم

٢ ــ دور اليهود فى افساد أوربا

ويحسن بنا قبل أن ندخل فى تفاصيل هذين السببين ، أن نتحدث أولا عن الأسباب الظاهرة ، فما هى تلك الأسباب الظاهرة اذن ؟ ؟

الأسباب الظاهرة

ان للالحاد فى أوربا الحديثة ، أسبابا كثيرة وأشكالا متعددة ، قد ذكرها الباحثون فى كتبهم النيّرة ، ولكننا هنا متتبعون اكبر الأسباب التى اقترنت بمسألة العقيدة منذ القرن السادس عشر ، وكان لها شأن قوى فى اضعاف العقائد الموروثة على تقدير الباحثين بالاجماع ...

وقد نرى من تتبعها كيف قويت على اضعاف العقائد التقليدية ، ثم نرى كيف آل الأمر بها أخيرا حتى فقدت قوتها الأولى على زعزعة الايمان واثارة الشكوك ، ونرى من أين طرأ الضعف حتى انتقل بعضها من ترجيح الانكار والالحاد الى ترجيح الاعتقاد واعادة النظر فى الموضوع ..

هذه الأسباب على الاجمال خمسة .. ليس فى أسباب الالحاد ما هو

---

(١) ان هذه الأسباب أخذناها من عدة مصادر ، عربية كانت أو أجنبية :
ومن باب المثال نذكر الكتب الآتية : (قذائف الحق ، التعصب والتسامح بين الاسلام والمسيحية " للشيخ محمد الغزالى " فى ظلال القرآن ، خصائص التصور الاسلامى ، معالم فى الطريق ، الاسلام ومشكلة الحضارة ، الاسلام والسلام العالمى " السيد قطب " جاهلية القرن العشرين ، التطور والثبات فى حياة البشرية ، هل نحن مسلمون ، معركة التقاليد والدروس الانسانية فى القرآن" محمد قطب " ماذا خسر العالم " أبو الحسن الندوى " الحجاب " المودودى " الظاهرة القرآنية " مالك بن بنى " الاسلام يتحدى " وحيد الدين خان " احجار على رقعة الشطرنج " وليام ذى كار " الدين " عبد الله الدراز " وغير ذلك مما لا يتسع المجال لذكرها ..).

أقوى منها وأعظم فصلا فى عقول المفكرين الأوربيين ، وفى عقول غيرهم ممن نظروا الى دلالتها مثل نظرتهم ، وحكموا بها على الأديان مثل حكمهم وهم غير قليلين بين المفكرين فى مختلف الأقوام ..

وهذه الأسباب الخمسة هى :

أولا — الدين وطغيان الكنيسة

ثانيا — علم المقارنة بين الأديان والعبادات

ثالثا — ظهور القوانين الطبيعية التى سميت بالقوانين المادية أو الآلية منذ عهد لابلاس فكوبرنيكس ثم نيوتن

رابعا — الثورة الفرنسية

خامسا — مذهب النشوء والارتقاء

أولا — الديـــــن :

لقد قاست أوربا ... الكثير — مما آل إليه أمر دينها .. هذه حقيقة لا يختلف فيها اثنان .

لقد تفتحت آذانها وعيونها .. على دين معقد يصادم العقل ويرهقه ..

فمن قائل بأقانيم ثلاثة ... (الأب والابن والروح والقدس)

ومن قائل " المسيح ابن الله " (١)

ومن قائل " ان الله هو المسيح بن مريم " (٢)

وهناك رهبانية تصادم فطرة الانسان ..

وهناك خرافات بالنسبة للكون جعلوها حقائق مقدسة .. (٣)

وكل ذلك تحريف لدين الله الذى جاء به عيسى عليه السلام ، وخروج عليه .

---

(١) التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام ، محمد الغزالى ص (١٠٠)
(٢) سورة المائدة /١٧
(٣) خصائص التطور الاسلامى ، سيد قطب : ص ٦٥

(٥)

وهذا ما أشار اليه المؤرخ الانجليزى (ويلز) إذ يقول :

" من الضرورى أن نستلفت نظر القارئ الى الفروق العميقة بين مسيحية نيقيسة الثابتة التطور وبين تعاليم يسوع الناصرى . "

ثم زاد قائلا :

" فمن الواضح تماما أن تعاليم يسوع الناصرى ، تعاليم نبوية من الطراز الجديد الذى ابتدأ بظهور الأنبياء العبرانيين ، وهى لم تكن كهنوتية ، ولم يكن لها معبد مقدس .. ولا هيكل ولم يكن لديها شعائر ولا طقوس ، وكان قربانها قلبا خاشعا ،وكانت الهيئة الوحيدة فيها هيئة من الوعاظ .. وكان رأس مالـديها من عمل هو الموعظة .. بيد ان مسيحية القرن الرابع الكاملة التكوين ، ـ وان احتفظت بتعاليم يسوع فى الأناجيل ـ كنواة لهاـ كان فى صلبها ديانة كهنوتية من طراز مألوف للناس من قبل الاف السنين ..

وكان المذبح مركز طقوسها المنمقة ، والعمل الجوهرى فيها هو القربان الذى يقربه قديس متكرس للقديس.. ولها هيئة تتطور بسرعة مكونة من الشماسة والقساوسة والأساقفة ... " (١)

اعتراف مسيحي

والغريب أن بعض كبار المسيحيين يفتخر بوجود اضافات بشرية الى أصل الكتاب ويعتبر ذلك شرفا للديانة المسيحية .

ان هذا القائل هو الدكتور وليام (تامبل) أسقف كنيسة (كنتربارى) وحبر أحبار انجلترا فهو يقول :

---

(١) معالم تاريخ الانسانية تأليف (ويلز) ص ٧٢ و ٣ ، ت. عبد العزيز توفيق جاويد ، القاهرة ١٩٦٧م .

" ان من الخطأ الفاحش أن يظن أن الله وحده هو الذى يقدم الديانة أو القسط الأكبر منها ". (١)

بهذا التصريح من هذا الحبر الكبير اتضح لنا أن أوربا لم تعتنق دين الحق الموحى من عند الله ، وانما اعتنقت المزيج بالوثنيات التى صنعها أجداد الدكتور (تايل) من آباء الكنيسة منذ عهد (بولس) اليهودى الى عهد القسطنطين الرومانى الذى قضى على البقية الباقية من هذا الدين .

يقول (برنتن) :

" ان المسيحية الظافرة فى مجلس نيقية — العقيدة الرسمية — فى أعظم أمبراطورية فى العالم مخالفة كل المخالفة لمسيحية المسيحيين فى الجليل .. لا بأن مسيحية القرن الرابع تختلف عن المسيحية الأولى فحسب ، بل بأن مسيحية القرن الرابع لم تكن مسيحية بتاتا ". (٢)

ولأجل ذلك كله تمادى بعض المؤرخين — عندما وقفوا على هذه الخرافات فى الكتب المقدسة (اعنى التوراة والأناجيل الأربعة) فقالوا :

" ان المسيح كائن أسطورى " فأنكروا وجوده كليا . وأنكروا كل ما جاء فى هذين الكتابين الذين يعتمد عليهما المسيحيون فى عقيدتهم الدينية وعباداتهم ..

ولكننا — نحن المسلمين — نعتقد اعتقادا جازما برسالة المسيح وعبوديته لخالقه . كما نعتقد أيضا ان المسيحيين نسوا حظا مما ذكروا به ، وحرفوا وبدلوا وزادوا زيادات كثيرة ..

---

(١) الجفوة المفتعلة بين العلم والدين ، محمد على يوسف ص١١
(٢) أفكار ورجال ص ٢٠٧ ، (قصة الفكر الغربي) جرين برنتن ، ت، محمود ١٩٦٥
(٣) محاضرات فى النصرانية ، أبو زهرة ص ٤٢

هذه هي الديانة التي وصلت الى أوربا ، فكيف لأبناء عصر النهضة ( ) أن يسيغوا ذلك " الخلط والخبط "

وكيف بمن سمعوا شيئا عن عقيدة الاسلام ﴿ لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ﴾ ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ﴾

كيف بمن سمع بهذه البساطة أن يسيغ ذلك التعقيد ؟

ثم كيف مع ذلك التعقيد ، بما انحدر اليه رجال الدين الكنسي من الانحطاط الخلقي والوقوف أمام التطور العلمي .

لم يكن بعد ذلك غريبا أن ترتفع الصيحة :

" اشنقوا آخر ملك ، بامعاء آخر قسيس "

ثم بأن تكون " الردة " عن ذلك الدين ،

الى تبنى الالحاد ، وانكار كل الغيبيات ..

والى تبنى الأفكار الهدامة و دين كارل ماركس ..

هذا ، ولما كانت المسيحية تؤمن بالتوراة الكتاب مقدس وتعترف به ، ولما كانت الانتقادات التي وجهها أهل التنوير الى المسيحية ، كانت موجهة أيضا الى هذه التوراة ، رأينا من المستحسن أن نتحدث عن تحريف التوراة وعقيدتها بالنسبة الى الله والأنبياء ، لنبين للناس ومعهم الملاحدة ، أن المعلومات المضللة التي اشتملت عليها هذه التوراة ليست من عند الله ، المعلومات التي اتخذها الملاحدة سندا لتبرير الحادهم ، وبها ينظرون الى جميع الأديان كشيء لا يستند الى أى أساس فهو لا يعدو أن يكون محض عقيدة لا دخل لها في تنظيم أمور الناس سياسيا واقتصاديا وغير ذلك ..

بينما جاء كل دين من عند الله ليرد البشر الى ربهم • ويرد نظـــام حياتهم الى منهجه المتفرد •• كما يقع التواؤم والتناسق بين ضميرهم وواقعهم•• لا ليبقى مجرد شعور وجداني قابع في ضمائرهم •• ولا مجرد تهذيب روحـــي في أخلاقهم •• ولا مجرد شعائر تعبدية في محاريبهم ومساجدهم • ولا مجرد أحوال شخصية في جانب واحد من حياتهم ﴿ وما أرسلنا مـــن رسول الا ليطاع ﴾ (١) وهكذا جاءت التوراة • يوم أن جاءت تتضمن عقيدة وشريعة • وبعبارة أخرى وهي تشتمل على الأقسام العلمية والعملية قال تعالى :

﴿ وكتبنا في الألواح من كل شيء موعظة ﴾ (٢) اشارة الى تمام القسم العلمي •• ﴿ وتفصيلا لكل شيء ﴾ اشارة الى تمام القسم العملي •

وكلف الله أهلها أن يتحاكموا اليها في كل شئون حياتهم • لا أن يجعلوها مواعظ تهذيبية لا تتجاوز وجدانهم • ولا شعائر تعبدية يقيمونها فـــي هياكلهم ••

﴿ انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلمـــوا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانـــوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشوني ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ــ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴿ وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفـس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجـــروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هـــم الظالمون ﴾ (٣)

فنظم موسى عليه السلام ومن بعده من انبياء حياتهم الواقعية عدة قرون ولقد كانت عقيدة التوحيد التي أسسها جدهم ابراهيم ــ عليه الســــلام

---

(١) سورة النساء / ٦٤

(٢) « الاعراف / ١٤٥

(٣) « المائدة / ٤٤

عقيدة خالصة ناصعة شاملة متكاملة .. واجه بها الوثنية مواجهة خاسمة كما صورها القرآن الكريم ﴿ ووصى بها ابراهيم بنيه كما وصى بها يعقوب بنيه قبل أن يموت ﴾ .

﴿ ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا مه سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم . قال : اسلمت للـــــــ رب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن الا وانتم مسلمون أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب المـوت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا : نعبد الهك واله آبائك ابراهيـــم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون ﴾

ومن هذا التوحيد الخالص ، وهذه العقيدة الناصعة ، وهذا الاعتقـاد في الآخرة انتكس الأحفاد ، وظلوا في انتكاسهم حتى جاءهم موســـــى عليه السلام بعقيدة التوحيد والتنزيه من جـديد والقرآن يذكر أصــــول هذه العقيدة التي جاء بها موسى — عليه السلام — بني اسرائيل ويذكـر تراجعهـــــــم عنها :

﴿ واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل : لا تعبدون الا الله وبالوالديـــــن احسانا وذي القربى واليتامى والمساكين ، وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصـــلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضـون واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون .. ثـــم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجـون فريقا منكم من ديارهم . تظاهـرون عليهم بالاثم والعدوان ... ﴾ (١)

---

(١) البقرة / ٨٣ — ٨٥

بداية انحراف بنى اسرائيل (١)

ولقد بدأ انحرافهم وموسى عليه السلام بين أظهرهم .. من ذلك عبادتهم للعجل الذى صنعه لهم السامرى من الذهب الذى حملوه معهم من حلى نساء المصريين وقبل ذلك كانوا قد مروا عقب خروجهم من مصر على قوم يعبدون الأصنام فطلبوا الى موسى عليه السلام أن يقيم لهم صنما يعبدونه . وكذلك حكى القرآن الكريم الكثير من انحرافهم و سوء تصرفهم لله سبحانه وتعالى ووثنيتهم .. (١)

---

(١) يقال لهم اليهود كما يقال لهم بنى اسرائيل و يطلق عليهم أيضا العبرانيون فهى ثلاثة أسماء أقدمها وأعمها (العبرانيون) وأحدثها وأخصها ، (اليهود) وأحبها لديهم (الاسرائيليون) ولا فرق لمؤداهن جميعا فى الأصل . وأما الآن فقد غلب عليهم اسم اليهود . وقد يراد بتسميتهم به التحقير كما يراد بتسميتهم ببنى اسرائيل التوقير .. ويطلق عليهم أخيرا الصهيونية العالمية .

والعبريون ينحدرون من العرق السامى الذى ينتسب له الآشوريون والعرب . وكانت بلاد العرب الوسطى والشمالية مهد الساميين ، وقد هاجر فريق منهم الى الشمال فى بلاد بابل حيث كان السلطان لحضارة (السومريين والأكاديين) فأقاموا بها من الزمن ما أشبعوا فيه من تلك الحضارة ، ثم كثر عددهم فهاجروا من جديد فى أدوار مختلفة . فتقدموا نحو الشمال أكثر مما تقدموا قبل ذلك ، وانحدر بعضهم نحو الجنوب ، والساميون الذين بقوا فى بلاد العرب هم أجداد الشعب العربى ، والساميون الذين مروا من موطن الحضارة فى الفرات الأدنى ثم انتشروا فى جميع آسيا وفلسطين هم الآشوريون والاسرائيليون .. راجع اليهود فى تاريخ الحضارات الأولى ص ٢٤ ــ ٢٥ تأليف غوستاف لوبون " .

وأما دائرة المعارف البستانى ، تحدد تاريخ بنى اسرائيل بأنه كان بهجرة ابراهيم نحو ٣٩٠٠ سنة من أور الكلدانيين فى شرق الفرات الى غربيه .. راجع دائرة المعارف البستانى جـ ١١ ص ٦٦٠ دار المعرفة بيروت لبنان .

كما حكى لنا أنهم ثاروا في وجه أنبيائهم ، ورفضوا الاستجابة لهم ، وطرحوا العقيدة التي جاء بها هؤلاء الأنبياء ، ثم هاجموا الأنبياء وقتلوهم أحيانا ، واستبد بهم الضلال والجحود ، فعبدوا غير الله وأنكروا البعث ونسبوا لأنبيائهم ما لا يمكن أن يصدر من أنبياء .

ويجدر بنا ونحن لا نزال مع القرآن أن نستعرضه لنقتبس منه بعض الآيات التي تحدثت عن بني اسرائيل ووصفت أخلاقهم وصفاتهم ، قال تعالى :

﴿ وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ، ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ (١)

﴿ ثم قست قلوبهم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة ﴾ (٢)

﴿ أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾ (٣)

﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ﴾ (٤)

﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غلت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ، ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ﴾ (٥)

---

(١) البقرة آية ٦١ (٢) البقرة آية ٧٤ (٣) البقرة آية ٨٥
(٤) البقرة آية ٨٧ (٥) البقرة آية ٦٤

﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ، اتخذوه وكانوا ظالمين ﴾ (١)

﴿ ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين ﴾ (٢)

﴿ أقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم ﴾ (٣)

﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله ﴾

ومن لوثة القومية حكى عنهم القرآن مايلي :

﴿ ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤديه اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ﴾

هذا وليس من أهدافنا في هذا البحث التهجم على التوراة والانجيل وفضح تصرفات أصحابهما ، وليس كذلك تبرير الملحدين الذين أطلقوا تمردهم على خالقهم في أثناء ثورتهم على خرافات التوراة والأناجيل وعلى طغيان الكنيسة وحماقات رجالها ، لكن هدفنا هو الحقيقة التي هي ضالة المؤمن ..

لا سيما وأن القصة قضية انسانية عامة ، تمتد نطاق أوربا الى العالم كله حتى وصلت نيرانها ولهيبها العالم الاسلامي فانبهر بهم كثير من " المثقفين " فبدؤا يرددون مزاعمهم الالحادية .

وعلى هذا الأساس نستعرض موضوع انحراف بني اسرائيل عقيدة وشريعة وكذلك تحريف المسيحية أيضا عقيدة وشريعة معتمدين أساسا على كتبهم في أغلب الأحيان ..

---

(١) سورة الأعراف الاية ١٤٨ (٢) الاعراف آية ١٥٢
(٣) سورة يوسف الاية ٤٠

لأن هذه المعلومات أو الخرافات بمعنى أدق — هي التي اتخذهـا الملاحـدة سندا في ابدال فكرة التدين . لقد رأينا فيما سبق من الصفحات أنهم قالوا : (إن الدين أفيون الشعوب)

ولذا نريد أن نوضح هنا أن الدين الذي جاء الى أوربا هو ديـن محرف وعقيدة منحرفة . وأما ديننا الاسلامي المجيد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يعرف ذلك كل دان وقاص ..

ولما كان قصدنا في هذا الفصل — هو بيان الظروف التي بدأ فيهـا الالحاد في أوربا الحديثة ، ولم يكن عرض التصورات اليهودية والنصرانية نكتفي بالعناوين التالية :

١ — عقيدة اليهود في الله (يهوه) (١)

---

(١) يقول الاستاذ العقاد في كتابه الله ص ١١٣ ان اسم " يهوه " لا يعرف اشتقاقه على التحقيق فيصح أنه من مادة الحياة ، ويصح أنه نداء لضمير الغائب أي (يا هو) .. لأن موسى علّم بني اسرائيل أن يتقـوا ذكره توقيرا له ، وأن يكتفوا بالاشارة اليه ، وهذا الاتجاه هو ما ذهب اليه (Smith) ، ويضيف هذا احتمالا لاتجاه آخر : هو أن الكلمة العبرية المماثلة لكلمة (لورد Lord) هي يهوا . وكانت اللغة العبرية تكتب بدون حروف علة حتى سنة ٥٠٠ م ثم دخلت هذه الحروف ، فأصبحت كلمة يهوا : يا هوفا ( ) وبذلك فكلمة (يهوا) أو (يا هوفا) معناها سيّد واله .
راجع كتاب /
نقلا عن كتاب اليهود تأليف احمد شلبي ص : (١٥٣)

٢ — عقيدتهم في ألهيائهم ٠
٣ — وعقيدتهم في الآخرة والبعث ؛
٤ — موقف العلم الحديث من التوراة ؛

أولا — عقيدة اليهود (في الله) :

لقد تضمنت كتبهم المحرفة أوصافا لا لهم (يهوه) لا ترتفع أوصاف الا غريق في وثنيتهم لآلهتهم ٠

ومن ينظر صفات (يهوه) اله اليهود في كتبهم ، يعتقد جازما أن (يهوه) ليس خالقا لهم ، وانما هو مخلوق لهم ٠ وهو لا يأمرهم بل يسير على هواهم وكثيرا يأتمر بأمرهم ٠٠ لا فرق بينه وبين البشر في جميع تصرفاته ٠٠ وستتضح لك هذه الصورة في الصفحات الآتية :

الأوصاف الحسية ليهوه ،

قالوا : انه كان يسير أمام جماعة بني اسرائيل في عمود سحاب ٠٠ فقد جاء في سفر الخروج : " وارتحلوا من سكوت ونزلوا في ايثام في طرف البرية ٠٠ وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحاب ليهديهم في الطريق ، وليلا في عمود نار ليضيء لهم " (١) ٠

هل الفطرة السليمة تؤمن بهذا ولا غرابة اذن أن يثور أصحاب النهضة الجديدة في وجه هذا الكتاب الجامع جميع خزعبلات الدنيا وترهاتها ٠٠

واليك قصة أخرى تتجلى فيه بشرية هذا الاله اليهودي :

يقول محررو التوراة وهم يصفون يهوه بصفات بشرية محضة :

" ثم صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ اسرائيل ورأوا

---

(١) سفر الخروج ١٢ : ٢٠ — ٢١

لاسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة .. ولكنه لم يمد يده الى أشراف بني اسرائيل " " ... فيصنعون لي مقدسا لأسكن في وسطهم " (١)

ويهوه هذا ليس معصوما ، وكثيرا ما يقع في الخطأ ، ثم يندم على مافعل . واليك بعضا من هذه النصوص :

" فندم الرب على الشر الذي قال انه يفعله بشعبه " (٢)

وفي نص آخر " وكان كلام الرب الى صموئيل قائلا : " ندمت على أني قد جعلت شاول ملكا لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي " (٣)

لقد وصف اليهود الههم بأنه لا يعلم الأمور الا بعد وقوعها :

جاء في الاصحاح الثالث من سفر التكوين :

" وسمعا صوت الرب الاله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ : آدم وامرأته من وجه الرب الاله في وسط شجر الجنة .. فنادى الرب الاله آدم وقال له : أين أنت ؟ فقال : سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان .. فاختبأت . فقال : من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك الا تأكل منها ؟ "

هكذا يزعمون . واليك لونا آخر من تلك العقيدة العجيبة :

وقد اجتمعت اليهود عن آخرهم على أن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض استوى على عرشه مستلقيا على قفاه ، واضعا احدى رجليه على الأخرى . (٤)

ووصفوا الههم بأنه له شعر قطط ، وفروة سوداء وأنه بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه .. وأنه ضحك حتى بدت نواجذه . (٥)

---

(١) الخروج ٢٥ : ٨
(٢) الخروج ٣٢ : ١٤
(٣) صموئيل الأول ١٥ : ١٠
(٤) الملل والنحل شهرستاني ج ٢ ص ٢٢
(٥) المرجع السابق ص ٢٢

واليك بعض شواهد من كتبهم المحرفة :

يقول كاتب التوراة :

" وفرغ الله فى اليوم السادس من عمله فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ، وبارك الله اليوم السابع وقدسه ، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقا ".

ودعك من الركاكة التى صيغت بها هذه العبارة ، فقد يكون المترجم هابط الاسلوب فى التعبير عن معنى ما ، ولكنه لا تستطيع أن تفهم معنى آخر من هذا الكلام الا أن (الله استراح) من جميع أعماله فى اليوم السابع هذه الاعمال التى أداها بوصفه خالقا ..

ما أبعد الشقة بين هذا التصوير ، وبين وصف الله لنفسه فقال :

﴿ أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شيء قدير ﴾

﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسّنا من لغوب ﴾

وياليت محررى التوراة اكتفوا بذلك ، بل قالوا أيضا ان الله تعالى كان يخاف من تمرد آدم لما أكل الشجرة ، خاف ربما يزداد تمرده حتى ينازع الله فى ملكه أى كان ملكه مهدد بهذا التمرد الانسانى ..

جاء فى العهد القديم :

" وقال الرب الاله : هوذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ، ويأكل ويحيا الى الأبد وأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها ، وطرد الانسان وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة

---

(١) سفر التكوين : الاصحاح الثانى (٢) سورة الأحقاف آية ٣٣
(٣) سورة ق آية ٣٨ (٤) سفر التكوين الاصحاح الثالث

هل الله يحـــزن ؟

وأغرب من كل ذلك انهم وصفوا الله بأنه حزن على خلق آدم وأبنائــــه ولم يكن الله حين خلقه يعرف أنه سيكون شريرا الى هذا الحد بل لقد فوجىء بما وقع ، ومن أجل ذلك حزن الرب وتأسف فى قلبه أن خلق آدم وأبنائه.

قال العهد القديم :

" فحزن الرب انه عمل الانسان و رأى كل تصور أفكار قلبه انما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب انه عمل الانسان فى الأرض وتأسف فى قلبه ، فقـــال الرب : أمحو عن وجه الأرض الانسان الذى خلقته ، ... الانسان مـــع بهائم ودبابات وطيور السماء ، لأنى حزنت انى عملتهم .." (١)

ويعلق الاستاذ محمد الغزالى على هذا الاصحاح بقوله :

" الحق أننى أدهش كل الدهشة للطفولة الغريرة التى تنضح من هذا الحديث الخرافى عن اللــه جـل جلاله " (٢) .

ان الاله ـ كما ترى ـ فى هذه السياقات الصبيانية كائن قاصر .. متقلب ضعيف . وما أشك فى أن مؤلف هذه السطور كان سجين تصورات وثنيـة عن حقيقة الألوهية وما ينبغى لها . ولا شك أن يكون هذا التبلد من الأسباب التى جعلت عصر التنوير يرفضون أن يكون الكتاب المقدس وحيا من عند اللـه .

هل الله ينســـى ؟

ان محررى التوراة أثبتوا فى توراتهم أن الله تعالى ينسى فلذلك وضــع قوس قزح ليتذكر دائما الميثاق الذى أخذه على نفسه كى لا يغرق الأرض مرة أخرى .. أى كلما يرى هذه القوس يتذكر ، والا يتورط فى طوفان آخر .. فلنقرأ النصوص الآتية :

(١) سفر التكوين الاصحاح : (٢) قذائف الحق ، محمد الغزالى ص ٦٢

" وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا : أقيم ميثاقي معكم فلا ينقرض كل ذى جسد أيضا بمياه الطوفان ، ولا يكون أيضا طوفان ليخرب الارض .

وقال الله : هذه علامة الميثاق الذى أنا واضعه بيني وبين كل ذوات الأنفس الحية التي معكم الى أجيال الدهر .. وضعت قوس في السحاب فتتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض فيكون متى أنشر سحابا أبصرها لأذكر ميثاقا أبديا بين اللهوبين كل نفس حية في كل جسد على الأرض "

هل هذا يليق بجلال الله وعزته ودقة علمه ، الذى يعلم السر وأخفى ؟

فليس غريبا أن يكون هذا الشعب اليهودى شعبا ملعونا على لسان داود وعيسى بن مريم .

هل الله يصارع الانسان ؟

وبعد هذا نقف ـ الآن ـ بازاء قصة أخرى من أغرب وأفجر ما اختلق الروائيون !!

القصة الجديدة تحكى مصارعة بين " الله " وعبده " يعقوب " وهذه المصارعة المريرة الفذة ، دامت ليلا طويلا ، وكاد يعقوب يفوز فيها لولا أن الطرف الآخر في هذه المصارعة ، وهو الله ـ لجأ الى حيلة غير رياضية هزم بعدها يعقوب .

ومع ذلك فان يعقوب تعلق بالله ورفض أن يطلق سراحه حتى يمنحه " لقب اسرائيل " .

وعند هذا العجز الالهي منحه الله هذا "اللقب الفخرى " ثم تركه يعقوب

---

(١) سفر التكوين الاصحاح التاسع .

ليصعد الى العرش ويدبر أمر السماء والأرض ، بعد ذلك الصراع الرهيب يا ترى أى عقل يقبل هذه الخزعبلات ؟ ..

اذن لم يعد غريبا حينما يرفض المفكرون الكتاب المقدس ومثليه في أوربا .. فلنستمع الى التوراة تصور لنا هذا الاختلاق :

" فبقى يعقوب وحده ، وصارعه انسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه ، فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه ، وقال : أطلقنى ! .. فقال : لا أطلقك ان لم تباركنى ! فقال له : ما اسمك ؟ فقال يعقوب ، فقال : لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب بل اسرائيل .. وسأل يعقوب ، فقال : أخبرنى باسمك فقال : لماذا تسأل عن اسمى وباركه هناك ، فدعا يعقوب اسم المكان " فنيئيل " قائلا : لأنى نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسى .. لذلك لا يأكل بنو اسرائيل " عرق النساء " الذى على حق الفخذ الى هذا اليوم لأنه (الله) ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النساء ! ! " .

وكم يفخر اليهود اذا كان أبوهم بهذه المثابة العجيبة من القوة والبطش اللذين يعجز عنهما الاله الذى فطر السموات والأرض وخلق الظلمات والنور فلذلك حرموا على أنفسهم أكل الفخذ .

وبهذا القدر نكتفى لبيان أن تبلد الضمير الدينى كان من العوامل الأساسية التى أبعدت الناس – فى أوربا – عن التدين .

اليهود والألوهية عموماً

وهكذا رأينا أن المادية والتطلع الى أسلوب نفعي في الحياة ، من أكبر ما يشغل اليهود ، بل ليست دياناتهم الا تعبيرا طبيعيا لشعب خاص لا تقبل الشركاء . (١)

والذي يقرأ الأسفار لا يجد فيها ما يدل على أن موسى أو بني اسرائيل ما كانوا مأمورين بدعوة غيرهم الى ديانتهم .

وكل ما في الأسفار منصب على كون الديانة اليهودية ديانتهم الخاصة وكون الرب ربهم الخاص .

هذه هي قصة الاله عند اليهود وهي واضحة الدلالة على أن اليهود لم يعرفوا الاله الحق في أكثر تاريخهم ، وهم الآن يتخذون تراب فلسطين الها لهم ، ان تراب فلسطين رمز المادة التي تحكمت في الفكر اليهودي على مر التاريخ .

ولولا حبل من الله وحبل من الناس (٢) لما كان اليهود يستحقون البقاء فوق هذه البسيطة لفساد عقيدتهم وسوء أخلاقهم .

---

(١) ما يقال عن الاسلام ، العقاد : ص ٥١
محمد دروزة ، تاريخ اسرائيل في أسفارهم جـ ١ ص ٧٢
وتاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي جـ ٦ ص٣٤٦
راجع أيضا اليهود ، أحمد الشلبي ص١٦٣

(٢) هذا اقتباس من قوله تعالى : ﴿ في سورة آل عمران : ﴿ ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ .

وسنرى فى الصفحات الآتية ألوانا أخرى من عقيدتهم الفاسدة تجاه أنبيائهم الأبرار .. لقد صورهم اليهود فى صور اللصوص والفساق والمنحرفين .. لم يسلم من ذلك أحد منهم ..

الأنبياء فى التوراة

ان اليهود صوروا أنبيائهم ورسلهم أبشع صورة وأقذرها ليبيحوا لأنفسهم القذارة والسفالة وكل الأخلاق اللئيمة الممقوتة .وإذا كان القدرة قذرا سافلا فلا لوم — اذن — على المقتدى أن يكون كذلك ان كل من يقرأ التوراة بالتأمل يجد أنه لم ينج واحد من الأنبياء الأول الأكابر من التلطيخ .

فنوح يسكر حتى يفقد وعيه . ولوط يضاجع بناته وهو سكران .. ويعقوب يسرق البركة والنبوة والأغنام والمواشى .. ويهوذا يزنى بامرأة ابنه وداود يشتهى زوجة الضابط (أوريا) فيزنى بها ويرسل زوجها للقتال ليتخلص منه .. أما بيت داود النبى العظيم كان بيت الفجور والاجرام ففيه يضاجع الابن زوجات أبيه فى عين الشمس وأمام جميع اسرائيل اما سليمان فيختتم حياته المجيدة بعبادة الأصنام .. وهارون يصنع العجل الذهبى ويعبده .. حتى موسى تقول التوراة انه خان ربه ولم يقدسه (١) ولهذا يحرمه الرب من دخول الأرض الموعودة ويموت فى سيناء هو وهارون ويقول الرب لهما فى التوراة :

" لأنكما خنتمانى ولم تقدسانى لن تدخلا الأرض التى تفيض لبنا وعسلا ويدخلها عبدى يشوع بن نون " (٢) .

---

(١) راجع عرضا كتاب التوراة ، مصطفى محمود ص ٦٢ بتصريف طفيف .
(٢) المرجع السابق ص ٦٢

حتى أيوب نقلوا عن لسانه أنه ينكر البعث والقيام من القبور . ولـــم يسلم واحد من الأنبياء الأول الصالح الذين بنوا صرح الدولة اليهوديـــة من التلطيـــخ .

واليك نماذج من هذا التلطيـــخ من التوراة نفسها :

سيدنا ابراهيم والتـــــوراة

فالتوراة تعرض صورة قذرة لابراهيم ، فهو ـ كما تزعم التوراة ـ يعـــرض امرأته الجميلة الفاتنة ، ويجعلها وسيلة كسب وثراء .

تقول التوراة فى " سفر التكوين " أول اسفارها الخمسة المقدسة المجمع على قداستها من مختلف طوائف اليهود والنصارى ومن السامرة (١) :

" وحدث جوع فى الأرض ،فانحدر أبرام الى مصر ليتغرب هناك ، لأن الجوع فى الأرض كان شديدا ، وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراى امرأته : انى قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر ، فيكون اذا رآك المصريـــون أنهم يقولون : هذه امرأته ،فيقتلوننى ويستبقونك ، قولى : انك اختـــى ليكون لى خير بسببك وتحيا نفسى من أجلك " .

" فحدث لما دخل ابرام الى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسناء جدا ورآها رؤساء فرعون ، فأخذت المرأة الى بيت فرعون ، فصنع الى ابـرام خيرا بسببها " (٢) .

" وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد واماء وأتـن وجمال ، فضرب الرب فرعون وبنيه ضربات عظيمة بسبب ساراى امرأة أبرام ...

(١) راجع اليهود والنصرانية ، أحمد عبد الغفار عطار ص٤٣ ، دار الأندلس بيروت

(٢) راجع سفر التكوين فى الاصحاح العشرين .

" فدعا فرعون أبرام وقال : ما هذا الذى صنعت بى ؟ لماذا لم تخبرني أنها امرأتك ؟ لماذا قلت : هى أختى ، حتى أخذتها لى لتكون زوجتى ؟ والآن ، هوذا امرأتك ، خذها واذهب ، وأوصى فرعون رجالا فشيعوه بامرأته وكل ما كان له " (١)

وهكذا يصور كاتب هذا الاصحاح سيدنا ابراهيم .. وأما نحن المسلمين — فقول : اذا كان كتاب اليهود الذى يدين به النصارى أيضا تكذب على ابراهيم فتذكر عنه ذلك المسلك الشائن فان كتاب المسلمين بخلاف ذلك ، وهذا أعظم دليل على ان كتاب المسلمين هو الحق .

يقول القرآن الكريم فى ابراهيم :

﴿ واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا ﴾ (١)

﴿ ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ﴾ (٢)

﴿ وان من شيعته لا براهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ﴾ (٣)

﴿ سلام على ابراهيم ، كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ﴾ (٤)

﴿ ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الآخرة لمن الصالحين ﴾

﴿ ونجيناه ولوطا الى الأرض التى باركنا فيها للعالمين ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين . وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين ﴾

﴿ ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ﴾

---

(١) سفر التكوين فى الاصحاح العشرين (١) مريم آية ٤١
(٢) الأنبياء آية ٥١ (٣) الصافات اية ٨٤
(٤) الصافات آية ١٠٩ — ١١١

﴿ ان ابراهيم لأواه حليم ﴾

﴿ ان ابراهيم لحليم أواه منيب ﴾

وغير ذلك من الآيات البينات التى تصف ابراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام بما يليق به ، ويكفى أن الله جعله اماما للناس ، وكل هذه المحامد والصفات الكريمة تنفى فرية سفر التكوين الذى نسجها كاتبه الساقط البذئ .

واذا كان أبو الأنبياء بهذه السقوط الخلقى الذى يدعيه سفر التكوين فكيف يؤمن بهذا الكتاب رجال العالم الحديث الهاربون عن رب الكنيسة . وبهذه وتلك يظهر بكل وضوح كلام الشيخ محمد الغزالى حيث قال : ان الالحاد الحديث لم يحدث فى أوربا المعاصرة الا من تبلد الضمير الدينى عند أهل الكتاب والجمود الفكرى والتجارة بالدين .

الدفاع عن التوراة

" يقول المدافعون عن التوراة .. ان ما جاء فى العهد القديم عن خطايا الأنبياء حقيقة لا تلطيخ فيه ولا مبالغة ... وأن الله كانت له حكمة وراء ما حدث . فقد أراد أنبياء أفراد عاديين يخطئون .. ليكونوا أمثلة لنعمة الله ورحمته ومغفرته " (١) .

هذا هو كلام المدافعين

وهو كلام مردود عليه

فكيف نقود قطيعا من الخراف الضالة بكبش ضال مثلهم .. أليس طبيعيا أن يكون القائد قدوة طيبة ونموذجا حسنا .. كيف يدعو الأنبياء الى الوصايا العشر وفى أولها لا تقتل لا تسرق لا تزن .. ويكونون هم أول من يقتل ويسرق ويزنى .

---

(١) راجع كتاب التوراة مصطفى محمود ص ٦٤ .

أنا لم أقل ان الأنبياء يجب أن يكونوا آلهة .

وانما قلت ان من الطبيعي أن يكون النبي قدوة طيبة ونموذجا حسنا بحكم كونه المختار من ملايين .. والا سقطت عنه وظيفته - وأصبح تشريف الله في اختياره له دون الملايين غيره تشريفا بلا معنى .. وتحول من قدوة حسنة الى مثل سيء وأصبح مضللا بدلا من أن يكون هاديا .

والواقع خلاف ذلك لأننا لم نر نبيا أبدا مضللا بل كانوا هداة .. وكانوا خير قدوة .. ولكن حرص اليهود على تخريب كل شيء (وهم أبنــــاء الأفاعي وقتلة الأنبياء) جعلهم يقتلون حتى ذكرى هؤلاء الأنبيــــاء ويشوهون ويتابعون أعمالهم وأقوالهم بالتحريف .

ولنقف وقفة تأمل أمام تلك الحادثة الفريدة التي ترويها التوراة عن داود وامرأة قائد الجيش (أوريا) .

" وحبلت المرأة (من الزنا مع داود) فأرسلت واخبرت داود وقالت انى حبلى .. فأرسل داود فى طلب أوريا (ليمنحه اجازة يقضيها مع امرأته في محاولة لستر هذا الحمل " السفاح ") .

وقال داود لأوريا انزل الى بيتك واغسل رجليك .. فخرج أوريــا من بيت الملك مع جميع عبيد سيده ولم ينزل الى بيتــه بل نام على باب الملــك فأخبروا داود قائلين لم ينزل أوريا الى بيته فقال داود لأوريا أما جئت من السفر فلماذا لا تنزل الى بيتك فقال أوريا لداود أن تابوت العهد واسرائيل ويهوذا ساكنون فى الخيام وسيدى يوآب (قائد الجيش) وعبيده نازلون على وجه الصحراء .. وأنا آتي الى بيتي لآكل وأشرب واضاجع مع امرأتي وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر " .

---

(١) راجع التوراة - مصطفى محمود ص٦٩

(٢) راجع المصدر السابق .

ومن هو ذلك النبي داود .. الذى صورته التوراة ؟

هل يمكن أن يرسل داود مثل هذا الرجل الى الموت ليأخذ امرأته غنيمة الا أن يكون داود زنيا ؟

من أجل ماذا تلك الشناعة ؟

من أجل لحظة نزوة رآها ذات مساء على السطوح

والعقل يقول : ان هذا محال أن يقع لنبي .

تلكم هى بعض تصورات اليهود تجاه الههم (يهوه) وأنبيائهم الذين صوروهم للناس فى ثياب اللصوص الذين ليس لهم هم سوى جمع حطام الدنيا واقتراف المنكرات .. وليس غريبا اذن أن نجد المفكرين قد ثاروا على هذه العقيدة التى لا تصدقه العقول السليمة والفطرة السليمة .

وبعد هذا ننتقل الى موقف العلم الحديث من التوراة .

التـوراة المحرفـــــة

قد رأينا فى السطور الماضـية عقيدة اليهود فى ربهم وفى أنبيائهـــم الذين صوروهم فى صور اللصوص وقطاع الطرق •

فكان ذلك مما يساعد الملاحـدة على تكذيب جميع الأديان وجميـــع الكتب السماوية •• وهنا نريد أن نقدم للقارئ نماذج من تحريف التوراة ليعلم الملاحـدة أن المعلومات المناقضة للعلم الحديث فى التوراة ، ليست مـــن عند الله وانما كتبت التوراة هم الذين كتبوها بأيديهم فقالوا : هذا مـــن عـند الله " •

وقبل الخوض فى بيان هذا التحريف الخطير يحسن بنا أن نعطـــى للقارئ فكرة موجـزة عن التوراة نفسها ••

فكرة موجـزة عن التوراة

التوراة : هو الاسم السامى •

أما التعبير اليونانى الذى أعطى كلمة (pentateuque) الفرنسية فهى تعنى مؤلفا يتكون من خمسة أجـزاء :

سفر التكوين ، و سفر الخروج ، وسفر اللاويين ، وسفر العدد ، وسفر التثنية وهى الأسفار التى كونت العناصر الأولى لكتاب العهد القديم من تسعة وثلاثيـن مجلدا ••

وتتناول هذه المجموعة من النصوص أصل الكون وحتى دخول الشعـــب اليهودى أرض كنعان ، الأرض الموعودة بعد الخـروج من مصر ، وبالتحديد حتى موت موسى • وتستخدم حكاية هذه الأحداث كاطار لعرض التدابيـر الخاصة بالحياة الدينيـة والحياة الاجتماعية للشعب اليهودى • ومن هـــنا

جاء اسم التوراة يعنى الناموس (١) . هذه فكرة موجزة عن التوراة ، واذا فيمنا هذا قد تهيأنا بعض التهيؤ لننتقل الى استعراض نماذج لتحريف التوراة من التوراة نفسها ..

نماذج من تحريف التوراة

لقد ظلت اليهودية والمسيحية ، لقرون طويلة ، تعتبران أن موسى نفسه هو كاتب التوراة .

وربما كان سبب هذا الظن اعتمادهم على بعض النصوص وردت في الأناجيل التى توهم أن موسى هو الذى كتبها ومن هذه النصوص مايلى :

جاء فى سفر الخروج أن الرب قال لموسى : " اكتب هذا تذكارا " (٢) والمقصود من هذا هزيمة عماليق .

أو اعتمدوا على الآية الثانية من الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر العدد : " وكتب موسى مخارجهم برحلاتهم حسب قول الرب " (٣) .

أو أنهم اعتمدوا على آية فى سفر التثنية " وكتب موسى هذه التوراة " (٤)

هذه هى بعض أدلة القائلين بأن موسى هو الذى كتب التوراة نفسه حتى كان بعض المتحمسين ـ كأمثال (فلافيوس جوزيف) (Lavius Josephe) وفليون الاسكندرى (philon) (٥) ، يرون أن موسى هو الذى كتب الأسفار الخمسة كلها . وكان هذا التحمس ابتداء من القرن الأول قبل الميلاد .

---

(١) يراجع فى هذا الى كتاب دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاى ص٢٦

(٢) الخروج الاصحاح ٢٧ الاية ١٤ (٣) العدد الاية الثانية من الاصحاح ٣٣

(٤) التثنية الاية التاسعة من الاصحاح الحادى والثلاثين

(٥) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاى ص٢٧

وأما أدلتهم من الأناجيل كالتالي :

أولا :ـ (6) ان بولس قد كتب فى رسالته الى أهل رومية يقول :

" لأن موسى يكتب فى اكبر(١) الذى يصدر من الناموس..." (٢)

وأما يوحنا ـ ان كان هو الذى كتب الانجيل المنسوب اليه ، فهو يجعل المسيح يقول تلك العبارة التالية :

" لأنكم لو كنتم ترون موسى لكنتم تصدقوننى لأنه هو كتب عنى . فان كنتم لستم تصدقون ما كتب فكيف تصدقون كلامى ...." (٣) وهذه بعض ما يعتمد عليه المسيحيون فى نسبة كتابة التوراة الى موسى عليه السلام.

ولكن كل ذلك بهتان وزور ويتضح ذلك فيمايلى :

ذلك ان الله تعالى قد سخر بعض كبار المسيحيين لرد هذا الزعم .. وهو الأب ديفو (R.P.De Vaux) الذى يعترف به جميع المسيحيين فى تمسكه للديانة المسيحية والذى بالقدس حيث كان مديرا لمدرسة الكتاب ، وهو الذى قدم لترجمته لسفر التكوين عام ١٩٦٢ م بمقدمة عامة لأسفار موسى الخمسة ، وهى مقدمة تحتوى على حجج قيمة تناقش الدعاوى الانجيلية الخاصة بأبوة المؤلف المعنى به ..

يذكر الأب ديفو أن " التراث اليهودى الذى امتثل له عيسى والرسل " " كان مقبولا حتى نهاية القرون الوسطى .. وكان الرافض الوحيد لهذه الدعوى " أبين اسرا " (Aben Esra) فى القرن (٤)

---

(١) المقصود هنا العدل

(٢) الاصحاح العاشر الاية ٥ من رسالته لأهل رومية
(٣) انجيل يوحنا ، الاصحاح الخامس ٤٦ ـ ٤٧
(٤) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاى ص ٢٧

وقال أيضا :

" في القرن السادس عشر أشار كارلشتاد (Carlstadt)
الى استحالة أن يكون موسى قد كتب بنفسه كيف مات " (١)

ويذكر أيضا بعد ذلك نقاد آخرين يرفضون نسبة كتاب التوراة الى موسى ويذكر على وجه الخصوص دراسة ريشار سيمول (Richard Simon) في كتابه " التاريخ النقدي للعهد القديم ".
(Histoire Critique Du vieux Testament)

(١٦٧٨) . وفيه يؤكد ر. سيمون على الصعوبات الخاصة بتسلسل الأحداث والتكرارات وفوضى الروايات وفوارق الأسلوب في أسفار موسى الخمسة .

وعندما صدر هذا الكتاب جن جنون الكنيسة ضده لأنه أثار ضجة وسخطا ولم يتابع أحد حجة ر. سيمون تقريبا .. خوفا من سلطان الكنيسة .. (٢)
وكما استطاع النقاد أن يثبتوا أن التوراة قد عينت أماكن بأسماء لم توضع لها الا بعد موسى بقرون عديدة (٣) يستطيع القارئ أن يتصور الى أي حد كان من الصعب تدحيض هذه الخرافة ، خرافة أن موسى هو كاتب التوراة .

ومع هذه الصعوبات كلها جاء رجل مسيحي آخر فقام بدراسة أخرى يثبت فيها أن موسى لم يكتب التوراة التي بأيديهم .. وهذا الرجل هو : جان استروك (١٧٥٣) .

---

(١) سفر التثنية الاصحاح ٣٤ الآيات من ٥ الى ١٢
(٢) المرجع السابق ص ٢٨
(٣) انظر المشكلة الأخلاقية والفلاسفة ص ١٢٢ تأليف كرسون ، ت عبد الحليم محمود ط ٢ القاهرة .
ورسالة في اللاهوت والسياسة لسبينوزا ترجمة حسن حنفي مصر ١٩٦٣م

ان هذا الرجل كانت لديه شجاعة أن ينشر على الملأ ملاحظة أساسيـــة هى وجود التناقض فى نصوص التوراة ٠ ونذكر من هذه التناقضات مايلى :

أولا :ـ وجود نصين جنبا الى جنب فى سفر التكوين يحتوى كل منهما عـلى خاصية مختلفة فى تسمية الرب :

اذ يسميه أحدهما " يهوه " ويسميه الثانى بـ " ألوهيم " ٠

اذ ن فسفر التكوين يحتوى على نصين جنبا الى جنب ٠

ثم قام " ايخهون " (Eichhorn) ١٧٨٠ ـ ١٧٨٣ بنفس الاكتشافات بالنسبة للكتب الأربعة الأخرى ٠٠ ثم جـاء (ايلجن) (/ Ilgen) ١٧٩٨ ولاحظ أن أحد النصين اللذيـــن مزجهما (ستروك) وهو النص الذى سمى فيه الرب بألوهيم ، ينقسم هو أيضا الى قسمين :

وبهذا تفتت كتاب أسفار موسى الخمسة ٠

واما بحاثـة القرن التاسع عشر الميلادى فقد كرسوا جهدهم فى بحـــــث عن المصادر أكـثر دقـة ٠٠

وفى سنة ١٨٥٤ م كانت هناك أربعة مصادر مقبولة وتسمى بالأســــماء التالية :

١ ـ الوثيقة اليهودية

٢ ـ الوثيقة الألوهيمية

٣ ـ وسفر التثنية

٤ ـ النص الكهنوتـى

ومن المدهش ان الباحثين قد أفلحـــوا فى اعطائها اعمارا فقالوا :

ان الوثيقة اليهودية تقع فى القرن التاسع قبل الميلاد (وقد حررت فى مملكة الجنوب) .

واما الوثيقة الالوهيمية فهى أقرب تاريخيا بقليل (وقد حررت باسرائيل)

وأما سفر التثنية فينتمى الى القرن الثامن مرقبل الميلاد فى رأى أدمونـــد جاكوب .

وأما النص الكهنوتى فينتمى الى عصر النفى أوما بعد النفى ، أىالقرن السادس قبل الميلاد .

بهذا يتضح لنا أن الاسفار الخمسة لم يكتبها موسى عليه السلام . لأنها ثبت أنها كتبت بعد موته بقرون عديدة . [1] وبالتحديد على ثلاثة قـــرون بأقل تقدير .. [2] وليس فى استطاعة اليهود ولا المسيحيين الذين يؤمنـــون بقدسية الاسفار الخمسة ، أن يردوا هذا البحث العميق الموضوعى .

وكما يتضح أيضا تكون كتاب أسفار موسى الخمسة من أقوال موروثة مختلفة جمعهـا ــ بشكل يقل أو يزيد حذقا ــ محررون ، وضعوا تارة ما جمعـــوا جنبا الى جنب . وطوراً غيروا من شكل هذه الروايات بهدف وحدة مركبـة تاركين للعين أموراً غير معقولة وأخرى متنافرة .. كانت من شأنها أن قادت المحدثين الى البحث الموضوعى عن المصادر .

أخبار لا توافق الواقع التاريخى

قد وجدت فى التوراة أخبار لم توافق الوقائع التاريخية ، وكل ذلك ساعـد الملاحدة على رفض الأديان . وسنكتفى بذكر شىء واحد من هذه التناقضات وفيه الكفاية :

(١) يراجع فى هذه الأخبار التاريخية الى دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاى (٢٨ ــ ٢٩) ومن راجع هذا الكتاب يجد هناك أشياء كثيرة تثبت عدم نسبة التوراة الى موسى عليه السلام ولكننا اختصرنا الكلام فيه نظرا الى أن المقام لا يتسع لذلك .

(٢) المرجع السابق (٤٠)

لقد ورد في سفر التكوين أن الله تعالى قد حدد ـ قبل الطوفان بقليل ـ عمر الانسان بمائة وعشرين سنة . تقول التوراة :

" وتكون أيامه مائة وعشرين سنة " (١)

ومع ذلك يلاحظ فيما بعد في نفس سفر التكوين الاصحاح (١١) الآيات من ١٠ الى ٣٢ أن حياة أنسال نوح العشرة قد دامت من ١٤٨ الى ٦٠٠ سنة .

ان التناقض بين هاتين العبارتين واضح ويدل دلالة واضحة أن التوراة ليس من عند الله لأنه لم يمكن بحال من الأحوال أن يوجد في كلامه اختلاف لأنه هو الذي يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم . ولا تخفى عليه خافية ..

اذن ان هذا يثبت أن التوراة محرفة .. ولكن كيف حرفت ؟ فيجيب على ذلك بعض الباحثين الغربيين المعاصرين يقولون :

" ان تحليل ذلك بسيط : فالعبارة الأولى التي وردت في (سفر التكوين) نص (يهوى) يعود تاريخه ـ كما مربنا ـ الى القرن العاشر قبل الميلاد .

أما العبارة الثانية في سفر التكوين الاصحاح ١١ـ الآيات من ١١ ـ ٣٢ فهي نص وجد (في القرن السادس قبل الميلاد) في التراث الكهنوتي الذي هو أصل هذه الأنساب التي تعتني في احصاء أعمار كل من أتى بعد آدم الى عهد المسيح .. " (٢) .

ويبدو لنا جليا أن التوراة محرفة . وان دل هذا البحث الذي قام به هؤلاء المسيحيون على شيء فانما يدل على صحة القرآن العظيم الذي قد سبق العلم الحديث في الاشارة الى هذه النقطة قال :

(١) سفر التكوين الاصحاح ٦ آية ٣
(٢) المصدر السابق (٤٠)

﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾(١) وقال :

﴿ ونسوا حظا مما ذكروا به ﴾(٢)

وليس غريبا اذن أن ترتفع هذه الضجة الكبرى ضد رجال الكنيسة وضد كتبهم وفي مقدمتها التوراة المحرفة .

ولم يكتف محرروا التوراة بهذه التناقضات وانما زعموا أيضا ان الله تعالى بعد أن خلق السموات والأرض تعب فأخذ راحته بعد ستة أيام .. وقد تكلمنا عن هذه النقطة عند الحديث عن عقيدة اليهود في الله ولكننا أعدنا الكلام عليه لأجل أن نبين مصدر هذه الأسطورة ..

وقد رأى الباحثون أن لهذه الأسطورة تعليلا وهو :

ينبغي أن نتذكر دائما أن رواية الخلق هنا تأتي من النص الذي سمى بالكهنوتي ، كتبه الكهنة وهم اللاويون الروحيون لحزقيل نبي النفي ببابل في القرن السادس قبل الميلاد .

ومعروف أن هؤلاء الكهنة قد أعادوا روايتي الخلق اليهوية والالوهيمية وأعادوا صياغتها على مشيئتهم وحسب اهتماماتهم الخاصة(٣) على حين لا يشير النص اليهوي ، الذي يسبق النص الكهنوتي بعدة قرون الى راحة الله الذي تعب من عمله طيلة الأسبوع .

اذن ان مصدر هذه الأسطورة هو الرواية الكهنوتية وذلك بعد نفي اليهود من بابل . ودليل ذلك خلو النص اليهودي من هذه الرواية .. فالتوراة بهذه المثابة - كتاب يحرف كذب على الله . ففضحها الله أمام رجال العلم الحديث .. وأما الله - كما يقول القرآن لا يمسه من لغوب يقول الله :

---

(١) سورة المائدة الاية رقم ١٣
(٢) = = = ١٤
(٣) سفر التكوين الاصحاح السادس اية ٣

ذلك اختصار شديد لبيان التحريف في التوراة ، التحريف الذى كان ثغرة انفذ منها الملاحدة لتثفيذ جميع ما يتعلق بالدين المطلق ..

وتكميلا لبيان تحريف التوراة ، نود أن نستمع الى رأى العلم الحديث فى شأن التوراة .

وغرضنا فى هذا الجزء -كما قلنا- نريد أن نقول للملاحدة أن الدين الذى ثارت عليه أوربا دين يستحق أن يثار عليه لاشتماله على الخرفات والأباطيل .. وأما ديننا الاسلامى بخلاف ذلك ، لأنه كما ينعى على الالحاد الذى يعيشه الملاحدة ، ينعى أيضا على الخرافات والتدين المنحرف الذى كان يتمتع بها رجال الكنيسة الأوربية ..

موقف العلم الحديث من التوراة

ومن يتأمل فى هذه التوراة المحرفة ، يجد فيها حشدا من المتناقضات وروايات مختلفة عن موضوع واحد ، وأخطاء تاريخية وأمورا غير معقولة أو يستحيل أن يتفق مع المعطيات العلمية الثابتة ..

ومع ذلك نجد المجمع المسكونى الثانى (١٩٦٢-١٩٦٥) يريد أن يجد مبررا لهذه المتناقضات ، وذلك بادخال تحفظ على " أسفار العهد القديم " التى تحتوى على الشوائب وشىء من البطلان " (١) .

ترى هل يبقى هذا التحفظ مجرد تعبير عن نية طيبة ؟ الجواب لا ! بل قام أناس فى عصر أدرك فيه المفكرون استحالة اتفاق بين بعض فقرات التوراة مع المعارف الحديثة ، - للمقارنة بين ما ورد فى التوراة مما يتعلق بالتاريخ والكون وبين المعطيات العلمية ، فوجدوا أن أغلب المعلومات التى وردت فى

---

(١) المرجع السابق ص (٤٠)

التوراة باطلة لا تمت الى العلم بصلة .. فلنذكر من ذلك ثلاث نقاط فقط :

١ — خلق العالم

٢ — تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الانسان على الأرض

٣ — رواية الطوفان

واليك تفاصيل ذلك :

أولا — خلق العالم :

ان العلم الحديث لم يوافق ما ورد في التوراة من خلق العالم ، ويرى أن رواية التوراة في هذا الباب أسطورة محضة . واليك القصة بالنص .

تقول التوراة :

" في البدء خلق الله السماء والأرض . وكانت الأرض خربة وخالية والظلمات تغطى اللجة وروح الله على المياه " (١).

يرى العلم الحديث أن الحديث عن الماء في هذه الفترة ، أسطورة من أساطير كتاب التوراة .. وأما الذي يعتقده العلم الحديث هو : وجود كتلة غازية في المرحلة الأولى لتكون الكون ... ولكن القول بوجود الماء في تلك المرحلة غلط ..

ومن هنا نحن المسلمين — للعالم بأسره أن كتابنا خال من الخرافات التي امتازت بها هذه التوراة ، لأن رأى العلم الحديث في الكتلة الغازية التي كونت العملية الأساسية لتشكل الكون ، يشبه بما جاء في القرآن العظيم .. فالقرآن يقول :

﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾

وفي هذه الآية يدعو الله تعالى الى التأمل في خلق الأرض ثم يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يقول : ﴿ ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ﴾ .

فيجب الالتفات الى مايلي :

أ — الاشارة الى وجود كتلة غازية في هذه الفترة . يؤخذ ذلك من كلمة " دخان " اذ يتكون الدخان عموما من قوام غازي .

ب — الاشارة الى عملية الفتق للكتلة الفريدة الأولى التي كانت عناصرها في البداية ملتحمة : لأن الفتق هو فصل القطع أوفك .اللحام أوالفصل وأن (الرتق) فصل اللحام ووصل العناصر .. هذا ما يفهم من هذه الآيات . اذن العلم الحديث لم يأت بجديد على المسلمين وانما نقول ان الذي جاء به العلم الحديث بهذا الصدد فيه شبه بهذه الآية الا أننا في الوقت نفسه لا نوافق العلم الحديث الذي حاول أن يحدد عمر الدنيا بأنه يبلغ ٤,٥ مليارات من السنين تقريبا (١) لأن هذا التحديد مبني على الخيال والتخمين وليس على الحقائق العلمية لقوله تعالى :

﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ، ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ﴾ .

بعد هذه الآية الكريمة لا يتردد مؤمن أن يقول ان كل محاولة لتحديد نشأة الكون محاولة اضلالية . لأن ذلك لا يتم الا بالمشاهدة والمعاونة . هل هؤلاء وهؤلاء شاهدوا ذلك ؟ أوعاونوا الله عند الخلق ؟ الجواب لا إ فتحديدهم اذن في مثل هذا الموطن لا يعني به . لا من قبل الخرافات التوراتية ولا من قبل الفروض الكثيرة التي يعتمد عليها أرباب العلم الحديث .

---

(١) راجع كتاب (الله العلم) تأليف بشير التركي ص (١٣٨)

فكل فكرة تدعي تفسير الكون ينبغي عليها أن تتخذ طريقة ليست فيها الصدفة والا فهي مرفوضة عند المسلم من أساسها ، لأن من أسس بنيانه على الرمال فسوف تذريه الرياح ..

اذا كانت التوراة غلطت في تحديد نشأة الكون وعمره ، فغلط العلم الحديث أشنع لأنه يدعم فكرته هذه على نفي وجود الله أولا ثم اثبات شيء خيالي أخيرا ..

الخلاصة :

ان التوراة المليئة بالأكاذيب حاولت أن تحدد عمر الدنيا ففشلت ، فاذا بالعلم الحديث أراد أن يكشف هذا الغلط فوقع فيما هو أشد اضلالا وهو: نفي تدخل اللغي الكون ، والكلام الوسط ما أشار اليه القرآن الكريم وهو أن أصل الكون كان كتلة دخانية ثم فتقها الله بقدر خاص وحكمة بالغة وغاية مرسومة مقدرة بدون أي تحديد زمني يقول تعالى :

﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ (1) . وبعد هذا نتقدم الى خطوة ثالثة .

الطوفان

نود في هذا البحث التاريخي الخطير أن نستعرض الآراء بدون أي تعليق ليفكر فيه القارئ برأيه الخاص . وذلك أن التاريخ غيب لا يمكن لأي أحد أن يصل الى معلومات يقينية الا عن طريق السمع أو اثارة من علم . ورغم كل ذلك سنجد العلم الحديث يجد ثغرات كثيرة في روايات التوراة بل يجد

---

(1) سورة الانبياء الاية رقم ٣٠

فيها تناقضات لا يستسيغها أى عقل انسانى . واليك تفاصيل ذلك :

أولا — رأى التوراة فى قصة الطوفان :

والرواية كلها فى شمولها هى مايلى من سفر التكوين نرويها بالمعنى لقصد الاختصار ..

لما عم فساد البشر قرر الله تدميرهم مع كل المخلوقات الحية الأخرى . فحذر نوحا وأمره ببناء السفينة التى سيدخل بها زوجته وأولاده الثلاثة بزوجاتهم الثلاث وكائنات حية أخرى ..

و يختلف المصدران بالنسبة للكائنات الحية : فهناك مقطع من الرواية (وهو كهنوتى الأصل) يشير الى أن نوحا قد أخذ زوجا من كل نوع . ثم يحدد المقطع التالى وهو من الأصل اليهوى أن الله قد أمر بأخذ سبعة من كل نوع ذكر وأنثى من الحيوانات المسماة بالطاهرة . وزوجا واحدا من الحيوانات المسماة بغير الطاهرة . ولكن بعد ذلك يتحدد أن نوحا لن يدخل الى السفينة فعلا الا زوجا من كل نوع من الحيوانات .

و يؤكد المتخصصون . مثل الأب (د يفو) . أن المعنى هنا هو مقطع معدل من الرواية اليهوية .

و هناك فقرة (وهى من الأصل اليهوى) يشير الى أن عامل الطوفان هو ماء المطر ولكن هناك فقرة أخرى (وهى كهنوتية الأصل) تقدم سبب الطوفان على أنه مزدوج أى ماء المطر والينابيع الأرضية .

تغطت الأرض حتى قمم الجبال وأعلى منها بالماء . وتدمرت فيها كل الحياة وبعد سنة خرج نوح من السفينة التى رست على جبل (أراراط) بعد الانحسار.(٣)

---

(١) سفر التكوين الاصحاحات ٦ ، ٧ و ٨

(٢) راجع كتاب الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ٥٢ ولكن بالتصرف

(٣) راجع سفر التكوين من التوراة عرضا

ثم لو راجعت التوراة تجد أن للطوفان روايتين مختلفتين : اذ تقول الرواية اليهودية أربعون يوما فيضانا ، على حين يقول النص الكهنوتي انها مائة وخمسون يوما ..

ثم الغريب ان الروايات اليهودية ، لا تحدد تاريخ وقوع هذا الحدث من حياة نوح ولكن الرواية الكهنوتية تحدده بحين كان عمر نوح ٦٠٠ سنة . وتعطى نفس هذه الرواية اشارات عن موقعه الزمنى بالنسبة لآدم وبالنسبة لابراهيم ..

وبيان ذلك : ان قائمات الأنساب فى التوراة تقرر أن نوحا قد ولد بعد ١٠٥٦ عاما من آدم (أنظر جدول أسلاف ابراهيم فى سفر التكوين) فيكون الفترة الزمنية بين آدم والطوفان كالتالى :

(٦٠٠ + ١٠٥٦) = (١٦٥٦) سنة

وبالنسبة الى ابراهيم فيحدد سفر التكوين أن ميلاده كان بعد الطوفان بـ (٢٩٢) سنة ... أى ثلاثة قرون تقريبا .

ولما كانت التوراة نفسها تثبت ان بين ابراهيم وعيسى ١٨ قرنا فنصل الى النتيجة التالية :

ان الطوفان وقع قبل المسيح فى القرن (٢١) فاذا جمعنا ٣ قرون التى وقعت قبل ميلاد ابراهيم مع ١٨ قرنا التى تعتبر الفترة الزمنية بين ابراهيم وعيسى عليهما السلام .

وبهذا استطاع محررو التوراة أن يصلوا الى تاريخ محدد لمعرفة زمن الطوفان .

ثم ان سفر التكوين ، يخص كل الجنس البشرى بهذا الطوفان وأن البشرية قد أعادت تكوين نفسها ابتداء من أولاد نوح وزوجاتهم ...

واليك نصوصا من التوراة تدل على طوفان نوح كان عالميا ..

أ - " فقال الله لنوح : ها أنا آت بطوفان الماء على الأرض لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء ، كل ما في الأرض يموت " (١)

ب - " وتعاظمت المياه وتكاثرت جدا على الأرض فتغطت جميع الجبال الشامخة تحت كل سماء . خمس عشرة ذراعا في الارتفاع تعاظمت المياه فتغطت الجبال " (٢)

جـ - وضعت قوس في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض . فيكون متى أنشر سحابا على الأرض ، وتظهر القوس في السحاب . أني اذكر ميثاق الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حية في كل جسد ، فلا تكون أيضا المياه طوفانا لتهلك كل ذي جسد " (٣)

هذه من أدلة التوراة لاثبات عالمية طوفان نوح عليه السلام (٤) . والآن نود أن نرى موقف العلم الحديث من هذه الروايات :

---

(١) سفر التكوين ٦ : ١٧
(٢) سفر التكوين ١٩ : ٢٠
(٣) سفر التكوين ٩ : ١٣ - ١٥
(٤) الآن يريد بعض المسيحيين أن يثبتوا عالمية الطوفان بالاكتشافات العلمية الحديثة . فذكروا أشياء مختلفة منها : أنه وجدت عظام حوت في شمال بحيرة (أنتاريو) على ارتفاع (٤٤٠) قدم فوق مستوى سطح البحر . هذه تعتبر علامات على أن الماء كان يوما يغمر الأرض في أماكن كثيرة .. ومعنى ذلك أن الطوفان كان عالميا .. هكذا يزعمون .. والعلم عند الله الله .

(راجع كتاب : الانسان هل هو متطور أو مخلوق بقلم نورس أندرسون ص ٣٣) .

موقف العلم الحديث من رواية الطوفان

ان العلم الحديث لم يكذب التوراة فى وقوع الطوفان ، ولكنه كذبها فى النقاط التالية :

ليس فى التوراة رواية واحدة فقط عن الطوفان بل هناك روايتان ولكنهما حررتا فى عصور مختلفة :

- الرواية اليهوية ترجع الى القرن التاسع قبل الميلاد .
- الرواية الكهنوتية التى ترجع الى القرن السادس قبل الميلاد .

والتى أخذت هذا الاسم لأنها مؤلف لكهنة ذلك العصر ..

ولا تأتى هاتان الروايتان كل الى جانب الأخرى وانما تتشابكان وتتداخل عناصر احداهما فى عناصر الأخرى وتتعاقب فقرات كل مصدر بالتبادل مع فقرات المصدرين الاخرين ، فهذا يدل على خبث محررى التوراة وسوء نياتهم حيث خلطوا الروايات بعضها ببعض لتوعير الطريق أمام الباحث .

يقول الأب (ديفو) : انهما حكايتان للطوفان تختلف فيهما العوامل التى أدت الى الطوفان كما يختلف زمن وقوعه ويختلف عدد الحيوانات التى شحنها نوح بالسفينة " (١) .

ويقول موريس بوكاى تعليقا على كلام الأب ديفو :

" ان رواية الطوفان فى العهد القديم غير مقبولة فى اطارها العام وذلك لسببين يتضحان على ضوء المعارف الحديثة :

أ — يعطى التوراة للطوفان طابعا عالميا

ب — وعلى حين لا تعطى فقرات المصدر اليهوى للطوفان تاريخا ، تحدد الرواية الكهنوتية زمن الطوفان عصر لم يكن من الممكن أن تقع به كارثة

---

(١) المصدر السابق ص ٢٤٤

من هذا النوع والحجج التى يستند اليها هذا الحكم هى ماياتى :

" تحدد الرواية الكهنوتية أن الطوفان قدحدث عندما كان عمر نوح ٦٠٠ عام غير أنه من المعروف ، بحسب الأنساب المذكورة فى الاصحاح الخامس من سفر التكوين أن نوحا قد ولد بعد آدم بـ ١٠٥٦ عاما .

وينتج عن ذلك أن الطوفان قد وقع بعد ١٦٥٦عاما من خلق آدم ..
وكما تؤكد التوراة أن ابراهيم قد ولد بعد الطوفان بـ (٢٩٢) عاما ...
ولما كنا نعرف أن ابراهيم كان يعيش فى حوالى ٢١ أو ٢٢ قرنا قبل الميلاد اذن ان الطوفان قد وقع فى القرن ٢١ أو ٢٢ قبل المسيح ، هذا ما لا يتفق مع المعطيات الحديثة : كيف يمكن اليوم تصور أن كارثة عالمية قد دمرت الحياة على كل سطح الأرض (باستثناء ركاب السفينة) فى القرن ٢١ أو ٢٢ ق . م ؟

ففى ذلك العصر كانت هناك على نقاط عدة من الأرض حضارات قد ازدهرت وانتقلت أطلالها الى الأجيال التالية :

وبالنسبة (لمصر) على سبيل المثال ، كان ذلك فى الفترة الوسطى التى تلت نهاية الدولة القديمة وبداية الدولة الوسطى . وبالنظر الى ما نعرف عن تاريخ هذا العصر فانه يكون مضحكا القول بأن الطوفان قد دمر فى ذلك العصر كل الحضارات .

وفى بابل أسرة أور الثالثة . ومن المعروف جيدا أنه لم يحدث انقطاع فى هذه الحضارات وبالتالى لم يحدث اعدام يخص البشرية برمتها تقول التوراة :

" وبالتالى فلا يمكن اعتبار أن روايات التوراة الثلاث تصف للانسان أمورا تتفق مع الحقيقة .. هل أنزل الله شيئا غير الحقيقة .. ؟ "

---

(١) المرجع السابق بالتصرف ص٥٣ ـ ٥٤

هذا ما يقوله العلم الحديث ضد هذه الرواية وطبيعي أن ذلــــك يثير افتراض وجود تحريف بواسطة البشر — أما في الأقوال المتوارثة التــي انتقلت شفهيا من جيل لآخر أو في النصوص بعد تحديد هذه الأقـوال المتوارثة ..

وعندما نعرف أن موقفا مثل سفر التكوين قد عدل على الأقــــوال مرتين وهذا على مدى ثلاثة قرون ، فكيف ندهش حين نجد فيه هـــذه الأمور المتناقضة أو روايات يستحيل أن تتفق مع واقع الأشياء .

فليس غريبا اذن أن تكون هذه الديانة في موضع السخرية والازدراء لدى الملحدة الذين وقفوا على هذه المضحكات المبكيات في هذه التــوراة المحرفة .

وليس غريبا اذن أن يقول الملاحدة :

" ان الدين أسوأ خدعة في التاريخ "

أو يقولون :

" ان الدين أفيون الشـــــعوب "

ولنكتف بهذا القدر مخافة التطويل ، ولكن قبل أن ننتقل الــى طغيان الكنيسة الذى يعتبر بحق الناقوس المعلن لمجيء الثورات ضـد الدين ، يحسن بنا أن نعطي فكرة موجزة عن موقف القرآن الكريـــم من رواية التوراة للطوفان ...

موقف القرآن من رواية التوراة للطوفـــان

على حين تتحدث التوراة عن طوفان عالمي لعقاب كل البشريـة الكافرة ، يشير القرآن على العكس ، الى عقوبات عديدة نزلت على جماعات محددة جـدا تشير الى ذلك الآيات التالية :

﴿ ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا • فقلنـا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا ﴾

﴿ وقوم نوح لما كذبـوا الرسل أغرقناهم وجعلناهم للناس آيـــة واعتدنا للظالمين عذابا أليما ﴾

﴿ وعادا وثمودا وأصحاب الرّس وقرونا بين ذلك كثيرا وكـلا ضربنـا له الأمثال وكلا تبرنا تتبيرا ﴾ (١)

وعلى هذا فالقرآن يقدم كارثـة الطوفان باعتبارها عقابا نزل بشكل خاص على شعب نوح وهذا يشكل الفرق الأساسي بين الروايتين ...

أما الفرق الجوهري الثاني فهو أن القرآن، على عكس التوراة : لا يحدد زمن الطوفان ولا يعطي أية اشارة عن مدة الكارثـة نفسها .

وأما أسباب السيل فقد وافق فيها القرآن رواية التوراة التي تقول :

" في ذلك اليوم انبثقت عيون الماء من الهوة السحيقة وانفتحت هواويس السماء " (٢)

وأما القرآن الكريم فيقول :

﴿ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر ﴾ (٣)

---

(١) سورة الفرقان ، الايات ٣٥ الى ٣٩
(٢) سفر التكوين ٧ ، ١١
(٣) سورة القمر ، الاية ٥٤

وكما أن القرآن يخالف التوراة في تحديد محتوى سفينة نوح حيث يقول :
﴿ ... احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن، وما آمن معه الا القليل ﴾ (١)

وأما رواية التوراة لا تشير الى هؤلاء من بين ركاب السفينة .. ومع ذلك ان التوراة قدمت لنا ثلاث روايات عن محتوى السفينة كلها متناقضة .

— على حسب الرواية الكهنوتية : نوح وأسرته دون أى استثناء وزوج من كل نـوع .

— على حسب الرواية اليهوية ، هناك تمييز من ناحية بين الحيوانات الطاهرة والطيور وبين الحيوانات النجسة من ناحية أخرى (والسفينة تحتـــوى على سبعة أزواج من الفئة الأولى ، ذكر وأنثى وعلى زوج واحد فقط من الفئة الثانية) .

فى نهاية المطاف نستطيع أن نقول — مطمئنين — أن الاختلافات بين رواية القرآن وروايات التوراة موجودة .. وهى هامة

وكما أصبح واضحا تمام الوضوح عدم امكانية اتفاق رواية التوراة فى تقديمها للطوفان بزمنه ومدته — مع مكتسبات المعرفة الحديثة وعلى العكس من ذلك فان رواية القرآن تتضح خالية من أى عنصر مثير للنقد الموضوعى .

والسؤال الآن موجه الى الملاحدة الذين يقولون بوجود تناقض بيــــن العلم الحديث وبين الأديان كلها ، نقول لهم :

فمن عصر رواية التوراة الى عصر تنزيل القرآن هل حصل الناس على معلومات من شأنها أن تلقى نورا على حدث مثل هذا ؟

---

(١) سورة هود الاية ١١

بالتأكيد لا ! فمن العهد القديم الى القرآن كانت الوثيقة الوحيـــدة التى فى حوزة الناس عن هذه الحكاية القديمة هى التوراة بالتحديد .

واذا لم يكن عند الانسانية كلها علم آخر يبين خطأ التوراة فى هـــذا الحدث الا القرآن فقط ، أفلا يتسع فى أخلاد الملاحدة أن يصدقوا هذا الكتاب المعجز ؟ وأن يعرفوا أن العلم الحديث لا يناقض الديـــن الصحيح ، وانما يناقض الأديان المحرّفة المبنية على الخرافة والجهل والقصور ..

ثم نقول لهم :

لو لم يكن القرآن من عند الله أنّى لمحمد رسول الله صلى الله عليـــه وسلم أن يأتى بأسمى فكرة عن الاله والكون والانسان ، صححت فكرة الفلسفة النظرية كما صححت فكرة العقائد الدينية .

فكان تصحيحه لكل من هاتين الفكرتين ، فى جانب النقص منهما — ان هذا لهو أعظم المعجزات التى أثبتت له فى حكم العقل المنصف والبديهـة الصادقة أنه وحىٌ من عند الله ...

وصدق الله تعالى : ﴿ ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ﴾

﴿ ما فرطنا فى الكتاب من شىء ﴾

﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ﴾

ماذا قال المفسرون عن عالمية الطوفان وعدم عالميته؟

ان الدارس لكتب التفاسير المعتبرة ، يجد أن المفسرين ليسوا على اتفاق تام في مسألة الطوفان ..

منهم من يرى أن الطوفان كان خاصا لقوم نوح ..

والبعض الآخر يرى أنه كان شاملا لجميع سكان الأرض..

واليك أدلة كل من الفريقين :

وقد رأينا - تلخيصا جيدا للآراء - في تفسير روح المعاني للعلامة الآلوسي البغدادي ، نود أن ننقله اليك بنصه :

يقول الآلوسي وهو يشرح قوله تعالى :

﴿ ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾

" قد روى أنه مات كل من في السفينة ، ولم يعقبوا عقبا باقيا غير أبنائه الثلاث سام وحام ويافث وأزواجهم فانهم بقوا متناسلين الى يوم القيامة..

ثم ساق الحديث الذي يدل على عالمية الطوفان فقال :

" أخرج الترمذي وحسنه ، وابن سعد ، وأحمد ، وأبو على ، وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبري والحاكم وصححه عن سمرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم .. " (١)

ثم علق عليه بقوله : " ولا أعرف حال الخبر " (٢)

---

(١) تفسير الطبري جـ ٢٣ - ٢٥ ص ٦٧ ، راجع أيضا تفسير الكشاف جـ ٣ ص ٣٤٣
راجع أيضا الدرر المنثور للسيوطي جـ ٤ ص ٣٣٩
راجع أيضا القرطبي جـ ١٥ ص ٨٦
(٢) تفسير روح المعاني ، الآلوسي جـ ٢٣ - ٢٤ المجلد الثاني عشر ص ٩٨

ثم ساق أيضا قول الفريق الثاني الذين يرون أن الغرق لم يكـــــن عاما لجميع السكان فقال : :

" وقالت فرقة : أبقى الله تعالى ذرية نوح عليه السلام وسدّ في نسله وليس الناس منحصرين في نسله بل من الأمم من لا يرجع اليه ..

ثم قال :

" وكأن هذه الفرقة لا تقول بعموم الغرق ، ونوح عليه السلام ، انمـــا دعا على الكفار وهو لم يرسل الى أهل الأرض كافة فان عموم البعثة ابتداء من خواص خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم : ووصول خبر دعوته وهو في جزيرة العرب الى جميع الأقطار كقطر الصين وغيره غير معلوم .

ثم أضاف قائلا :

" والحصر في الآيـة بالنسبة الى من في السفينة ممن عدا أولاده وأزواجهم فكأنه قيل : وجعلنا ذريته هم الباقين لا ذرية من معه في السفينة وهو لا يستلزم عدم بقاء ذرية من لم يكن معه ... وكان في بعض الأقطـــار الشاسعة التي لم تصل اليها الدعوة ولم يستوجب أهلها الغرق كأهل الصيــن كما يزعمون ..

وهكذا رأيناه أنه أجـاز الوجهيـن : العام والخاص ولم يجزم بتقديـم أحدهما على الآخر . والذي يبدو من خلال كلامه أنه يؤيد القـــــول بخصوص قوم نوح بالغرق بدليل قوله " ولا أعرف حال الخبر " .. أي أنه لا يستطيع أن يأخذ هذا الحديث سندا لاثبات عموم الغرق لأنه (الحديث) مجهول لديه ..

واذا لم يصرح برأيه الخاص فقد صـرّح غيره من المفسرين بأن الغرق لم يكن عاما لجميع سكان الأرض بل كان خاصا بقوم نوح فقط .. ومن هؤلاء المفسرين الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسيره = تفسير المراغي اذ يقـول

وهو يشرح قوله تعالى : ﴿ وجعلنا ذريته هم الباقين ﴾ ، أي أهلكنــــا من كفر بنا استجابة لدعوته : ﴿ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ﴾ ولم يعقب أحد ممن كان في السفينة عقبا سوى أبنائه الثلاثة :

(سام وحام ويافث) فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان من المشرق والمغرب ، ويافث أبو الترك .

ثم قال : " وهذا هو المشهور على ألسنة المؤرخين ، وليس في القرآن ولا في السنة نص قاطع على شيء من ذلك كما أنه ليس في القرآن ما يشير إلى عموم دعوته لأهل الأرض قاطبة ولا أن الغرق عم الأرض جميعا ، وأن ما تفيده الآية من جعل ذريته هم الباقين انما هو بالنسبة لذريــــة من معه في السفينة ، وذلك لا يستلزم عدم بقاء ذرية من لم يكن معه وقد كان في بعض الأقطار الشاسعة من لم تبلغهم الدعوة فلم يستوجبوا الغرق كأهل الصين وغيرهم من البلاد النائية " (١) .

هذا ما صرح به الاستاذ أحمد مصطفى المراغي من أن الطوفان لم يكـــن عاما لجميع سكان الأرض .. وهذا ما أيدته مستدلا بقوله .. ﴿ وقوم نــــوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم ﴾ .

وهذا ما أيده أيضا كثير من الباحثين ، نذكر منهم اثنين : واحدا من العالم الاسلامي وواحدا من أوربا :

وأما الأول هو : الشيخ محمد الغزالي في كتابه القيم : (قذائف الحق) وهو يقول : " وأرى أن الطوفان القديم كان عقوبة لقوم نوح وحدهم ، وأنــه ليس غرقا استوعب سكان القارات الخمس .. فما ذنب هؤلاء المساكين ونوح ورسالته محلية لا عالمية ، اللهم الا اذا كان المعمور يومئذ من هذا الكوكـب ديار نوح وحسب " . (٢)

---

(١) تفسير المراغي ج ٢٦ ص ٤٤ ــ أحمد مصطفى المراغي ص ٦٧
(٢) قذائف الحق ، محمد الغزالي ص ٢٢

موريس بوكاي يتكلم

والباحث الآخر الغربي هو : الاستاذ (موريس بوكاي) • يرى هذا الاستاذ أن الطوفان لم يكن عاما بل كان خاصا بقوم نوح فقط فلنقرأ له هذه الكلمات التالية :

" ولكن • كما يقول سفر التكوين • يخص الطوفان كل الجنس البشري • وكل الكائنات الحية التى خلقها الله قد أعدمت على الأرض حسب هذه الرواية • ان البشرية • والأمر هكذا تكون قد أعادت تكوين نفسها ابتداء من أولاد نوح وزوجاتهم •• بحيث انه عندما يولد ابراهيم بعد ذلك بثلاثة قرون تقريبا • فانه يجد الانسانية قد أعادت تكوين نفسها فى مجتمعات •• كيف يمكن لاعادة البناء هذه أن تتم فى زمن قليل الى هذا الحد ••

ثم قال :

" ان هذه الملاحظة البسيطة تنزع عن النص أية معقولية • أكثر من ذلك فالمعطيات التاريخية تثبت استحالة اتفاق هذه الرواية مع المعارف الحديثة •• " (١) (٢)

بهذا نكتفى للاثبات أن محررى التوراة هم الذين جعلوا الطوفان كارثة عالمية وتبعهم فى ذلك رجال الكنيسة • ثم انتقلت هذه المعلومات الى عقول سائر الناس •• والحمد لله الذى وفقنا لا زالة هذه الخرافة عن عقول الناس ••

---

(١) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة • موريس بوكاى ص٥٣

(٢) ان المعارف الحديثة التى يريدها هنا • قد تكلمنا عنها سابقا عند كلامنا على موقف العلم الحديث من التوراة •• فليراجع هناك •

الفصل الثاني

طغيان الكنيسة

قد مرّ بنا في السطور الماضية ، تبلد الضمير الديني عند اليهود ، ورأينا كيف انحرفوا عن العقيدة السليمه التي رسمها لهم الرسولان العظيمان : ابراهيم وموسى عليهما السلام. وكما رأينا أن التوراة المحرّفة ، لا تستطيع أن تقوم على قدميها أمام المعارف الحديثه لاشتمالها على الخرافات والترهات والأباطيل في أغلب الأحيان ..

وفي هذه الصفحات ، نود أن نتكلم عن طغيان الكنيسة وتبلد الضمير الديني عند رجالها المحتكرين ، لنرى كيف أصبحت هذه الديانه عونا لقيام الالحاد الحديث ، وكيف صارت غولا بشعا تطارد الناس في يقظتهم ومنامهم ..

ومن يلق على هذه الديانة نظرة فاحصه ، يجد أن الحال لم يكن محها خيرا مما كانت عليه اليهودية ، بل كان الأمر أدهى وأمر .. لأنها بعد ما أن طمس "بولس" [1] معالمها ، انتقلت الى الدولة الرومانية [2] و [3]

---

(١) هو بولس " القديس " من أعظم رجال المسيحية ، ولد في طرسوس بآسيا الصغرى اسمه الأصلي (شاؤل) روماني الجنسية . درس في القدس ونشأ نشأة يهوديه متحمسا لأبيه ووطنه ، وكان يضطهد المسيحيين .. كلف من قبل رئيس الكهنوسة بالذهاب الى دمشق لمقاومة المسيحية سنة (٣٥) وفي طريقه يقول : أنه رأى بغتة نورا ساطعا وسمع صوتا يقول : " شاؤل شاؤل لم تضطهدني ؟ فقال : من أنت يا رب ، فأجابه الصوت : " انه يسوع الذي تضطهده " . فأجاب شاؤل وذهب الى دمشق حيث نزل عند المسيحيين وانخرط في مسلكهم .. راجع الموسوعه العربية الميسرة ص ٤٤٢ .

(٢) راجع معالم تاريخ الانسانية هـ. و ويلز جـ ٣ ص ٩٠٢ . ت: عبد العزيز توفيق جاويد ، القاهرة ١٩٦٧ هـ ولكن بتصرف طفيف .

(٣) راجع أيضا مقارنة الأديان المسيحية ، احمد شلبي ص ٧٥ ــ المرجع ايضا تاريخ الدعوة الاسلامية آدم عبدالله الألوري ص ٣٦ .

الوثنية التي قد بلغت من الوثنية غايتها ، ومن الانحلال الخلقي والفساد الاجتماعي منتهاها (1) وفي هذا الجو الوثني ، بدأت هذه الديانة تنتشر في هذه الدولة حتى دخلت فيها الامبراطورية الرومانية بقيادة قسطنطين (الامبراطور) في سنة ٣٠٠ م .. وكان دخوله فيها خيرا للنصرانية لأنها ربحت ملكا عظيما ، ولكنها في الوقت نفسه خسرت دينا جليلا .. لأن الوثنية الرومانية مسخت دين المسيح ومسخت أهله .. وكان قسطنطين اكثر الناس افسادا له ، بسبب ولائه لوثنيته الأولى ..

انه دخل في النصرانية لا لتخضع الوثنية للنصرانية ولكن لتخضع النصرانية للوثنية الرومانية ..

وفي هذا يقول الكاتب الأمريكي داربر في كتابه (الدين والعلم) :

---

(١) لقد ذكر المؤرخون الكثير من أخلاق الروم المنحطة : منها ما ذكره (سنيكا) الفيلسوف الروماني الشهير (٤ ق.م) يندب كثرة الطلاق ويشكو تفاقم خطبه بين بني جلدته فيقول :

" انه لم يعد الطلاق — اليوم — شيئا يندم عليه أو يستحي منه في بلاد الرومان ، وقد بلغ من كثرة وذيوع أمره لأن جعلت النساء يعددن أعمارهن بأعداد أزواجهن .

وأغرب من ذلك ما ذكره القديس جيروم (٣٤٠ — ٤٢٠) عن امرأة تزوجت في المرة الأخيرة الثالث والعشرين من أزواجها .. وكانت هي ايضا الزوجة الحادية والعشرين لبعلها .. راجع التطور والثبات في حياة البشرية تأليف محمد قطب ص ٦٨ .

وكانت عندهم لعبة وحشية حيث يتجمعون اليها وينفقون في سبيلها بسخاء يتصارعون فيها بالسيوف والخناجر ، يشق بعضهم بطون بعض ويقطعون أوصال بعضهم .. وسادات الرومان يشهدون ذلك بلذة وشغف . راجع جاهلية القرن العشرين محمد قطب ص ٣١ .

" دخلت الوثنية والشرك في النصرانية بتأثير المنافقين ، الذين تقلدوا وظائف خطيرة ومناصب عالية في الدولة الرومانية ، لتظاهرهم بالنصرانية . ولم يكونوا يحفلون بأمر الدين ولم يخلصوا له يوما من الأيام . وكذلك كان قسطنطين[1] ، فقد قضى عمره في الظلم والفجور ولم يتقيد بأوامر الكنيسة الدينية الا قليلا في آخر عمره سنة ٣٣٧ ميلادية .

" ان الجماعة النصرانية ، وان كانت قد بلغت من القوة بحيث ولت قسطنطين الملك ولكنها لم تتمكن من أن تقطع دابر الوثنية ، وتقتلع جرثومتها . وكان نتيجة كفاحها ان اختلطت مبادئها ، ونشأ من ذلك دين جديد تتجلى فيه النصرانية ، والوثنية سواء بسواء — هنالك يختلف الاسلام عن النصرانية ، اذ قضى الاسلام على منافسه (الوثنية) قضاء تاما ونشر عقائده خالصة بغير غش ..

" وان هذا الامبراطور الذي كان عبدا للدنيا والذي لم تكن عقائده الدينية تساوي شيئا رأى لمصلحته الشخصية ولمصلحة الحزبين المتنافسين — النصراني والوثني — أن يوحدهما ويؤلف بينهما ، حتى ان النصارى الراسخين أيضا لم ينكروا عليه هذه الخطة ولعلهم كانوا يعتقدون أن الديانة الجديدة سيزدهر اذا طعمت ولقحت بالعقائد الوثنية القديمة . وسيخلص الدين النصراني عاقبة الأمر من أدناس الوثنية وأرجاسها " . (٢)

---

(١) قسطنطين : أباطرة رومان وبيزنطيون : قسطنطين الأول (الكبير) (٢٨٨ — ٣٣٧) ابن قسطانس الأول والقديسة . راجع الموسوعة العربية الميسرة ص ١٣٨١ .

(٢) راجع كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي — ص ١٦٦ — ١٦٧ .

القرآن يذكر بعض انحرافاتهم

وقد ورد في القرآن الكريم بعض الاشارات الى هذه الانحرافات الخطيرة في الديانة النصرانية التي أفقدها الثقة على أن يعطى التفسير الالهي للوجود وحقيقة صلته بخالقه ، وحقيقة هذا الخالق وصفاته وحقيقة الوجود الانساني وغايته وطريقه . فلنقرأ الآيات التالية لتوضح لنا مدى انحراف هذه الديانة الغريبة .

﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم . وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ، ومأواه النار وما للظالمين من أنصار ﴾

﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة . وما من اله الا اله واحد . وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب أليم . أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ؟ ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ، ثم انظر أنّى يؤفكون . قل: أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا ؟ والله هو السميع العليم . قل : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا ، وضلوا عن سواء السبيل ﴾ (١) .

﴿ وقالت اليهود عزير ابن الله . وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم ، يضاهئون قول الذين كفروا من قبل . قاتلهم الله أنى يؤفكون ؟ ﴾ (٢)

---

(١) سورة المائدة الاية : ٧٢ ـ ٧٧

(٢) سورة التوبة الاية : ٣٠

﴿ وإذ قال الله ! يا عيسى ابن مريم ، أأنت قلت للناس ! اتخذونى وأمى إلهين من دون الله ؟ قال : سبحانك ! ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك انك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما أمرتنى به : ان اعبدوا الله ربى وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد ، ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم ﴾ (١)

وهكذا نرى مدى الانحراف الذى دخل على النصرانية ، من جراء تلك الملابسات التاريخية ، حتى انتهت الى تلك التصورات الأسطورية التى دارت عليها الخلافات والمذابح عدة قرون (٢).

---

(١) سورة المائدة الآية : ١١٦

(٢) قال ابن القيم فى كتابه القيم : هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى، مبينا أسباب هذا الانحراف فقال : " وما زال أصحاب المسيح بعده على ذلك — على منهجه — قريبا من ثلاثمائة سنة ثم أخذ القوم فى التغيير والتبديل والتقرب الى الناس بما يهوون ومكايدة اليهود ومناقضتهم بما فيه ترك دين المسيح والانسلاخ منه جملة ، ثم قال : " وفى عهد قسطنطين الرومى ابن هيلانة الحرانية الفندقية ، وفى زمنه بدل دين المسيح ، وهو الذى أشاد دين النصارى المبتدع وقام به وقعد ، وكان عدتهم زهاء ألفى رجل فقرروا تقريرا ولم يرتضوه ثم اجتمع ثلاثمائة وثمانية عشر رجلا منهم ، والنصارى يسمونهم الآباء فقرروا ألوهية المسيح " وهذا ما يسمى فى التاريخ مجمع نيقية فى سنة ٣٢٥ ميلادية. راجع الكتاب المذكور ص : ١٥١ .

وهذه هي العقيدة الوثنية التي ثارت عليها أوربا ، العقيدة التي شوهت معالمها منذ أول خطوة لها .. وهؤلاء هم رجال الدين الكنسي الذين قدموا هذه الجناية على أنفسهم وعلى الدين وعلى البشرية ، والذين أتاحوا الفرص للملاحدة أن يكفروا بجميع الأديان والمبادئ والقيم الأخلاقية بل بوجود الباري – سبحانه – أيضا . غير أن الأمر لم يقف عند تبلد الضمير الديني ، وفساد التصور الاعتقادي بل أفاضت الكنيسة الى ذلك بما يحزن منه القلب وتدمع منه العين . وهو بيع غفران الله بالصكوك . واليك تفاصيل ذلك :

صكوك الغفران

لقد قررت الكنيسة أن تمنح نفسها الحق في اعطاء صكوك الغفران ، في احدى المجامع الكنسية الكثيرة التي كانت تجتمع بين الحين والحين وتغير وتبدل وتحرف وتنشئ وتضيف ما تشاء " الأهواء " المقدسة " الى العقيدة النصرانية ..

ان ما أثار المعارضة الشديدة بين رجال الدين الكنسي وبين المفكرين في أوربا هو التوسع في بيع صكوك الغفران . وابتداع هذه الصكوك – كما أفاد بذلك د . عبد الحميد البطريق – يرجع الى عام ١٣٠٠م (١) عندما ابتكر البابا بونيفاس السابع (٧١١) ( ) مرسوما بابويا مقدسا

---

(١) راجع كتاب التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة الى مؤتمر فينا ، تأليف الأستاذ الدكتور عبد الحميد البطريق والدكتور عبد العزيز نوار ص ٩٣ – دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ص ب ٧٤٩ .

يعرف بالغفران (Indulgence)(١)، ويقضي بأنه اذا اعترف شخص اعترافا كاملا بذنوبه وتبرأ وندم ندما حقيقيا على خطاياه فانه يتخلص من عقاب الآخرة . ولكي يحصل على هذه المغفرة عليه أن يدفع لقاء ذلك مبلغا ماليا .. وعلى هذا أفرط رجال الدين في اعطاء حق بيع الغفران افراطا شديدا ، وأنشأوا له صكوكا تباع وتشترى . فباعوها كأنها عرض من أعراض الدنيا ، ومتعة من متعها . وبذل العصاة في سبيلها المال الكثير . وفي هذا يقول العلامة ابن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١(٢):

" وليس عندهم على من زنى أو لاط أو سكر حد في الدنيا أبدا ولا عذاب في الآخرة لأن القس والراهب يغفرله . فكلما أذنب امرؤ ذنبا أهدى للقس هدية أو أعطاه درهما أو غيره يغفرله . واذا زنت امرأة أحدهم بيتها عند القس ليطيبها له ، فاذا انصرفت من عنده وأخبرت زوجها أن القس طيبها ، قبل ذلك منها وتبرك "(٣).

---

(١) الأصل في نشأة هذه الصكوك ، هي فكرة الاعتراف أمام القسيس لقبول توبة المعترف الذي لا يدخل الجنة في الحال بعد موته . بل يمضي فترة من الزمن فيما يسمى بالمطهر الذي يقضي فيه المذنبون حكم الله بالعذاب الى أن يتطهروا من ذنوبهم ولتخفيف عذاب المطهر ، ابتكرت الكنيسة صكوك الغفران التي كانت موردا ماليا درعليهم أموالا كبيرة جعلها تتغالى في اباحة بيعها حتى لمن يريد غفران خطاياه القادمة في مستقبل أيامه . راجع التاريخ الأوربي الحديث ، د . عبد الحميد البطريق ص ٩٤ .

(٢) راجع كتاب هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ابن القيم ص ١٤٢

(٣) الدارس لكتاب حرية الفكر ، يجد فيه أن الكنيسة أباحت لنفسها حقوقا كثيرة منها حق التحلة فهو حق خاص يبيح للكنيسة أن تخرج عن تعاليم الدين وتتخلى عن الالتزام بها متى اقتضت المصلحة . راجع كتاب حرية الفكر تأليف سلامة موسى ص ٥٦ .

وهذا نص صك الغفران ، الذى كان يسلم يوم السلمة !

" ربنا يسوع يرحمك (يا فلان) ويحك باستحقاقات الآم الكلية القداسة ، وأنا بالسلطان الرسولى المعطى لى ، أحلك من جميع القصاصات ، والأحكام والطائلات الكنسية التى استوجبتها وأيضا من جميع الافراط والخطايا والذنوب التى ارتكبتها — مهما كانت عظيمة وفظيعة — ومن كل علة — وان كانت محفوظة لأبينا الأقدس البابا والكرسى الرسولى — وأمحو جميع أقذار الذنوب ، وكل علامات الملامة ، التى ربما جلبتها على نفسك فى هذه الفرصة ، وأرفع القصاصات التى كنت تلتزم بمكابدتها فى المطهر وأدرك حديثا الى الشركة فى أسرار الكنيسة ، وأقرنك فى شركة القديسين ، أردك ثانية الى الطهارة والبر اللذين كانا لك عند معموديتك ، حتى أنه فى ساعة الموت يغلق أمامك الباب الذى يدخل منه الخطاة فى محل العذاب والعقاب ، ويفتح الباب الذى يؤدى الى فردوس الفرح ، وان لم تمت سنين مستطيلة ، فهذه النعمة تبقى غير متغيرة حتى تأتى ساعتك الأخيرة ، باسم الأب والابن والروح القدس " .

هذه صورة صك الغفران تذكر أنها تمحو الآثام ، وتغفر ذنوب العاصى ما تقدم منها وما تأخر ، تغسله من ذنوبه الماضية حتى يصير طاهرا ، ثم لا يصير قابلا لأن تؤثر فيه الذنوب مهما يرتكب من خطايا ومهما ينغمس فى المعاصى ، كأن ذلك الصك جوازا للمرور الى النعيم المقيم لا يعوق حامله عائق ، ولا يرده عن الوصول خازن أو حارس.

---

(١) راجع كتاب محاضرات فى النصرانية ، للاستاذ الشيخ أبو زهرة ص٢٠٦ — الطبعة الخامسة ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م : دار الفكر العربى .

أن هذه المسألة - كما قلنا - كان لها أثر في الفكر المسيحي ، وبسببها وغيرها تقدم المصلحون في جرأة ، داعين إلى إصلاح الكنيسة بالحسنى أو بغير الحسنى . ترتب على ذلك ظهور المذهب "البرتستانتي" على يد المصلح الكبير "مارتن لوثر" وأمثاله . فأرادت الكنيسة أن تقضي على هذه الحركة اللوثرية ، بأن أصدر البابا (لويس العاشر) قرار الحرمان من الكنيسة ضد لوثر (ديسمبر ١٥٢٠) وكان رد (مارتن لوثر) أن أحرق قرار البابا علانية أمام الناس . لذا اعتبر (مارتن لوثر) خارجا على القانون وحكم عليه باهدار دمه . ورغم ذلك استمرت الحركة في طريقها حتى جاء رجلان عظيما وهما :

أولريخ زونجلي (١٤٨٤ - ١٥٣١) و جون كلفن (١٥٠٩ - ١٥٦٤) وكان لهما أثرهما الفعال في توجيه حركة الاصلاح . (١)

مسألة الاستحالة

ان الكنيسة لم تكتف بهذه المهزلة ، مهزلة صكوك الغفران ، بل أضافت اليها شيئا آخر مستحدثا ما جاء به الكتاب المقدس عندهم وما تعرض له النصارى الأولون ولا المجامع المقدسة الأولى ، وهو مسألة الاستحالة . وهي مسألة تتقزز منها النفوس (٢) ولذا كانت هي أيضا احدى الحالات التي ثار عليها مارتن لوثر وكالفن وزنجلي فيما يسمى بالاصلاح الديني (٣) قصتها كما يلي :

---

(١) راجع عرضا كتاب التاريخ الأوربي الحديث ، الدكتور عبد الحميد البطريق والدكتور عبد العزيز نوار ص ١١٠

(٢) أنظر التعصب والتسامح ، محمد الغزالي ص : ٩٠

(٣) راجع الكتاب المستقبل لهذا الدين ، سيد قطب : ص ٤٨

" أن المسيحيين يأكلون يوم الفصح خبزا ويشربون خمرا ويسمون ذلك العشاء الرباني ، ولقد زعمت الكنيسة أن ذلك الخبز يستحيل الى جسد المسيح ، وذلك الخمر يستحيل الى دم المسيح المسفوك ، فمن أكلهما وقد استحالا هذه الاستحالة فقد أدخل المسيح في جسده بلحمه ودمه " (٣)و(٤)

فلا غرابة اذن أن يثور الثائرون على هذه العقيدة الغريبة التى لا يستطيع العقل البشرى أن يستسيغها بيسر وسهولة بل لا يستطيع أن يستسيغها قط .. ولكن الكنيسة فرضت على الناس قبولها ومنعتهم من مناقشتها ولا عرضها للطعن والجدال .

هذه هى القاصمة

ثم لم تكتف حماقة الكنيسة بهاتين المسألتين الغريبتين على العقل البشرى بل اتبعتهما بأمثالهما فى الكون والحياة ، فادعت آراء ونظريات جغرافية وتاريخية وطبيعية مما كان سائدا فى عصرها مليئة بالأخطاء والخرافات عن الكون وما يحويه ، وعن الحياة والانسان .. وجعلتها مقدسة لا تجوز مناقشتها ولا تصحيحها ولا تجربتها ولا القول بسواها لأنه قد سادت فى افكار الناس ـ آنذاك ـ النظرية القائلة بأن البابا ظل الله فى الأرض ..

وكانت هذه هى القاصمة لأنها الباطل الذى يسهل على التجربة بيان بطلانه وكشف زيفه ولأنها المنطقة التى أطلق فيها العقل الانسانى ليرتادها ولم يفرض عليه منها نظرية معينة ..

---

(١) راجع ايضا كتاب محاضرات فى النصرانية ، للشيخ أبو زهرة ص٢٠٤.

(٢) وراجع كتاب المسيحية للدكتور محمود الشلبى ص : ٦٦ الطبعة الثانية (١٩٦٥)

واليك نموذجا بسيطا من هذه النظرية المسيحية آنذاك :

وبرجوع سريع الى كتاب معالم تاريخ الانسانية ،نجد فيه أن الفلسفة المسيحية كانت تشتمل على معلومات تفصيلية عن الكون تقول : " ان الله خلق العالم ابتداء سنة ٤٠٠٤ ق م وتوج ذلك بخلق الانسان في جنة عدن على مسيرة يومين من البصرة بالضبط " .. والعجيب أن هذه النظرية المسيحيه ظلت مستمره حتى مطلع القرن التاسع عشر فقد طبع كتاب الأسقف (آشر) الذى يحمل هذه النظرية سنة ١٧٧٩ م (١) .

ومن الطرائف أن مجلسا كنسيا كان قد أعلن في بداية القرن العاشر للميلاد أن القرن الأخير من حياة العالم قد استهل لأن الله قد جعل المدة بين انزال ابنه ونهاية العالم الف سنة فقط " (٢) .

المسيحية والطوفان

ان المسيحيين لم يكتفوا بهذه الروايات المتضاربة بل أيدوها أيضا بمعلومات بشرية تؤكد أن الطوفان كان عالميا .. واليك شيئا من ذلك :

يقول (نورس أندرسون) وهو يؤيد عالمية الطوفان :

" وبما أنه حدثت طوفانات محلية كثيرة منذ أيام نوح .. فان علامة العهد التي وضعها الله تكون بلا معنى اذا لم يكن طوفان نوح عالميا في مداه " (٣) .

---

(١) انظر معالم تاريخ الانسانية هـ ج ويلز جـ ١ ص ١٦

(٢) انظر قصة الحضارة ، ول ديورانت ت : محمد بدران ، القاهرة ١٩٥٧م

(٣) الانسان هل هو متطور او مخلوق ، نورس أندرسون ص ٣٩ .

ثم قال : " (نحن نعتقد) أن الطوفان كان عالميا في مداه .. وذلك استنادا على اكتشافات وشاهدات علمية مختلفة ، نقدم منها العينة القليلة الآتية :

أ — تحتوى بعض طبقات الصخور ذات اللون البني الموجودة في ألمانيا على نباتات دفنت في الأرض على الفور . ولكنها جاءت من خطوط العرض .. وحفريات حيوانية مختلفة لقرود وتماسيح وحيوانات جرابية وخطايات من آسيا ، وطير استرالي ونسر امريكي . وأبسط تفسير لهذه المجموعة غير العادية هو أن الطوفان اكتسح هذه النباتات المختلفة الى مكان واحد حيث ضغطت نتيجة للتحركات العظيمة للقشرة الأرضية .

ب — ان الطرق الاشعاعية لتحديد التاريخ قد أثبت أن عمر النفط في خليج المكسيك لا يتعدى الاف السنين ، وليس ملايين السنين كما كان الاعتقاد سابقا . فان كان عمر النفط الاف فقط ، فلا بد ان يكون قد تكون بغتة (ربما بفعل الطوفان) بدلا من تكوينه ببطء في عصور طويلة من الزمن كما يعتقد أغلب الجيولوجيين .. (١)

هذه كانت بعض أدلة المسيحيين في كون الطوفان عالميا وأنه وقع في المدة التي حددتها التوراة ...

ولكن هذه الاكتشافات لا يمكن بحال من الأحوال أن تتخذ دليلا على صحة مقررات الدين ، لأن علم الانسان في تطور دائم لا تثبت على حالة مستمرة .. فمن بنى دينه على هذه المعلومات فكأنما بنى بيته على الرمال .. ومع ذلك جعلت الكنيسة المتحدية أمثال هذه المعلومات

---

(١) الانسان هل هو متطور أو مخلوق ، نورس أندرسون ، ص ٣٦

معلومات مقدسة لا يجوز الخروج عنها .. فأنشئوا محاكم التفتيش التي تعاقب كل من يخرج عن تعاليمها ..

فكان ذلك احدى الحالات التى ثار الملاحدة ضدها ثم ضد فكرة التدين نفسها ..

فاجتهدت الكنيسة فى هذا العمل الاجرامى البغيض أن لا تدع في العالم النصرانى عرقا نابضا ضد الكنيسة ، وأحصت على الناس الأنفاس وناقشت عليهم الخواطر حتى يقول عالم نصرانى :

" لا يمكن لرجل أن يكون مسيحيا و يموت حتف أنفه " (١)

ثورة رجال النهضة

هناك عيل صبر المتنورين .. لأن ذلك وقع فى عصر انفجرت فيه بركان العقلية فى أوربا ، فزيف العلماء هذه الخرافات وانتقدوا الكتب المقدسة فى صراحة وصرامة واعتذروا عن عدم اعتقادها والايمان بها .. وأعلنوا اكتشافاتهم واختباراتهم . فقامت قيامة الكنيسة كما قلنا . واستحل رجالها دماء الملحدين وأموالهم فى سبيل الدين المسيحى وأنشأوا محاكم التفتيش التى تعاقب – كما يقول البابا :

" أولئك الملحدون والزنادقة الذين هم منتشرون فى المدن والبيوت والأسراب والغابات والمغارات " (٢) .

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوى ص١٧٦
(٢) المرجع السابق ص ١٧٥ .

الكنيسة تضطهد العلمـــاء

ويقدر – كما ورد ذلك فى كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين – عدد من عاقبت هذه المحاكم بثلاثمائة ألف • أحرق منهم اثنان وثلاثون ألفا أحيــاء كان منهم العالم الطبيعى المعروف " برونو " نقمت منه الكنيسه آراء ــــــن أشدها قوله بتعدد العوالم ، وحكمت عليه بالقتل ، واقترحت بأن لا تراق قطرة من دمه • وكان ذلك يعنى أن يحرق حيا ! وكذلك كان ! وكذلك عوقب العالم الطبيعى الشهير " جاليليو " بالقتل لأنه كان يعتقد بدوران الأرض حول الشمس(١) •

ومما يذكرنى هذا أن أحد العلماء واسمه " بيلاد " كان له رأى فى تكفير خطيئة آدم خالف به رأى الكنيسة فقال : ليست حياة المسيـــــح وصلبه وما لاقى فى ذلك من تعذيب سبيلا لا رضاء الله وانزال عفوه عن خطيئة الانسان فعفو الله أيسر من ذلك وأقرب ، وانما لاقى المســــيح ما لاقى اعلانا لما يكنه قلبه من حب الله وعسى أن يثير فى النـــاس عاطفة الشكر وعرفان الجميل فيميدهم الى طاعة الله • ولكنه ما ان قـــال ذلك القول حتى انعقد مجلس لمحاكمته ، فكان نصيب كتابه التحريـــق • ونصيبه السجن الدائم حتى وافته منيته • (٢) •

---

(١) راجع كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ابو الحسن الندوى ص
(٢) محاضرات فى النصرانية ، أبو زهرة ص ٢٠٠
راجع ايضا الاسلام والنصرانية لمحمد عبده ص ٢٧
راجع ايضا تاريخ الدعوة الاسلامية آدم عبدالله الألورى ص ٤٠

الاتـاوات الماليـــــــة

لقد فرضت الكنيسة لنفسها سلطانا على الجماهير ، استغلته أبشع استغلال في فرض الأتاوات المالية الباهظة التي تجبى اليها مباشرة مما جعل النـاس يئنون تحت هذا الارهاق . والآن الكلمة للراهب جرم (Jarum) ليصور لنا ما كانت عليه البابوية من ترف وأكل أموال الناس بالباطل وانحطـاط خلقي :

" ان عيش القسوس ونعيمهم كان يزري بترف الأمراء والأغنياء المترفين وقد انحطت أخلاق البابوات انحطاطا عظيما واستحوذ عليهم الجشع وحب المال ، وعدوا طورهم ، حتى كانوا يبيعون المناصب والوظائف كالسلع ، وقد باع بالمزاد العلني ويؤجرون أرض الجنة بالوثائق والصكوك وتذاكر الغفران، ويأذنون بنقض القانون ويمنحون شهادات النجاة واجازات من المحرمات والمحظورات كأوراق النقد وطوابع البريد ، ويرتشون ويرابون .. وقد بذروا المال تبذيرا حتى اضطر البابا (انوسنت) الثامن ، أن يرهن تاج البابوية ، ويذكر البابا (ليو العاشر) أنه انفق ما ترك البابا السابق من ثروة وأموال . وأنفق نصيبه ودخله وأخذ ايراد خليفته المرتقب سلفا وأنفقه او يروى أن مجموع دخل مملكة فرنسا لم يكن يكفي البابوات لنفقاتهم وارضاء نفوسهم .

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوي ص١٧٣

نقله من كتاب Conflict of Religion, And Science

(٢) المستقبل لهذا الدين ، سيد قطب ص٤٣

فرض سلطانها على الملوك

بالغت الكنيسة - كما رأيت - في شدتها ولم ينج حتى الملوك من طغيانها . لقد صار البابوات غير خاضعين بأى نوع من أنواع الخضوع لأى ملك من الملوك وعلى النقيض من ذلك ان البابا له سلطان على كل ملك ، لأنه مسيحي وله السلطان الكامل على كل المسيحيين . ولأن البابا خليفة لبطرس الرسول ، وبطرس الرسول أقامه المسيح رئيسا على الحواريين من بعده . فالبابا على هذا الاساس خليفة للمسيح ينطق باسمه ويتكلم بخلافته وينفذ بسلطانه ومن خرج عن طاعته فقد خرج عن طاعة المسيح وحارب دينه لأنه - كما قلنا - ظل الله في الأرض !

ونذكر للقارئ على سبيل المثال الأمثلة التالية تبين مدى طغيان الكنيسة وحماقتها :

١ - قرارات الحرمان تنال الملوك :

فقد جاء في كتاب سوسنة سليمان : المجمع الثالث عشر انعقد في ليون من أعمال فرنسا سنة ١٢٤٥ بأمر البابا " اينوسنت " لأجل عزل فريدريك ملك فرنسا وحرمانه " (١) .

٢ - اشتداد النزاع والمنافسة بين البابوية والأمبراطورية :

وكان ذلك في القرن الحادى عشر حيث انتصرت فيها البابوية أولا حتى أن هنرى الرابع ممثل الأمبراطورية اضطر سنة ١٠٧٧ م أن يتقدم بخضوع نحو البلاط البابوى في قلعة كانوسا ولم يسمح له البابا بالدخول الا بعد أن شفع له الرجال بالمثول بين يديه فدخل الأمبراطور صاغرا حافيا لابسا الصوف وتاب على يديه

(١) محاضرات في النصرانية ، أبو زهرة ص ٧٥

فغفرله البابا زلته (١).

٣ ــ الخضوع المذل لرجال الدين :

بلغ الخضوع المذل لرجال الدين ، الى حد السجود فى الأرض الموحلة بالطين عند مرور أحد رجال الكهنوت ، وفوق ذلك ، راحت الكنيسة تفرض على الناس ضرائب مالية كما قلنا ــ وتحصيله ــ (٢) كالعشور والاتاوات والعمل المجانى فى أراضى الكنيسة الاقطاعية ، والتجنيد فى جيوشها التى تحارب بها الملوك والعصاة وتؤدبهم .. ذلك لون من طغيان الكنيسة وسلطانها المفروض على العباد .. لم ينج اذن الملوك من قرارات الحرمان والطرد .

٤ ــ وقوف رجال الدين فى صفوف الظلمة ضد الشعب الكادح : الذين فرضت عليهم حقوق غير مفهومة ، مثل حق الصيد للنبلاء وبيع الوظائف والامتيازات الضرائبية والاقطاعيه وغير ذلك من الحقوق التى كانت للطبقة الارستقراطية (النبلاء ورجال الدين).

وتلك " بعض " انحرافات الكنيسة التى قامت بها فى العصور الوسطى فى أوربا زد على ذلك أن الكنيسة الأوربية كانت قيمة على الجهل وحريصة عليه ، فلما ثار عليها ثائرون فما كان من الكنيسة الا أن تحافظ على جهلها ليضمن لها استنامة الجماهير لسلطانها الطاغى . فبدأت تحارب العلم ــ كما رأينا ــ وكان أمرا طبيعيا أن تقوم " الحركة " فى أوربا على غير أساس الدين كان أمرا طبيعيا من جميع الوجوه .

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوى ص ١٧٣ .
(٢) راجع كتاب جاهلية القرن العشرين ، محمد قطب ص ٣٤
راجع كتاب معركة التقاليد للمؤلف ص ١٤
راجع كتاب التطور والثبات للمؤلف ص ١٦ ــ ١٧
راجع كتاب تاريخ أوربا العصور الوسطى : ١/١ ٧ أحمد فشرت/مصطفى زيادة مصر ١٩٦٦م

فالدين كما تصوره الكنيسة الأوربية وصورته للناس كان يمثل الثبات المطلق في جميع الأمور . وقد تحولت هذه الديانة من معنى الرحمة كما رأيناهـا مع الملوك والطبقة الكادحة والعلماء الباحثين ، قد تحولت الى سلطان دنيوى قاهر مذل(١)و(٢).

من طغيان الكنيسة هذه الرهبانية العاتية

لقد ابتدعت الكنيسة رهبانية ضد الترف الرومانى ولكن رجال الدين الكنسى ما رعوها حق رعايتها .. لعلها كانت شرا على الانسانية والمدنية من بهيمية روما الوثنية ..

وقد تخطت هذه الرهبانية المبتدعة حدود القياس .. وكان من أهم نتائجها أن تزلزلت دعائم الحياة الاجتماعية وأصيبت المدنية بحكمهم ورهبانيتهم فى صميمها ، فلم يتضاعف عدد سكان انكلترة فى (خمسمائة سنة) ولم يتضاعف عدد سكان القارة الأوربية فى (الف سنة)(٣). وعمت القسوة على الأقارب .. فكان الرهبان الذين تفيض قلوبهم حنانا ورحمة وعيونهم من الدمع ، تقسو قلوبهم وتجمد عيونهم على الآباء والأمهات والأولاد فيخلفون الأمهات ثكالى والأزواج أيامى والأولاد يتامى عالة يتكففون الناس ، ويتوجهون قاصدين الصحراء .. همهم الوحيد أن ينقذوا أنفسهم فى الآخرة لا يبالون ماتوا أوعاشوا .. وحكى ليكى فى كتابه تاريخ أخلاق

---

(١) قصة الحضارة ، ول ديورانت ، ت/ محمد بدران ، القاهرة ١٩٥٧ م ١٤/ ٣٥٢
(٢) أما البابا الطاغية (جريجورى السابع) فقد أعلن أن الكنيسة بوصفها نظاما الهيا خليقة بأن تكون صاحبة السلطة العالمية .. " راجع المصدر السابق جـ ١٤/ ٣٩٤ + وفشر ٢/ ١٤٧
(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوى ص ١٧٤

أوربا ما يحزن القلوب ، يقول فيما يلي :

" زاد عدد الرهبان زيادة هائلة ، وعظم شأنهم واستفحل أمرهم واسترعوا الأنظار وشغلوا الناس ، ولا يمكن الآن احصاؤهم بالدقة ، ولكن ما يلقي الضوء على كثرتهم وانتشار الحركة الرهبانية ما روى المؤرخون أنه كان يجتمع أيام عيد الفصح (خمسون ألفا من الرهبان) .

وفي القرن الرابع المسيحي كان راهب واحد يشرف على (خمسة آلاف راهب) .. وكان الراهب (سرابيون) يرأس (عشرة آلاف) ..

وقد بلغ عددهم في نهاية القرن الرابع عدد أهل مصر .. " (١) .

جناية الرهبان على أنفسهم

لقد أصبح تعذيب الجسم تقربا الى الله في هذه الديانة العجيبة . روى المؤرخون من ذلك ما تمجه الأسماع و تستنكره الطبيعة الانسانية ..

قالوا : ان الراهب ماكاريوس (MaKarius) أنه نام ستة أشهر في مستنقع ليقرض جسمه العاري ذباب سام ..

وكان يحمل دائما قنطار من حديد ..

---

(١) اقرأ تاريخ أخلاق أوربا " ليكي "
(Lecky: History of European Morals) Chapter 1N
نقلا عن كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، أبو الحسن الندوى ص ١٦٧ .

وكان صاحبه الراهب يوسيبيس (   ) يحمل نحو ثنطارين من حديد .. وقد أقام ثلاثة أعوام في بئر نزح ، وقد عبد الراهب يوحنا (   ) ثلاث سنين قائما على رجل واحدة ولم ينم ولم يقعد طول هذه المدة ، فاذا تعب جدا أسند ظهره الى صخرة .

و كان بعض الرهبان لا يكتسون دائما ، وانما يتسترون بشعرهم الطويل ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام ..

وكان أكثرهم يسكنون في مغارات السباع والآبار النازحة والمقابر ، ويأكل كثير من الكلأ والحشيش .

وكان أزهد الناس عندهم وأتقاهم أبعدهم عن الطهارة وأوغلهم في النجاسات والدنس.

يقول الراهب (اتهينس) : ان الراهب (أنتونى) لم يقترف اثم غسل الرجلين طول عمره .. (١)

وكانوا يفرون من ظل النساء ويتأثمون من قربهن والاجتماع بهن ، وكانوا يعتقدون أن مصادفتهن في الطريق والتحدث اليهن ولو كن أمهات وأزواجا أو شقيقات تحبط أعمالهم وجهودهم الروحية " (٢) . وروى المؤرخون الشيء الكثير من ذلك .

ان هذه الرهبانية كما رأينا فلا شك أن تكون سببا من أسباب الالحاد في أوربا الحديثة .. لأنها شيء فوق مقدور الانسان ..

---

(١) المرجع السابق ص١٦٨

(٢) المرجع السابق ص١٦٩

من طغيان الكنيسة غياب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم

عن الأناجيل الأربعة

لقد قال القرآن الكريم بشكل قاطع أن المسيح ، قبل أن يصعد الى السماء أخبر حوارييه بأن الله تعالى سيرسل اليهم وسيطا آخرا ينوب عنه في ابلاغ رسالة الله وهو محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم.

فقال تعالى : ﴿ ... ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد .. ﴾ (١)

هل حافظت الأناجيل على هذه الوصية الهامة التي تعتبر بحق خلاصة دعوة المسيح عليه السلام ؟ أم حرفوها أوحذفوها ؟

فلا بد اذن من رجوع الى دراسة الأناجيل الأربعة :

ان الدارس للأناجيل الاربعة للبحث عن هذه الوصية يخرج منها بالنتائج التالية :

١ — ان الأناجيل الثلاثة (انجيل لوقا وانجيل مرقص وانجيل متى) لا يوجد فيها أثر لهذه الخطبة التي عليها مدار مسائل أساسية في المسيحية..

٢ — ان الذي ذكرها هو انجيل يوحنا وحده.. واليك نصها من انجيله بالترجمة المسكونية :

" اذا كنتم تحبونني فستعملون على اتباع أوامري ، وسأطلب للأب الذي سيعطيكم " (٢) Paraklet (براكليت).

" رحيلي فائدة لكم ، لأنني اذا لم أرحل فال"

لن يأتي اليكم ، وعلى العكس فاذا رحلت فسأبعث به اليكم ، وهو بمجيئه سيذهل العالم فيما يخص الخطيئة والعدل والحكم.. " (٣).

" عندما سيأتي روح الحقيقة ، فسيجعلكم ترقون الى الحقيقة بكاملها لأنه لن يتكلم بارادته وانما سيقول ما يسمع وسيخبركم بكل ما سيأتي وسيمجدني " (٤).

---

(١) سورة الصف آية : ٦

(٢) انجيل يوحنا بالترجمة المسكونية (١٤ ، ١٥ — ١٦)

(٣) " " " (١٦ ، ٧ — ٨)

(٤) " " " (١٦ ، ١٣ — ١٤)

نقلا عن كتاب دراسة الكتب المقدسة ، موريس بوكاي ص ١٢٥ — ١٢٦ .

فما معنى هذه الكلمة (paraclet) (براكليت) ؟

لقد اختلف المسيحيون في تحديد معناها • فكل فريق منهم فسرها حسب ما يتناسب مع رغباته •

ان الذين يعتقدون أن المسيح هو آخر من يرسل من عند الله ، فسروا الكلمة بمعنى " الروح القدس " •

فقالوا ان الروح القدس هو الذى سينزل بعد رفع عيسى الى السماء ، ويذكرهم كل ما نسوا من تعاليم المسيح • وحملوا على الروح القدس كل الصفات الواردة فى هذه الوصية ... من الكلام والسمع وتكوين المجتمع المثالى لبنى البشر على ظهر هذه البسيطة ..

واليك ما يقولون فى معنى الكلمة ..

كاتب انجيل يوحنا جعل المسيح يقول :

" ال (paraclet) هو الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى سيعلمكم كل شئ • وسيجعلكم تتذكرون كل ما قلت لكم ". (١)

" هو نفسه يشهد ". (٢)

و يعطينا " المعجم الصغير للعهد الجديد " للأب تريكو (Tricot) معنيين لهذه الكلمة ، الا أنه يؤيد معنى (الروح القدس) .. فهو يقول : " هذا الاسم أو هذه الصفة المنقول من اليونانية الى الفرنسية غير مستخدم فى العهد الجديد الا فى انجيل يوحنا ، فهو يذكر الكلمة أربع مرات عند سرده لخطاب المسيح بعد العشاء الأخير .. (٣)

ثم بيّن مراده من الكلمة فقال : " ان الكلمة تنطبق على (الروح القدس) (٤).

---

(١) انجيل يوحنا بالترجمة المسكونية (١٤ ، ٢٦)
(٢) = = = = (١٥ ، ٢٦)
(٣) دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ، موريس بوكاى ص ١٢٦
(٤) الواقع أن المسيح ، فى قول يوحنا ، يلقى خطابه الطويل فى أثناء وفيه يتحدث عن ال (paraclet) وهو خطاب لم يسرده المبشرون الآخرون ..

ثم أضاف قائلا :

" لقد كانت كلمة (paraclet) سائدة لدى اليهود الهللنستين في القرن الأول بمعنى " الوسيط أو المدافع " يقول أن لهذه الكلمة معنيان : أولهما : (الوسيط) ، وثانيهما : (الروح القدس)"

وبعد ذلك يعلق بقوله :

" فالمسيح يعلن أن الروح سيرسل بالأب والا بن في دوره الانقاذي الذي يؤديه في أثناء حياته الفانية على الأرض وذلك لصالح تلامذته وان الروح القدس يتدخل ويعمل كبديل للمسيح باعتباره (paraclet) أو وسيط قادر على كل شيء .. " (١).

يفهم من هذا التعليق أن الروح القدس هو الذي سيأتي بعد ما يرفع عيسى الى السماء مرشدا أسمى للبشرية جمعاء ... ويتدخل في الشئون الاجتماعية ويقدم حلولا لجميع المشكلات الانسانية .

يا ترى فهل هذا الشرح يتفق مع نص يوحنا ؟

نقول بدون تأخر بأن نسبة الصفات الواردة في انجيل يوحنا ، الى الروح القدس نسبة غير معقولة ... بل لا تنطبق على الروح القدس لما يأتي :

ان الا (paraclet) الذى رأيناه في نص يوحنا لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون الا كائنا بشريا مثل المسيح ، يتمتع بحاستي السمع والكلام .. وهما الحاستان اللتان يتضمنهما نص يوحنا بشكل قاطع ..

فيكون تفسير الخطبة على النحو التالي :

" ان المسيح يصرح بان الله سيرسل – فيما بعد – كائنا بشريا على هذه الأرض ليؤدي الدور الذي عرفه " يوحنا " أي وسيطا بين الله وبين خلقه .. انه دور نبي من بني آدم ، وليس هو دور الروح القدس الذي

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٧ .

لا يتصل بالناس الا عن طريق الالهام أن صح هذا التعبير ؟

النبي هو الذى يتكلم ويسمع ويذّكر الناس ويكرر رسالة عيسى على مسامع الناس ويكوّن المجتمع المثالى المبنى على العدل ...

ياترى ، هل بعد ما رفع المسيح فعل الروح القدس المزعوم شيئا مـــن ذلك ؟ هل كوّن مجتمعا يربى أفراده ؟ وأتى بكتاب يصدق الأناجيل ؟ لا والله ! ان الروح القدس لم ــ ولن ــ يستطيع أن يفعل شيئا من ذلـــك لأن الأرواح المجردة من المادة لا تتصل بالناس اتصالا ماديا ..

ونحن نتحداهم فى ذلك .. هل فى استطاعة احد من المسيحيين أن يثبت ثبوتا قطعيا أن " الروح القدس " المزعوم كوّن مجتمعا انسانيا بعدما رفـــع المسيح ؟ هل كان تلاميذ المسيح يلتفون حوله لاستماع رسالات الله كمـــا كانوا يفعلون ذلك فى أيام عيسى عليه السلام ؟؟

هل جاء هذا الروح القدس المصطنع بكتاب آخر غير الانجيل يذكـــر الناس فيه تعاليم المسيح التى نسيت • ويمجد المسيح وينفى عنه جميـــع الشبهات التى أثيرت حوله ؟

والجواب لا ! اذن ان (paraclet) (براكليت) الـــذى تحدث عنه انجيل يوحنا (١٦ : ١٤) بقوله : " سأطلب لله وسيرسل لكـــم (paraclet) آخر " ، وهو شئ آخر غير الروح القدس المزعوم .. لأن الصفات التى حددتها هذه الوصية ، صفات انسان مثل المسيح ، سيكـــون وسيطا بين الله وبين خلقه ، سيرسله فى صالح البشر فى اثناء حياتـــه على الأرض ..

فلنسأل التاريخ الانسانى العام بالسؤال التالى :

هل جاء بعد المسيح ، وسيط بين الله وبين خلقه استطاع أن يكوّن مجتمعا مثاليا غير محمد صلى الله عليه وسلم ؟

هل جاء احد بعده ، يكرر رسالات السماء السابقة على مسامع البشر غير سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟ الجواب عند المسيحيين .. فان لم يأتوا بجواب حاسم نقول لهم :

ان التفسير المنطقي للفارقليط عند يوحنا هو ان الله سيرسل رسولا من البشر مثل عيسى يقوم بالدور الذى قام به عيسى من تربية الناس وردهم الى توحيد الله عز وجل . ولن نكون من المبالغين ، ان قلنا أن المسيحيين حرّفوا معنى هذه الكلمة لحاجة فى نفوسهم ! وهى اعتقادهم أن عيسى هو آخر رسل الله وأنبيائه . لأنهم يعرفون جيدا أن الكلمة ان بقيت على أصل معناها وهو (الوسيط) لفهم الناس مجئ رسول آخر بعد عيسى يؤدى نفس الدور الذى كان يؤديه .. فلذا حرّفوا معنى الكلمة فقالوا انه هو " الروح القدس " الذى لا يرى ولا يخاطب .

وبعد هذه المناقشة المريرة مع كاتب انجيل يوحنا الذى أثبت هذه الخطبة فى انجيله مع تحريف المعنى الصحيح ؟ نود الآن أن نوجه أسئلة الى المسيحيين جميعا والى كتاب الأناجيل الثلاثة (انجيل متى وانجيل لوقا وانجيل مرقص) بصفة خاصة . فنقول لهم :

كيف يمكن أن نشرح الغياب التام (فى اناجيل متى ومرقص ولوقا) لرواية الوداع المؤثر الذى يحتوى على وصية المسيح الروحية ؟

هل كان النص موجودا اولا عند المبشرين الثلاثة الأولين ؟

ألم يحذف من أناجيلهم فيما بعد ؟

ولماذا ؟

والحق نقول انه لا يمكن الاتيان بأية اجابة ..

انها ثغرة فى رواية المبشرين الثلاثة ...

انها ثغرة كبيرة حيث خلت اناجيلهم من آخر حديث للمسيح وهو يتحدث عن مستقبل البشرية برمتها .. معطيا ارشاداته وأوامره ومحددا بشكل نهائي

المرشد الذى على الانسانية أن تتبعه بعد اختفائه ٠٠

انه لغريب جدا وبعيد عن الاحتمال أن تغيب هذه الوصية عن مرقس ومتى ولوقا !!

فاذا قالوا ان هذا النص كان موجودا عندنا ثم نسيناه ٠٠ نقول لهم كما قال تعالى : ﴿ ونسوا حظا مما ذكروا به ﴾

فأناجيلهم اذن ناقصة ٠٠ لا تصلح أن تكون كتاب دين صحيح ٠٠ واذا قالوا ما نسيناه ولكن حذفناه من أناجيلنا !

نقول لهم لماذا ؟ ٠٠ ليس هناك الا جواب واحد ٠٠ وهو ان النص لا يتناسب مع عقيدتنا فلذلك حذفناه من أناجيلنا !

فنتلو عليهم قول الله تعالى : ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾

فأناجيلكم — اذن كتاب محرّف ٠ والكتاب المحرّف باتفاق جميع العقلاء لا يحتج به أبدا ، لا فى العقائد ولا فى الأحكام ولا فى العبادات ٠٠ وبهذا وجدنا أن المسيحيين قد حكموا على كتابهم أنه كتاب نسي فيه عن كثير من تعاليم المسيح أو حرّف فيه كثيرا من تعاليمه ٠٠

وليس غريبا اذن أن تقوم هذه الثورة العاتية ضد هؤلاء المنحرفين المحرّفين ٠٠ ان مثل هذه الأمور غير المعقولة هى التى قادت المحدثين الى البحث الموضوعى عن قيمة هذا الكتاب ٠

ان يتوبوا فهو خير لهم فيعلنوا للناس رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ٠ فعندئذ يكونون فى تعداد ﴿ الذين يتبعون الرسول النبيّ الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ٠٠ ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم ٠٠ فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ (١)

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٥٧

ان هذه الوصية التي اخفيتموها نقد بينها القرآن العظيم ـ رغم أنفكم ـ على لسان نبيه العظيم محمد صلى الله عليه وسلم وكشف عن نواياكم الخبيثة اذ يقول : ﴿ واذ قال عيسى ابن مريم يابني اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد .. فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ﴾. (١)

وهكذا رأينا أن الطغيان أدى بهؤلاء الى هذه الخيانة العلمية الكبرى ...

حقائق وأباطيل

وقد رأينا فى الصفحات الماضية أن بعض الباحثين قد تغلوا فى تكذيب جميع المعلومات المسيحية ، حتى قالوا ان سيدنا عيسى (كائن اسطورى) .. نود هنا أن نسوق آيات قرآنيه لهؤلاء المنكرين الذين أنكروا عيسى ورسالته متعللين بأن خلقه لم يكن وفق السنن الطبيعية .. نقول لهم : ان هذا لا غرابة فيه ، فان كان عيسى قد خلق من غير أب فان آدم عليه السلام قد خلق من غير أب . (٢)

﴿ ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾

هذه هى الحقيقة .. وأما انكار وجوده باطل من أباطيل ..

*

كما رددنا على هؤلاء المنكرين ، نرد أيضا على هؤلاء الذين أطروا عيسى ابن مريم الذين قالوا انه ابن الله أو انه هو الله. (٣)

---

(١) سورة الصف آية : ٦
(٢) راجع قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ص ٣٧٢
(٣) تفسير الطبرى ص ٤٦٨ .

تثبت لهم أولا : بشرية عيسى ،

ثانيا : أن عقيدة التثليث عقيدة وثنية ، معتمدين أساسا على القرآن الكريم والأناجيل .. واليك نموذجا لكل من ذلك :

أولا — بشرية عيسى عليه السلام :

يقول تعالى : ﴿ انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ﴾ (١)

ومن تأمل في هذه الآية يعلم أن عيسى بشر لا غلو فيه ولا أباطيل ولا نسوت ولا لاهوت ولا أقانيم ثلاثة هو بشر مخلوق لا اله خالق . ذلك هو ابن مريم لا ابن الله (٢) وليس هو كاتنا أسطوريا كما يدعي الملاحدة .

وبعد أن اثبت القرآن بنوة عيسى الى مريم أثبت له بعد ذلك بعض صفات تثبت بشريته وهي ثلاث كلمات :

١ — رسول الله

٢ — كلمته

٣ — روح منه

واليك أدلة على كل من هذه الصفات الثلاثة :

(١) — الرسالة ، تتحدث آيات كثيرة عنها في القرآن منها مايلي :

﴿ ورسولا الى بني اسرائيل ﴾ (٣)

﴿ ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾ (٤)

﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ﴾ (٥)

---

(١) الاية في سورة
(٢) الأمثال في القرآن ، محمود بن الشريف ص ٣٦ طبعة دار المعارف .
(٣) سورة آل عمران الاية : ٤٩
(٤) سورة المائدة الاية : ٧٥
(٥) سورة البقرة الاية : ٢٥٣ .

أى رسولا الى بنى اسرائيل لما حرّفوا شريعة موسى وحرّفوا التوراة وعبدوا يهوذا وعزير ، أرسله اليهم بالتوحيد وعبادة الاله الواحد .

(٢) — كلمــة اللــه :

فمعنى وصف عيسى بالكلمة — أنه المكوّن بالكلمة من غير أب .. أى انه تكون بكلمته وأمره الذى هو " كن " من غير واسطة أب ولا نطفــه .. قال الله لعيسى : كن فكان .. أى كان عيسى بكن وليس عيسى هــو (الكن) يقول قتادة : " ليس الكلمة صار عيسى ولكن بالكلمــــة صار عيسى ". (١)

ان هذا دليل قاطع على بشرية عيسى خلافا لما يعتقده المسيحيــون المحرّفــون المنحرفون ..

(٣) — وروح منــه :

ان تفسير هذه الكلمة كالتالى : (وروح منه) أى ذو روح منه .. أضيف اليه تعالى تشريفا كما يقال (بيت الله) و (ناقة الله) .. (٢)

ثم ان لفظ الروح ليس خصيصة قرآنية اختص بها عيسى بل وردت لفظــة (الروح) فى القرآن لمعانى عدة ..

اطلقت على آدم ، وعلى القرآن ، وعلى الوحى بمعناه العام وعلى من نزل الوحى ، وعلى النصر ، وعلى نوع ممتاز من المخلوقات أعظم مــن الملائكة .

---

(١) تفسير الجلالين ج ١ ص ٤٥١ حاشية الجمل .
وراجع ايضا كتاب الجواب الصحيح لابن تيمية ص ٧٧ .

(٢) راجع تفسير الجلالين ج ١ ص ٤٥١

على آدم .. ﴿ فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾(١)

وعلى القرآن .. ﴿ كذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ﴾(٢) ﴿ والايمان ﴾

وعلى مطلق الوحي .. ﴿ ينزل الملائكة والروح من أمرنا على من يشاء من عباده ﴾(٣)

وعلى جبريل .. ﴿ فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ﴾(٤)

وعلى النصر .. ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ﴾(٥)

وعلى النوع الممتاز المختار من الملائكة .. ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا ﴾(٦)

وبهذه الآيات يتضح لنا أن كلمة الروح تطلق على عيسى كما تطلق على غيره وليست خاصة به ..

وقبل أن نختتم هذه الفقرة يحسن بنا أن نزيل شبهة كانت ولم تــزل تشوش بعض العقول ..

فما هي هذه الشبهة ؟؟

انها شبهة قد وقع فيها كثير ممن لا يتدبرون الآيات القرآنية وهي القول بأن عيسى جزء من الله تعالى وروح منه ؟

فلنقرأ الكلمات التالية : " أن طبيبا نصرانيا جاء للرشيد فناظر علي بن الحسن الواقدي ذات يوم فقال له :

---

(١) سورة الحجر آية : ٢٩
(٢) سورة الشورى آية : ٥٢
(٣) سورة النحل اية :
(٤) سورة مريم آية : ١٧٣
(٥) " المجادلة : ٢٢
(٦) " النبأ : ٢٨

ان في كتابكم ما يدل على أن عيسى جزء من الله وتلا قوله تعالى : ﴿ وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ﴾ .

فقرأ الواقدي ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ﴾ ، وقال : اذن يلزم أن تكون جميع تلك الاشياء جزءا منه سبحانه فانقطع النصارى وأسلم .. . (١) و(٢)

وعلى هذا الأساس المتين نقول للملاحدة : ان كانت المسيحية مفرطة في شأن عيسى ، وأنتم في نفس الوقت مفرطون فيه حيث نفيتم وجوده اطلاقا ولم يكن لديكم من الصبر على الدراسة والتفكير ومن العقل والاجتهاد ما تميزون به بين الدين ورجاله المنحرفين وتفرقون بين ما يرجع الى الدين من مسئولية ، وما يرجع الى اضافات رجال الكنيسة وسوء تمثيلهم .. فلا تنبذوا عيسى نبذ النواة .. وكان في استطاعتكم أن تراجعوا القرآن الكريم الذي يدين به أمم معاصرة لكم .. القرآن الذي يقول :

﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ﴾ ولكن الاستعجال لم يسمح لكم بالنظر في ذلك الأمر حتى وقعتم في هذا التفريط المذل"...

ثانيا — التثليث :

لقد جلى القرآن الكريم هذه القضية وعرض زيفها وزعمها .. ودعا أهلها دعوة منطقية بأن لا يغلو في دينهم ولا يشتطوا في عقيدتهم وأن يلتزموا جادة الايمان الحق بأن يحكموا عقولهم ، ويحكموا بما أنزل الله اليهم في انجيلهم وأن يلتزموا بمضامينه وما فيه من دعوة الهيئة صريحة لعبادة الله الواحد الأحد ، والايمان برسوله عيسى وبمحمد الذي يجدونه اسمه وصفته مكتوبين في انجيلهم ...

---

(١) حاشية الجمل على تفسير الجلالين ج ١ ص ٤٥٢

(٢) وأما حقيقة الروح لا يعلمها الا الله ﴿ ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا ﴾ سورة الاسراء آية : ١٨٥

وعقيدة التثليث تزخر بمزاعم وأضاليل وأباطيل فهي تزعم أن الله ثالث ثلاثة .. وأنه ثلاثة أصول (أقانيم) متساوية .. الله الأب .. الله الابن .. والله الروح القدس .. ثم ترجع فتقول : ان الاقانيم الثلاثة واحدة .. اي أن ١ + ١ + ١ = (١) .

فعندهم ان المسيح اله ، وهو ابن الله وفي الوقت نفسه هو بشر وإله هو لاهوت وناسوت .. هو الله وابن الله .. وأصل من الأصول الثلاثة المكوّن لله .. سبحانه وتعالى عما يشركون ..

ويصدر القرآن حكمه في هذه القضية المقيدية ويحكم بكفر من اعتقها أو اعتقد فيها :

﴿ لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا .. ﴾ (١)

ان هذه الآية ستظل مسجله على أهل التثليث غلوهم و انحرافهم ، ولعلهم ان كانوا أتباع المسيح حقا أن يثوبوا الى عقيدته الحقة وكما ينبه القرآن الى أن المسيح وأمه كانا يأكلان الطعام .. ومن البين أن الذى يأكل الطعام فيتحول في جسمه دما ولحما وعظاما وينضح عرقا ، ويخرج فضله لو بقيت في الجسم لأضرته ..

من الواضح أن كائنا من هذا النمط لا يمكن أن يكون الا بشرا ، خاضعا لكل قوانين البشرية التى لا تؤدى الى نقص في مرتبته (٢) كرسول ..

---

(١) سورة المائدة الاية : ٧

(٢) كتاب التفكير الفلسفي في الاسلام للدكتور عبد الحليم محمود ص٧٤ .

التثليث عقيدة وثنيـــــــة

ثم اذا دققنا النظر فى التاريخ نجد أن التثليث عقيدة وثنية ، فهـــو ليس بطارئ على العقيدة المسيحية ، ولكنه يمتد بجذور عميقة فى أرض العقيدة الوثنية العالمية القديمة .. ويتصل بها بأقوى الوشائج والصلات ..

فالعقيدة المسيحية زعمت ان الله ثلاثة أقانيم (أب وابن والروح القدس)

وهى نفس الثالوث الجاهلى " اللات والعزى ومناة الثالثة . "

وهى نفس الثالوث البرهمى فى الديانة الهندية " (براهما وسيفا وفشنو)"

وهى نفس الثالوث الالهى لقبائل الباتتو الافريقية " مزيمو وبيمبو وولنجو (1)

اليس هذا أدل على أن عقيدة الثالوث وثنية ..

*

وبعد هذا نود أن نقوم بجولة تفتيشية فى الأناجيل الأربعة ، لنذكرهم أن كتبهم — وان كانت جل معلوماتها محرفة — لم يزل فيها قبس من النور الالهى الذى يدل على وحدانية الله — وعلى عبودية عيسى وانه ابن الانسان لا ابن الله . وانما هو رسول من الله تعالى الى بنى اسرائيل ..

---

(1) راجع كتاب الأديان فى القرآن محمود الشريف ص ٢٠٢
راجع أيضا الأسفار المقدسة ، دكتور وافى ص١٠٧

شواهد من كتب النصارى على عبودية عيسى عليه السلام

ورد في انجيل يوحنا مايلي : (٤)

" قال المسيح في خطاب مريم المجدلية " لا تلمسيني لأني لم أصعد بعد الى أبي ولكن اذهبي الى اخوتي وقولي لهم اني أصعد الى أبـــي وأبيكم والهي والهكم " (١) .

فحكم ببشريته وانسانيته عندما قال " الى أبي وأبيكم والهي والهكم " ان هذه الاية رد على مزاعم رجال الكنيسة القائلين بأن عيسى ابن الله .. وتوافق أيضا ما ورد في القرآن ..

﴿ ما قلت لهم الا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ (٢)

﴿ وقال اني عبد الله ﴾ (٣)

عـن رسـالته :

ورد في انجيل يوحنا ما يدل على ذلك وهو قوله :

" الكلام الذى تسمعونه ليس لي بل للأب الذى أرسلني " (٤)

في ذلك اعتراف برسالته وبأن دعوته وحي من عند الله .

وفي انجيل متى ما يلي : (٧)

" لا تدعو لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد الذى في السموات " (٥)

فهذا اعتراف صريح بوحدانيته لله تعالى .

---

(١) انجيل يوحنا الاية ١٧ من الاصحاح ٢٠

(٢) سورة المائدة اية : ١١٦

(٣) سورة مريم الاية :٣٠

(٤) انجيل يوحنا اية ٢٤ باب ١٤

(٥) انجيل متى باب ٢٣ آية ٩

انسانيته في الأناجيـــــل

في انجيل متى :

" قال يسوع : أقول الحق الآن تبصرون ابن الانسان " (١) في نفـــس الانجيل يقول :

" أما ابن الانسان فليس له أن يسند رأســه " .

وكذلك وردت لفظـة ابن الانسان في الاصحاح التاسع آية ٦ من هذا الانجيل السابق ..

وعلاوة على ذلك ان متى نفسه قال أول كلمة في انجيله في الاصحاح الأول :

" كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن ابراهيم .. فذكر نسبـــــه الصحيح ولم يقل انه ابن الله ولا انه اله من اله " (٢)

وفي انجيل يوحنا يقول :

" الحق الحق أقول لكم ، من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكـة السماء يصعدون وينزلون على ابن الانسان " (٣) .

هذه مقتطفات من الأناجيل قد ثبتت بشكل واضح أن فكرة التثليث أو القول بأن عيسى ابن الله أو هو الله فكرة مستحدثـة من هؤلاء البغـاة المسيحييـــن وصدق الله تعالى :

﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم ﴾ .

وهذه هي المسيحية الباغـية وهؤلاء هم رجالها المعتدون المتنطعـــو ن المطرو ن .. وتلك هي خرافاتهم في عيسى وفي الكون التي كانت ســـببا

---

(١) انجيل متى اصحاح ٢٦ اية ٦٤

(٢) الأديان في القرآن ، محمود شريف ص١٩٤ .

للكفاح المشئوم بين الدين والعلم والعقل الذى انهزم فيه الدين .. ذلك الدين المختلط بعلم البشر الذى فيه الحق والباطل والخالص والزائف — هزيمة منكرة .. وسقط رجال الدين سقوطا لم ينهضوا بعده ، وشر من ذلك كله وأشأم أن أوربا أصبحت لا دينية .

*

ولا يشك أحد أن تبلد الضمير الدينى عند رجال الدين الكنسى كان من أكبر العوامل لقيام الالحاد فى أوربا الحديثة .. وهذا لا ينفى أن تكون هناك أسباب أخرى وإن كانت أقل درجة من طغيان الكنيسة ولكن بعضها ساندت بعضا حتى وقع هذا الفصل النكد بين الدين والدنيا وبين الخالق وخلقه ...

فى الصفحات التالية محاولات لبيان شىء من هذه الأسباب .

الفصـل الثالـــث

قوانيـــن المـــــــــــادة (8)

لقد اتخذ الملاحدة قوانين المادة سندا للالحاد فاعتبروا هذه القوانين المادية التى نسميها " السنن الربانية " بدلا عن الله مدبرحكيم .. والذى يجب أن نفهمه هنا هو : ان المذاهب المادية نشأت قبل العلوم التجريبية فالمذاهب المادية تنكر وجود الله ، وأما العلوم التجريبية تدعو الى الايمان به كما صرح بذلك ا٠كريسى موريسون بقوله :

" وقد يقودنا هذا الضوء الى الاعتراف بوجود عقل عام أسمى ، أى الى وجود الخالق " (١) .

وكانت فضيلة المذاهب المادية عند الماديين ، أنها تقوم على الوقائع والحقائق ولا تقوم على الظنون والأوهام ٠ وكانت المادة عندهم حقيقة الحقائق الثابتة التى لا يعتريها الشك ولا يلم بها الباطل ، لأنها محسوسه ملموسه محصورة فى مكان محدود ٠

يخبط أحدهم على المادة بيده ، أو يضرب على الأرض بقدمه ، ويقول لمن يجادله : " هذه هى الحقيقة التى ألمسها بيدى وقدمى أو أراها بعينى وأسمعها بأذنى ، وليست ما تخبطون فيه من الظنون والأوهام " (٢) .

وكان العهد بدعاة الالحاد أن يحتجوا لدعوتهم المادية بأدلة يحسبونها علمية ، حتى لقد ظن البعض أن العلم والايمان نقيضان لا يجتمعان بل ألف أحد العلماء الغربيين ــ وهو جوليان هكسلى ــ كتابا فى ذلك المذهب المادى سماه : " الانسان يقوم وحده " (Man Stands Alone) زعم فيه أن العلم ينكر وجود الله . (٣)

---

(١) العلم يدعو للايمان ا٠كريسى موريسون ص ٤٧ ترجمة صالح محمود صالح الفلكى ٠
(٢) عقائد المفكرين عباس محمود العقاد ص ٥٥
(٣) العلم يدعو للايمان ــ السابق ص ١٧ ــ ١٨

فرد عليه ١٠ كريسي موريسون السالف الذكر في كتاب سماه :
" الانسان لا يقوم وحده " (١) (Man Does Not stand Alone)
أثبت فيه بمختلف العلوم أن الله بارئ الكون وهو خالق كل شيء ...

*

ثم شاعت العلوم التجريبية في القرون الأخيرة ، وشاعت معها قوانين الحركة والحرارة والضوء وسائر القوانين من الجاذبية وغيرها التي سميت بالقوانين الطبيعية عند الماديين .

فقالوا : هذه هي قوانين الكون التي تسيطر على حركاته وسكناته وتفسير كل ظاهرة من الظواهر ، على الافلاك العلوية كما تسري على المواد الأرضية ، ولا يشذ عنها حكم واحد من الأحكام التي تشمل المادة في جميع صورها وأشكالها ، ومنها مادة الأجسام الحية أو مادة الحياة ..

وبهذه التصورات المادية الالحادية أصبحت قوانين المادة تستعمل ضد فكرة وجود اله لهذا الوجود .. وأصبحت فكرا ماديا بقسميه الميكانيكي والديالكتيكي (٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ١٨

(٢) الفكر المادي العلمي ينقسم الى اتجاهين :

- الاتجاه الميكانيكي (Mechanistic Materialisme)
وهو اتجاه مادي لا يرى وجودا للروح أ والعقل فضلا أن ينسب اليهما تدبير الجسم .

- الاتجاه المادي الديالكتيكي (Dialecae Materialisme)
ويرى أن وجود الروح والعقل تابع لوجود المادة ، والاتجاهان بذلك ينكران الغيب أو يستبعدانه .

راجع كتاب : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، د . البهي ص ٨٦ .

كما أن النظريات الجديده عن الكون في هذا القرن ، قرن السابع عشر قد غمرت الأفكار الفلسفيه واستأثرت بالاهتمام البالغ من قبل الأوساط الدينية والعلميه على السواء وأعظم هذه النظريات " نظرية الجاذبية " لاسحاق نيوتن .

ان هذه النظريه الضئيله تشير الى امكانيه تفسير ظواهر الطبيعه بربط بعضها ببعض دون حاجه الى تدخل قوه خارجيه عنها (١) .

وبهذا كان هذا الاكتشاف الضئيل بمثابة النواة للمذهب " الطبيعي " والنظريه الميكانيكيه اللذين كان لهما صدى واسع في قادمات الأيام ..

وكان موقف الكنيسه تجاه هذه النظريه ، الرفض التام بل شنعت على معتنقيها قائله : ان الأشياء لا تعمل بذاتها ولكن عناية الله هي التي تسيرها .

ولم تكن الكنيسة من سعة الصدر على جانب يسمح لها بتفهم عدم المنافاة بين نسبة الأفعال الى الله تعالى باعتباره الفاعل الحقيقي ، وبين نسبتها الى الأسباب باعتبارها وسائط مباشرة ، بل كان حنقها على كل جديد صارفا لها عن ذلك.

كما أن أصحاب النظريه اندفعوا اندفاع الفراش الى النار ـ فأنكروا عمل العنايه الالهيه وربطوا الأسباب بالمسببات معتقدين أن كل ما عرفت علته المباشره فلا داعي لافتراض تدخل الله فيه ـ حسب تصريحاتهم ...

واليك بعضا منها ، يقولون مثلا " لقد اثبت (نيوتن) أنه لا وجود لا له يحكم النجوم وأكد (لابلاس) بفكرته أن النظام الفلكي لا يحتاج الى أي أسطوره لا هوتيه ."

---

(١) (Religion, And The Scientific Outlook,) p.20
نقلا عن كتاب الاسلام يتحدى، وحيد الدين خان ص٣٤ ـ ٣٥

وقام بهذا الدور العالمان " داروين " و " باستور " في ميدان البيولوجيا وقد ذهب كل من علم النفس المتطور والمعلومات التاريخية الثمينة التي حصلناها في هذا القرن بمكان الاله الذي كان مفروضا أنه هو مدير شئون الحياة الانسانية والتاريخ ". (١)

هذا ما يقوله الملاحدة بعد اكتشاف قوانين المادة ...

ما آلت اليه المادية

وشاء الله بحكمته البالغة أن حدثت في السنوات الخمس الأخيرة من القرن التاسع عشر حوادث " علمية " غيرت كل صورة من صور المسألة عرفها الأقدمون ...

فقد عرف الكيمائيون قبل ذلك أن عناصر المادة أكثر من أربعة ، وأنها ليست محصورة في النار والتراب والهواء والماء .

وعرفوا أن ذرة " الهيدروجين " أخف العناصر ليست هي أصغر جسم من أجسام المادة ينتهي اليه التقدير ...

عرفوا الكهرب الذي تحسب ذرة الهيدروجين جبلا ضخما بالقياس اليه ، ثم تقدموا في معرفة الكهرب والذرة حتى أفلتت المادة كلها من بين أيديهم ولم يبق منها غير حسبة رياضية ... حسبة رياضية كانوا يحسبونها ، مثلا في الدقة ، والضبط والعصمة من الخلل ، فاذا هي في النهاية حسبة لا يضبطها الحساب الا على وجه التقريب .

أفلت من المادة كل شيء ثابت أو كانوا يحسبونه مضرب المثل في الثبوت و " الحقيقة ".

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤ ـ ٣٥

فاللون من الشعاع ، والشعاع هزات في الأثير ...

والوزن جاذبية ، والجاذبية فرض من الفروض ...

والجسم نفسه يتوقف على الشحنة الكهربائية وعلى سرعة الجسم في الحركة ونصيبه من الحرارة ..

والحرارة ما هي ؟ حركة ..

والحركة في أي شيء ؟ في الأثير ...

والأثير ما هو ؟ فضاء أو كالفضاء ... (١)

وصدق القائل : " ان العلم الحديث بدا بالاحتمال وانتهى الى الاحتمال " (٢)

وهكذا رأينا أن الدعاوى الملحدة ليس لها سند من العلم التجريبي ومع ذلك تستحق النظر فيها وسوف نناقشها عند مناقشة الآراء ان شاء الله تعالى .

---

(١) راجع عقائد المفكر بن عباس محمود العقاد بتصرف طفيف ص٥٦ـ٥٧

(٢) راجع الله يتجلى في عصر العلم : مقال د/ وولتر أوسكار لندبرج ص: ٤٢

الفصل الرابع

مقارنة الأديان

توطئة :

من نظر الى شيوع التدين فى جميع الأجناس يعلم يقينا أن التدين فطرى فى الانسان ، لأنك لا تكاد تجد أمة من الأمم الماضيه أو الحاضره فى قلب الحضاره الماديه الا وتجد فيهم من يميل الى التدين وأحيانا يدافع عنها ...

ان هذه الظاهره ، ظاهرة التدين تدل على أمرين هامين :

هما : قانونا (السببيه والغائية) .

ولو تدبر الملاحدة فى هذين القانونين لأدياهم الى أسمى العقائد الدينيه :

" عقيدتى التوحيد والخلود " وأن عقيدة الشرك والوثنية والفناء انما هى وليدة ضرب من الغفلة أو الكسل العقلى الذى يمنعهم من البحث الصحيح ..

وبيان ذلك : ان قانون السببيه يقرر أن شيئا من " الممكنات " (١)

---

(١) التعبير المشهور هو أن شيئا لا يحدث من لا شئ ، وقد أضفنا عبارة : " من الممكنات " تحديدا للمجال الحقيقى الذى يطبق فيه هذا المبدأ . ودفعا للخطأ الذى ينجم من أخذه على اطلاقه . ذلك أن الأمور " الضرورية الوجود " لكون الكل أكبر من جزئه ، وكون الشئ عين نفسه ، الى غير ذلك ـ تحمل فى طبيعة مفهومها سبب وجودها ، فهى موجودة بنفسها لا بسبب خارجى والأمور " المستحيلة لكون الجزء أكبر من كله و غير ذلك من أحكام التناقض ـ تحمل فى نفسها سبب عدمها ، فلا تقبل الوجود بنفسها ولا بغيرها . أما الممكنات التى تقبل الوجود والعدم ولا تقتضى طبيعتها واحدا منها ، فان وجودها انما يرد اليها من سبب خارج عنها حتما اذ لو وجدت بنفسها لكانت واجبة الوجود وهو خلاف المفروض... راجع : (الدين) د . عبدالله دراز ص : ١٠٤

لا يحدث بنفسه من غير شيء ، لأنه لا يحمل في طبيعته السبب الكافي لوجوده ، ولا يستقل باحداث شيء ، لأنه لا يستطيع أن يمنح غيره شيئا لا يملكه هو .

كما أن الصفر لا يمكن أن يتولد عنه عدد ايجابي . فلا بد له في وجوده وفي تأثيره من سبب خارجي . وهذا السبب الخارجي ان لم يكن موجودا بنفسه احتاج الى غيره . فلا مفر من الانتهاء الى سبب ضروري الوجود يكون هو سبب الأسباب ..

واذا قال الملحد : ولماذا لا يمكن لنا معرفة كنه هذا السبب الأول ؟

فنبادره بالقول : انه غيب عنا . فالانسان لم يحط الوسائل بحد لمعرفة الشيء .. نؤ من به لآثاره كما آمنا بوجود الالكترون والبروتون بآثارهما ولم نشاهد الكترونا ولا بروتونا ..

وقد آمنا بالمغناطيس ولم نشاهده بأعيننا وانما شاهدنا فقط انجذاب حديد الى حديد دون رؤية الجاذب وهكذا دواليك ...

وأما قانون الغائية فمن موجبه أن كل نظام مركب متناسق مستقر لا يمكن أن يحدث عن غير قصد ، وأن كل قصد لا بد أن يهدف الى غاية ، اذا لم نجد عند الماديين مصنعا للسيارات يصدرها بدون غاية ؟ فلا بد ـ أن يكون من وراء هذا العالم غاية ...

نعم ان طاقة البشر ، وطبيعة المخلوق ، أعجز من أن تحصي مراحل الأسباب والغايات مرحلة مرحلة ، وتتابع سلسلتها حلقة حلقة ، حتى تشهد بداية العالم ونهايته .. ولذلك يئس الماديون الذين قاموا يقارنون الأديان من معرفة أصول الأشياء وغاياتها الأخيرة ، وأعلنوا عدولهم عن هذه المحاولة فقالوا : ان الديانات ما هي الا منظمات مستحدثة ، وأعراض طارئة على البشرية حتى قال (فولتير) : ان الانسانية لا بد أن تكون قد عاشت قرونا متطاولة في حياة مادية خالصة قوامها الحرث ، والنحت ،

والبناء ، والحداد، والنجار ، قبل أن تفكر في مسائل الدينيات والروحانيات (١)
بل قال :

ان فكرة التأليه انما اخترعها دهاة ماكرون ، من الكهنة والقساوسة الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسخفاء ، (٢)

هذه هي مقاصد علماء الأديان المقارنة . فهم يستهدفون الى تحديد الأصل للعقيدة ، والمظهر الذى ظهرت به في أول الأزمنه باطلاق .
فقالوا : ان الأمم البدائية هم أحسن أرضية لهذا البحث . وتجاهلوا عن موكب الرسل من لدن آدم الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واعتبروا القول في اثبات رسالتهم عن الله ، خرافه ووثنيه ..

وهم انما يفعلون ذلك ، لأن المنهج كله انما قام ابتداء على أساس العداء والرفض للمنهج الديني ، بسبب ما ثار بين الكنيسه الأوربيه والبحث العلمى في كل صور ، في فترة من فترات التاريخ .. فبدأ المنهج وفي عزم أصحابه أن يصلوا الى ما يكذب مزاعم الكنيسه من أساسها للوصول الى تحطيم الكنيسه ذاتها ..

ومن أجل هذا جاء منهجا منحرفا منذ البدء لأنه يتعمد الوصول سلفا الى نتائج معينه ، قبل البدء في البحث ...

وحتى حين هدأت حدة العداء للكنيسه بعد تحطم سيطرتها العلميه والسياسيه والاقتصادية الغاشمه ، فان المنهج استمر في طريقه .. لأنه لم يستطع أن يتخلص من أساسه الذى قام عليه .. والتقاليد التى تراكمت على هذا الأساس ، حتى صارت من أحوال المنهج ..

أما خطأ النتائج فهو ضرورة حتمية لخطأ المنهج من أساسه ، هذا الخطأ الذى طبع نتائج المنهج كلها بهذا الطابع .. واذا كان المنهج والحالة هذه ؟ فما موقف المسلم من تعلم هذا العلم كحقيقه علميه ؟

---

(١)
(٢) راجع كتاب الدين ، عبدالله دراز ص ٨٠

موقف الاسلام من تعلم علم مقارنة الأديان

وللاجابة على هذا السؤال لا نتوانى أن نقول : انه لا يجوز لمسلم بحال من الأحوال ، أن يأخذ بهذه النتائج ، لأن تقريراته مخالفة مخالفة أساسيه للتقريرات الالهيه كما يوضحها القرآن الكريم ..

واذا جاز للملاحده أن يأخذ بنتائج تخالف مخالفه صريحه قول الله سبحانه فى مسأله من المسائل ، فانه لا يجوز لباحث يقدم بحثه للناس على أنه " مسلم " أن يأخذ بتلك النتائج ، ذلك أن التقريرات القرآنيه فى مسأله الاسلام والالحاد ، وسبق الاسلام الالحاد المادى" فى التاريخ البشرى ، وسبق التوحيد للتعدد والتثنيه .. قاطعة ، وغير قابله للتأويل .. فهى مما يقال عنه : انه معلوم من الدين بالضرور ه ... (١)

وعلى من يأخذ بنتائج علم الأديان المقارنة فى هذا الأمر ، أن يختار بين قول الله سبحانه وقول علماء الأديان .. أو بتعبير آخر :

أن يختار بين الاسلام وغير الاسلام لأن قول الله فى هذه القضيه متداول وصريح ، وليس ضمنيا ولا مفهوما .. كقوله تعالى :

﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ (٢)

وعلى أية حال فان هذا البيان عن موقف الاسلام فى هذا المنهج ليس هو المقصود بالذات هنا ، انما نستهدف هنا الى اثبات أن ظهور هذا العلم ، علم مقارنة الأديان كان سببا من أسباب الالحاد فى أوربا الحديثة . وكان ضربة قاصمة على أصحاب الكنيسة ولكن بمرور الزمن أصبح سندا لأصحاب الأديان أيضا يحتجون به على فطرية التدين وفطرية التوحيد .. ولا بد من ايضاح هذه المفارقات العجيبة .

---

(١) ان هذه التقريرات مستفادة من كتاب (فقه الدعوه) ، جمعة احمد حسن من ظلال القرآن ص ١٦٠

(٢) فى سورة النحل الاية : ٣٦

قصة مقارنة الأديان في أوربا

يذكر لنا التاريخ أنه لما اكتشفت أمريكا الوسطى ، ووجد الاسبانيون فيها أقواما يتعبدون على أديان لا يعرفونها — توافد القساوسة والمبشرون الى البلاد المكشوفة ليبحثوا في أديانها ويحولوا أقوامها الى العقيدة المسيحية فأدهشهم بعد قليل أن يروا لهم شعائر الأديان المعهودة في الدنيا القديمة وأنهم سمعوا منهم كلاما عن التكفير والخلاص ومناسك الأديان على شيء من الشبه بنظائره في الديانة المسيحية ، وحاروا في تعليل تلك المشابهة ..

فخطر للقساوسة والمبشرون الذين توافدوا الى هذه الدنيا الجديدة ، أن هذه العبادات التي يتعبدها هؤلاء القوم المنكرون ، بقية من بشارة قديمة نسيت واندثرت ونتجت عنها هذه العبادات الممسوخة ...

وكان هذا هو التفسير الذي اكتفى به الناس لفهم أسرار المشابهة بين الأديان في الدنيا القديمة والأديان في الدنيا الحديثة التي رجح عندهم أنها كشفت لأول مرة ، وظل هذا التفسير كافيا من أوائل القرن السادس عشر الى أواخر القرن الثامن عشر ، ثم اتسعت كشوف الرحالين وتتابعت أخبار القبائل والسلالات التي تتشابه بينها شعائر الأديان والعبادات ، وتقدم علم الأجناس ومعه علم المقارنة على أيدي هؤلاء الباحثين الذين يريدون ازالة الكنيسة بكل ما تمد اليه أيديهم : فاحتاج الأمر الى تفسير غير ذلك التفسير عند المتدينين والمعتقدين ... فقالوا ان الأديان كلها من وضع البشر فاتخذوا من هذه المشابهات دليلا على صحة ما قرروه.(١)

وكانت صدمة قوية لأنصار الدين ، لأن القرن الثامن عشر على الخصوص قيض لهم مشاكل كثيرة لم يفرغوا منها أثرت في نفوس الأجيال الجديدة شكوكا تعالجها الكنائس واحدة بعد واحدة ، ولا تنتهي من علاجها .

---

(١) عقائد المفكرين في القرن العشرين ، عباس محمود العقاد ص ٢٢ — ٢٥

فلما أسفرت المقابله بين الأديان والعبادات عن تلك المشابهه المتكرره كانت ضربه قويه محرجه بعد ضربات مثلها في القوه والاحراج ، كادت أن تخذل عوامل الايمان والاعتقاد أمام عوامل الشك والالحاد ...

*

هذا ان الملاحده بعد ما اتفقوا في أن الدين خرافه ، اختلفوا في العوامل الأولى لا يقاظه في النفوس الى مذاهب شتى ... اهمها كالتالى :

أولا ــ مذهب التطور التقدمي :

ان هذا المذهب يرى أن الدين بدأ في صوره الخرافه وأن الانسان قد ترقى في دينه وتطور ، على مدى الأجيال حتى وصل الى الكمال فيه بالتوحيد كما تدرج نحو الكمال في العلوم الطبيعيه والصناعيه ... (١) وقد أشرنا سابقا الى أشهر رجاله ..

ثانيا ــ المذاهب الكونية أو الطبيعيه :

ترى هذه المذاهب أن العامل الأول في اثاره الفكرة الدينيه كان هو النظر في مشاهد الطبيعه ولا سيما الأفلاك والعناصر . (٢)

أشهر مقرري هذه النظريه هو العالم الألماني ماكس ميلر (Max Muller) في كتابه عن الأساطير المقارنه (Comparative Mythologie)

وليس هنا مناقشة هذه الخزعبلات وانما قصدنا عرض هذه التصورات الخاطئة التي يريد بها أصحابها أساسا محاربه الكنيسه لا للبحث العلمي والوصول الى الحق .

ثالثا ــ المذاهب الروحيه المشهوره باسم الحيويه : (Animisme)

ان هذه المذاهب ترى أيضا ان الأديان ليست من عند الله ولم يرسل

---

(١) الدين ، عبدالله دراز ص ١٠٧ مع تغييرات طفيفة .
(٢) المرجع السابق ص ١١٤

أحدا من الرسل وانما نشأت الأديان في الانسان من (أجل عبادة أرواح الموتى).

وهذه النظريه الروحيه قررها تيلور (Tylor) في كتـــاب "المدنيه البدائيه" (La Civilisation primitive)

وتابعه عليها مع تعديل يسير الفيلسوف الانجليزي هربرت سبنسر — (Herbert Spencer) في كتاب مبادئ علـــم الاجتماع (principles De Socialogie).(١)

رابعا — المذاهب النفسيه :

هذه فصيله أخرى من النظريات تتلخص فكرتها العامه في أنه لأجل الوصول الى العقيده الالهيه لم يكن بالناس حاجه الى التأمل في الطبيعه وجمالها ولا في التقلبات الكونيه وأحوالها . ولا الى التجارب العجيبه في عالم الأرواح وأسرارها ، بل ان تجارب الانسان النفسيه في حياته العاديه المألوفه له في كل يوم ، كانت كافيه لتوجيه نظره بقوه الى تلك الحقيقه العليا ...(٢).

ومن أشهر رجالها أوجست ساباتييه (Augste Sabatier) في الفصل الأول من بحثه عن (فلسفة الدين).

(Esquisse D'une philosophie De Religion)

و(هنري برجسون) (H. Bergson) في كتابه عن "ينابيع الخلق والدين" :

(Les Deux Sources De La Morale Et De La Religion.

---

(١) الدين ، عبدالله دراز ص ١٢٧

(٢) المرجع السابق ص (١٣٥)

خامسا ـ المذهب الاجتماعي :

يخالف العلامه (دوركايم)(Durkheim

جميع المذاهب المتقدمه في دعواها أن التدين حاله نفسيه تنبع من فطرة الفرد كلما فكر في الآفاق أو في نفسه ويرى هو أن التدين ليس فطريا في الكيان الانساني وانما هو وليد أسباب اجتماعيه فسمى هذا المذهب " بالعقل الجمعي " (١) هذا النظام هو نظام التوتيم (Totem)(٢) فزعم أن هذا العقل الجمعي هو الذي يوجد في الانسان عناصر التفكير وأساس المعرفة العقليه .

هذه أهم المذاهب التي حاولت أن تعلل نشأة التدين في الانسان بعدما اتفقوا جميعا على أن الدين لم يكن يوما من الأيام في الفطرة الانسانيه .

ان هذه المذاهب كلها لا تستحق الوقوف عندها للمناقشه لأنها ليست في نياتها الخير للانسانيه وانما أرادت أن تصل الى نتيجه معينه ـ كما قلنا سابقا ـ وهي ابادة الكنيسه عن طريق قتل العقيدة الدينيه في الانسان ... قبل البحث عن حقائق الأديان ...

ولكن لما كان المذهب الأخير ، الذي هو المذهب الاجتماعي أكثر انتشارا في الأوساط العلميه ، سوف نناقشه قليلا لازالة اللبس عن الذين يعتبرونه حقيقة علميه ثابته ...

---

(١) (Reinach, ouv. cite, p. 23; Durkheim ouv, cite p. 144)

(٢) هذا الاسم مأخوذ من لغة الهنود الحمر في أمريكا الشمالية : وهو اسم لم يتفق بعد على ضبطه قيل ( ) وغير ذلك تستعمل تارة في موطن العشيرة ، أو العلامه والشعار .

هذا ما كان من شأن علم المقارنة بين الأديان ، حتى انجلى النـــزاع الذى أثاره هذا المنهج بين الكنيسة ورجال علم المقارنة ، عن هـــذا الموقف فى أوائل القرن العشرين ...

فلما أفاقت الكنيسة من سكراتها بعد هذه المعركة العنيفة ، أدركت أن هذا المنهج وان كان أساسا يحارب الأديان ، ولكنه يصلح أن يستخدم فى نظرية التدين وضرورة التدين وأنه بديهية مركبة فى طبيعة البشر ، ولولا ذلك لما أجمعوا على التدين متفرقين فى أرجاء الأرض مع اختلاف الأزمان وتفاوت الحضارات وتباعد الثقافات وطبقات التفكير .. ولكن هيهات وقد انتشر هذا المذهب فى جميع العلوم بل اعتبروها أساسا لجميع العلوم الانسانية ...

الا أننا نقول : يصدق على مقارنة الأديان ما صدق على القوانين الطبيعية فى مسألة العقيدة ، وقد رأينا أنها شككت العقول زمنا فى أصول الاعتقاد ثم أصبحت فى القرن العشرين سندا لمن يؤثرون الاعتقاد ويشكون فى الالحاد ... بهذا انسدل الستار على هذا المذهب السخيف ...

الفصل الخامس

الثورة الفرنسية

ومن يتأمل فى صفحات التاريخ الموثوق بها يخرج بالنتائج التاليه :

— ان الثورة الفرنسية لها صفحتان مختلفتان :

— صفحه مشرقه نيره : وهى ضد ظلم القوانين وسوء توزيع الثروه العامه .

— وصفحه سوداء مظلمه : وهى ضد الدين والمبادىء الأخلاقيه بل ضد فكرة وجود اله مدبر لهذا الكون .

واليك توضيحا لكل من الصفحتين :

الصفحه الأولى :

كانت هذه الصفحه ضد الظلم والقوانين وسوء توزيع الثروه العامه (١)

وبيان ذلك : كان الفرنسيون الى القرن الثامن عشر يعيشون تحت ظل نظاماتهم المتبقه التى بلغت الى الفساد السياسى ، والتدهور الاقتصادى غايتيهما ... حتى أن (كالون) وزير الخزانه الملكيه اعترف بذلك سنه ١٧٨٧ م ، وأرادت الحكومه سد عجز الميزانيه بارهاق الشعب بضرائب جديده فادحه ، فازدادت أحوال الطبقات المسحوقه سوءا وعصفت فى البلاد موجه من الجوع ونقص المؤن ..

فى الوقت الذى بلغ فيه صبر الشعب الى نهايته وانهكته المجاعه والبؤس كان هناك طبقتان تنعمان فى مختلف الملذات هما :

---

(١) الدين ، د . عبدالله دراز ص ٨١

— طبقة رجال الدين ، وطبقة الأشراف بالاضافة الى الأسرة المالكة التي كانت عبئا ثقيلا على المجتمع الفرنسي .. كانت هناك ارادة الملك لا راد لها ولا معقب لها وكان الفلاحون يباعون مع أرضهم كالبهائم ، وكان رجال الدين يستغلون جهل العامه استغلالا لا حد له ويتحكمون في رقابهم بالاتحاد مع رجال الحكومه .. من هنا وقف الشعب بكل فئاته : الفلاحين والمهنيين ، والقساوسة الصغار ، جبهه واحده ضد الجبهه الأخرى التي تتألف من الطبقتين المحتكرتين : رجال الدين والأشراف ..

وفي ٥ أكتوبر دفع الجوع بنساء باريس الجائعات الى القيام بزحف كبير صوب (فرساي)(٩) فذهبن ومعهن أعداد غفيره من العاطلين والحرس الوطني بقيادة (لافاييت) للمحافظه على المسيره ..

هذه من ناحيه ، ومن ناحيه أخرى ، هناك حكم جائر تقوم به هاتان الطبقتان المجرمتان ضد الشعب الفرنسي ، ولقد ذكر لنا التاريخ الكثير من هذه المبكيات المضحكات ، ومن أشهر تلك المأساة الانسانية ، هذا السجن الظالم الذي سموه بـ (الباستيل)(١٠) .. لقد لقي هذا السجن ما لا يوصف فنكتفي بالحادثه الأخيره وهي التي انتهت بهدمه وذلك في عهد الثوره الفرنسيه سنه ١٧٨٩ م(٤).

ولكنا قبل الدخول في هذا الموضوع ، نصف بعض ما كان يلقاه المسجونين فيه :

---

(١) التطور والثبات في حياة البشريه ، محمد قطب ص١١١

(٢) أوربا العصور الوسطى ، دكتور عبد الفتاح عاشور ج ٢ص٢٥٨

(٣) دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدي ج ٢ ص ١٤٥

(٤) التاريخ الأوربي الحديث ، دعبد الحميد البطريق ود . عبد العزيز نوار ص٣٧٣

ما لقيه المسجونون فى الباستيل

يذكر التاريخ أن أمكنة السجن من هذا المعقل كانت موجودة داخل البروج التى كانت مقسمة الى خمسة أدوار ، فى كل دور منها غرفة ذات ثمانية أضلاع ليس فيها الا نافذة صغيرة فى حائط عرضه ستة أقدام ، فما كان ينفذ الى هذه الغرف من أشعة الشمس الا نور ضئيل ...

وكان يوجد غير ذلك غرف تحت الأرض على بعد ٦٦ ر٦ أمتار من سطحها ، تقتل من فيها برطوبتها وظلمتها وهى مع ذلك لم تكن بأسوأ حالا من حجرات موجودة فى قمم تلك البروج معرضة لحرارة الصيف وزمهرير الشتاء ، كان المسجونون المراد تعذيبهم يوضعون فيها بقصد تمريضهم لأفاعيل الطبيعة المتناقضة مع عدم السماح لهم باتقائها بوقاية . هذا وصف مختصر لهذا السجن الظالم ..

وكان المتهم يعتبر مجرما حتى تثبت براءته . فلذلك كان يقاد المتهم لهذا السجن وقد لا يعلم الأمر الذى اتهم به ، فينزل الى ظلماته مسوقا بأيد حديدية ويقف أمام رجال أشبه بالجلاميد قسوة وفظاظة فيسأل عما نسب اليه ، ويناقش فيه ويتعمق معه فى الأخذ والرد رجاء أن يكون منكرا أو معه شركاء .. هذا كله لا يعلم أهله أين ذهب ولا يسمح لهم بشىء من خبره ولا له بشىء من خبرهم ، فيبقى هناك منقطعا عن أهله وذويه والعالم كله تحت رحمة سجانين لم يمتعهم الله بعاطفة حنان ولم يجعلهم بخلق صالح ..

فى هذا السجن ذاق رجالات العلم والفضل فى فرنسا أشد أنواع العذاب فى عهد الاستبداد . فكم هلك فيه فيلسوف عظيم ؟ وتتلاشى دون جدرانه المظلمة مصلح كبير ؟ وكم من سياسى جنت عليه مباحثه لخير البلاد فهوى منه فى مستقر سحيق ما خرج منه الا حرضا لا يفيد ولا يستفيد ؟

(١) راجع فى هذه القصة دائرة معارف القرن العشرين ج ٢ ص ٢٣ — ٢٤

فلا جرم أن كره الفرنسيون الباستيل ، معهد العسف ومهبط القسوة والشوه فلم يكادوا يثورون ضد حكوماتهم حتى كان أول غرضهم الباستيل فهدموه هدما واقتلعوا أصوله اقتلاعا وأخذت فتات أحجاره فجعلها النسوة عقودا تحلين بها في أمكنة اللآلئ اشارة الى غلبة الأمة على الظلم وانتقامها من الظالمين وقد أقيم اليوم مكان هذا البناء تمثال الحرية ...

هذا جزء ضئيل مما كان يمارسه هؤلاء الطغاة ضد الشعب الفرنسي ، وقضت سنة الله أن ينتصر الشعب على جلاديه وأن تحصد معظم الرؤوس المترفة الطاغية .

وفي يوم ١٤ يوليو ١٧٨٩ م كان يوما مشهودا في باريس اذ تغلب الشعب الفرنسي على الضاغطين عليه فخلص من أسرهم وحصل على حريته بجسده وجلاده (١).

هذه هي الصفحة البيضاء لهذه الثورة الثائرة على الظلم والقسوة ...

أما الصفحة المظلمة لهذه الثورة التي جعلتها سببا من أسباب الالحاد تتضح في الصفحات الاتية ان شاء الله .

---

(١) دائرة معارف القرن العشرين ، فريد وجدى جـ ٢ ص ٣٥ .

الصفحة المظلمة للثورة الفرنسية

ان هذه الثورة التي قامت أساسا ضد الظلم والطغيان فقد تمخضت عن نتائج بالغة الأهمية ، فقد ولدت لأول مرة في تاريخ أوربا المسيحية دولة جمهورية لا دينية تقوم فلسفتها على الحكم باسم الشعب وليس " باسم الله " وعلى حرية التدين بدلا من التكتلكة .. وعلى الحرية الشخصية بدلا من التقيد بالأخلاق الدينية وعلى دستور وضعي بدلا من قرارات الكنيسة .

ان هذه النتائج والتطورات التي تمخضت عن ثورة قامت ضد الطغيان فحسب ثم تحولت الى ثورة ضد الدين والأخلاق ، شيء يستحق أن يقف عنده الانسان باحثا عن أسبابها ودوافعها .

شيء عجيب كهذا لا بد أن تتوفر فيه عدة عوامل وأسباب تفوق حد الوصف ، ولكننا نود أن نذكر هنا أهم تلك الأسباب ..

أولا — وقوف الكنيسة ضد مطالب الجماهير :

ولولا وقوف الكنيسة ضد مطالب الجماهير الجائعين الذين يبحثون عن الخبز ، لولا ذلك لم تعتنق الجماهير المسيحية أفكار الكتاب الملحدين ، ولم تتخل عن عقيدتها الراسخة .

وكيف لا تعتنق الجماهير من الفلاحين وغيرهم أفكار الملحدين وهم يسمعون من (توماس جفرسن) نفسه يقول :

" ان القسيس في كل بلد وفي كل عصر من أعداء الحرية وهو دائما حليف الحاكم المستبد يعينه على سيئاته في نظير حمايته لسيئاته هو الآخر ". (١)

---

(١) أفكار ورجال تاليف — جرين برنتن ص١١ ترجمة محمود محمود مصر ١٣٧٧هـ
يراجع أيضا المفسدون في الأرض س. ناجي دمشق ١٩٧٣م ص١٤٦ فما بعدها .

ان كان هذا هو من تصريحات رجال الدين الكنسي في أوربا الجاهلـه فلا غرابـة ـ اذ ن أن نرى الجماهير ترتفع فيهم الصرخات التاليـه حلـف (ميرابـو) :

" أشنقوا آخر ملك بامعاء آخر قسيس "

وبهذه الرؤيـه الواضحـه ندرك جيدا أن وقوف الكنيسـه المجرمه في صفوف الظلمه سبب من أسباب تنفير الجماهير عن فكرة التدين والمبادئ الاخلاقيـه ..

وكما ندرك أن الثورة أقيمت في أول أمرها ـ ضد نواحي الضعف من رجال الكنيسه والأشراف . ولكن وقوف هؤلاء الرجال الحمقى في صفوف الظلمـه قد زاد الطين بلّة فتحولت الثوره عن ثوره ضد المظالم الى ثوره ضد الأديان كلها .. هذا ما أيده الكاتب الانجليزي ، (ويلز) حيث يقول :

" كانت ثورة الشعب على الكنيسـه دينيه .. فلم يكن اعتراضهم على قوة الكنيسـه بل على مساوئهـا ونواحي الضعف فيها ، وكانت حركات تمردهم على الكنيسه حركات لا يقصد بها الفكاك من الرقابه الدينيه بل طلب رقابـه دينيه أتـم وأوفى ..

وقد اعترضوا على البابا لا لأنه الرأس الديني للعالم المسيحي بل لأنـه لم يكن كذلك أي لأنه كان اميرا ثريا دنيويا بينما كان يجب أن يكـون قائدهم الروحي "... (١)

ولأجـل ذلك قامت الثوره بأعمال غريبـه فقد سرحت الرهبان والراهبـات وصادرت أموال الكنيسـه وألغت كل امتيازاتها ، وحوربت العقائد الدينيه ، هذه المرة ، علنا وبشدة وأصبح رجل الدين موظفا لدى الحكومـه .

---

(١) فيما يتعلق بأسباب ونتائج الثوره الفرنسيه ، يراجع كتاب أوربا في العصر الحديث في الفصل الأول ..

هذا شيء يسير مما جنته الكنيسة على نفسها وعلى جميع الأديان السماويه وقد ذكرنا بعضها سابقا في باب طغيان الكنيسه • وهنا رأينا لونا آخر أيضا من هذا الطغيان ، رأينا أن الكنيسه هي المسئوله في الدرجه الاولى عن هذا الالحاد الأحمر ..

ثانيا — الخلايا الخفيه في الجسم الأوربي :

وقد يكون أن تغضب الجماهير على الكنيسه لأجل موقفها الخبيث ضد الحقوق الشرعيه للشعب ، ولكنها تبقى دائما في دائرة الدين والايمان بالله والتمسك بالأخلاق الفاضله ، ولولا أنه وجدت هذه الخلايا الخفيه التي كانت تعيش في الجسم الأوربي وتمتص دمائه بحيث لا يشعر .. وهذه الخلايا هي القوى الشيطانيه الخفيه اليهوديه أعداء الله وأعداء البشريه جمعاء .

وقد أخبرنا الله تعالى : انهم ﴿ يسعون في الأرض فسادا ﴾

وسنتحدث عن هذه القوى الشيطانيه في باب مستقل ان شاء اللّه . ونكتفي هنا بالاشارة الى أن هذه الخلايا الخفيه لها دور حاسم في تغيير أهداف الثوره الفرنسيه التي هي البحث عن الخبز والخبز فقط ...

وبين عشية وضحاها لقنت هذه القوى الشيطانيه الخفيه ، الجماهير الثائره هتافات أخرى يذهب بها كل فكر ديني وكل فكر أخلاقي وهي :

" شعار الحريه والمساواة والاخاء " .

ثم تلى هذا الشعار ، شعارا آخر : " لتسقط الرجعيه " وهي كلمة تعني أول ما تعني الدين والأخلاق .

وقد أقر اليهود أنفسهم هذه الحقيقه في كتابهم الخطير : " بروتوكولات حكماء صهيون " . فهم يقولون فيه :

" تذكروا الثوره الفرنسيه التى نسميها (الكبرى) أن أسرار تنظيمهـــا التمهيدى معروفه لنا جيـدا لأنها من صنع أيدينا " . ويقولون :

" كذلك كنا قديما أول من صاح فى الناس " الحريه والمساواه والأخاء " كلمات ما انفكت تردد ها منذ ذلك الحين ببغاوات جاهله متجمهره من كل مكان حول هذه الشعائر "(١) .

ثالثا ـ الفكر اللاديني الذى طبع عصر التنوير :

هناك سبب ثالث له أخطاره الكثيره ، ومع ذلك لم يذكـره كثيـر مـــن الباحثين فى ضمن أسباب الثوره الفرنسيـه ..

فما هو هذا السبب الخطير ؟ ؟

انه الفكر اللاديني الذى طبع عصر التنوير الذى تحدثنا عنه فـــى الباب الذى عقدناه تحت عنوان " صوره عن أوربا الحديثه " .

ان هذا الفكر اللاديني كان يسرى فى عقول المفكرين آنذاك ، سريـان الدم فى العروق ، وكانت له مدارس كثيرة ، قد سلكت كل مدرسـه منحـى خاصا لتحقيق هدف واحد ، وهو : تقويض الدين واجتثاث مبادئـه مـــن النفوس .

واليك ذكره موجـزه عن كل من هذه المدارس :

---

(١) البروتوكولات ص١٠٣ ، ١١١

أولا :- مدرسة ذات طابع اجتماعي وسياسي ، كان رأس هذه المدرسة الكاتب (روسو) (١) صاحب (العقد الاجتماعي) الذى أطلق عليه " انجيل الثورة الفرنسية " و (مونتسكيو) (٢) صاحب (روح القوانين) ..

ومن كتابات هؤلاء استلهم زعماء الثوره مبادئهم واقتباساتهم .. والغرض الوحيد لهذه المدرسة هو احلال (عبادة المجتمع) فى محل عبادة اللــه وذلك ما نادت به الثوره الفرنسيه أخيرا ...

ثانيا :- مدرسة ذات طابع فلسفي هدام ، انها تنادى الى الديــن الطبيعي أو " القانون الطبيعي " وربما كان الفيلسوف اليهودى (سبينوزا) رائد هذه الفكرة الشنيعه ، ذكر ذلك فى كتابه " رساله فى اللاهوت والسياسه ".

ثم اكتملت لدى (فولتير) فكرة الدين الطبيعي التى ورثها عن (سبينوزا) و (لا يبنتر) واشتق منها فكرة " القانون الطبيعي " حيث نجده يقول :

---

(١) ترجمة روسو : هو روسو ، جان جاك : ١٧١٢ ــ ١٧٧٨ م فيلسوف فرنسى ، ولد بجنيف وقد رافق دافيد هيوم الملحد فى رحله الى انجلترة .. ولــه أثر فى مختلف مجالات الفكر ، سياسيه وأدبيه وتربويه وكان مجمل مذهبه السياسى : ان الانسان الطبيعي ، لا هو بالخير ولا بالشرير ، وأن مساواة الناس قد زالت بظهور الزراعه والصناعه والملكيه .. وأن القوانين شرعــت لتثبيت الظالم على المظلوم فالسيادة يجب ان تكون للمجتمع .. فلا تشــرع القوانين بغير رضا الجماعه كلها .. الموسوعه العربيه ص ٨٩٤ .

(٢) مونتسكيو ، شارل لوى دى سلوندا : ١٦٨١ ــ ١٧٥٥ م كاتب فرنســى قد نادى بالديمقراطيه النيابيه ، وقد كان لآراء مونتسكيو ، وبخاصة نظريته فى الفصل بين السلطات أثر كبير على رجال الثورتين ، الفرنسيه والأمريكيه : المرجع السابق ص ١٧٩٠ .

" ان دين أهل الفكر دين رائع خال من الخرافات والأساطير المتناقضه وخال من العقائد المهينه للعقل والطبيعه .. لقد منع الدين الطبيعي الآف المرات المواطنين من ارتكاب الجرائم ... أما الدين المصطنع فانه يشجع على مظاهر القسوه .. كما يشجع على المؤامرات والفتن وعلى أعمال القرصنه وقطع الطريق ... ويسير كل فرد نحو الجريمه مسرورا تحت حماية قديسه ... " (١)

واستمرت هذه الفكره بعد موت روسو وفولتير الى أيام الفيلسوف الألماني " كانت " الذى أدرك أيام الثوره الفرنسيه ، وقد اشتهر هذا الفيلسوف في تأييدها وهو الذى طور فكرة العقد الاجتماعي في كتابه " الدين في حدود العقل وحده " . (٢)

وهكذا بتأثير الفكر اللاديني جمعت الثوره الفرنسيه الفكره الفلسفيه القديمه باقامة مجتمع يرفض القيم والأخلاق الدينيه ويجعل العلاقات النفعيه المحضه هي الرباط المقدس الوحيد ..

وهكذا أيضا استغلت اليهوديه العالميه هذه الثوره الفرنسيه وهذه الأفكار اللادينيه لمحاولة السيطره على العالم بأسره .

هذه هي الثوره الفرنسيه التي بدأت ثوره على الظلم ثم مشت شوطا فصارت ثوره على الأديان والعقائد والقيم والمبادىء والأخلاق وجميع التقاليد الموروثه على الاطلاق .

وبعد هذه الفرحه الثوريه المطلى حدث شيء جديد يجعل الحليم حيران ، شيء لا مثيل له في التاريخ مع أن في التاريخ مثالا بل أمثله لكل حادث غريب . وما هو هذا الشيء ؟ ؟ هو مذهب النشوء والارتقاء الذى نحاول التحدث عنه في الجزء الثاني .

---

(١) مختطفات من القاموس الفلسفي لفولتير : سلسلة تراث الانسانيه جـ ٨ ص ٢٠٧
(٢) أنظر رجال وأفكار ص ٤٨٩ .

الفصل السادس

مذهب النشوء والارتقـــــــاء

توطـئـــة :

ان هذا المذهب - باجماع المفكرين - يعتبر من أخطر المذاهب الهدامة التي وقفت ضد الديـن لأنه قد أعطى ايحاءين متضادين :

الايحاء بالتطور الدائم الذي يلغى فكرة الثبات ، والايحاء بحيوانية الانسان ومادية بارجاعه الى الأصل الحيواني من ناحية ، وحصر القـــوى التي تؤثر فيه من ناحية أخرى بالقوى المادية في " البيئة " أو على الأقل في " الطبيعـة " واغفال الجانب الروحي اغفالا تاما ، واغفال تدخـــل الله فـي عـملية الخـلق أو عملية التطور سـواء .

قال داروين : " ان تفسير النشوء والارتقاء بتدخـل الله ، هو بمثابـة ادخال عنصر خارق للطبيعـة في وضع ميكانيكي بحت " (١)

وبهذين الايحاءين صار هذا المذهب من أخطر المذاهب على الأديان بل هو بمثابة الناقوس المعلن لمجيء الأحداث عـلى الكنيسة ..

يقول جوليان هكسلي في كتابه " الانسان في العالم الحديث " (Man In The Modern World) (٢) وهو من علماء الداروينية الحديثة :

"وبعد نظرية داروين لم يعد الانسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيوانا "

هذا ما يوحى به هذا المذهب الالحادي ، ولكننا قبل أن نتحدث عن الآراء التي قيلت حول هذا المذهب من قبول ورد يحسن بنا أن نعطى القاريء فكرة قصيـرة عن هذا المذهب الذي زلزلت به أقدام رجال الكنيسة وأزيلت به فكرة الثبات المطلق التي كان يعتقده رجال الدين الكنسي .

---

(١) التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ، ص ٣٥

(٢) ترجمة حسن خطاب ومراجعة عبد الحليم منتصر .
نقلا عن المرجع السابق ص ٣٥

فكرة عن مذهب النشوء والارتقاء

قبل أن يأتي هذا المذهب ، كان الايمان المسيحي والأخلاق المسيحية قد تعرضا لضربات قاسية وهزات عنيفة :

وقد رأينا كيف كانت الضربات التي نزلت على المسيحية منذ أن ظهرت نظرية نيوتن بالنظرية الجاذبية الميكانيكية الآلية للكون .. وكيف كانت هزيمتها المريرة امام نظرية " كوبرنيكس " في مركز الأرض . كما رأينا انتقادات فولتير وأمثاله تمهيدا للثورة الفرنسية ، وما أصاب الكنيسة على يدي هذه الثورة من نكبات ..

وكما رأينا الدين الطبيعي الذي نادى به الفلاسفة العقليون ، ونظرية التطور الفكري كما تخيلها " كانت " وأمثال ذلك التي مرت بنا في هذا الفصل قد رأينا أن كل ذلك لا يظهر الا ويترك أثرا بليغا في جسم المسيحية أو ينهش منه نهشة أو يزيل من بنيان الكنيسة لبنة أو عدة لبنات ..

لكن كل ذلك لم يزل الايمان من قلوب الجماهير ، ولم يكن ليسمح لأي مفترض بأن يتنبأ بانهيار كامل للمسيحية أو يقول انه لا توجد في الانسان قيم ثابتة ولا أخلاق ثابتة ولا تقاليد ثابتة ..

ولقد صدق الناس الكثير من أقوال المفكرين وانتقاداتهم ضد الكنيسة ولكنهم مع ذلك كلهم كانوا مؤمنين بوجود اله يدبر هذا الكون ، وبأن آدم هو أبو البشر بكيانه المنفرد .. حتى جاء داروين بتأليفه العجيب الذي غير مجرى التاريخ الانساني ..

لقد ألف داروين أصل الأنواع سنة ١٨٥٩ (١) فأحدث ضجة عنيفة لم يحدثها أي مؤلف آخر في التاريخ الأوربي جميعا وكان له من الآثار في المجالات الفكرية والعملية ما لم يكن في الأذهان .

بعد هذا يحسن بنا أن نشير ولو طفيفا الى ملخص تاريخي لهذا المذهب ، لنعرف كيف طرأ على العالم ...

(١) راجع التطور والانسان الدكتور حسن زينو ص ٤٢ وعقائد المفكرين ، عباس محمود العقاد ص ٦٨ .

ملخص تاريخي لتدرج العقول فى فكرة " أصل الأنـــواع "

والواقع ان الجديد الذى جاء به داروين ليس فكرة التطور العام أو المضى ولكنه (داروين) زاد على الفكرة القانون الذى تسير عليه عملية التطــــور بغض النظر عن قيمته العلمية ٠٠

أما فكـرة التطور العام قد عرفه بعض الباحثين ونخص بالذكر (بافون) الذى يعتبر حق أول من كتب فيه بأسلوب علمى فى العصر الحديث ٠ الا أنـه لم يبحث فى أسباب استحالة الأنواع ووسائلها ٠٠ حتى جاء عالم آخـــر تقدم الى خطوة أبعد منه : وهو (لامارك) ٠

وكان (لامارك) أول من نبهت نتائج بحوثه الأنظار لهذا الموضـوع ٠٠ ففى سنة ١٨٠١ م نشر هذا العالم الطبيعى آراءه فى الناس ، وفى سـنة ١٨٠٩ زاد اليها كثيرا فى كتابه " فلسفة الحيوان " ثم عقب عليها فى مقدمة كتابه " تاريخ اللافقاريات الطبيعية " الذى نشر فى سنة ١٨١٥ فأيـــــد فيه الكتب التى تقول ان الانواع ومنها الانسان ناشئة من انواع أخر ٠٠

---

(١) بافون : جورج لويس بكلارك كونت دى ـ Compte(2)
عالم فرنسى ولد سنة ١٧٠٧ وتوفى بباريس فى سنة ١٧٨٨ ، له كتاب فـى التاريخ الطبيعى ظهر فى مجلدات من سنة ١٧٤٩ الى سنة ١٧٨٨ اى سنة وفاتـه عالج فيه كـثيرا من مشكلات علم الحيوان ٠٠ راجع أصل الأنواع : تشارلز داروين ص١٠٣ ٠

(٢) لامارك : جان باتيست بيير أنطوان ( ) عالم فرنسى ولد سنة ١٧٤٤م وتوفى سنة ١٨٢٩ م درس الظواهر الجوية والنبات ٠ وله كتاب فـــى نباتات فرنسا فى ثلاث مجلدات ٠ وظهر كتابه " فلسفة الحيوان فى باريس سنة ١٩٠٨ فى ثمانية مجلدات ، فوضح فيه من المبادئ والنظريات ما كـان له اكبر الأثـر فيمن عقب عليه من العلماء فى بابه ٠٠ المرجـــع السابق ص١٠٣ ٠

وأول ما قام به ، هو تنبيه الأذهان الى ان للتطور من سنن الوجود ولا أثر لمعجزة في شيء من ذلك.

ثم بعد ذلك تتابع المؤلفون في هذا الباب كأمثال " جفروى سانتيلير " (١٧٩٥) ودكتور (ولز) سنة ١٨١٣ ، والاستاذ جرانت سنة ١٨٢٦ والاستاذ هكسلي وغيرهم ... ولاس ، وراى وباركنسون ولينو (١) وجاء تشارلز داروين الذى نسب اليه المذهب التطورى أخيرا ..

وقد يتساءل بعض الناس ويقول : اذا كان بعض الأوربين قد سبقوا داروين في هذا المجال ، لماذا أهملت نتائج بحوثهم ولم تؤثر في العقيدة الدينية مثل ما أتى به داروين ؟

فنقول : ان الذى يبدو في عدم انتشار مذهبهم مثل مذهب داروين ، راجع الى التفسيرات التى قدموها للتطور .. فقد قال هؤلاء : ان التطور خطة مرسومة وفيها رحمة للعالمين .

ولذلك وصفت نظريتهم بأنها " لاهوتية " .. ان هذا كان كافيا أن يجعل نتائج بحوثهم للتطور في زاوية النسيان ..

وكان الناس في ظروف مريرة وصراع شديد مع الكنيسة ، يريدون أن يتغلبوا عليها بأية وسيلة ولو كانت أوهى من نسج العنكبوت .. ولما كانت هذه النتائج تشم فيها رائحة اله الكنيسة السفاح الحقود ، رفضوها ...

وكانت الظروف تتطلب أن توجد فكرة أيضا عن الانسان والحيوان على الطريقة الميكانيكية لطريقة نيوتن في الفلك .

ولما جاء داروين تفوق على الجميع لاستطاعته العثور على هذه القوانين الطبيعية الأزلية كما يزعم .

وفي الصفحات التالية نود أن نتحدث عن تلك القوانين الأزلية ..

---

(١) انظر الطريق الطويل الى الانسان ص ١٩٧ فصاعدا

(٢) سلسلة تراث الانسانية ، مجموعة من الأساتذة الهيئة العامة مصر ص ٣٢٩ .

الفرض الأساسى لهذه النظرية

والغرض الذى يدور حوله الكتاب هو كالتالى :

أولا : (قانون الانتخاب الطبيعى)   ثانيا : (قانون تنازع البقاء)

ثالثا : (قانون بقاء الأصلح) وقيل له ناموس المطابقة •

رابعا : (قانون الوراثة)

١ ـ قانون الانتخاب الطبيعى :

يعنى به أن الطبيعة تنتخب من الموجودات ما يصلح للبقاء •• فالحيوانات مثلا تنسل عددا لا يحصى ، ولا يبقى منه الا القليل ، ولم يبق ما يبقى من قبل نفسه ، ولكن لأنه هو الذى قام الحوادث المختلفة وفواعل الطبيعة ، فصلح للبقاء ، بدون أى تدخل خارجى •• فالقوى يبقى والضعيف يفنى ، فالطبيعة هى المصدر الوحيد فى ذلك واليها تصير الأمور ••

فما تفعله الطبيعة على حد زعمه ـ من انتخاب أصلح الموجودات لتمنحه ميزة البقاء سمى " الانتخاب الطبيعى " ••

وبتعبير آخر : ان الطبيعة هى التى تمنح الحياة والبقاء لمن تشاء ، وتزيلها عمن تشاء بيدها التصرف الكامل فى الكون ، انه لا يقف أمامها أى معارض أو منافس •

٢ ـ قانون تنازع البقاء :

يأتى تفسيره كالآتى : يرى داروين أن المخلوقات فى نزاع شديد ، فبين الأنواع حرب ضروس ترى أسدا يفترس ذئابا •• وذئابا تفترس خروفا ، وانسانا يفترس كثيرا من الحيوانات البرية والبحرية •• أضف الى ذلك ، أن النوع الواحد قد يتنازع بعض أفراده مع بعض عند الازدحام على شيء لا يكفى لسد رغباتها جميعا كما ترى من تنازع القطط على قطعة اللحم •

وكما ترى من تنازع الانسان مع الانسان •• وهذا التنازع الذى يجرى بين

الأنواع والأفراد هو الذى سمى (تنازع البقاء) .. يعنى التنازع لأجل البقاء .. (١)

وهكذا فسر داروين الهدف الأساسى لهذه الحياة الدنيا .. يعنى أن الحياة مبنية — بطبيعتها — على التنازع والصراع المرير بين جميع المخلوقات . الا ان اكبر دليل على كشف هذه الخرافة الداروينية ، ظهور الأمة الاسلامية فى العالم .. وقد يعلم العدو وقبل الصديق أن العالم الاسلامى لم يأت نتيجة من هذا الصراع المزعوم وانما ظهر للوجود لتحقيق الغايات الثلاث الآتية :

﴿ كنتم خير أمة اخرجت للناس : تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر
وتؤمنون بالله .. ﴾

أين الصراع فى قول النبى صلى الله عليه وسلم : " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله الا الله فان قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم الا بحق الاسلام " (٢).

أين هذا الصراع البغيض فى قول أول خليفة للمسلمين وهو سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه حيث يقول فى أول خطبة الى الأمة الاسلامية الفتية : " أما بعد أيها الناس فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم .. فان أحسنت فأعينونى وان أسأت فقومونى .. الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوى عندى حتى أرجع عليه حقه ان شاء الله .. والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه ان شاء الله ..

---

(١) يراجع فى هذا التفسير الى دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدى ج ٤ ص ٣٠

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج ٦ ص ٣٠١ — مطبعة السعادة — مصر

بها خصاصة ... ولا تريد علوا فى الأرض ولا فسادا . ان من يكذب هـذا الصراع المفترض قول هذا الصحابى الجليل (ربعى) بن عامر حيـن دخل على (رستم) وهو يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها ، فقالوا له : ما جاء بكم ؟

فقال : " الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة اللـه ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ". ثم قال :

" فأرسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم اليه ، فمن قبل ذلك قبلنا منـه ورجعنا عنه ، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضى الى موعود الله ..

قالوا : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقى ..." (١)

ومن يقرأ هذه القصة يعلم يقينا أن داروين كان كذابا فى ادعائـه .. كما يعلم أيضا أن الاسلام المجيد خرج للناس بمفاهيم وقيم انسانيـة كريمة بعيدة عن النزاع الداروينى المزعوم . انه رفعهم من شريعة الغاب وشريعة المخلب والناب وشريعة المنجل والفأس وشريعة رأس المال الظالـم والشيوعية الماكرة الى مستوى قيم الانسان ، وأخلاق الانسان وكرامته فى سبيل خالق الانسان .. وليس فى سبيل البقاء على الأرض.

الذنوب سبب هلاك الأمم وليس الانتخاب الطبيعى

ثم ان داروين يدعى ان سبب هلاك الأمم هو الانتخاب الطبيعى وبقاء الأصلح .. هل عند داروين دليل واحد ملموس على ذلك ؟ الجواب لا انما هو ظن فحسب ..

---

(١) البداية والنهاية ، ابن كثير جـ ٧ ص ٢٩

ثم قال رضي الله عنه : " لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا خذلهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم الا عمهم الله بالبلاء ، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ، قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله " .

ولم تكن مبنية على الوئام والتوافق ولا التعاون .. فلا شك ان هذه النظرية تصادم الميان وتخالف الفطرة البشرية .. بل تخالف مخالفة أساسية القرآن الكريم القائل :

﴿ انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم ﴾ .

ان الآية تقر بأن خلق الانسان كان لأجل التعارف والتوافق لا لأجل التقاتل والصراع على البقاء .. كما أشارت الآية أيضا ان الذي يجب أن يتسابق فيه الناس هو شيء واحد .. وهو التقوى وتطبيق أوامر الله عز وجل .. نعم ! يوجد هناك بعض النفوس الشريرة التي تعطلت فيها اجهزة الاستقبال الفطري ، تتصارع على البقاء في هذه الدنيا وتتقاتل ، كما حصل ذلك في الحربين العالميتين الماضيتين ، ولكنها تبقى دائما نفوسا خارجة عن الفطرة الانسانية هذا ما نوهت اليه الآية الكريمة الآتية :

﴿ ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾ ..

اذ ان النفوس المتصارعة على البقاء هي النفوس التي دسها أهلها في ظلمات الالحاد .. ومن هنا فقط نلتقي مع داروين في أن بعض النفوس تتصارع لأجل البقاء .. ولكننا — في الوقت نفسه — نخالفه في تعميم هذا الحكم .

نخالفه لأننا نرى دائما نفوسا طاهرة تعمر ولا تخرب ، تجمع ولا تفرق ، ترحم وتتصدق ولا تغتصب ، بل تؤثر غيرها على نفسها ولو كانت

وأما القرآن الكريم يقرر لجميع الناس في كل زمان ومكان . أن الذنوب هي سبب هلاك الأمم فقط وليس هو الانتخاب الطبيعي المزعوم .

﴿ أفلم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون .. ﴾ (١)

﴿ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل ﴾ (٢)

انه مقياس رباني للأمور ليس مقياس الصلاح الذي يعتمد على الكثرة وليس مقياس المال ولا القوة ..

وانما الايمان والعمل الصالح وهما طريقا بقاء الأمم في الدنيا والخلود في الآخرة .. قال تعالى :

﴿ فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد الا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ﴾

ولولا هذا المقياس الرباني ، كيف يتغلب الأصحاب على أهل الكفر والالحاد في غزوة بدر ... ولم يكن تعداد المسلمين كتعداد الكفار .. وليست عدتهم كعدة هؤلاء الكفرة .. ومع ذلك كانت الغلبة للأصحاب ، انها آية من آيات الله وليس للانتخاب الطبيعي أن يتدخل في هذا الأمر ان صح هذا التعبير ، اسمع ما يقول القرآن في هذه القصة العجيبة :

﴿ قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة .. يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾

وهكذا اتضح لنا ان الانتخاب الطبيعي أو بقاء الأصلح افتراء على تاريخ الانسان وتضليل لهؤلاء الدهماء السذج الذين لا يعرفون شيئا من هذا النور

---

(١) الآية في سورة الاعراف : ١٠٠
(٢) الآية في سورة هود : ٧٤
(٣) الآية في سورة هود : ١١٦

الربانى الفريد ..

وأخيرا : لا يجوز لمسلم أن يؤمن بهذه الخرافة المختلقة ، وكما لا يجوز له أن يتردد فى بطلانه ولا يظن أبدا أنها ستكون صحيحة يوما ما، وبهـذا نعلم يقينا أن الصراع الذى زعم الداروين أنه حتمى من حتميات التاريخ تحاول على التاريخ ، وقد فنده التاريخ الاسلامى ..

فلا شك أن داروين قد استلهم هذه الفكرة من الشاردين الهاربين عن الدين . لأن الصراع فكرة استعمارية نشأت فى عصر النهضة الاستعمارية التى كانت تعتمد على القوة وسبلة لغلبة القوى على الضعيف ..

فهى شريعة الغاب التى سارت فى الحروب الاستعمارية واتطبعت بها العقلية الغربية .. والصراع بغلبة القوى على الضعيف فكرة استعمارية لا أخلاقية ، تهدف الى الاستيلاء على موارد وممتلكات الغير والثورة والعنف ، وقد ظهرت نتائج هذه العقلية فى العقائد الأوربية التى سادت فى القرنين الماضيين وأدت كما قلنا الى حربين عالميتين والى الثورة الفرنسية والثورة الروسية والى ظهور الفاشية والنازية والشيوعية .

الصراع على البقاء فى هذه النظرية ، لا من أجل حق ومبدأ انسانى أخلاقى . ولكن من أجل المادة وسبلة الناب والمخلب .

ان هذا فيه الكفاية للبيان أن الصراع لم يكن من حتميات التاريخ الانسانى وانما وجد ذلك فى فترة من فترات التاريخ الأوربى ... فعمم داروين هذا الأمر الخاص .. لحاجة فى نفسه ..

أما ناموس الوراثة :

هو ان الصفات المرضية التى تحدث فى الآباء بواسطة اختلاف الأحوال والأوساط المعيشية تنتقل الى الأبناء ، فتنشأ تلك الأبناء مختلفة فيما بينها ..

ومثلا ان النسل المتولد من الأقوياء قوى ، ومن الضعفاء ضعيف ومن تولد من ضعاف الصدر كان عرضة لمرض الصدر ، وهكذا دواليك ..

ولا يزال هذا الاختلاف بين الأولاد – على زعم داروين – يقوى على مرّ الأجيال والقرون، حتى يستحيل ذلك الاختلاف العرضي الى اختلاف جوهري توهم الرائي لها انها اختلافات نوعيه من أصل الخلقة، وهي في الحقيقة اختلافات بسيطة في مبدئها، توالت عليها الحقب حتى ازدادت تأصلا في الكائن الحي ونمت فيه فأدته الى مباينة الأصل الذى نشأ منه تمام المباينه .. حتى ان الرائي لهما يظنهما من نوعين مستقلين وهما من نوع واحد كما نرى ذلك فيما بين الحمار والحصان فانهما (على مقتضى مذهب داروين) من نوع واحد وانما اختلف الحمار عن الحصان هذا الاختلاف تبعا لمقتضيات الوسط الذى عاش فيه الحمار والجهاد المعيشي الشديد الذى يلي به (1).

هذه هي القواعد الأربع التى بنى عليها داروين مذهب التطور والنشوء والارتقاء.

فما أحسن هذا الكلام من تفكير ؟ ولكن هل عند داروين دليل من العلم الحديث ؟

وقد أجاب عن هذا السؤال العالم الطبيعي " الكبير " ا. كرسي موريسون بقوله :

---

(1) دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي ج ٤ ص ٣٠ – ٣١ وكتاب الآيات البينات للسلطان صالح بن غالب القعيطي ص ٦٩ ط راجع كتاب الاسلام ومذهب داروين، محمد باشميل – ص : ٤٥

(٢) راجع كتاب قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، نديم الجسر راجع أيضا الأخلاق، موسوعة أحمد أمين الأدبية ص(١٠٩)

" ان القائلين بنظرية التطور (النشوء والارتقاء) لم يكونوا يعلمون شيئا عن وحدات الوراثه (الجينات) ، وقد وقفوا فى مكانهم حيث يبدأ التطور حقا ، أعنى عند الخلية ذلك الكيان الذى يحتوى الجينات ويحملها ".

اذ ان العلم الحديث يتنافى مع هذا المذهب السخيف لأنه ظنون وتخمينات ... العلم ان طريق العلم هو البحث والتحقيق والاثبات والبرهان ، وطريق الفلسفة هو الظن والخرص والهوى ..

ان مسألة التطور يجب أن تتم دراستها فى البحث عن بقايا وهياكل الأحياء المنقرضة فى التاريخ الجيولوجى الغابر .. فهى الطريقة العلميه الوحيدة التى يمكنها أن تثبت أن شكلا ما تغير وتطور من عصر أقدم الى عصر أحدث .

أما التخيلات والأوهام التى يقول بها بعض من يدرسون الحيوانات والنباتات الحالية ويقارنون أعضاءها ببعضها ليقولوا انها نشأت من بعضها البعض ان ذلك يخالف قواعد العلم والبحث والتحقيق ..

وفى متاهات هذه الظنون المتناقضة يتفلسف داروين وأعوانه ليقولوا ان أصل الانسان من قرد وهذا من جربوع وذلك من ضفدعه أو سمكه الخ ..

وبالاختصار ، فكل من يدعى أن شكلا من الأحياء نشأ من شكل آخر ينبغى أن يثبت ذلك بالأدلة المستحاثية طبقة طبقة وشكلا فشكلا أو فى بعض الأحيان النادره كما فى مثال الذباب بطريقة علم الوراثة باجراء تجارب موضوعية يقينية .. ولكن حاشا داروين أن يفعل شيئا من ذلك ... ومن ثم يرفض العلم كل تخرصات الملحدين الذين تدور مقالاتهم كلها حول أصل الانسان من أحياء منحطة صغيره وهدفهم من ذلك نفى وجود آدم عليه السلام ومن ثم انكار الديانات السماويه وانكار الخالق عز وجل .

---

(١) العلم يدعو الى الايمان ا . كرسى موريسون ص ١٤٢

فالمسأله التي يدور حولها الحوار والنزاع هي في النهايه وفي البدايه أيضا مسألة العقيدة والايمان بالله ، بخالق الكون والأحياء فيه ولهذا لا تقف قضية التطور ونشوء الانسان مجالا رحبا واسعا تتخطى آفاق اليقين التجريبي الى متاهات الشكوك والترهات والخرافات التي تزعمها الملحدون ...

ان مبدأ التحكيم الى العلم الحديث هو الفيصل بيننا وبين الملاحدة .. لا لأنه ينقل الانسان الذى اكرمه الله تعالى من الظن والهوى والخرافة والسخافة الى العلم والنظر واليقين فحسب .. بل لأنه يجرد كذلك الملحدين وأعوانهم من السلاح الذى يملون به ضد المؤمنين ... فيكون العلم هو السلاح الذى يقترن بالايمان في معركة الانسان المؤمن ضد ابليس اللعين .

انه لسلاح عجيب يجمع يقين الايمان بيقين العلم ودليل الحق بدليل البرهان . وقد أشار القرآن الكريم في اكثر من آية الى هذا السلاح القوى فقال :

﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ﴾ (1)

وبهذا تبقى هذه النظريه بدون برهان فيضاف الى مصاف الخرافات القديمه التي عرفت في التاريخ الانساني .

انى أعلم أن هذا التصريح سيثير غضبة كل من يريد أن ينتسب الى القرود والديدان ... ولكن الحقيقة يجب ان تقال .

وبعد هذا ننتقل الى استماع رأى الكنيسة في الموضوع .

---

(1)

موقف الكنيسة من مذهب التطـــــــور

ولما ظهر هذا المذهب التطوري نشبت معركة من أعظم المعارك الفكريـــــة في التاريخ الأوربي واشتط أصحاب النظر بـه في موقفهم وتطرفوا الى حد انكار وجود الله وانكار الأديان جملة واعلان الحادهم الصريح . كما تطرفت الكنيسة وأشياعها فأعلنت كفر وهرطقة كل من لم يكن في جانبها ..

وانتهت المعركة الى نتيجـة مفزعـة : فقد تزلزلت العقائد الدينية جملة ،وانتشر الالحاد وشاع بطريقـة غريبة شاذة ...

ويكفيك أن تعلم من حملة رجال الدين على هذا المذهب التى استمرت في ضراوتها الى نهاية القرن التاسع عشر ، مثلا : ان أسقف أوكسفـورد ، وهو مـن اكبر العلماء ،أعـلن ، في خطبة ألقاها أمام مجمع تقدم العلوم البريطاني " أن داروين ارتكب أشنع جريمة حينما حاول أن يحدد مجد الله في عمل الخلق " (١)

وأن الكاردينال (مانخ) قال " ان مذهب داروين هو فلسفة وحشـية تؤدي عقـلا الى انكار الالـه " (٢)

وأن الدكتور (بـه ري) كبير أساقفة ملبورن وضع كتابا حمل فيه على داروين واتهمه بأنه يزرع في نفوس الناس بذرة الكفر وانكار الكتب السماوية " (٣)

وأن المونسنيور (سه غـور) في فرنسا قال عن مذهب داروين (انه من المذاهب المرذولـة التى لا يؤيدها الا أحط النزعات وأسفل المشاعر ،فأبوها الكفر وامها القذارة .." (٤) .

وفي ألمانيا أعلن بعض العلماء أن مذهب داروين يناقض كل فكـرة موجودة في الكـتب المقدسـة .

(١ـ٢ـ٣ـ٤) نقلنا هذه النصوص عن كتاب قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ص ١٩٣ للشيخ نديم الجسر مفتي طرابلس.

وأعلن (لوناردت) استاذ اللاهوت في لا يبزيغ (ان فكرة النشوء والارتقاء تناقض الحكمة الالهيه مناقضة تامه ، وان فكرة الخلق ملك الدين لا للعلم الطبيعي وأن كل الهيكل الأعلى للدين انما يقوم على مذهب الخلق ".

ودعا احد علماء اللاهوت في سويسرا الى القيام بحرب صليبية ضد هذا المذهب الخاطئ المفسد .. وقالت مجلة جامعة دبلن (ان داروين يبحث كيف يخلع الله عن عرشه).

ووصف العلامة الدكتور قسطنطين (جمس) في كتابه (الدار وينزم أو الانسان القردي) الذي نشر في باريس سنة ١٨٧٧ مذهب داروين بأنه (أسطورة اضحوكة) .

وقال الدكتور موفيلد من الجامعة نفسها : (ان التوفيق بين مذهب النشوء وبين التنزيل غير ممكن ، وأن من يؤمن به ، ولو ثبت علميا ، يكون كافرا بالله ".

وقال الدكتور (لي) (أنه لا يمكن بأي اسلوب من اساليب التفسير أن نؤول لغة الكتاب المقدس بتوسع يحتمل القول بهذا المذهب ، ونعت داروين واتباعه مبشروا البلابيح القدرة .

وفي الكلية الأميريكية في بيروت طرد الأساتذة الذين ظهر أنهم يقولون بمذهب داروين(١) .

وهكذا رأينا موقف الكنيسة من هذه النظرية ، وهي تقول انها ترفض حتى في حالة ثبوتها علميا يقينيا ..

والواقع أن طبيعة الفلسفة المسيحية تجعلها اكثر الأديان تعرضا للانهيار في حالة ثبوت النظرية ، صحيح أن الأديان كلها تؤمن بعقيدة الخلق المستقل لكن المسيحية تزيد على ذلك بأنها تجعل هذه العقيدة قطب الوحي للايمان المسيحي برمته .

(١) المرجع السابق ص١٩٤

فالمسيحية البولسيه والقسطنطينية ، تعتقد أن الله خلق آدم وحواء ونهاهما عن الأكل من شجرة معرفة الخير والشر فأغرتهما الحية فأكلا من الشجرة فارتكبا بذلك خطيئة لا تغتفر الا أن يرسل الله ابنه الفرد — * كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا * — الذى يعتبر بحق — عندهم — الأقنوم الثانى من الثالوث المزعوم ، فقتله الروم فى عهد (بيلاطس) بايعاز من اليهود ، على الصليب ليخلص البشرية من الخطيئة الموروثة عن أبيهم آدم عليه السلام ٠٠ وهذه العقيدة هى محور التعاليم الكنسية ولا يمكن بحال أن يعد المرء مؤمنا بالمسيحية ما لم يعتقدها ٠٠

وبهذه الرؤية الصادقة عن عقيدة المسيحية لم يعد غريبا أن نجد النظريه تقض مضاجع رجال الدين الذين يرون أن التصديق بأن الانسان خلق بالطريقة التطوريه من الخلية الواحدة (الأميبا) الى القرد فالانسان معناه بكل وضوح نفى وجود آدم وحواء بل نفى الخطيئة الأولى التى أسس عليها التعليم المسيحى ٠٠٠

والخلاصة أن الكنيسة ترى أن تعاليمها تناقض مذهب النشوء والارتقاء مناقضة صريحة حتى فى حالة ثبوت النظريه ٠٠ وقد رأينا تصريحات علمائهم كلها تدور حول هذه الفكرة وحدها ٠

وقد أحسن ويلز فى مقالته فى هذا الصدد :

" الحق أنه لم يخل عصر من العصور من متشككة فى المسيحيه ٠٠٠ على أن هؤلاء كانوا أناسا غير عاديين أما الآن (أى بعد نظرية داروين) فقد أصبحت كل المسيحية بوجه الاجمال متشككه اذ مست الخصومة كل انسان قرأ كتابا أو محاورة بين

أنكيـــاء[١].

وبعد هذا الموقف المرير من الكنيســه تجاه النظريه الداروينيــه ، نســود أن نسمع أيضا شيئا ولو يسيرا من الطرف الثاني في المعركــه وهو طرف الملاحــده الذين اتخذوا النظريــه سندا علميا للالحاد الذى اخترعــوه ..

موقـــف الملاحده من النظريـــة

ان الملاحدة ــ بصرف النظر عن عدم ثبوت النظرية علميا ــ قد اتخذوهــا قاعدة من القواعد الثابتــة التي لا يزيــغ عنها الا هالك ... واليك شيئــا مـــن تصريحاتهم :

يقول مانديز : " لقد ثبت صدق هذه النظريــه ، حتى اننا نستطيـــع أن نعتبرها أثرب شــئ الى الحقيقــه " (٢)

ويقول (سمپس) في هذا الصدد :

" ان نظريــة النشوء والارتقاء حقيقه ثابته اخيرا وكليا ، وليست بقياس ، أو (فرض بديل) صيغ للبحث العلمى " (٣)

ويعتقد محرر دائرة المعارف البريطانيه ١٩٥٨ : أن نظريــة الارتقاء في الحيوانات " حقيقــة وأن هذه النظريه قد حظــيت بموافــة عامة بيـــــن العلماء والمثقفين بعد داروين " (٤)

---

(١) معالم تاريخ الانسانيه تاليف ويلــز جـ ٤ ص ١١٣ ومابعدها

(٢) Clearer Thinking p. 56 IBLA. p. 113

(٣)

(٤) Meaning Of Evolution p. 127

نقلا عن كتاب الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٦٥ .

هذا ن موقفا ن متضادا ن أو متناقضا ن بأدق الأسلوب :

الكنيسه تقول : أنا لا أؤمن بالمذهب التطورى ولو أصبح حقيقـــــة علمية يوما ما ..

الانسا ن القردى: لماذا هذا أيتها الكنيسه المسكينه ؟

الكنيســه : لأن هذا المذهب يخالف عقيدتى بالخطيئة الأولى التى تعتبر قطب الرحى للعقيدة المسيحيه الحاليه ؟

الانسا ن القردى : أنا لا أترك هذا المذهب أبدا ولو يدى لى بطلانهـا

الكنيسه : لماذا هذا أيها الانسا ن القردى المسكين ؟

ا ن المذهب جاء ليبقى لأنه يخالف الخلق المباشر الذى تعتقده المسيحيه..

ا ن هذا الحوار البسيط بين الكنيســه والانسا ن القردى الملحد يبيــــن أن كل واحد منهما خالف قواعد مذهبه .

فالكنيسه خالفت قواعد الأديا ن الصحيحه ،منها :

أن العلم الصحيح لا يتعارض مع دين صحيح لأن الدين بدون علم أعمى والعلم بدون دين أعرج ..

الذى ينبغى لصاحب الدين أن يطالب أصحاب النظريات أن تأتى بالبرها ن كما قال تعالى : ﴿ فأتوا برهانكم ا ن كنتم صادقين ﴾ (١)

﴿ فأتوا بالتوراة فاتلوها ا ن كنتم صادقين ﴾ (٢)

وأما ا ن يتعصب صاحب الدين لعقيدة معينه بعد وضوح الدليل العلمى الـذى يخالفها ، فهذا خروج عن قواعد الدين نفسها ..

هذا ما فعلته الكنيسة .. انها لم تفرض النشوء والارتقاء لكونها باطلـــــة فحسب ولكن لكونها لا تتمشى مع عقيدتها التى تبنتها ..

فالدين الاسلامى لا يؤيدها على ذلك يقول :" الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها " .. ولكن الكنيسة رفضتها قبل البحث عن حقيقتها ..

---

(١) سورة البقرة اية : ١١١

(٢) سورة آل عمرا ن الاية : ٩٣

والانسان القردى الملحد كذلك خالف قواعد العلم الحديث التى تقول :
ان العلم الحقيقى ما يدخل تحت التجارب الحسية والملاحظات .. هل هـذا
المذهب الداروينى ما ينطبق عليه هذا الشرط ؟ الجواب : لا

اذن ان هذين الموقفين متطرفان . فكل واحد منهما يحارب الطـرف
الآخر فـي عماية وجهالة بغير علـم ..

فالكنيسة مخطئة فى رفضها كل فكرة صحيحة ما دام تخالف معتقداتها ..
والانسان القردى الملحد مخطئ فى تبنيه هذه الفكرة بدون دليل علـى ..

هذا ما صرح بـه بعض المنصفين من الغربيين . يقول (ستيوارت تشيس) :
" أيد علـماء الأحياء جزئيا قصة آدم وحواء كما ترويها الأديان ... واذا
تواريخ سفر التكوين فى التوراة خاطئة وحوى كثيرا من الحذف والتهذيب والبيـان
الشاعرى فان الفكرة صحيحة فى مجملها " (١)

وليت شعرى ماذا سيقول هذا الرجل لوقرأ القصة كما وردت فـي
القرآن فى آيات كثيرة منها :

﴿ واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا اتجعل فيهـا
من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح لك ونقدس لك قال انى اعلـم
ما لا تعلمون .. وعلـم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئونى
بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا سبحانك لا علـم لنا الا ما علمتنا انـك
قال يآدم انبئهم بأسمائهم فلمـا
أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلـم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون
وما كنتم تكتمون ﴾ (٢) .

أو قوله تعالى : ﴿ الذى أحسن كل شيء خلقـه ﴾

---

(١) الانسان والعلاقة البشرية تاليف ستيوارت تشيس ، ت / احمد حمودة ، مصر ١٩٥٥ م
(٢) سورة البقرة الآيات :

أى خلق الله تعالى كل مخلوق على أتم وجه وسخرله كل الأعضاء والوسائل التى تمكنه من العيش فى الوسط المقدر له ... اذا تغير الوسط الذى يحف بالكائن كأن صار بحرا بدل البر فاما أن ينجو بنفسه عن طريق السباحة أو يموت ويندثر .. ولكن هذا التغيير أبعد ما يكون بأن يجعل الحيوان البرى مائيا كأن يجهزه بغلاصم (12) تتنفس كالسمك كما يدعيه داروين ..

ان هذا الكذب واضح .. ولنضرب مثلا بداروين نفسه : ولو جعلناه فى الماء هل يستطيع أن يعيش فيها كالسمك وبتعبير آخر هل يستطيع الانتخاب الطبيعى أن يعطيه أجهزة السمك ... لا ! بل يموت فورا ان لم يحسن السباحة ...

اذن ليس هناك شئ يسمى الانتخاب الطبيعى بل هناك الانسجام والاحسان كما أشارت الاية الكريمة .

ان الذى يقرأ هذه الآية كيف يؤمن بعدها بخرافات داروين وولاس حيث يقولا ان طول رقبة النعامة والزرافة سببه طول الاشجار وذلك ان تأثير الوسط الذى يعيش فيه المخلوق هو الذى يغير شكله ..

نقول ان هذا كذب وبهتان .. بل المعقول هو أن طول أعناقهما تابع الى ارتفاع قوائمهما ، اذ لو كانتا أقصر مما عليه ما كانت تتمكن من شرب الماء على ظهر الأرض وأكل النباتات القصيرة التى لا ساق لها .

وبهذا يبدو جليا ان هذه النظرة لا أساس لها من الصحة وانما اعتنقها الملاحدة فرارا من الخلق المباشر الذى تبنته الكنيسة .

وقال ر . س لل :

" ظلت نظرية الارتقاء تحصل على تأييد متزايد ، يوما بعد يوم بعد داروين ، حتى أنه لم يبق لدى المفكرين والعلماء شك فى أن هذه هى الوسيلة المنطقية الوحيدة التى تستطيع أن تفسر

عملية الخلق وتشرحها "(١) .

وبعد هذه التصريحات من الملاحدة على مختلف تخصصاتهم ، لا يبقى خافيا عنا أن المعركة كانت معركة عنيفة بين الفريقين .

فكل منهما يدّعى أن صاحبه ليس على شيء .. تقول الكنيسة أنها ترفض رفضا باتا هذا المذهب .. لأنه يريد (أن يخلع الله عن عرشه) والملاحدة يقولون : ان المذهب هو التفسير الوحيد لعملية الخلق ..

ان هذا الموقف المتأزم يقتضينا أن نرجع سريعا الى موقف العلم الحديث لنرى موقفه في هذه التصريحات .. ثم ننظر في موقف بعض المفكرين الاسلاميين من المذهب . ثم نبدىء رأينا الخاص في الموضوع .

أولا — موقف العلم الحديث من نظرية داروين :

ان هذه النظرية التى اجمع العلماء الملاحدة على صحتها ، هل لاحظها أحدهم أو جربها في معمله ؟ ... والجواب : لا ! هذا الذى دفع "السير آرثركيث" الذى يعتبر محاميا متحمسا لنظرية الارتقاء — أن يسلم بأن هذه النظريه ليست بملاحظة أو تجربة ، وانما هى مجرد عقيدة . ومن كلماته :

" ان نظرية الارتقاء عقيدة أساسية في المذهب العقلى "(٢)

وعرف أحد المعاجم العلمية نظرية داروين بأنها : " نظرية قائمة على تفسير بلا برهان "(٣) .

---

(١) Organic Evolution, P. 15

(٢) Revolt Against Reason, P. 112

(٣) Ibid, P. 111

نقلا عن كتاب الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص ٦٦

وقد سئل الاستاذ (ديتار سبارليسن)(النمساوى) المختص فى علـــم الموروثات : " هل صحيح أننا لا نعلم الى الآن كل الحلقات الوسيطة فـــى تطور الانسان انطلاقا من الحيوان ؟ "

فأجاب الاستاذ : نعم طبعا ، فهوقريب الاحتمال أننا لن نعرفها أبدا " ،

ويقول الأستاذ (بيار بيسارسون) الفرنسى فى كتاب " أصل الانسان " : " ويعتمدون – بدون حجة علمية على احتمال وجود انسان فى العهد الثالث وعلى الحلقات المفقودة فى السلسلة الرابطة بين القرد والانسان "

يقول الدكتور الكسيس كاريل :

" لقد أصبح جليا أن تقدم كل العلوم المتعلقة بالانسان لا يكفـــى لا شباع احتياجاتنا عنه ؟ وبايجاز شديد ، ان علمنا عن ذاتنا لا يزال فى حال بدائية "(٢) .

يقول عباس محمود العقاد :" واذا رجعنا الى مكان مذهب التطور من العلم لم نجد من يحسبه علما قاطعا مفروغا من اصوله وفروعه ، وأكبـــر أنصاره ، لا يدعى له أكثر من أنه صحيح فى بعض ملاحظاته ومقارناته "(٣).

ومن أشهر التطوريين المحدثين " لبكونت دى نوى " وهو فى الحقيقة صاحب نظرية تطورية مستقلة ، ومع ذلك فهو يقول :

---

(١) لله العلم ، بشير التركى ص٦٥

(٢) الدكتور الكسيس كاريل فى كتابه :

راجع الدين ، وحيد الدين خان ص ٨٧

راجع الاسلام ومشكلة الحضارة ، سيد قطب ص :

(٣) عباس محمود العقاد ، عقائد المفكرين ص ٧٢

" أما تطور الكائنات الحية بجملتها فانه يناقض علم المادة الجامدة تناقضا تاما وهو يتنافى مع المبدأ الثانى من مبادئ علم القوة الحرارية وهو حجر الزاوية فى علمنا المرتكز على قوانين المصادفة فلا سبب التطور ولا حقيقته يدخلان فى نطاق علمنا الحاضر وليس من عالم يستطيع انكار ذلك " (١)

ان كان هذا موقفا من مواقف أنصار الداروينية ، فكيف يكون موقف المعارضون من العلماء الغربيين أيضا :

يقول كريسى موريسون " ان القائلين بنظرية التطور لم يكونوا يعلمون شيئا عن وحدات الوراثة (الجينات) وقد وقفوا فى مكانهم حيث يبدأ التطور حقا أعنى عند الخلية " (٢) .

أما (انتونى ستاندن) فى كتابه " العلم بقرة مقدسة " ينفى فيه أن تكون حلقة واحدة مفقودة بل هناك حلقات كثيرة مفقودة ان كانت هناك حلقة فقدت ، يقول : " انه لأقرب من الحقيقة أن نقول ان جزءا كبيرا من السلسلة المفقودة وليس حلقة واحدة بل اننا نشك فى وجود السلسلة ذاتها " (٣)

وهذا أوستن كلارك ينفى قطعيا المذهب التطورى فيقول :

" لا توجد علامة واحدة تحمل على الاعتقاد بأن أيا من المراتب الحيوانية الكبرى ينحدر من غيره ، لأن كل مرحلة لها وجودها المتميز

---

(١) انظر العلم أسراره وخفاياه مقدمة جـ ٣ هارولد نايلى وزميلاه ، ت/الفندى وزميله ، مصر ١٩٧١ م
واجع كتاب تاريخ العالم ، جـ ١ فصل نظرية التطور
وراجع أيضا مصير الانسان ص ٣٣
(٢) موريسون كريسى : العلم يدعو للايمان ص ١٤٧
(٣) مذهب النشوء والارتقاء ، ص ٢٣ ، منيرة على الغاياتى تقديم محمد البهى ، مصر ١٣٩٥ هـ .

الناتج من عملية خلق خاصة متميزة ، لقد ظهر الانسان على الأرض فجأة وفي نفس الشكل الذي نراه عليه الآن .(١)

وهكذا رأينا أن أنصار الداروينية ومحايديه اتفقوا على أن المذهب لا يؤيده العلم الحديث وانما مجرد افتراض وتخمين ، مما يبدو جليا أن الملاحدة لم يعتنقوا هذا المذهب لأجل كونه من الحقائق العلمية وانما اعتنقوه للتعصب ضد الكنيسة ولشهوة الالحاد والحرية المطلقة والتخلص من نير الكنيسة .. هذا ما أشار اليه بعض أنصار الالحاد ..

ولقد كانا السير آرثر كيث في اثبات هذه الحقيقة حيث يقول :

" ان نظرية النشوء لا زالت حتى الآن بدون براهين وستظل كذلك والسبب الوحيد في أننا نؤمن بها هو أن البديل الوحيد الممكن لها هو الايمان بالخلق المباشر وهذا أمر غير وارد على الاطلاق ".(٢)

وأيد في ذلك واطسن فيقول :

" ان علماء الحيوان يؤمنون بالنشوء لا كنتيجة للملاحظة أو الاختبار والاستدلال المنطقي ولكن لأن فكرة الخلق المباشر بعيدة عن التصور ".(٣)

ويقول د. هـ سكوت : " ان نظرية النشوء جاءت لتبقى ولا يمكن أن نتخلى عنها حتى لو أصبحت عملا من أعمال الاعتقاد ".(٤)

وبعد هذا نود أن ننتقل الى آراء بعض الاسلاميين في هذا الموضوع .

---

(١) ، (٢) ، (٣) ، (٤) المصدر السابق : ٦ _ ٧

مواقف مفكرين اسلاميين من الداروينيــة

ان الباحثين الاسلاميين في نظرية داروين لم يتفقوا على رأى واحد بل لهم آراء مختلفة .. ومن أهمها رأيان أساسيان :

أولهما : رأى يرفض هذه النظرية ، بدليل وجود تعارض بينها وبين النصوص القرآنية المتعلقة بخلق آدم عليه السلام ..

وأما الرأى الثاني : لا يرى أى تعارض بينهما بدليل أن النصوص التـــي وردت في القرآن والتي تتعلق بخلق آدم ، نصوص غير صريحة يفهم منها الخلـــق المباشر والخلق المتمهل على حد سـواء ..

فاليك نموذجا من أدلة كل من الفريقين :

أولا :ـ الرأى المعارض :

أصحاب هذا الرأى وهم ـ الجمهور ـ يرون التناقض بين هذه النظرية وبين تعاليم الاسلام .

فلندع الكلام للشيخ محمود شلتوت ليتكلم :

يقول : " ان نظرية التطور ، لم يدل عليها برهان ، ولم يشهد بصحتها حسّ أو تجربة ، وقد قرر الدين ، رفض كل الفروض التي من هذا القبيل فلا غرو اذن أن يرفض نظرية التطـور ... " (١) ثم قال فضيلته :

ان نظريـة التطور تخالف صريح القرآن لقوله تعالى :

﴿ لقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ﴾ (٢)

هذا بالنسبة لجوهر النظرية ، وأما القوانين الأربعة التي أشار اليهـــا داروين ، فيرى الأستاذ الدكتور المهندس (حسن زينو) الذى أخذ الدكتوراة في الجيولوجيا والتنقيب ، أن هذه القوانين باطلة لمعارضتها للنص القرآنـــي

---

(١) أنظر كتاب " الفتاوى " لفضيلة الشيخ محمود شلتوت صفحة ٣٦٩ ومابعدها طبعة الادارة العامة للثقافة الاسلامية بالأزهر (جمادى الآخرة ١٣٧٩هـ ـ ديسمبر ١٩٥٩ م) .

(٢) سورة الحجـر الآية : ٢٦

وبيان ذلك أن خلاصة القوانين الأربعة هي أن الدايمة وهبت بعض الكائنات عوامل البقاء وسلامات حفظ النوع ، باضافة أعضاء أوصفات جديدة تستطيع بواسطتها أن تتواءم مع الظروف الطارئة بدون أى تدخل خارجي .

ان هذا ـ لا شك ـ ينفى (أولا) تدخل الله في عملية التطور المزعوم . كما يدل على أن الكون يتخبط خبط عشواء بدون حكمة ولا غاية (ثانيا) وكما يلغى جميع التكاليف الربانية عن الانسان (ثالثا) لأنه جساء في هذه الدنيا عن طريق هذا التطور الأعمى ، ولم يخلقه خالق فكيف يعبد اليها ؟ . ولما كانت القوانين والحالة هذه قال الدكتور (حسن زينو) : ان ذلك يتنافى مع قوله تعالى :

﴿ الذى أحسن كل شيء خلقه ﴾ (١)

﴿ قال ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ (٢)

لأن الآيتين تدلان على ان الله تعالى خلق كل شيء على أتم وجه وسخرله كل الأعضاء والوسائل التى تمكنه من العيش في الوسط المقدر له .. وليست البيئة التى تكيف الكائنات الحية كما يدعى داروين ذلك .. (٣)

هذا ما أشار اليه الاستاذ ، فاذا جاز للملحد أن ينكر القرآن فلا يجوز لمسلم قرأ هاتين الآيتين ثم يشك في بطلان هذه القوانين المصطنعة .. فالاية صريحة في أن الله تعالى قد أعطى كل مخلوق ما يحتاج اليه من أعضاء وهو في بطن أمه ..

(١٤)

فهو الذى جعل (الخلد) مثلا ، يسكن تحت الأرض لكونه خلق دون عينين .. ولكن داروين يقول : لا ! .. ان سكناه تحت الأرض كان سببا لمحوهما ومحو أثرهما .. لأنه لا يحتاج الى عينين ..

ان هذا المثال البسيط يبين الفرق الأساسي بين الفكر الالحادى

---

(١) سورة السجدة اية : ٧
(٢) سورة طه آية : ٥٠
(٣) التطور والانسان د . (حسن زينو) ص

وبين الايمان بالله تعالى .. ثم ضرب الاستاذ مثلاً آخر وناقشه فقال :

" من حكمته البالغة أن جعل الأفاعي تسلك في المسالك الضيقة لأنها خلقت دون أطراف فهيأ الله لها هذه الأماكن لمناسبة حالها .. وأما داروين وأعوانه يقولون : لا ! ان المسالك الضيقة هي التي صيرتها دون أعضاء ..

فأضاف قائلاً : ان كان جسد الأفاعي صار أملسا من ضيق المسالك فأي ضيق في الماء جعل ديدان الماء ملساء ؟

ولمَ لمْ تنبت للسمك أيادي وأرجل طوال ؟

ولماذا لم يكن جسد من يسكن الأرض كالحرباء والفأر والنمل والقنفذ وما أشبهه كجسد الأفاعي أملس؟

هذا ما قاله الدكتور من أن هذه القوانين التي اخترعها داروين ، قوانين باطلة لا يؤيده الواقع الملموس ولا يؤيده النقل الصحيح بل لا يؤيده العلم الحديث فلذلك قال :

" قد تبين من دراسة علم الوراثة " أن الهيكل الأساسي للكائن الحي ليس سببه العوامل الخارجية وانما من أصل ذاتي حسب اقتران الصبغيات (15) والناسلات لكل نوع وحده " (١)

من العلماء الذين عارضوا مذهب داروين الشيخ (سعيد صبري) في كتابه " القيم والله جل جلاله " قال :

" وقد ذكرنا هذه المقدمات ، لأن دارس ظاهرة الحياة لا بد أن يطالبنا بتوضيح الرأي الصحيح في نظرية التطور ، كنظرية تحلل تنوعات الأحياء ، وظهور الانسان ، واليك ما نقول في هذا الموضوع :

---

(١) يراجع كتاب التطور والانسان د. حسن زينو ص :

(١) — ان القول بأن انساننا الحالي الذى أتى من أب واحد ، وأم واحدة كان متحدرا من قرد خطأ ، لا شك فيه ولا ريب ، نقول هذا بلغة العلم ولغة القرآن ، ولا يتناقضان : (١)

أما بلغة القرآن فلأن الله تعالى يقول : ﴿ ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ (٢)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " ان الله عز وجل ، خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم : الأحمر والأسود وبين ذلك ، والسهل والحزن ، والطيب والخبيث " قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وقال عليه السلام : " لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح ، عطس ، فقال : الحمد لله ، فحمد الله باذنه ، فقال له ربه : رحمك الله يا آدم ، اذهب الى اولئك الملائكة — الى ملأ منهم جلوس — فقل : السلام عليكم .... فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع الى ربه فقال : ان هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم " .

وأما بلغة العلم :

ان التاريخ كله ، كل سفر فيه ، وكل حجر من أحجاره ، وكل رواية يتناقلها الأبناء عن الآباء تذكر أن أبا البشر آدم .

(٢) — الفوارق الكبيرة بين الانسان والقرد أو أى حيوان آخر ، تثبت أنه لا صلة توالدية بين الانسان الحالي وأى حيوان ، هذه الفوارق التى تبدأ من الناحية الجسمية وتنتهى عند الأخلاق وبين ذلك الفكر والعلم والارادة ... الخ

---

(١) الله جل جلاله ، سعيد حوى ص ٤٩ — ٥٠

(٢) سورة آل عمران آية : ٥٩

ثم قـال :

" وهذه القضيـة هي التي جعلت حتى بعض أنصار داروين " كوالدس " يقول : (ان الارتقاء بالانتخاب الطبيعي لا يصدق على الانسان ولا بد من القول بخلقه رأسا) " .

وقال " فرخـو " : (انه يتبين لـنا من الواقع أن بين الانسان والقرد فرقا بعيدا ، فلا يمكننا أن نحكم بأن الانسان من سلالة قرد أو غـيره مـن البهائم ، ولا يحسن أن نتفوه بذلك) .

(٣)ـ ان اكتشاف الكروموسات (الصبغيات) وهي العامل في انتقال الصفات الوراثية ، جعلت العلماء يتحرجون بادعاء ، أن الانسان منحدر من قرد ، وذلك أن هذه الصور الملونـة ، لها عدد ثابت في كل نوع من انسان أوحيوان حيث بها يختلف النوع ويتميز الجنس(١) .

وبعد هذا التقرير الواضـح يقول :

" واذا كان العلم والقرآن يقولان بما أسلفنا ، فلا كلام لنشير هما بل ولوشك العلم وقال القرآن ، لما كان عاقل الا مع القرآن ، وذلك لأن الله الـذى خلق الانسان ، أعلم به كيف خـلق .. "

﴿ ما أشهدتهم خـلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم ﴾ (٢)

* * *

وأما الاستاذ (محمد قطب) يرى أن النظرية تتعارض مع الاسلام مـن ناحية الايحاءات .. فانها توحي الى عدة أشياء لا تتفق مع ديننا الحنيف .

---

(١) المرجـع السابق ص ٥٠

(٢) سورة الكهف آية : ٥١

منها الايحاء الى مادية الانسان وحيوانيته : (١)

وقد أجمع الداروينيون على الانسان انه حيوان مادى لا فرق بينه وبين أى حيوان آخر .. مثل البراغيث والفيران والضفادع فهذا جوليان هكسلى يقول :

" من المسلم به أن الانسان في الوقت الحاضر سيد المخلوقات ولكن قد تحل محله القطة أو الفار " (٢)

ومنها الايحاء الى نفي تدخل الله في الخلق .. وقد رأينا سابقا أن دارون قال :

" ان تفسير النشوء والارتقاء بتدخل الله ، هو بمثابة ادخال عنصر خارق للطبيعة فى وضع ميكانيكى بحت " (٣)

ومنها الايحاء الى نفى الغاية والقصد .

توطئـــة :

ان من الحقائق التى اتفقت عليها الأديان السماوية وآمنت بها العقول السليمة وتدركه الفطر السليمة ، أن للوجود الانسانى على الأرض غاية مقصودة أرادها خالقها .

فكل ذرة من ذرات هذا الكون المادى تشهد بذلك . بل ان كل الكترون أو بروتون شاهدة على ذلك ..

فلذا نجد رسالات الله ، لم تأت لاثبات هذه الحقيقة بل للتذكير بها وايضاح ما قد يخفى منها على العقول ..

يقول تعالى : ﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا ، وأنكم الينا لا ترجعون ﴾ (٤)

فلذلك كان الفلاسفة القدامى ركزوا جهودهم على الخوض فى العلل الغائية للأشياء ليبنوا عليها نظرياتهم الفلسفية عن الكون والحياة ..

* * *

---

(١) التطور والثبات في حياة البشرية محمد قطب ص ٤٩
(٢) معركة تقاليد ، محمد قطب ، ص ٥٢
(٣) التطور والثبات ، محمد قطب ص ٤٩
(٤) سورة المؤمنون آية : ١١٥

فلما ظهرت نظرية التطور العضو الدرويني ، ونادت بأن الانســـــان وليد سلسلة طويلة من التطورات المتعاقبة ، بدأت من جرثـومة في مستنقـــع آسن وانتهت في خط سيرها المتخبط الى صورتـه الراهنة (١) ، لم يعـــــد هناك ما يدعو الى التفكير في الغاية من خلق الانسان ..

فلذا قال داروين : " ان الطبيعة تخبط خبط عـشواء " ..

أى ليس هناك قصد ولا غايـة ولا حكمة للوجود الانساني ومن العبــث أن نبحث عن غايـة مرسومـة وهدف مقصود لعملية الخلق ".

ويشهد الفيلسوف الملحد (برتراند رسل) بالأثر الدارويني في هـذه الحقيقة ، اذ يقول :

" بالرغم من أنه لا يزال في امكان الفيلسوف أو عالم اللاهوت أن يقول ان لكل شيء غرضا ظهـر أن الغرض ليس فكرة نافعة حين نبحث في القوانين العلمية ، وقد قيل في الأناجيل ان القمر قد خلق لتنير بالليل ولكن العلماء مهما كانوا متدينين لا يعتبرون ذلك ايضاحا علميا لأصل القمر ولقد كان عمـل داروين فاصلا بهذه المناسبة .. فالذى فعله جاليلو ونيوتن من أجـل علم الحياة .. "

" ان الذى جعل من الممكن تفسير التكيف دون الكلام عن الغرض لم يكن حقيقـة التطور بل كان الميكانيكية الداروينية كما تتضح من تنازع البقاء وبقـــاء الأصلح فالاختلاف الاعتباطي واختيار الطبيعـة لا يستخدمان الا العلـــل الصـوريـة " (٢)

هكذا رأينا الداروينيين قد اتفقوا على نفي الغاية والقصد لخلق الانسان .. ان هذا بدون أى شـك مما يتعارض مع تعاليم الاسلام المبنية على نفي العبث عن الخلق والخالق ..

نحن لا نناقشهم أكثر مما نقـول ..

---

(١) خلق الانسان بين الطب والقرآن د. محمد على البار ص١٠

(٢) أثر العلم في المجتمع ، برتراند رسل ت/ تمام حسان ، مصر ص ١٢ ، ١٣

اذا لم نر مصانع تصدر الطائرات بدون قصد وغاية فكيف نسلم بأن هذا الخلق ليس لها قصد ولا غاية :

﴿ فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ (١)

ان هذا الايحاء (بمعنى نفى القصد والغاية عن الخلق) أصبح منتشرا فى جميع العلوم الغربية .. لذا أهملت فكرة (الغائية) بعد ظهور الداروينية، فى البحوث العلمية الحديثة، من علم الطب والفلك والجيولوجيا والاحياء وسائر العلوم .

ومنها الايحاء الى (الصدفة العمياء) :

لقد أوحت هذه الفكرة الى اعتناق فكرة الحادية هزيلة لا قيمة لها ولا وزن فى حساب العلم .. تلك هى فكرة المصادفة العمياء ..

ولو لم يكن هناك ايحاء آخر غير هذا الايحاء لكان كافيا للمسلم أن يرد هذه النظرية الملحدة ..

لأن كل تفسير للتاريخ الانسانى وللتطور الاجتماعى ، يغفل ارادة الله وقدره وتدخله المباشر فى حياة البشرية ، هو تفسير قاصر ، لا يفسر حقائق الوجود ، بل هو تخمينات وظنون ، لا سند لها من علم ولا برهان . قال تعالى :

﴿ ان يتبعون الا الظن ، وان الظن لا يغنى من الحق شيئا ﴾ (٢)

ومنها الايحاء الى ترك عبادة الله تعالى :

ولقد صارت هذه النظرية سببا مباشرا لصد الناس عن الاستماع لوحى الله عز وجل . لأنها توحى بأن الله لم يخلقهم وانما جاءوا على الأرض نتيجة من التطور الحيوانى الأصم .. وبهذا أنكر الملاحدة الرسالات والرسل أصلا بل

---

(١) سورة الحج آية : ٤٦

(٢) سورة النجم آية : ٢٨

لجـوا فى غـيّـها الى انكار وجود الله وعرضوا عن جميع الآيات الدالــــة علـى الالــه ٠

﴿ وان يروا سبيل الغىّ يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانـوا عنـها غـافلين ﴾ (١)

آثار الداروينية فى الحياة الأوربيــة

ولقد كانت النتيجــة المنطقيــة لانتشار الداروينية على المسيحية ، أن عمت فوضى فى عقائد الناس فى المجتمعات الأوربيــة وانتقلت منها الى بقاع الأرض الأخرى وصارت أفكارهم خاضعة للمادية والحيوانية ، وتخلت جموع غفيـــرة عن ايمانها باللــه تخليا كاملا أو شبه كامل وطغـت على الحياة الأوربيـة الأفكـار الالحادية الغربيـة ٠٠

ولئن بقى فى الغرب أثارة من دين وسط التيار المادى العارم ٠٠ فانهــا " غـلالة " رقيقة لا نحسب أنها تصمد طويـلا ٠٠ ودليل ذلك احصائيات كـثيرة ٠٠ ودليله كذلك لجـوء رجال الدين فى الولايات المتحدة مـــن أجل ترويج بضاعتهم الى وسائل لا تتفق أبدا مع الدين ٠٠ وهوما يحـدث من دعوتهم الشباب من الجنسين عقب الصلوات الى حفلات راقصـة ٠٠ تخفت فيها الأنوار وتتلاصق الأجساد ، وتـنطلق الأنغام خافتة حالمة ٠٠ توقظ الرغبة ، وتشعل الشهوة ٠٠ (٢)

هذا هو مصير المسيحية بعد ظهور هذه النظرية ٠٠ وتلك هى آثارهـــا المدمرة ٠٠ حتى أصبح الشيطان هو المعبود فى أوربا أولا وفى الأرض ثانيا ٠٠ ان دعاة المادية الملحدة قد أوهموا الناس أن الانسان حين يلقى عنه عبادة الله

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٤٦

(٢) أساليب الغزو الفكرى ، د٠ على محمد جريشة ، ومحمد شريف زيبق ص٨

سيصبح سيد نفسه ، ويصبح هو (الله) ! يقول أحد كتابهم الملحدين — وهو جوليان هكسلي — في كتاب " الانسان في العالم الحديث " :

" لقد تعلم الانسان وأصبح مسيطرا على البيئة ولم يعد جاهلا بالكون ولا عاجزا عن السيطرة على طاقته كما كان من قبل ومن ثم فقد آن للانسان أن يأخذ على عاتق نفسه ما كان يلقيه من قبل في عصر الجهل والعجز — على عاتق الله ، ويصبح هو " الله " (١) ! وهذا مصداق قوله تعالى :

﴿ كلا ان الانسان ليطغى ، أن رآه استغنى .. ﴾ (٢)

* * *

انطلاقا من هذا التفكير الشارد صار الناس في أوربا عبيدا للطغاة بصورة لم يشهدها التاريخ سواء طغاة الرأسمالية في الغرب أو طغاة الشيوعية في الشرق ..

عبدت أوربا الشيطان بطرق متعددة :

عبدته عن طريق عبادة الطبيعة ...

يقول داروين ، نبي هذه العبادة :

" ان الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق ".

وعبدته أيضا عن طريق عبادة الانسان .. وقد رأينا الفيلسوف اليهودي نيتشه قائلا : ان الاله قد مات وأن الانسان الأعلى (سوبرمان) ينبغي أن يحل محله ..

وعبدته عن طريق عبادة المادة .. وكان نبيها يهوديا أيضا وهو كارل ماركس في الديانة التي تدين بها اليوم الملايين من البشر .. في الاتحاد السوفيتي وما حولها ..

---

(١) مقرر علم التوحيد ، وزارة المعارف في المملكة العربية السعودية للصف الثالث الثانوي ص٥٣

(٢) سورة العلق آية : ٦ — ٧

كما عبدته أيضا عن طريق عبادة " الجنس " .. وكان اليهودى فرويـــــد هو بطل هذه العباد ..

وعبدته مرة أخرى عن طريق عبادة المجتمع التى دعى اليها الملحـــــد دوركايم ..

وهكذا نجد أن نظرية التطور أسهمت اسهاما عظيما في هدم العقيدة الدينية وابعادها عن الحياة الاجتماعية كلها ..

وعبدته عن طريق عبادة الآلة .. هى التى تحركهم وتسيرهم وتكيف أفكارهم ومشاعرهم . وصار الناس عبيدا للشهوات تملكهم ولا يملكونها .. وتدمر حياتهم ولا يستطيعون استنقاذ أنفسهم منها .. سواء شهوة الجنس أو الخمر أو المـــال أو السلطان ..

وبعبارة موجـزة أصبح الانسان ــ في ظل هذه النظريـة ــ عبدا للشيطان ..

ولأجل هذا كله قال علماؤنا ــ كما سبق ــ أن هذه النظريـة كما تصادم النصوص القرآنية ، تصادم ايحاءاتها الفطـرة الانسانية أيضا . والدليل على ذلك انغماس أوربا في هذه الشهوات المدمرة التى ذهبت بكرامـة الانسان وعزتـــه ورفعته وحريته ..

بل يكفى دليلا على ذلك فساد أخلاق الناس فى أوربا ، والعزلة الفردية والأنانية التى يعيشون بها ، وغلبة المنافع المادية عليهم ــ أفرادا وشعوبا ، أو دولا أو تكتـلات ــ ولو خالفوا فى سبيل ذلك للوصول اليها كل القيـــم والمبادئ والأخـلاق . وخذ مثلا ــ قضايا الاستعمار والتمييز العنصرى نماذج للأخـلاق المعاصرة المنبثقـة عن التطور الحيوانى .

وخذ كذلك قضيـة فلسطين التى أصبحت بين المستعمرين تارة نسمع هناك مبادرة أمريكـية ، وطورا نسمع مبادرة أوربيـة ومرة أخرى نسمع دورا سوفيتيا . وهكذا دواليك .

فمرجـع كل هذه الأخـلاق الثعلبيـة ، حيوانية الانسانية وماديته ... اللتان توحى اليهما هذه النظريـة .

وأما أحوال الانسان الأوربى فيكفى شاهدا عليها الاضطرابات النفسيـــة والعصبية والجنون والقلق والانتحار ، ومحاولة الهروب من الواقع بالادمان علـــى المسكرات والمخدرات .

ويكفى شاهدا عليها معدل انتشار الجريمة وهو معدل يتزايد باستمرار . وسوف نتحدث عنه فى الباب الذى سنعقده تحت عنوان آثار الالحاد فــــى أوربا الحديثـة ..

ويكفى شاهدا عليها الظلم السياسى والاقتصادى والاجتماعى الواقع على جمهرة أهل الأرض تحت أسماء براقـة من الديمقراطيـة والاشتراكية والعدالـة والحرية والاخاء والمساواة ...

تلك هى بعض نتائج المذهب التطورى الذى أبعد الناس عن عبادة الله وهذه هى جناية النظرية المادية التى رجعت بها الانسان الى الحضيض لافرق بينه وبين أى بعوض أو أى حشرات . بل سيصبح حسب هذه النظريـــة جرادا منتشرا وتصبح الجراد أصحاب القوانين الدولية وملاك البنوك وأصحـاب البرلمانات والندوات ..

وأخيرا يقول الملحد جوليان هكسلى الكلمة الختامية لنظرية داروين ، تصور لنا مدى الانحطاط الذى يبلغ اليه الانسان بعد هذه النظريـة وهو يقول :

" بعد نظرية داروين لم يعد الانسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيوانا .."(١)

وداروين لم يكتف بأن جعل بين الانسان وبين القرود أخوة ، بل زعم أن الجدَّ الأصلى لآدم هو (أميبا) جرثومة صغيرة كانت ـ بعد ما سقطت من بعض الكواكب ـ تعيش فى داين المستنقعات التى تتصاعد منها الغازات الكريهـــة الرائحة ، وذلك قبل ملايين السنين .. على حد زعمهم ..

* * *

---

(١) معركة التقاليد ، محمد قطب ص ٥٢

ان الأمانة العلمية تقتضينا أن نقول ان داروين لم يصدر أحكاما مستقلـــة على الانسان ، ولكن ايحاءات النظريـة ـ كما قلنا توحي الى هذه النتائـــج المدمرة .

ثم الذين جاؤا من بعده زادوا الطين بلة ..

ذلك أنهم تلقنوا النظريـة أصلا بدوافــع مغرضـة ووجهوها لتخـــدم أهدافا خفية .. كانوا ـ ولا يزالون ينفثون أفكارهم الهدامة التى تنظر للانسان على أنه حيوان وتحدد مطالبـه بمطالب الحيوان وتدرسه كما تدرس الحيوان ..

فالانسان في نظر الداروينية ـ لم يتطـــور مختارا بل كان تطوره مظهرا لخضوعـه المطلق للبيئـة الطبيعية أى لعوامل خارجـية حتمية ..

ومن تأمل في مقالتهم يجـد أن الحيوانية والمادية ليستا هـما الأثـــر الداروينى الذى أحط كرامـة الانسان ولكن الداروينية تقول ان (آدم) الانسان الأول ـ بعد ما أن تطور من الجرثومة الصغيرة ، فالنبات فالحيوانيـة ثم القرد ، قد كان (لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم)(١).

وتقول أيضا أن العوامل الطبيعية وحدها صانعة التطور ، والانســـــان ما هو الا مرآة تنعكس عليها تقلبات الطبيعة المفاجئة وتخبطاتها غير المنهجية ..

وعليه نستطيع أن نقول : ان فكرة التطور في ذاتها أوحت بحيـوانية الانسان بينما أوحـى تفسير العملية التى سار عليها التطور بماديته ..

وقد ظهرت آثار هذه الايحاءات جليا في الدراسات الاجتماعية والنفسيـــة التى تناولت موضوع الانسان .

ومن أبرز الأمثلة على الأفكار التى استمدت من الداروينيـة : النظريـــة الشيوعـية والنظريـة الاجتماعيـة والنظريـة النفسـية ...

اليك شرحا موجزا لكل واحد منها ..

---

(١) الاسلام ونظرية داروين ، أحمد باشميل ص ١٢٠

اليهودى كارل ماركس ونظرية دارون

ان اليهودى (كارل ماركس) - قبحه الله - استمد من هذه النظرية فكرة حيوانية الانسان ومادية ، فبنى على ذلك المذهب الشيوعى الملعون وحدد فى البيان الشيوعى المطالب الرئيسية للانسان الشيوعى بالغذاء والسكن والجنس ...

ثم لم يكتف بذلك بل جعل المادة أصلا لكل شئ ، وفسر التاريخ الانسانى تفسيرا ماديا .. فيرى ان القوة المادية أو القوى الاقتصادية هى التى تكيف الحياة البشرية وتعطيها طابعها وتنشئ أفكارها ومفاهيمها وعقائدها حسب درجتها من التطور .. فاذا انتقلت البشرية من طور الى طور بحكم قوة التطور الدائمة المفروضة على الانسان من خارج نفسه والتى لا علاقة لها بارادته الذاتية .. فان صورة الحياة تتغير ومشاعر الناس تتغير وأفكارهم ومفاهيمهم وعقائدهم تتغير وتتغير كل شئ فى المجتمع من أخلاق وعادات وتقاليد تغيرا حتميا " (١)

وكتب ماركس فى هذا الموضوع مايلى :

" ليس الادراك هو الذى يحدد معيشتهم بل على العكس من ذلك ان معيشتهم الاجتماعية هى التى تحدد ادراكهم ". (٢)

واما ستالين يصرح بالتصريحات التالية :

" يجب البحث عن منشأ حياة المجتمع العقلية ، وعن أصل الأفكار والنظريات الاجتماعية ، والآراء السياسية والأوضاع السياسية .. لا فى الأفكار والنظريات ، ولا فى الآراء والأوضاع السياسية نفسها ، بل فى شروط الحياة المادية للمجتمع فى الوجود الاجتماعى الذى تكون هذه الأفكار والنظريات والآراء وما اليها انعكاسا له... ". (٣)

---

(١) معركة التقاليد محمد قطب ص ١٨
(٢) كارل ماركس،مساهمة فى نقد الاقتصاد السياسى - المقدمة - عن ستالين المادية الديالكتيكية والمادية التاريخيه ص ٣٧
(٣) المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ، ستالين ص ٣٧

ولذلك فقد تطورت الحياة الاجتماعية وتدرجت من طور الى طور وذلك وفقا لتغير وتطور أدوات الانتاج ، حيث مر المجتمع البشري — كما قلنا — في خمسة أدوار وهي على التوالي :

المشاعية البدائية (الشيوعية الاولى) ونظام الرق ، والاقطاعية والرأسمالية فالشيوعية .(١)

هذا بعض ما جنته هذه الفكرة الداروينية الملحدة . وهذا ما قام به هذا اليهودي لتوسيع الهوة بين الدين وفكرة التطور .. فأسسوا أول دولة الحادية محضة تحارب الدين علنا — وتعادى كل متدين ومؤمن .. وحذفوا أسماء الأنبياء والرسل من قواميس التاريخ الانساني — فقالوا .. ان تاريخ الانسان كله تاريخ البحث عن الطعام .(٢)

هذا ما أكده أنجلس فيلسوف الشيوعية بقوله :

" وهكذا برهنت العلوم الطبيعية أن تعمل في النتيجة بصورة ديالكتيكية ، لا بصورة ميتافيزيقية ، وأنها تتحرك في دائرة تبقى هي ذاتها دائما وتتكرر الى الأبد ، بل ان لها تاريخا واقعيا .. وبهذه المناسبة ينبغي أن نذكر بالدرجة الأولى (داروين) الذى وجه ضربة قاسية الى الفهم الميتافيزيقي للطبيعة باثباته أن العالم العضوى بأسره ، كما هو موجود اليوم ، أى أن النباتات والحيوانات ، وبالتالي الانسان أيضا هو كله نتاج يجري منذ ملايين السنين ".(٣)

وبهذه التصريحات من قمة الشيوعية ، ندرك مدى خطورة هذه النظرية الداروينية ..

---

(١) راجع ل . سينفال . لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التاريخ — المكتبة الاشتراكية دار دمشق ص ١٢

(٢) أصول الفلسفة الماركسية ، جورج بوليتزر ، جي بيسى موريس كافين ج ٢ ص ٥٨

(٣) ضد دوهرنغ — ديالكتيك الطبيعة ، كارل ماركس وفردريك أنجلس ص ٢٥ ، موسكو الطبعة الألمانية ١٩٣٥ م

اليهودى دوركايم ونظرية داروين

أما اليهودي (دوركايم) صاحب المذهب الاجتماعى ، خرج للناس بفكرة فريدة ، يرى هذا الملحد ان الانسان حيوان خاضع لجبرية اجتماعية أو قهر اجتماعى يفرض عليه العقل الجماعى وسمى هذه الخرافة (بالعقل الجمعى)(١) .

هذا ما فعلته نظرية داروين بهذا اليهودى حتى قال ان التدين فطريا فى الانسان وانما ينتج من العقل الجمعى الذى هو في خارج نطاق الفرد ..

اليهودى فرويد ونظرية داروين

أما فرويد فلم يأخذ من الداروينية الجانب التطورى ، وانما أخذ عنها حيوانية الانسان في تفسير السلوك الانسانى .

فهو يرى أن الدافع الجنسى هو دافعه الوحيد ، فالمولود يرضع ثدى أمه بدافع جنسى ويتبرز بدافع جنسى ويظل يتعامل مع الآخرين بناء على هذا الدافع وحده . (٢)

والدين والأخلاق والمثل العليا كلها تابعة من هذا الدافع الجنسى أيضا ..

وهكذا صار الانسان عند فرويد ليس حيوانا فحسب بل هو حيوان جنسى ..

وراء كل حركة منه شهوة جنسية ظاهرة أو خفية : ويقول ان الكبت وعقدة أوديب هما مصدر الدين ، وليس فطريا فى الكيان الانسانى .(٣)

---

(١) قواعد المنهج في علم الاجتماع ، تأليف اميل دوركايم ترجمة الدكتور محمود قاسم ومراجعة الدكتور السيد محمد بدوى مقدمة الطبعة الثانية ص ٤٢ و ٢٢٢

(٢) انظر الموجز فى التحليل النفسى لفرويد : ٢٢ ــ ٣٤

راجع أيضا الانسان بين المادية والاسلام ص ٥١ محمد قطب

راجع أيضا كتاب (Totem And Taboo) ص ١٤٥ لفرويد

نقلا عن كتاب التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص ٤٩

(٣) دراسات فى النفس الانسانية ، محمد قطب ص ٢٢٥

تلك هى بعض ايحاءات هذه النظريـة .. التى جردت الانسان من كل مثل أخلاقية وجعلته تابعا ذليلا لشهواته فقط .. فلاشك أن هذه الايحاءات التى تحط من كرامة الانسان تتعارض مع قوله تعالى :

﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾

اننا لا نناقشهم/ انما نريد فقط أن نثبت أن ايحاءات التطـور قد شملت جميع الأفكار الأوربيـة : فى الاقتصاد والاجتماع وعلم النفس . بل وجميـــــع علومهم ..

ولم يكتفوا بهذه المجالات بالتطور العضوى بل يرون أن كل شىء فى الدنيا يتطـور مثل العقائد والقيم والمبادىء والأخـلاق وما لا يقبل التطـور بذاته يجب أن يـطـور بالقوة ..

وهذه بعض أدلة هؤلاء العلماء الفضـلاء فى رفض هذه النظريـــــــة وهناك أدلة كثيرة كلها تؤكد أن هذه النظريـة تتعارض مع ديننا الحنيف .. ولكن ما ذكرناه هنا فيه الكـفاية لا ثبات وجهة نظرهم فى هذه النظريـة ..

وبعد هذا يحسن بنا أن نقدم صورة ولو مصغرة عن وجهـة نظر الفريق الثانى : وهم الذين يرون أن هذا المذهب التطـورى لا يتعارض مع الاسلام ..

ثانيا ــ الرأى المؤيـــد :

وقد أشرنا في مطلع هذا الفصل الى أن هناك رأيين للباحثين الاسلاميين حول نظرية داروين ، وقلنا هناك ان الرأى الأول ، يعارض هـــذه النظريـة ويقول بعدم موافقتها مع القرآن ، وقد تحدثنا عنه طويــلا ..

والآن نريد أن نتحدث عن الرأى الثاني القائـل بوجود ملاءمـة بينهـا وبين الاسلام : واليك بعض آرائهم فيها :

يقول الشيخ محمد رضا آل العلامـة التقى الاصفهاني فيما نقله عنه الأستاذ محمود العقاد وهذا نصه :

" ان فلسفة النشوء والارتقاء ليست مما ينافي الدين ، اذ الذى يجب علينا اعتقاده ، هو أن جميع الموجودات بأراضيها وسماواتها وما فيها من صنوف المخلوقات صنع اله واحد قادر حكيم وسع كل شيء علما ، واتقنـه صنعا ، خلــق جميع الأنواع عن قصد واختيار . وهذا أمر متفق عليه في جميع الأديان . وأما كيفيـة الخلق ، وأن هذه الأنواع كلها خلقت خلقا مستقلا ووجدت من كتم العدم ابتداء ، وأنها لم تتغير عما وجدت عليه في أوائل الخلق .. فهـــذا لم يرد فيه نص من الكتاب ولا متواتر من السنة ." (١)

هذا ما صرح به هذا الشيخ . فلننتقل الى شيخ آخر من الشيوخ الذيـن يريدون التوفيق بين مذهب داروين وبين القرآن العظيم ...

وأما الأستاذ محمد فريد وجدى يؤيد ما قاله الاصفهاني ويزيد على ما قال بقوله :

" ان هؤلاء الناس الذين يعادون قوانين مذهب داروين كله لأجل نتيجته ، لا يدرون أنه قد أقام أقوى البراهين الحية على حقائق قرآنية ، كان الغربيون لولاه يتوهمون أنها جهالاتنا الضعيفة التى يبرهنون بها على عدم حقية ديننا " (٢)

---

(١) أنظر الانسان في القرآن الكريم ، عباس محمود العقاد ، طبعة دار الهلال ص١٠٦

(٢) الدين والعلم الحديث . ابراهيم عبد الباقي ص٧٥ ــ ٧٦

وأما الشيخ نديم الجسر ،كانت نتائج بحوثه في هذه النظرية ، أن ترك في قلوب السذج وضعاف القلوب شكوكا فاقت حدّ الوصف • يرى أن موقف المسلم من هذه النظرية التوقف وعدم الجزم بالخلق المباشر الذى ورد فى القرآن ولا بالخلق المتمهل التطورى • فلندعه يعبر عما في قلبه :

" ••• ثم ليس في تلك النصوص صراحة بأن الله خلق الانسان الأول من تراب (دفعة واحدة) أو بتكوين (متمهل) على انفراده •• فسبيل هذا عندنا التوقف وعدم الجزم بأحد الأمرين •• وان كان قد يظهر من بعض النصوص الاحادية أن تكوّن الانسان الأول وهو (آدم) كان بتمهل ومرت عليه مدة من الزمان ، ولكن ظواهر النصوص التى عليها مدار الاعتقاد تدل على الخلق المستقل • ولا يجوز تأويل هذه النصوص ،وصرفها عن معناها الظاهر ، الا اذا قام الدليل العقلى القاطع على مذهب النشوء وعندما تقوم الدلائل العقلية القاطعة على وجود الانسان بطريق النشوء يمكن تأويل هذه النصوص ، والتوفيق بينها وبين ما قام عليه الدليل القاطع ولا ينافي فى ذلك اعتقاد المسلمين فى شئ ، ما دام الأصل عندهم ان الله تعالى هو خالق الانسان فى كل حال •••(١)

ونجد الأستاذ محمود العقاد يقول ما يلى :

" عاش (داروين) بقية حياته مؤمنا بأن مذهبه لا يقتضى من العقل أن ينفى وجود الله ، ولا أن يمس عقائد المؤمنين بوجوده وأن الايمان بأى ديانة من الديانات لا يتوقف على الفصل فى قضية التطور الى الرفض أو الى القبول •• "

وهو صريح فى أن داروين عاش مؤمنا بالله تعالى ، كما أن مذهبه لا يتعارض مع الديانات •• ولكن سوف نوضح أن داروين مات وهو ملحد كافر ••

---

(١) قصة الايمان ، نديم الجسر ص ٢١٥

وهذه هي أهم ما يقوله المؤيدون في نظرية داروين ، والآن نود أن نقف على أهم فقرات هذه التقريرات لنبدى فيها رأينا ...

* * *

ان المتأمل في هذه الأقوال يصل الى النتائج التالية :

أولا :— قولهم ان النصوص التي تتعلق بخلق آدم في القرآن غير صريحة في الخلق المباشر ..

ثانيا :— قولهم ان النظرية أثبتت حقائق قرآنية ، لولاها لأنكرها الملاحدة ..

ثالثا :— قولهم ان داروين عاش مؤمنا بالله تعالى ..

الحقيقة ان هؤلاء العلماء الأجلاء ، لا يوجد أحد اطلع على آثارهم العلمية ، ثم لا يعترف بهم في سمو التفكير ودقة التعبير والدفاع عن بيضة الدين الاسلامي ، من الذي لا يعترف بجهود الأستاذ (محمود العقاد) ؟ والشيخ (نديم الجسر) مفتي طرابلس ؟ وكذلك الاصفهاني ؟ وأما الأستاذ محمد فريد وجدي غني عن التعريف ويكفيه شهرة كتابه المشهور (دائرة معارف القرن العشرين) .

الا أن الحكمة هي ضالة المؤمن .. فمن هذه الحيثية نود أن نقف قليلا على هذه النتائج الثلاثة التي توحي اليها تصريحاتهم ..

النتيجة الأولى : قولهم بأن النصوص التي وردت في القرآن أو السنة غير صريحة لا نوافقهم على ذلك ولا نؤيدهم أبدا . وذلك بأدلة من القرآن والسنة .

أولا — أدلة من القرآن :

نحن نتحدى أي قائل يقول بأن النصوص القرآنية لا تدل على الخلق المباشر ونقول لهم ان هناك مئات الآيات الدالة على الخلق المباشر ولكننا نختصار

لكم الآيات التالية :

يقول تعالى : ﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ، ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان (مشتبها وغير متشابه) انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ، ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان (متشابها وغير متشابه) كلوا من ثمره اذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ﴾ (٢)

هاتان الآيتان هما المعين الذي لا ينضب ، الذي منه تستقي كل العلوم وترتوي ..

شجرتا الشمش والدراق ، أليستا متشابهتين ؟ ولنقل نصفهما عادة في فصيلة واحدة ، وليست كلتاهما من أصل واحد وهو ماء السماء ؟

انهما تشتبهان أن تكونا شيئا واحدا في الشكل أو الأصل ، كذلك النخلة والدبور .. أليس يشتبهان في الفصيلة والشكل والأعضاء وشيء من نظام الحياة الخ ... ولكنهما كذلك غير متشابهين في الكثير الكثير ..

وهنالك وقع داروين وأعوانه في هذا الخطأ الفاحش .. انهم لما رأوا هذا التشابه بين بعض المخلوقات قالوا : ان أصل الأنواع واحد لأجل تشابه بعضها ببعض ولكن الله الحكيم الذي يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ترك لنا معشر المؤمنين - هذه الآيات الناطقات عن أصل الكون وهو الماء . لكي نرد مزاعم الملاحدة في كل زمان ومكان القائلين أن هذا الكائن الحي تطور من ذاك الكائن ..

ومن تلك الآيات قوله تعالى : ﴿ وجعلنا كل شيء حي من الماء أفلا يؤمنون ﴾ (٣)

---

(١) سورة الأنعام آية : ٩٩

(٢) = = = : ١٤١

(٣)

لقد ألقت هذه الآيات الضوء الكاشف على حقائق العلم وأثبتت أن المخلوقات كل منها خلقها الله وحدها ولم تنشأ من مخلوقات أخرى غيرها ..

ان أصل الكائنات وهو (الماء) واحد ، مهما تعددت وتنوعت وأفرطت في الاشتباه ، لكنها تبقى دائما غير متشابهة ..

ما أعظم هذه الصيغة (متشابها وغير متشابه) .. لو تأملها علماؤنا الذين يريدون أن يجعلوا القرآن ملفقا للنظرية الدارونية ؟ ؟

أنها القاعدة الحقة في معرفة أصل الأنواع ، وليست هذه الفروض والتخمينات الداروينية ..

صنوان وغير صنوان

ينص القرآن المجيد أن المخلوقات ، لم ينشأ بعضها عن بعض وانما خلقها الله تعالى لنفسها خلقا مستقلا لا تطور فيه لا في الماضي السحيق ولا في المستقبل البعيد ..

في هذا يقول تعالى :

﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل ، صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ (1)

يا ليت علمائنا القائلين بالتطور العضوي ، تأملوا في قوله تعالى :

﴿ صنوان وغير صنوان ﴾ .. وقوله تعالى ﴿ يسقى بماء واحد ﴾ وقوله تعالى : ﴿ ونفضل بعضها على بعض في الأكل ﴾

لو تأملوا فيها : لعرفوا أن الآية صريحة في الخلق المباشر ولرجعوا عن تطورهم ذلك .

---

(1) سورة الرعد الآية : ٤

فالآية تشير بوضوح الى أن الصنوان الذى معناه ، الأصل المجتمعة فى منبت واحد كالرمان والتين وبعض النخيل ونحو ذلك .. وأن غير الصنوان الذى معناه : ما كان على أصل واحد كسائر الأشجار ، لم ينشأ بعضها عن بعض وانما أصلهما الماء فقط رغم تعدد أنواعهما وتنوع ألوانهما .

وكما تشير الى أن هذا التفضيل بين الأنواع أثر من آثار الحكمة الالهية وليس من ناموس الوراثة الذى اخترعه داروين من بنات أفكاره المنحرفة .. بدليل قوله تعالى :

﴿ ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ﴾

ثم أشارت الآية بهذا التعقيب المخيف اذ قالت :

﴿ ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾

ومعنى ذلك ان الذين لا يؤمنون بمضمون هذه الآية ليسوا من العقلاء ! الذين لا يؤمنون بأن هذا التشابه تشابه ظاهرى فقط وأنما هو فى الحقيقة غير متشابه ليسوا من العقلاء !

والذين لا يؤمنون بأن صنوان و غير صنوان خلقا خلقا مستقلا من أصل مائى رغم التفاضل الذى بينهما ، ليسوا من تعداد العقلاء وانما هم من الجهلاء الدهماء الذين ينظرون الى ظواهر الأمور دون تعمق فيها ..

لأن الذى يتعمق في التأمل في هذه المخلوقات ، يعلم يقينا أن هذا التشابه الظاهرى حكمة ربانية ، وأن هذا التنوع تدل على عظمة خالقه ..

ومن نفس هذه الحكمة أن خلق الله مخلوقا أو مخلوقات تشبه الانسان فى الشكل نوعا ليذكر الانسان بنعمة النبوة والكتاب والعقل والعلم والبيان ..

ان هذه النعمة الكبرى نعمة وجود التشابه مع نفى التشابه الحقيقى قد جعلها داروين وأعوانه نقمة كبرى بأن جعلوا بين الانسان وبين القرود نسبا ..

خلـــق آدم

وبعدما تأكدنا من خلال هذه الآيات النيرة ، من أن الكائنات لم يتطور بعضها عن بعض نود أن نتقدم خطوة أخرى لنرى أن أبانا آدم لم يمر قط بهذه المراحل التي يصورها دارون وأعوانه ..ولنثبت لعلمائنا الأفاضل الذين أنكروا وجود النصوص الصريحة الدالة على خلق آدم خلقا مستقلا ، بأن هناك نصوصا قاطعة في الخلق المباشر .. ثم ننتقل بهم الى السنة المطهرة ليرى العالم كله أن القول بعدم وجود نص قاطع في الخلق المباشر قول لا يساعده القرآن ولا السنة ..

النصوص التي وردت في القرآن :

يقول تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ﴾ (١)

ورد في تفسير ابن كثير : من سلالة من طين وهو آدم عليه السلام خلقه الله من صلصال من حمأ مسنون .

وقال قتادة : استل آدم من الطين .. فان آدم عليه السلام خلق من طين لازب وهو الصلصال من الحمأ المسنون وذلك مخلوق من التراب كما قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ﴾ (٢)

الآية توضح بشكل واضح أن خلق آدم كان قبل أن ينفخ فيه الروح من الطين على هيئته السوية دون أن يمر بمراحل ودون أن يتطور من مخلوقات أخرى لتتضح معجزة الخلق الأول : ﴿ كن فيكون ﴾ . هذا ما أشارت اليه الآية التالية :

﴿ واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ .

---

(١) سورة المؤمنون الاية : ١٢

(٢) سورة الروم الاية : ٢٠

والآية تدل على الحقائق التالية :

١ — أن خلق آدم كان من الصلصال الذى كان من حمأ مسنون ٠٠ والحمأ المسنون هو الطين الأسود المنتن ٠ والمسنون : الذى أسن وتغير وهو صفة للحمأ ٠٠

اذن ان بشرية آدم جاءت مباشرة من الصلصال لا من القرود ٠٠ هذا ما فهمناه من كتاب ربنا ٠٠ والذى فهم غير هذا فعليه أن يأتى بدليل آخر من القرآن نفسه ٠٠

٢ — أن خلق آدم كان أولا بدون الروح : والداروينيون لا يقولون بهذا وانما قالوا ان نشأة الحياة كانت من طين المستنقعات التى تتصاعد منه الغازات الكريهة الرائحة ٠٠ وهى غاز الميثان ( ) وغاز كبريتوز الهيدروجين ( ) وغاز النشادر (الأمونيا) ( ) (١) ٠

فقالوا ان هذه الحياة هى التى تطورت حتى تفرعت عنها الأنواع كلها ٠٠ والغريب أن نجد بعض المفكرين الاسلاميين يصدقون هذه الخرافة كأمثال الدكتور محمد البار فى كتابه : (خلق الانسان بين الطب والقرآن) يقول فيه :

" وترى صورة ضخمة فى قاعة المتحف الطبيعى (بلندن) تصور كيف تجمعت هذه الغازات المنتنة من الحمأ المسنون لتكون الأحماض الأمينية ثم كيف تطورت هذه لتكون البروتينات وأهمها الحامض النووى الذى به سر الحياة " (٢) ٠

ثم استدل بقوله تعالى :

﴿ واذ قال ربك للملائكة ، انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون ، فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ﴾٠

---

(١) راجع كتاب خلق الانسان بين الطب والقرآن د٠ محمد البار ص١٠
(٢) المرجع السابق ص ١٠

نقال : الحمأ : الطين الأسود المنتن . والمسنون : الذى أسن وتغير ويرى أن هذه الآية تدل على ما قاله العلم الحديث من أن الحياة نشأت من الطين الآسن .

فنحن نقول : ان هذا الاستدلال في غير محله وذلك للأمور الآتية :

ان الآية تشير بوضوح الى أن الروح أو الحياة ، ليست من الطين الآسن ، وانما هى شىء زائد على الطين قد نفخه الله في آدم بعد ما أتم خلقه من الطين .. بينما العلم الحديث ـ كما قال الدكتور ـ تشير الى أن الحياة جاءت مباشرة من الطين وكانت جرثومة صغيرة ثم تفرعت منها جميع الكائنات الحية .. فشتان بين هذه الصورة ، وتلك الصورة ..

لأن الصورة الأولى تقول : ان الله هو الذى نفخ الروح في آدم بعد أن جاوز المراحل الطينية كلها (أى التراب ـ ثم الطين المسنون ـ ثم الصلصال كالفخار) ولكن الصورة الثانية تصرح بأن الحياة بدأت بصدفة على وجه الأرض ثم تطورت من (أميبا) الى النبات ثم الى الحيوان وكان آدم (الانسان الأول الذى لا يتكلم وليس له ادراك) في نهاية هذا التطور ...

هل هذه هى الصورة الطاهرة تشبه تلك الصورة القذرة ؟

ثم لم تكتف الآية بذلك ، ولكن قالت ان خلق آدم تم في السماء على مشهد من الملائكة وفى حفل حافل ..

ولكن التطوريين يقولون : ان خلقه بدأ فى الأرض وتم فيها بدون أية حكمة ولا ارادة ولا أى تدخل خارجى وانما كانت الجرثومة تتخبط خبط عشواء .. فاذا البرغوث يصبح جملا واذا الجمل يصبح بعوضة واذا (الفوريلا) يقلع ذنبه ليصبح انسانا ذا عقل وروية وتفكير هل هذه الصورة كتلك ؟ الجواب لا !

---

(١) خلق الانسان بين الطب والقرآن ـ د . محمد البار ص ١٠

فكان من حق الدكتور أن يكفر كل قائل بنفي تدخل الله في الكـــون أو في عملية التطـور ومن حقه أيضا أن يكفر (١) كل من يقول : ان أبانا آدم كان غـير مكتمل العقل وكان لا يتكلم ولا يدرك شيئا ، لأنه تكذيب للقــرآن الكريم ، ولانه ينفي قصة آدم وحواء (الوارد ذكرها صراحة في القــرآن) نفيا تاما ..

يضاف الى هذا أن قصة وجود انسان أول لا يعقل ولا يدرك ولا يتكلم (كما هي قواعد نظرية داروين) هي قصة مبنيـة (باعتراف قطبيها داروين) على الفرض والتخمين والظـن . ومن السفه أن ينفي الانسان (وخاصة المسلم) قصة آدم وحواء المذكورة في القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديــــه ولا من خلفه ، ليصدق قصة ليس لها أي ظل من الحقيقة ، قصة أساسهـا الفرض والحدس والتخمين لا القطع واليقين .. ان الخرافة تظـل دائمــــا خرافة ولو وجدت صورتها في المتحف البريطاني والفرنسي والأمريكانـــي أو الروسي .

* * *

وان كنت تعجب فاعجب قولهم : اذا أصبحت هذه النظرية حقيقيــة سوف نؤول النصوص التي تدل على الخلق المباشر للتوفيق بين القرآن وبين النظريـة ..

---

(١) ان الدكتور بعد ما أكد صحة هذه النظرية بالآية السابقة ، رجـــع فقال في الصفحة التالية : " ولم ينشرح صدري لما توصلت اليه .. " اذا كان قوله هذا حقا فلم يستدل بالآية لأجل بيان صحتها .. ولم يكتف بذلك بل استشهد على صحتها بأقوال لابن خلدون في مقدمته .. فقال : وأنت ترى ما جاء في كلام ابن خلدون تصريحا أقوى مما جاء في نظرية (داروين) في كتاب النشوء والارتقاء .. ان هذا يدل على أنه كان يؤمن بالنظريـــة التطوريـة الداروينيـة الخرافية .

نقول لهم : هل رأيتم باطلا انقلب حقيقة ؟

هل رأيتم حقا انقلب باطلا ؟

اذا تعذر ذلك فكيف تصبح النظرية التى ثبت بطلانها ، حقيقة ؟

وكيف ينتقل الحق الواضح الذى رأيناه في كتاب ربنا الى باطل ؟

ولن تتحقق أمنيتكم هذه حتى يشيب الغراب ان شاء الله ..

أدلة من السنة :

قد رأينا نصوصا قرآنية تؤكد أن آدم قد خلق خلقا لا تطور فيه ، والآن نريد أن نأتى بأحاديث صحاح لنؤكد بها أن القول بأن النصوص التى وردت فى الكتاب والسنة نصوص محتملة ، قول قد جانب الصواب ولا يجوز لمسلم أن يتفوه به أبدا .. واليك أحاديث بهذا الصدد ..

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" ان الله عز وجل ، خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم على قدر الأرض ، فجاء منهم : الأحمر والأسود وبين ذلك ، والسهل والحزن ، والطيب والخبيث " قال الترمذى : (حديث حسن صحيح) .

وقال عليه الصلاة والسلام : " لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح ، عطس ، فقال : الحمد لله ، فحمد الله باذنه . فقال له ربه :

رحمك الله يا آدم ، اذهب الى اولئك الملائكة — الى الملأ منهم جلوس فقال :السلام عليكم .. فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع الى ربه فقال : ان هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم " (١)

ان هذين الحديثين لا يدعا مجالا للشك من أن آدم خلق خلقا مباشرا وهو كامل فى عقله على تمام الادراك .. وقد تم خلقه فى السماء فى وسط الملائكة ، ان هذا يخالف أباطيلهم التى تقول ان تطور الحياة كله حصل فى الأرض .. وتم فيها .. ولست أدرى كيف يؤولون هذين الحديثين اذا أصبحت النظرية حقيقة ملموسة كما يرجون ؟

---

(١) الله جل جلاله ، سعيد حوى ص ٥٠

التطور في المستقبل

يدعي أنصار داروين أن التطور كما حصل في الماضي السحيق فهو مستمر الى المستقبل البعيد :

وقد قال جوليان هكسلى كلمته الشهيرة :

" من المسلم به أن الانسان في الوقت الحاضر سيد المخلوقات ولكن قد تحل محله القطة أو الفأر ".

نحن نتحداهم بالقرآن قائلين : ان ذلك لن يحصل أبدا كما لم يحصل في الماضي . وذلك أن الله تعالى أخبرنا أن هذا القرآن محفوظ فهو الحجة البالغة الى يوم القيامة : ﴿ نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ﴾ (١)

ان كان القرآن محفوظا فالنوع الانساني كذلك يبقى غير متطور .. لأنه لو تطور فمن الذى يقرأ القرآن ؟ أتقرأه القطة أو الفأر ؟

ان هذا مستحيل : ويدل دلالة واضحة أن لا تطور في المستقبل كما تخيله هؤلاء الداروينيون .

ثم ان الله تعالى أخبرنا أن القيامة تقوم والنوع الانساني باق على انسانيته. يقول تعالى : ﴿ اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت .... الى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت ﴾

ان هذه الأمثلة البسيطة تدل على عدم التطور في المستقبل والا يأتي يوم القيامة لا يوجد على وجه الأرض أحد من الناس لأنهم قد يتطوروا الى الديدان التي لا تكليف عليها .

هل رأيت كيف أدت هذه الفكرة التطورية الى الغاء يوم القيامة ؟ والى تعطيل تعاليم القرآن العظيم ؟ لأنه قد تأتي أزمان لا يوجد أحد يحفظ القرآن لأنهم قد تطوروا الى أنواع من الحشرات ..

---

(١) سورة التكوير آية :١٣

هل يرضى طائفة الذين يرجون تحقيق الفكرة التطورية فى المستقبل ، بهذه النتائج ؟

ان كانوا لا يرضون بها فليقولوا للناس صراحة أن لا تطور فى المستقبل .. آية أخرى تنفى التطور العضوى بكامله :

﴿ وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (١)

ان هذه تنقض التطور فى المستقبل وفى الماضى معا .. لأن النحل كان ولم يزل يخرج لنا العسل منذ أن وجد فوق الأرض انسان ..

فمنذ أن عرف الانسان النحل والعسل ، ومنذ وجد هذا النحل على وجه الأرض (ومنذ الاف السنين) وطريقتهما فى الانتاج هى هى كما أخبر به القرآن .. ان دل هذا على شئ فانما يدل على أن التطور لم يحصل فى الماضى .. ولو كانت هذه النظرية صحيحة للاحظ الانسان طيلة هذه الالاف من السنين ـ شيئا من التطور والارتقاء على هذا النحل .. لا سيما وأن النحل قد تواتر أمره فى جميع بقاع الأرض منذ أقدم العصور لارتباط وجوده بوجود العسل الذى لا يمكن انتاجه الا عن طريق هذا النحل وحسب النظام الالهى الذى يسير عليه دائما ..

ولن يحصل هذا التطور أبدا فى المستقبل بدليل أن هذا النحل لو يحدث عليه شئ من التطور والتحول (وحسب النواميس التى وضعها الداروينيون لنظرية التطور والارتقاء) لا نفقد الانسان مادة العسل الى الأبد .. لأنه قد يكون قد تطور وارتقى الى أى نوع من الأحياء لا يصح له تركيبه الجديد ، وشكله الجديد بانتاج هذه المادة .. لأنه قد يصبح ديكا أو نسرا أو ظبيا أو ما شابه ذلك من الحيوانات ..

---

(١) سورة النحل الآية : ٦٨

وهكذا فان واقع النحل والعسل لمن أقوى الأدلة على عدم صحة نظرية التطور والارتقاء في الماضي والمستقبل ..

ولأجل هذا كله نستغرب من هؤلاء العقول الكبار حين صدقوا هـــــذه النظريـة حتى توهموا صحتها في المستقبل ..

نظريـة قد رفضها كل ذوى العقول في أوربا ، فكيف يؤمن بهـــــا علمائنا الكبار ان هذا لغريب من غرائب الكون ..

علماء غربيون يرفضون النظريـة

وقبل أن ننتقل الى الجزء التالي ، نسوق اليك تصريحات من أنصـــــار الداروينيـة قد تراجـع أصحابها عن هذه النظريـة لما تأملوا فيها بالدقة ،

يقول العلامة (والاس) : " ان الارتقاء بالانتخاب الطبيعى لا يصدق على الانسان ، ولا بد من القول بخلقه رأسا " (١) ، وهذا الأستاذ كان من أشــد مناصرى هذه النظريـة ، ومع ذلك أنكر على استاذه داروين القـــول بأن يكون الانسان قد تم تكوينه على طريقـة التطور والارتقاء ..

وقال الأستاذ (فرضـو) انه يتبين لنا من الواقع بين الانسان والقــــرد فرقا بعيدا ، فلا يمكننا أن نحكم بأن الانسان سلالة قـرد أو غـيره من البهائم ، ولا يحسن أن نتفـوه بذلك " .

وقال (ميفرت) : ان مذهب داروين لا يمكن تأييده وانه رأى من آراء الصبيان " .

أما العلامـة (أغـا سير) فقد حكم على مذهب داروين بالبطـلان وذلـك في رسالة أصدرها تحت عـنوان (أصل الأنواع) وتلاها في ندوة العلـم الفكتوريـة فقال فيها ما خلاصته :

" ان مذهب داروين خطأ علمى باطل في الواقع ، وأسلوبه ليس من أساليب العلم بشئ ، ولا طائل تحته " .

هكسلي يرد على صديقه داروين :

أما العلامة (هكسلي) فبالرغم من أنه على مذهب (اللاأدرية) وصديق حميم لداروين ، فقد تراجع عما كان عليه من تأييد جميع القوانين الداروينية فقد صح عنه أخيرا أنه قال :

" انه بموجب ما لنا من البينات لم تبرهن قط أن نوعا من النباتات أو الحيوان نشأ من الانتخاب الطبيعي أو الانتخاب الصناعي " (١)

ودعا العلامة (تندل) الى عدم الاهتمام بمذهب داروين فقال :

" انه لا ريب في أن الذين يعتقدون الارتقاء يجهلون أنه نتيجة مقدمات لم يسلم بها .. ومن المحقق عندي أنه لا بد من تغيير مذهب داروين ".

وأخيرا قال العالم الايطالي (روزا) ان الاختيار الاصطناعي الذى جر به بنو الانسان في خلال الستين سنة الماضية دليل عظيم ضد نظرية داروين ." (٢)

وبعد هذه الجولة الطويلة نستطيع أن نثبت الحقائق التالية :

(١)ـ أنه توجد في القرآن الكريم نصوص صريحة في الخلق المباشر لأبينا آدم عليه السلام خلافا لما ذهب اليه بعض علمائنا ..

(٢)ـ التطور العضوي للكائنات الحية تتعارض مع القرآن كله .. وذلك أن القرآن الكريم قد عين أسماء بعض الكائنات الحية كالنحل وغيرها وذكر أن فيه شفاء ، ولو تطور النحل تبقى هذه الآية المتعلقة به بلا معنى ، لأن الناس لن يعرفوا النحل بعد تطوره فيما بعد .

(٣)ـ ثم ان الانسان لو تطور الى كائن آخر من الذى يقوم ـ حينئذ ـ بالتكاليف الربانية ؟

---

(١) هذه النقول عن كتاب الاسلام ونظرية داروين ـ أحمد باشميل ص ٤٥

(٢) المرجع السابق ص ٥٤

وكل هذا يوضح توضيحا لا غموض فيه أن الانسان لن يتطور أبدا في المستقبل فضلا عن أن يكون متطورا في الماضي ..

يبدو أن علماءنا الذين أرادوا التوفيق بين هذه الفكرة وبين القرآن لم يلاحظوا هذه الناحية .. أو لاحظوها ولكنهم أعرضوا عنها لحاجة في نفوسهم .. فما هي هذه الحاجة اذن ؟

حاجة في نفوسهم

ومن يتأمل في أقوال علمائنا الذين أيدوا مذهب التطور ، يجد أن الذي دفعهم الى هذا القول يرجع الى الأمور الآتية :

١ — مجاراة الأوربيين حتى لا يتهموا ديننا بأنه دين تأخر وجمود كما حصل ذلك فعلا في الديانة المسيحية ..

٢ — اثبات أن ديننا يتمشى مع كل زمان ومكان ..

٣ — الاسلام دين الفكر والعلم والبحث يتوسع لجميع الأفكار ..

استخلصنا هذه الأمور الثلاثة من تقرير الشيخ محمد فريد وجدى السابق الذي يقول فيه :

" ان هؤلاء الناس الذين يعادون قوانين مذهب داروين كله لأجل نتيجته لا يدرون أنه قد أقام أقوى البراهين الحية على حقائق قرآنية ، كان الغربيون لولاه يتوهمون أنها جهالتنا الضعيفة التي يبرهنون بها على عدم حقية ديننا " (١)

فنقول نعم ! ان الاسلام فرض على الناس الفكر والبحث ، وآيات القرآن في هذا المعنى كثيرة ..

﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾ (٢)

﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض ﴾ (٣)

---

(١)

(٢) سورة الاعراف آية : ١٨٥ (٣) سورة يونس آية : ١٠١

﴿ أولم يتفكروا فى أنفسهم ؟ ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما الا بالحق وأجل مسمى ﴾ (١)

نعم ! ان الاسلام فرض على الناس العلم ، والآثار الواردة فى الحث على العلم كثيرة وكذلك الايات التى تبين أن العالمين بالكون أعرف بالله :

﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض ، واختلاف ألسنتكم وألوانكم ان فى ذلك لآيات للعالمين ﴾ (٢)

﴿ الم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه . كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (٣)

ومن البديهى بعد هذا ، أن ما وصل اليه الفكر والعلم يفترض على المسلم أن يقول به ، ولا يقول بخلافه ، وقد يحدث أن يوجد بعض المسلمين الجاهلين ، وحتى ممن ينتسبون الى العلم ، ومن يعارض بعض الحقائق العلمية ، ولكن فى هذه الحالة يبقى رأيهم شخصيا ، وهم فيه خاطئون ويؤاخذهم على ذلك عامة المسلمين وعلماؤهم .

ولقد قال أبو حامد الغزالى الامام فى كتابه (تهافت الفلاسفة) حاملا على علماء الدين ، المنكرين للحقائق العلمية ، كمعرفة وقت الكسوف والخسوف وغيرها :

" ومن ظن أن المناظرة فى ابطال هذا من الدين فقد جنى على الدين وضعّف أمره ، فان هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تبقى معها ريبة فمن يطلع عليها ويتحقق من أدلتها ، ثم يقال له : ان هذا على خلاف الشرع لم يسترب فيه ، وانما يسترب فى الشرع ، وضرر الشرع ممن ينصره لا بطريقه أكثر من ضرره ممن يطعن فيه ، وهو كما قيل : (عدو عاقل خير من صديق جاهل) (٤) ، انه ليس من المعقول أن يأمرنا الله عز وجل بالبحث والعلم والنظر

---

(١) سورة الروم آية : ٨ (٢) سورة الروم آية : ٢٢
(٣) سورة فاطر آية : ٢٧
(٤) راجع الله جل جلاله ، سعيد حوى ص ٤٧

والمعرفة ، ثم يحرم علينا أن نأخذ بنتائج هذا العلم والبحث والمعرفة؟
بل على العكس اذا أمرنا بالفكر أمرنا بالأخذ بنتائج الفكر وهكذا ...

ولكن اذا كان الاسلام دينا علميا والمسلم على التفكير والاتجاه، وهدفه أن يصل الى الحقيقة العلمية المركزة ، فليس معنى هذا أن يقبل الظن ، أو الفرضية ، أو النظرية على أنها حقيقة علمية ..

ان المسلم يجب أن يقف أبدا على أرض من صخر في عالم الفكر .

ان الله الذى حرم علينا أن لا نذعن للحقيقة ، لم يرض لنا أن نقبل شيئا دون برهان ، أو نعتبر الفرضية والنظرية حقيقة ، فنأخذ على أنها مسلمة ..

﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا ﴾ (١)

وهذا هو الفارق الكبير بين العقلية الاسلامية والعقلية الأخرى .

العقلية الاسلامية عقلية علمية ثابتة لا تقبل شيئا دون برهان وعلى ضوء هذا نود أن نقف وقفة عند تقرير الشيخ محمد فريد وجدى السابق ...

---

(١) سورة الاسراء آية : ٣٦

الأستاذ محمد فريد وجدى والتطور

وأما قول الأستاذ فريد وجدى أن الداروينية قد أقام أقوى البراهيـــن الحية على حقائق قرآنية ، نود أن يوضحه هنا ، وبيان ذلك أن الأستاذ يرى أن القوانين الداروينية حقيقة من حقائق الكون فلذا سنجده بعد قليـــل يقارن بين تلك القوانين وبين بعض النصوص من القرآن ليبرهن على صحتها ، كتب يقـول :

" أساس مذهب " داروين " أن العالم خاضع لنواميس : منها نامـــوس تنازع البقاء ، ونصه ، في الكتاب الالهي :

+ ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ﴾

ثم قال وهو يشرح الآية على طريقته الخاصة :

" قد أشار الله تعالى الى سرّ الغلبة في هذا التنازع وهي القوة لقولـه تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قـوة ﴾

وأضاف قائلا :

" بهذه الآيات جمع النبي صلى الله عليه وسلم الى صفات القوة الجسدية أعلى صفات الكمالية الانسانية ، وبثها في أفئدة أصحابه فدانت لهم الدنيـــا وأصبحوا ملوك الأرض .. "

ثم قال أخـيرا :

" ويقول (داروين وأحزابه : اذا سلمت أن تنازع البقاء ناموس من نواميس الكون ، فلا مناص لك أن تسلم بحصول غلبة لبعض المتنازعين ، وخذلان للبعض الآخـر .

يعني تلك الغلبة وذلك الخذلان بلسان علم الحياة : (البقاء والتلاشى) بمعنى أن الحزب الغالب يبقى متمتعا بما افتتحه بقوته ومهارته .. وأما الحـــزب المغلوب سيزول ويدع الجو خاليا لخصومه .. " هذا ما قرره الأستاذ محمـــد فريد وجدى (1) . واليك ما نراه في الموضوع :

(1) تلخيص عن كتابه الاسلام في عصر العلم نقلا عن كتاب الدين والعلم الحديث ، تأليف ، ابراهيم عبد الباقي ص ٧٥ ـ ٧٦

الاستدلال فيه نظــــر

ومن تدبر في تقرير الاستاذ (فريد وجدى) يجد أنه يدور حول شيئيــن أساسيين :

أولا — ان الأنواع الدنيا الضعاف ، لا تجتمع مع العليا لأنها ستزول وتخلى الجـو لخصومها .. بل تتعاقب وتسبق الأولى الثانية أبدا ..

ان هذا التقرير خـــلاف ما نجده في عالم المستحاثات وتسلسلها الزمنــي التاريخي حسب الأعمار كما نجده في الأحــياء جنبا الى جنب .. (١)

اذا عدنا الى القرآن الكريم وجدناه يؤكــد على أن الله يختار من خلقـــه للبقاء في الكون ما يشاء ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيـــرة ، سبحان الله وتعالى عما يشركون ﴾ (٢)

الآيــة تنص على أن أى شخص يسند الخيرة الى الناس أو الى القــوة دون الله فهو من المشركين .. لأنه أشرك غــير الله مع الله في تسيير الكون ..

وبذلك نكون قد نفينا تعبيرات الشرك التى نجدها في كل مؤلف كتب عن هذا الموضوع .

ثانيا — مفهوم الأصلح : يؤكد مذهب داورين أن الأصلح هو من يستطيع أن يستولي — بأى وسيلة كانت — على ممتلكات الغير ، بالقوة والثورة والعنـــف كما يفعل سكان الغاب من ذى ناب ومخلب وظفر ..

هذا الذى أبده الأستاذ (فريد وجدى) واستدل له بآيات قرآنيـــة ؟ منها قوله تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قــوة ﴾

ان كانت الآيــة تأمر المسلمين بالاستعدادات الحربية ارهابا لقلوب اعــداء الله ، ولكن لا يفهم منها أبدا الحث على أخذ ممتلكات الغير لأجل الغلبـــة

---

(١) راجع التطور والانسان ، حسن زينو ص ٠ ٢

(٢) سورة القصص الآية : ٦٨

والعلو فى الأرض فحسب .

المسلمون في جهادهم لم تكن تهمهم أنفسهم بقدر ما يهمهم اعلاء كلمة الله .. اذن لا يمكن الاستدلال بهذه الآية وأمثالها تأييدا لمذهب تنازع البقاء الذى اخترعه داروين وأعوانه ..

وأما مفهوم الأصلح فى الاسلام يتمثل فى الدينونة لله تعالى فى التصور الاعتقادى ، وفى الشريعة والاتباع والشعائر التعبدية ..

وبتعبير آخر : هو الايمان بالله وتطبيق شريعته .. ان ذلك هو سبب بقاء الأمم والحضارات في الدنيا وسبب تغلب الضعفاء المتقين على الأقوياء الكافرين والشيطان ..

وكما ان الذنوب والفسق عن أمر الله واتباع المنكر والشيطان هى سبب الهلاك والزوال ..

ولا ينكر عاقل أن الاستعداد قبل الحرب من أسباب النصر أنه مأمور به ، ولكنه بدون الايمان والصلاح يصبح هزيمة نكراء على أصحابه .. هذا ما تشهد به الآية التالية :

﴿ فلما نسوا ما ذكروا به ، فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون ﴾

نسوق اليك قصتين لتوضيح هذه النقطة التى خفيت على كثير من الباحثين . قصة فى الماضى البعيد ، وقصة أخرى فى الماضى القريب :

القصة الأولى :

هى قصة استخلاف بنى اسرائيل ونصرهم على الفراعنة ، انها ليست صراع ذئاب ولا غلبة القوى على الضعيف وانما العكس انتصار الايمان والحجة على يد موسى ضد طاغوت فرعون مصر ، انتصار تلب عليه السحرة فآمنوا وآثروا الموت من تلك اللحظة ﴿ قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذى فطرنا فاقض ما أنت قاض ، انما تقضى هذه الحياة الدنيا .. انا آمنا بربنا ليغفر

لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى ٠٠ انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا ٠٠ ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ﴾ (١)

﴿ ثم أورثنا الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ﴾ (٢)

﴿ قالوا يا نوح انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز ﴾ (٣)

والقصة واضحة ولا تحتاج الى توضيح آخر ٠ فهى اذن تخالف تقريرات الأستاذ محمد فريد وجدى مخالفة تامة الذى يرى أن الغلبة للقوى دائما فأرجو من القارئ الكريم امعان النظر فيما قلناه ٠٠

القصة الثانية :

هى قصة قيادة سعد ووصية عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ٠٠

وانتخب عمر رضى الله عنه لقيادة هذا الجيش العظيم سعد بن أبى وقاص الزهرى القرشى خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠٠ فولاه وصاه ، وكان فيما قال له :

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

أما بعد :

" فانى آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فان تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة فى الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراسا منكم من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من

---

(١) سورة طه الاية : ٧٤
(٢) سورة الأعراف : ١٣٧
(٣) سورة هود الاية : ٩١

عدوهم ، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ولو ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، وعدتنا ليست كعدتهم ، فان استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، والا ننتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ..

فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله .

ولا تقولوا ان عدونا شر منا فلن يسلط علينا ، فرب قوم سلط عليهم من هو شر منهم ، كما سلط على بني اسرائيل لما عملوا بالمعاصي كفار المجوس فجاسوا خلال الديار ، وكان وعدا مفعولا .

وسلوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم وأسأل الله ذلك لنا ولكم " (١)

وهناك العديد من الأمثلة ، ولكن الذى ذكرنا فيه الكفاية من التطويل ..

وهكذا رأينا أن الصراع على البقاء ليس هدفا اسلاميا ، وانما هو فكر مادى استعمارى بحت ، لا أخلاقى .. لانه يهدف أول ما يهدف الى الاستيلاء على الشعوب الضعاف .

ولا يجهل أحد من العقلاء أن الانتصار لا يتم فى هذا العالم المادى بدون معرفة أساليب الحرب ومعرفة كيفية الاستعمال للآلات الحربية ، ولكن ذلك ليس هو القانون العام الذى يسير عليه العالم فى بقاء الأمم وانقراض الآخرين .

كما عرفنا أن شجاعة شخص ما مهما بلغت لا تكفيه ليدق المسمار بقبضته البدوية فلا بد له من مطرقة .. ولكن هذه الوسائل وحدها لا تكفى - كما هو ظن الملحدين - فلا بد من الصبر على الطاعة أولا والصبر عن المعصية ثانيا والصبر على ضربات العدو ثالثا ..

---

(١) اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ، محمد الخضرى رحمه الله تعالى ص ٦٨ مكتبة دار الدعوة بحلب ، الطبعة الأولى المحققة ١٣٩٨هـ

وأية أمة تتوفر فيها هذه الشروط الثلاثة هي الغالبة ولن كانت أقل عددا وأضعف جندا .. هذا ما تشهد عليه الآية التالية :

﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بأذن الله والله مع الصابرين ﴾ (١)

هذه الشروط هي التي توفرت في الفاتح الكبير (صلاح الدين الأيوبي ـ حين هزم أمامه جيوش الافرنج ، انه لم يكن يتمتع بالشجاعة فقط ومعرفة فنون الحرب ، أولم تكن بلاده تتبوأ ـ من الناحية العسكرية ـ المكانة التي تحتلها الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ، فحسب .. ولكنه أيضا يتمتع بما هو أقوى من كل ذلك : وهو الايمان بالله وتطبيق شريعته، واجتناب المنكرات . يقول الله تعالى ﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴾ (٢)

وانطلاقا من هذا المبدأ السامي ندرك أن الذين أرادوا أن يدافعوا عن الاسلام بهذه النظرية التي لم تصل بعد الى الحقائق ـ ولن تصل أبدا ـ قد جانبوا الصواب . ولكن الله تعالى سيجزيهم عن نيتهم الطيبة ان شاء الله .. وأما نحن لا نأخذ بهذه النظرية لبعدها عن الصواب .. ولاقامة البراهين القاطعة على بطلانه ..

وبعد هذا ننتقل الى الجزء الأخير ، وهو مصير داروين ..

مصير داروين

ان الذي يتأمل في المعطيات التاريخية ، يجد أن لداروين ثلاثة تطورات

- الطور الأول كان فيه مؤمنا
- الطور الثاني كان فيه شاكا
- الطور الثالث كان فيه ملحدا

---

(١) سورة البقرة الاية : (٢) سورة التوبة الاية : ٢٥

واليك شرحا موجزا لكل من هذه الأطوار الثلاثة :

الأول : ان دارو ين كان في البداية أمره ينفي عن نفسه تهمة الكفر والالحاد فقد كتب مرة الى أحد اصدقائه يقول .. " انه لا يعرف لماذا يتهمه الناس بالكفر والالحاد مع أنه لا يعتقد أن نظريته تنفي وجود اله للكون (١) " هذا يدل على أنه كان مؤمنا .. فلننتقل الى الطور الثاني .

الثاني :— بينما نرى داروين هكذا ينفي عن نفسه تهمة الكفر والالحاد اذ بنا نجده في موضع آخر يعلن تردده في الاعتراف بوجود الله تعالى فقد كتب سنة ١٨٧٩ م الى المستر (فوردايس) صاحب كتاب ملامح من الشكوكية ، عندما سأله عن عقيدته الدينية ، كتب اليه يقول :

" ان آرائي الخاصة مسألة لا خطر لها ولا تعني أحدا غيري ، ولكنك سألتني فاسمح لنفسي أن أقول انني متردد ، ولكنني في أقصى خطوات هذا التردد لم أكن قط ملحدا بالمعنى الذي يفهم فيه الالحاد انه انكار وجود الله واحسب أن وصف اللاأدري يصدق في أكثر الأوقات — لا في جميعها — كلما تقدمت الأيام " .

وقد كتب قبل ذلك .. سنة ١٨٧٣ م الى طالب هولندي سأله عن عقيدته الدينية فقال :

" ان استحالة تصور هذا الكون العظيم العجيب وفي نفوسنا الشاعرة قائما على مجرد المصادفة — هي في نظري أقوى البراهين على وجود الله ولكنني لم أستطع أن أقرر قيمة هذا البرهان .. "

وأخيرا كتب هذه المقالة / الآتية الى الطالب نفسه فيقول : "انه لا يرى دليلا على الوحي وأن الايمان بالبعث متروك لكل من يشاء أن يتخذ له فيه معتقدا بين المحتملات المتضاربة .. " (٢)

---

(١) عقائد المفكرين ، العقاد ص ٥٥ راجع ايضا الانسان بين المادية والاسلام ، محمد قطب ص٢٣

(٢) الاسلام ونظرية داروين ، محمد احمد باشميل ص ١١٢

ان هذه التصريحات من داروين ان دلّ على شيء فانما يدل على أن داروين كان في هذه المرحلة شاكا في وجود الله عز وجل ، وقد يكون أكثر ميـــلا الى الالحاد والكفر .

ولكن داروين لم يصرح بالالحاد في هذه المرحلة المتوسطة من حياتـــه فانه قـد صرح في آخر عمره عن الحاده وكفره بالله تعالى .

الثالث : كفر داروين والحاده :

فقد صح عـنه قوله : " لم أكـن واثقا من اعتقادي بالله ولكنني واثـق تماما من اعتقادي بالانسان .

ونقل عـنه أنه قال :

" ان الاعتراف بوجود خالق له ارادة في الخلق ، هو بمثابة ادخـال عنصر خارق للطبيعة في وضـع ميكانيكي بحت " (١)

ان هذه اشارة صريحـة من داروين الى أنه ينفي تدخل الله فـــــي عـملية التطور وأن وجوده ليس ضرورة لرعاية هذا الكون المـادي " .

هل اكتفى داروين بنفي تدخل الله في الكون فحسب ؟ لا ! بـل ذهب الى أبعد من ذلك ، انه قد أعلن كـفره والحاده قبل أن يمـوت ..

وقد اعترف بالحاده في خطاب وجهه الى صديقه (غراي) في جامعـــة (هارفارد) ، قال فيه : عليّ أن أخبرك ـ كرجل شريف ـ بأني بلغـــت غاية الهرطقة والالحاد في قولي أنه ليس ثمة من أنواع مستقلة الخلق ولعلك ستحقرني من أجل ذلك " .

ولم يكتف داروين بهذا الاعلان الالحادي بل ندم على استعمالــه لفظ الخلق في كتابه أصل الأنواع .. فهذا الاستاذ يوسف كرم يوضـــح ذلك بقوله : (٢)

---

(١) الانسان بين المادية والاسلام ، محمد قطب ص ٢١

(٢) عاقرة العلم ص ١٧٦ نقلا عن كتاب الاسلام ونظرية داروين ص ١١٤

" وقد كان (دلروين) مؤمنا بالله الى وقت ظهور كتابه (أصل الأنواع) الذي قال في ختامه ان الصور الحية الأولى مخلوقة ، ثم تطور فكره شيئا فشيئا حتى أعلن أسفه لاستعماله لفظ الخلق مجاراة للرأى العام ، وصرّح بأن الحياة لغز من الألغاز وأن ما في العالم من ألم يعدل بنا عن القول بعناية الهية .. " (١)

فقد ظهر لنا هنا أن داروين اتخذ وجود الشر في الكون دليلا لانكار وجود الله عز وجل ..

وشهد شاهد من أهله :

ولعل أقوى شهادة لدينا على كفر داروين والحاده هي شهادة زوجته التي قالت بعد موته :

" لا ريب عندي في أن داروين قد كفر بالله سبحانه وتعالى ، ولكن الله غفور رحيم وهو سيصفح عنه " (٢)

وهكذا كان مصير داروين .. لقد اتضح سرّ اختلاف الناس في ايمان داروين . وأن الكل صادق فيما وصف به داروين .

قد كان مؤمنا في أول أمره ولذا قال الفريق الأول انه مؤمن ولعلّ هذا الفريق لم يطلع على ما صرّح به داروين من كفر والحاد . ثم صار شاكا ومصانعا للرأى العام ، ولذا قال الفريق الثاني أنه منافق ، ثم كان مصيره الى الالحاد والتعطيل الصريح آخر أيامه .. ولذا يقول الفريق الثالث أنه ملحد ويدعو الى محاربته ومحاربة أفكاره الالحادية التي كتبها في كتابه المشهور (أصل الأنواع).

---

(١) تاريخ الفلسفة الحديثة ، يوسف كرم ص٣٣٦

(٢) عباقرة العلم ص ١٨٤ نقلا عن كتاب الاسلام ونظرية داروين ، باشميل ص ١١٤

موقفنا من النظريـــة

لقد نقلنا الأقوال فى خلال هذا البحث ، وناقشنا بعض الآراء لنبرهـــن على أن نظريـة التطور ليست إلا من قبيل الفرضيات التى لم يقم عليها برهـان قاطع ، ولولا أن الصهيونية العالمية والشيوعية ، كل واحد منهما تتبناهـا ، لبهى فى النفس كامن ، لنقضت من زمن نتيجة للحملات العلمية المركزة التى قام بها آلاف من العلماء عليها ... ان بروتوكولات حكماء صهيون ، تذكــر أنها هى التى مهدت لنجاح داروين وقصدها من ذلك تحطيم الأديـان فى أنفس البشر غير اليهود ..

والشيوعية تتمسك بها ـ كتمسك لا بد منه ولو باطلا ـ لاثبات المادية الجدلية .

أما موقفنا نحن المسلمين من هذه القضية فهو الذى ذكرناه سابقا كموقفنا من كل شىء : ما قام عليه البرهان قبلناه ، والا توقفنا فيه اذا كان النـص القرآنى محتملا ، أما اذا جزم النص القرآنى وشك فنحن مع النص جزما ..

* * *

ولا يفهم أحد هنا أن البحث عن نشأة الكون ممنوع شرعا ، فقد أمرنا اللـه أن نبحث عن نشأة الحياة :

﴿ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾

﴿ أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ﴾ (١)

ولقد أمرنا أن ننظر كيف وجدت الأحياء : ﴿ أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ﴾ (٢)

وعند الله علم اليقين : قال تعالى ﴿ فما بال القرون الأولى ؟ قال : علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى ﴾ (٣)

---

(١) سورة العنكبوت الاية ١٩ ـ ٢٠
(٢) سورة الغاشية الاية ١٧
(٣) سورة طه الاية ٥١ ـ ٥٢

فما أخبرنا عنه من ذلك لا يكون غير ، حقا ولا يكشف العلم عن سواه .
فقد رأينا أن النصوص التى تتعلق بخلق آدم كلها تؤكد الخلق المباشر .
ولا تجد نصا صريحا يدل على الخلق المتصل المتطور .. اللهم الا اذا كان من قبيل الفرضيات العقلية ..

وقد رأينا العلم الحديث أيضا لا يؤيد هذه النظرية بحال من الأحوال بل اعتبرها اسطورة من الأساطير ..

وآخر دعوانا فى ذلك قوله تعالى :

﴿ ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾

﴿ الذى أحسن كل شئ خلقه ﴾

﴿ سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى ، والذى قدر فهدى ، والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى ﴾

﴿ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شئ قدير ﴾

سبحان الذى خلق الخليقة وسوى كل مخلوق فى أحسن الهيئات وجعل بعضهم يمشى على بطنه من أصل خلقته وبعضهم على رجلين منذ بداية خلقه وبعضهم على أربع كما أراد الله لأنه يخلق ما يشاء ولا يعجزه شئ .. ولم يسند هذا للطبيعة العمياء ولا للانتخاب الطبيعى كما يدعون ..
والحمد لله الذى أعطى كل حيوان ما يحتاج اليه من أعضاء وآلات وحواس .
وهيأ الانسان تهيئة خاصة لتحمل أعباء المسئولية والتكاليف الربانية
أحمده وأشكره ، وأصلى وأسلم على النبى الكريم .

الفصل السادس

دور اليهود في افساد أوربا

لقد رأينا في السطور السابقة أن من أهم العوامل التي أدت الى تمكين الفكرة الالحادية في أوربا الحديثة الأسباب التي ذكرناها ..

ولوسعنا أن نتحدث عن الأسباب الخفية التي قد أهملها كثير من الباحثين : وهما : (١) دور اليهود في افساد أوربا

(٢) رجوع أوربا الى ارثها الوثني القديم .

فلنلحظ .. كلا منه لمحة سريعة ..

دور اليهود في افساد أوربا :

لقد استغلت اليهودية العالمية ، هذه الظروف المحيطة بالكنيسة ورجالها ، لتوسيع الهوة التي قامت بين فكرة الدين وفكر الالحاد .. استغلتها تحقيقا لحقدهم القديم ضد غير اليهود عامة ،وحقدهم على المسيحيين بصفة خاصة من أجل ما لا قوه منهم من اضطهاد .. (١)

---

(١) ثأرهم مع المسيحية في أوربا ثأر قديم .. ثأر الاضطهاد الفظيع الذي نالوه من الحكم الروماني المسيحي ،والاذلال الذي اصابهم في كل مجتمع مسيحي فلنضرب على ذلك مثلا واحدا .. كان المسيحي يحتاج الى المال فيقترضه من اليهودي ومع ذلك يأبى الا ان يحقر مقرضه ، فلا يسلم عليه بيده ولا يلمسه انما يوقفه بعيدا عنه كالمنبوذ ويقول له آمرا موبخا : (ضع المال بعيدا واغرب عن وجهي يا خنزير . فاذا ابتعد خطوات في ذلة ذليلة ، اقترب (السيد) المسيحي ليأخذ المال الذي اقترضه من اليهودي .. اذلال لا تنساه ذاكرة اليهود .

راجع التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص٣٢

راجع أيضا مكائد يهودية عبر التاريخ ،عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٢٢

وراجع ايضا كتاب أحجار على رقعة الشطرنج ، الاميرال وليلم كار. ص١

فكرت هذه اليهودية العالمية في أن أعظم مادة تبنى بها هذا الجدار اللعين (١) مادة الالحاد والكفر بالله عز وجل ، لا قامة الحسابات الرياضية والرغبات المادية مقامه •

لأنهم يدركون جيدا أن هذه المبادئ السامية متى انهارت في قلوب الناس فقدوا — بالضرورة — كل الروادع الداخلية التي تردعهم عن الشر ••• فيقصون صرعى لهذه الشرذمة الملعونة أويكونون حميرا ليركبها " شعب الله المختار " •

وتلك كانت مهمة اليهودية العالمية • وقامت بها بنجاح منقطع النظير (٢) ونستطيع أن نجمل المخططات التي قامت بها اليهودية لافساد أوربا ، في دورين هامين :

أحدهما : — دور نظرى ، وثانيهما : — دور عملى • فكل دور منهما له أخطاره الكبيرة فلا بد من ايضاح كل منهما ولو قليلا :

الدور العملى :

وأما الدور العملي الذى قام به اليهود لافساد أوربا فأسبابه كثيرة ومتنوعة ولكننا نستطيع أن نجملها في شيئين اثنين :

(١) الثورة الفرنسية

(٢) الثورة الصناعية

---

(١) راجع كتاب مكائد يهودية عبر التاريخ ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٢٥

(٢) التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص ٢٢

راجع أيضا كاحى : ترجمة الاستاذ لويس الحاج ص١٤٦ ، ١٤٧

راجع أيضا كتاب اليهود في القرآن ، عفيف عبد الفتاح طبارة ص ٥٠ ط : السابعة •

أولا — الثورة الفرنسية الكبرى :

خلال القرن الثامن عشر الميلادى دبر اليهود مكائدهم لاقامة الثورة الفرنسية الكبرى التي اندلعت نارها في عام ١٧٨٩ م (١) كما سبق واستطاعوا أن يجنوا الثمرات لأنفسهم ، على حساب الأمم والشعوب . والدماء التي اهرقت من جرائها لا تعد ولا تحصى واستطاعوا أن يظلوا في الخفاء بعيدين عن الأضواء ، وأن يزوروا كثيرا من الحقائق التاريخية لستر مكائدهم وغاياتهم وأن يصوروا هذه الثورة وما جرت وراءها بالصورة المحببة الجميلة ، وأن يجعلوها احدى الأعمال التاريخية المجيدة . وذلك عن طريق الدعايات والاشاعات المزخرفة المقرونة بالشعارات البراقة التي انخدعت بها الجماهير وأخذت ترددها بغفلة وحماقة وجهل بما تهدف اليه كما تردد الببغاوات الكلمات التي تسمعها وهي لا تعلم ما تدل عليه .

واليك جملة تدل على صدق ما نقول :

قالوا في بروتوكولاتهم : (18)

" لقد أقنعنا الأمميين بأن مذهب التحررية سيؤدى بهم الى مملكة العقل وسيكون استبدادنا من هذه الطبيعة لأنه سيكون في مقام يقمع كل الثورات ويستأصل بالعنف اللازم كل فكرة تحررية من كل الهيئات .

" حينما لاحظ الجمهور أنه قد أعطى كل أنواع الحقوق باسم التحرر تصور نفسه انه السيد وحاول أن يفرض القوة . وان الجمهور مثله مثل كل أعمى آخر قد صادف بالضرورة عقبات لا تحصى ، ولأنه لم يرغب في الرجوع الى المنهج السابق وضع عندئذ قوته تحت اقدامنا . ثم قالوا وهو محل الشاهد :

" تذكروا الثورة الفرنسية التي نسميها (الكبرى) ان اسرار تنظيمها التمهيدى معروفة لنا جيدا لأنها من صنع أيدينا . ونحن من ذلك الحين نقود الأمم قدما من خيبة الى خيبة " (٢)

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج ، الاميرال وليام غاى كارص ١٤
(٢) البروتوكول الثالث ص (١٢٩)

هذا ما يقوله اليهود بأنهم هم الذين نظموا هذه الثورة والمسلم أن اليهود ليسوا هم الذين ينشئون الأحداث ولكنهم يستغلونها للقيام بدورهم الخطير. وقد عرفنا أن المظالم وسوء توزيع الثروة العامة كانت قائمة من قبل الأشراف والنبلاء ورجال الدين ولكنهم (اليهود) استغلوا هذه البيئة الفاسدة لبث مخططاتهم كما قلنا سابقا وليجعلوا من ذلك سندا للعامة والجماهير حتى يعرفوا أن التمسك بالدين والأخلاق والتقاليد تهمة ينبغي التبرؤ منها ..

هذه هي الثورة اليهودية التي سموها ـ بهتانا وزورا بالثورة الفرنسية ـ وهكذا جرت الأمور وتتابعت لصالح اليهودية العالمية وزوروا الحقائق التاريخية هذا ما اعترفت به دائرة المعارف الماسونية على لسان المؤرخ السياسي الاقتصادي لويس بلان: " ان الماسونية كانت ممهلا للثورة .. فقد مكثت الماسونيـــة نحو نصف قرن تمد محافلها أفكار الشعب الفرنسي للقيام بثورتــه الكبرى ولا غرابة في الأمر. فالماسونية قد اتخذت شعارا لها كلمات ثلاث: حريـــــة مساواة ، اخـاء اتخذها قبل ان تتخذها الثورة الفرنسية شعارا " (١)

تمويل الثورة الفرنسـية

أما عن تمويل الثورة الفرنسية فتعترف دائرة المعارف اليهودية أنه كـــــان وراء الثورة عدد من اليهود قاموا بتمويلها وتذكر اسماءهم صريحة وهم:

دانيال انـزج	(١٧٢٢ــ١٧٩٩)	من برلين
ديفد فريد لاندر	(١٧٥٠ــ١٨٣٤)	من برلين
هرز سيرفيبر	(١٧٣٠ــ١٨٩٣)	الالزاس
بنجامين جولد سمد	(١٧٥٥ــ١٨٠٨)	من لندن
ابراهيم جولد سمد	(١٧٥٦ــ١٨١٠)	من لندن
موزس موكاتا	(١٧٦٨ــ١٨٥٧)	من لندن

---

(١) البروتوكول الأول ص١١٩
وراجع حنا أبو راشد ص ١٥٢
نقلا عن كتاب الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ، عبدالله التل ص١٣

وهم م الملهونيرالانجليزى مونتفيوري (١) ومن المعروف ان نيكر (—) اليهودى السويسرى كان وزيرا لمالية لويس السادس عشر ملك فرنسا ، فاغرق هذا الوزيرفرنسا بالديون حتى وصلت الى ١٧٠ مليون جنيه استرليني ، وهى ديون باهظة في ذلك الحين ، فرسموا خطة تجويع فرنسا .. وحينئذ لم يبق للشعب الفرنسى صبر على تحمل هذه المجاعة العامة فقاموا بهذه الثورة اليهودية التلمودية ..

ولن يحد غريبا مثل هذه الافكار الهدامة والأعمال المجرمة ، اذا قرأنا الوثيقة الخطيرة التي وجدت بين أوراق ميرابو (Mirabah) التي ضبطت في منزل (مدام لجاى) زوج ناشركتب ميرابو وذلك في ٦ أكتوبر (١٧٨٩) ونصها :

" يجب أن نسحق كل النظام ، وأن نلغى القوانين ، وأن نمحوا كل السلطات وأن نترك الناس في فوضى ، وقد لا تنفذ القوانين التي نسنها في الحال ، ولكنا متى اردنا السلطة الى الشعب فانه سوف يقاتل من أجل حريته يعتقد أنه يقاتل لصونها ،

ولكن لما كان الشعب آلة يحركها المشرعون طبق ارادتهم فمن الضرورى أن نستخدمه لتأييدنا ، وأن نحمله على بغض كل ما نرى الى هدمه ، وأن نغذيه بالخيالات والأوهام ، كذلك يجب ان نشترى كل الاقلام المرتزقة التي تبث مبادئه ، والتي تعرف الشعب باعدائنا الذين نهاجمهم .

" فرجال الدين — مثلا — وهم أقوى الطوائف تأثيرا في الرأى العام لا يمكن هدمهم الا بالسخرية من الدين ، والتشهير بأقطابه ، وتصويرهم أوغادا منافقين

---

(١) راجع :

نقلا عن كتاب الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام تأليف عبدالله التل ص١٣

ذلك لأن (محمدا) مهد لانشاء دينه بالطعن في الوثنية التي يعتنقهــا العرب ، ومن الواجب ان تقوم النشرات القاذفــة في كل وقت بحملات جديدة على رجال الدين ، فتبالغ والقتل والكفر كلها مباحــة في أوقات الثورة ٠ ثم يجــب أن نشهن من قدر النبلاء وأن نرجعهم الى أصل ما قط"[1]

وهكذا كان شأن الثورة الفرنسية ٠٠ فهي كانت ــ كما قلنا سابقا ــ من أسباب شتاء العالم واذلال الشعوب وتسخيرها لخدمة اليهودية العالمية التي خططت للثورة وموّلتها ونفذتها وجنت أرباحها ٠

ويكفي أن نذكر الحقيقة المرة وهي أن فرنسا منذ ثورتها اليهوديــة الماسونية سنة ١٧٨٩ م قد تحولت تدريجيا الى مزرعــة يهودية بمالهــا وثقافتها وعلمها وسياستها واقتصادها ٠

كما غدت فرنسا بفضل التسامح الذى فرضته الثورة اليهودية بؤرة فســاد ٠ توزع الرذيلة والدعارة والفجــور على العالم بأســره ٠٠٠ واذ فهمنا ذلك فلننتقل الى الدور الثاني الخطير الذى قام به اليهود في بث الأفكار الهدامة ضـــد الكنيسة ورجالها ، وهو الثورة الصناعية ٠٠ فالى هناك!

ثانيا ــ الثــورة الصناعيــة :

وقد قلنا ــ وسنظل نقول دائما ــ ان اليهود لا ينشئون الأحداث ولكنهم يستغلونها لتنفيذ مخططاتهم الماسونية التلمودية الصهيونيــة ٠

نعم! قد فرحت اليهودية العالمية أيما فرحة بقيام النهضة الاوربية الحديثــة على أساس لا ديني (Secularité) ٠ ولم تكن فرحتها ــ بعد ظهــور الداروينية ــ أشد من الثورة الصناعية فبذلت اليهودية جهود الجبابرة لتوسيــع الهوة التي قامت بين الدين وبين هذه الثورة ٠

* * *

(١) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ط ٢ ، ١٩٥٤ ص ١٤٤ ، ١٤٥

لقد استغلت اليهودية العالمية هذا الانقلاب الصناعي استغلالا يتجاوز حدود القياس ...

استغلته لتفتيت الروابط الأسرية وإفساد الأخلاق ..

كما استغلته أيضا لنشر التعامل الربوي في أوربا أولا وفي جميع بقاع العالم أخيرا ..

فلا بد - إذن - من ايضاح لهذين الاستغلالين ...

الا أننا نود - قبل هذا الايضاح - أن نعطي للقارئ الكريم فكرة موجزة عن الثورة الصناعية التي كانت بمثابة (النذير العريان) (١) لجميع الأحداث على الدين والأخلاق والتقاليد في أوربا الحديثة ...

فاليك شرحا مختصرا لهذه الثورة الصناعية :

ان هذه الثورة العجيبة بدأت بظهور الآلة .. فأحدثت انقلابا شاملا للحياة الأوربية .. لا يقف عند حدود العلاقات الاقتصادية أو الاجتماعية فحسب ، وانما يتعداها الى كل نواحي الحياة في أوربا ..

في البيت والشارع ..

في العمل وفي الأفكار ..

في التقاليد والقيم ..

والمبادئ والأخلاق ..

لم يبق شيء على الاطلاق الا أصابته سمومه ..

ان هذا الانقلاب ظهر أول ما ظهر في المدن الصناعية ، حيث بدأت تجذب اليها الشباب من الرجال العزب ليعملوا في المصانع الجديدة ويعيشون في المدن على صفة لم يعرفوها سابقا ...

جاءوا بدون أسر .. فاجتمعوا في زمالة العمل .. غير متعارفين ولا مترابطين وفجأة بدأت الحياة الأوربية تتغير ..

---

(١) هو الذي ينذر قومه وهو عريان ليعلموا أن الأمر شديد فيستعدوا بالجد قبل نزول الغارة أو المصائب .

الفلاحون الذين كانوا يعملون في الأرض ، أخذوا يعملون في المصانع " التي تجمع حولها الشبان الأقوياء المفتولي العضلات .. الذين يقدرون على الجهد المضني المنهك .. "

وجاء دور تشغيل المرأة في المصانع :

ولما كان العمال الشبان يعملون فوق ما يطيقون ولا يأخذون الا بخس دراهم ، فساءت العلاقة بين العمال والسادات .. ففكروا حينئذ في تشغيل المرأة بأقل الأجور من الرجال " (١)

ثم جاءت المرأة لتعمل مع الشبان في المصانع .

جاءت أيضا بدون أسر .. تشترك مع الشبان في العمل ، وصارت تملك مالها ملكا تاما .. وتعامل مع الرجال الأجانب في المصنع والمتجر والطريق ..

فأحست المرأة أنها "تحررت "

فكان ذلك انقلابا في نفسها ..

فاذا هي تلتقي مع الشباب المتحررين أيضا ..

من هنا خبثت أخلاقهم وانحلوا من ربقة الدين والتحلي بالفضائل ..

ولكن الأمر لم يتوقف عند هذه الحدود ، بل قامت المرأة المتحررة تطالب بجميع حقوقها كاملة غير منقوصة ..

وتطالب المساواة مع الرجل في الأجور ..

تطالب المساواة مع الرجل في التحلل والاباحية والانطلاق ..

تطالب دخولها في الجامعات مع الرجال جنبا الى جنب ..

تطالب دخولها في البرلمان والانتخابات والتمثيل الشعبي والمهني والنقابي ..

تطالب الحرية في القول والعمل ..

" فتحررت المرأة " وتحرر الناس من قيود الدين والأخلاق والتقاليد وأصبحت الاباحية ديانة معترفا بها ، ويقوم بالدعاية اليها رجال على مسمع من الحكومة ،

---

(١) التطور والثبات ، محمد قطب ص٢٣ ولكن بالتصرف .

كتبا وقصصا وبحوثا وصحافة واذاعة وسينما وتلفزيون ..

وكان شعارهم في جميع أنحاء أوربا : دعه يفعل (
دعه يمرّ (   )

ومعنى ذلك دع " الفرد " يعمل كما يشاء بلا قيود ودعه يمرّ لحاجاته بلا حواجز ولا عوائق ..

فانحدرت أوربا في ظلمات الالحاد والاباحية ..

هذا جزء ضئيل من قصة الثورة الصناعية ..

وجاء اليهود في وسط هذه الاباحية المطلقة الحرة لينفخوا في صورها ويزينوها للناس في صورة براقة خلابة .. فافهموا هؤلاء المجانين أن الجنس عملية بيولوجية بحتة لا علاقة لها بالأخلاق ، فبدءوا يحيطون بالمجتمع الأوربي المفتون المسكين ، من المغريات بشتى أشكالها من القصص والمسرحيات وسينما ، وتلفزيون والاذاعة والصحافة ..

كل ذلك يصور الحياة من خلال الجنس! الجنس فقط .. وتصوره على أنه شيء طبيعي ..

ان اليهود أنفسهم قد اعترفوا بهذا الدور الفظيع الذى قاموا به فقالوا في البروتوكول مايلي :

" يجب أن نعمل لتنهار الاخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا .. ان فرويد منا ، وسيظل يعرض العلاقة الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ، ويصبح همه الاكبر هو ارواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار أخلاقه "(١)

وقالوا أيضا فيه :

" لقد رتبنا نجاح داروين وماركس ونيتشة بالترويج لآرائهم وأن الأثر الهدام للأخلاق الذى تنشئه علومهم في فكر غير اليهودى واضح لنا بكل تأكيد "(٢)

---

(١)

(٢) البروتوكول الثاني ص ١٢٣

وهكذا جعلت اليهودية العالمية «أوربا بكاملها بين " فكي الكماشة " ولم تستطع أوربا التخلص من بينهما حتى وقعت صريعة بين أيدي اليهودية العالمية. فأسست لها النظريات التي أسس عليها بنيان المجتمع الغربي الحديث ، يمكن حصرها في ثلاثة عناوين :

١ ـ المساواة بين الرجال والنساء

٢ ـ استقلال النساء بشؤون معاشهن

٣ ـ الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء

ولا يخفى على كل ذي عقل ان هذه الكلمات الثلاثة فيها ما فيها من تدمير الأخلاق والخروج بالنساء من الانسانية الكريمة الى البهيمية الهابطة .

١ ـ أنهم فهموا من سادتهم ـ اليهود ، أن معاني المساواة أن يرخص للمرأة عنان القيود الخلقية مثل ما أرخص للرجل من ذي قبل .. فهذه الفكرة الخاطئة جعلت المرأة غافلة بل منحرفة عن أداء واجبها الفطري الذي يتوقف على ادائه بقاء المدنية بل بقاء الجنس البشري وهو تربية الأولاد في البيوت وبترك هذا الواجب الفطري وصلت أوربا الى نتائج فادحة ..

ومن نتائج هذا الاتجاه المنحرف أن تفككت الأسرة

لماذا ؟ الأب يعمل ..

الأم تعمل ..

والأولاد يعملون ..

فقد أدى هذه الاعمال المرهقة الى تعاطي موانع الحمل وقتل الأولاد ، لأنهم يمنعونهم من أعمالهم .. هل يرضى بذلك البهائم والوحوش من سكان الغاب والبراري ؟ لا والله !

هكذا صارت بنات حواء في المجتمع الغربي الحديث ..

اذا فهمنا هذا فلنتقدم الى خطوة ثانية ..

استقلال المرأة بشئونها :

٢ — نـود هنا أن نلق الأضواء على النظرية الخبيثة التى تقـول : باستقلال النساء بمعايشهن وأن يقمن بحالهن وبشؤونهن الاقتصادية ..

ان هذه النظرية اليهودية ،نظرية باطلة لما ظهر منها من نتائج سيئة تتعارض مع الفطرة الانسانية ..

وبيان ذلك أن هذه النظرية تدعو أن تفوض شؤون البيت الى الفنادق والشركات .. لأن المرأة قد تحررت اقتصاديا ، تذهب صباح مساء الى الشغل وليس عندها وقت لاعداد الطعام في البيت ..

وكذلك/الرجل لا يوجد لديه وقت ، لأنه مسئول عن نفسه في كل ما يتعلق بشؤون المنزل .

فلم يبق بعد هذا الانقلاب بينهما من صلة ترغبهما في العشرة البيتية وتجبرهما على الحياة الزوجية المشتركة غير صلة الشهوات وغرائز النفس الحيوانية .

ومن الظاهر أن مجرد اطفاء أوار الشهوة البهيمية ليس بأمر يضطر الرجل والمرأة الى أن يتعاشرا في بيت واحد ، مقرونين في نير الرابطة الزوجية الأبدية .

لأنه من الميسور أن يجد كل واحد منهما مكانا آخر لاطفاء هذه الشهوة ، فما للمرأة — اذن — ترهق نفسها باعباء خلقية وأثقال قانونية في غير طائل .

وان كانت تخاف من ولد الزنى الذى تلده من فاجر مغمور ،ولكن قد أذهب عن نفسها هذا الخوف ما ابتكر أخيرا من أساليب التخلص منه : وأولها تدابير منع الحمل . فان أخفقت ، فلا بأس باسقاط الجنين .. وان لم يتحقق ، فلا حرج في قتل المولود من وراء الجدران ، في جنح الليل وان أبت عاطفة الأمومة قتل المولود ، فلا لوم على الفتاة في كونها أمًّا لابن زنية ..

وبهذا فقد أصبح الناس في المجتمع الصناعي لا يعتبرون الاتصال الجنسي غير المشروع ، عيبا وازدراء وحطا من شأن الانسان ، بل العكس عندهم

هو الصحيح . وهو أن يفصل الانسان هذا الاتصال الجنسي البهيمي تخلصا من تهمة الرجعية وحكم التخلف والجمود ..

هذا هو الذى أفسد أخلاق أوربا من القواعد . وزلزل كيانه زلزالا شديدا ولا يستطيع أحد أن يتصور مقدار هذه البهيمية التي يعيشونها الا من أتصل بالأوربيين عن كثب ، بل عن كتب أيضا .. يقول أبو الأعلى المودودى في هذه المناسبة :

" كل قطر من أقطارهم ترى مئات الألوف من الفتيات والنساء عوانس ، يردن موارد الفحشاء والشهوات من غير تحفظ ولا خجل ..

" ويتفوقهن في كثرة العدد اللاتي يتزوجن في سورة من عاطفة الحب العارضة ، ولكنه لم يبق بين الرجل والمرأة من صلة غير صلة المتعة الجنسية - تحوج أحدهما الى الآخر ..

وقد عادت أمثال هذه الأواصر الزوجية كأوهن ما يكون من الأمور ..

" وهذه الحال الراهنة هي السبب في شيوع المفاسد من منع الحمل واسقاط الأجنة وقتل الأولاد وانخفاض تناسب المواليد وكثرة أولاد النفول ، وكذلك لها يد وأي يد في انتشار الفاحشة والخلاعة وازدياد الأمراض السرية الفتاكة ." (١)

فلا بد أن يصلوا الى هذه النتائج المخيفة لأنهم في انحرافهم هذا قد خالفوا الفطرة الانسانية ، فلا بد اذن من عقوبة الفطرة .

ان فطرة الانسان ترى دائما أن المبدأ الصحيح أن يكسب الرجل وتدبر المرأة شئون البيت .. هناك يحصل التوازن ويحصل الوئام بين الطرفين . بل يحصل هناك السكون والرحمة والمودة ..

هذا ما قرره الاسلام في تكوين المجتمع المسلم/ النظيف فقال تعالى :

---

(١) الحجاب لأبي الأعلى المودودى ص٣٠ ، دار الفكر للطباعة والنشر .

﴿ ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون ﴾

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (١)

أى أن البيت السعيد هو الذى يكون فيه السكون والرحمة والمودة .. ويكون الغرض الأساسى للاتصال الجنسى تشجيع على الانجاب والتكاثر الذى يرثــك ويدعو لك بعد الموت .. وليس الغرض هذه الشهوات الحيوانية النكراء ...

٣ ـ ولم ينتبه المكر اليهودى في تضليل الأوربيين حتى جردهم من كل خلق انسانى ، قد استبدله لهم بأخلاق " الكلاب " و" الذئاب " .. قد استبدل هذا البيت السعيد الهادئ ، بالاختلاط المطلق بدون حياء ولا مروءة ... فنتجت عن هذا الاختلاط المطلق ، نتائج فادحة ..

(١) التبرج والعرى في النساء .. لأن الجاذبية الجنسية ـ (Sexual Attraction) التى أودعها الله سبحانـــــه وتعالى ـ في فطرة الرجل والمرأة ، لها سلطانها الذى لا ينكر ..

ان هذه الجاذبية ـ كما يعرف ذلك الجميع حتى الملاحدة ـ تـــزداد قوة واشتدادا باختلاط الجنسين ..

(٢) ولا ينتهى هذا الافتتان بابداء الزينة والجمال عند حد ... بل يتجاوز الحدود كلها واحدا بعد الآخر ، حتى ينتهى أمره الى غايات العرى المشين ..

ان أوربا الجاهلة شاهدة على ذلك .. فقد ازدادت ـ ولا تزال تزداد فـــى المرأة الأوربية ، غريزة التجمل وحب الظهور بالمظاهر الجذابة للرجـــال الى حد لا تكاد تظن أنها تعتبر نفسها انسانا ..

تراها تكاد تتجرد من ملابسها وتريد ألا تستر جسمها عدبة ثوب منها .. هذه حال المرأة عندهم ..

---

(١) سورة الروم الاية : ٢١

كل ذلك من تخطيط هذه الخلايا الخفية " اليهودية العالمية " ٠

وأما رجالهم فما تزيدهم كل هذه المظاهر الخلابة من الجمال النسوى الا نهمة وشرقا ٠٠

لأن نار الشهوة والعاطفة البهيمية المتأججة في الصدور لا تخمد بكل منظر جديد من الخلاعة والسفور ٠٠ بل تزداد دائما وتزداد ٠٠٠ (١)

ولا يزال هذا الداء الوبيل — من غلبة الشهوة البهيمية — ينخر في كيان الأمم الغربية وينقص من قوة حياتها بسرعة هائلة ٠٠

والتاريخ يشهد أنه ما سرى هذا الداء في مفاصل أمة الا أوردها موارد التلف والفناء ٠٠

ذلك بأنه يقتل في الانسان كل ما آتاه الله من القوى العقلية والجسدية وتقدمه في الحياة ٠٠

وسنتكلم على ذلك بالتفصيل في الباب الذى سنعقده — ان شاء الله — تحت عنوان (من نتائج الالحاد الحديث) ٠

اندفاع غريب الى الشهوات

لقد تقرر معنا أن اليهودية العالمية ، لا تنشئ الأحداث وانما تستغلها وتنفخ فيها وتغير أهدافها ، ٠٠٠ اذن تعلم أن الاندفاع الى هذه الشهوات الحيوانية كانت موجودة في عروق الأوربيين ٠٠ فلا بد أن يكون ذلك لسبب من الأسباب ٠٠ لأننا لم نر أهل ديانة يتجردون من دينهم بهذا الشكل الغريب الفظيع الا الأوربيون ٠٠ فما هو سبب انحلالهم من الأخلاق بهذا الشكل ؟

---

(١) حكم التبرج والاختلاط في الاسلام ٠٠

الحقيقة أن الدارس لاخلاق المسيحيين يجد ان هذا الاندفاع الى الشهوات بهذا الشكل السريع وقع ، كـرد فعل ضد الكبت الكنسي ..

وتفصيل ذلك : ان الفكرة التى كان يحطها الآباء المسيحيون – كما قلنا سابقا – في باب طغيان الكنيسة – عن علاقة ما بين الرجل والمرأة ، كانت قد جاوزت حد التطرف في جانب ، وكانت حربا على الفطرة البشرية في جانب آخر ..

فاليك شرحا موجزا من نظرتهم الى المرأة ..

(١) ان المرأة ينبوع المعاصي وأصل السيئة والفجور ..

(٢) وهي باب من ابواب جهنم لأن منها انبجست عيون المصائب الانسانية جمعاء

(٣) فيحسبها ندامة وخجلا أنها امرأة .. وينبغي أن تستحي من جنسها وجمالها .. لأنه سلاح ابليس الأقوى ..

هذه نموذج من الفكرة التى كان يحطها آباء الكنيسة تجاه المرأة ..

وكان ذلك رد فعل لاندلاع هذه النار الشهوانية في ظل الثـــورة الصناعية (١) .

فلنستمع الى ترتوليان (Tertullion) الذى هو أحد أقطاب المسيحية الأول وأئمتها يبينا نظرية المسيحية في المرأة :

" انها مدخل الشيطان الى نفس الانسان . وانها دافعة بالمرء الى الشجرة الممنوعة ، ناقضة لقانون الله ، ومشوهة لصورة الله – أى الرجل .." (٢)

وكذلك يقول كرائى سوستام (Chrysostem)

الذى يعد من كبار أولياء الديانة المسيحية في شأن المرأة ..

" هي شر لا بد منه ، ووسوسة جبلية ، وآفة مرغوب فيها ، وخطر على الأسرة والبيت ، ومحبوبة فتاكة و مطلي مموّه " (٣)

---

(١) الحجاب ص ٢١

(٢) المصدر السابق ص ٢٢

(٣) المصدر السابق ص ٢٢

أما نظر بتهم الثانية في باب النساء ، فخلاصتها أن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة هي نجس في نفسها ، يجب أن تجتنب ، ولو كانت عن طريق نكاح وعقد رسمي مشروع " (١)

وان كنا لا نجد مبررا لذا لحاله ، ولكنا نقول ان الكبت الكنسي له يد في اندفاع الناس الى هذه الشهوانية البهيمية الحمقاء .

الخلاصة : ان هاتين النظرتين يتبين ما وضعنا المرأة المكانة اللائقة بها .. هناك تنفير منها ، وهناك دعوة الى عبادتها .. فالكل متطرف ..

تنبيـــه :

اذا قلنا ان الدول الأوربية الملحدة قد فسدت أخلاقها وخبثت ليس معنى ذلك انهم لا يوجد لديهم شيء ما من الأخلاق ؟

لا ! ان لديهم ألوانا من الفضائل في مجال التعامل الفردى : الصدق والاخلاص في العمل والاستقامة والأمانة ونظافة التعامل .. ولكنهم - لبعدهم عن منهج الله ، تنحرف عن طريقها القويم .

فقد تحولت - كما سنرى في آخر هذا البحث - الى فضائل " نفعيـــة " يتبعها من يتبعها ، لأنها في مجموعها " نافعة " في التعامل .. تجعل عجلة الحياة تسير بلا احتكاك ..

أما حين تفقد نفعها تجد الأوربي غير الأوربي وتصبح الأخلاق في نظره حماقة وعدم الفهم لا تستحق الاتباع ومستعمراتهم تشهد على مـــا نقول ..

هذا ما أريد أن أنبه اليه ..

---

(١) الحجاب ص ٢٢

الثورة الصناعية والتعامل الربوي

قد مر بنا أن الانقلاب الصناعي بدأ بظهور الآلة ، وهي تحتاج الى رؤوس الأموال الضخمة لادارتها .. فليس هناك من كان عنده مثل هذه الأموال الا اليهود المرابون ، لا غيرهم ملاك الأرض الاقطاعيين ولا غيرهم ..

فكانت هذه الفرصة بالنسبة لليهود فرصة سانحة أيضا ..

لأنهم يعلمون جيدا أنهم كما أفسدوا الأخلاق بواسطة النظريات والمنظمات السرية يستطيعون أيضا أن يفسدوا الجو في عالم الاقتصاد بسبب التعامـــــل الربوي ..

فبدءوا يقرضون الرأسماليين عن طريق (الربا) غير مبالين تعاليم التوراة التي تقول : " لأخيك لا تبح ربا " .. (١)

اي لا تبح ربا لأخيك في الانسانية .. ولكن اليهود ـ بنيتهم الخبيثة ـ حرفوا معنى النص فقالوا : ان معناه كالتالي :

لا تبح ربا لأخيك اليهودي .. أما (الأميون) غير اليهود فلا جنـــاح عليك أن تمتص دماءهم بكل سبيل ..

﴿ ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ﴾ (٢)

من هنا أباح اليهود الربا لأنفسهم ، فانتشر التعامل الربوي في الرأسمالية الناشئة .. فاتسمت ـ منذ البدء ـ برغبة الحصول على الربح الفاحش .. ومن أسهل سبيل .

وهذا هو بدء الكارثة التي أفسدت اقتصاديات أوربا . وأبعدتها من كل معنى الرحمة ومن كل معنى الانسانية .. (٣)

---

(١) سفر اللاويين ، الاصحاح ٢٥ آية ٣٦

(٢) سورة آل عمران الاية : ٧٥

(٣) براجع في هذا جاهلية القرن العشرين ، محمد قطب ص ١٤٢ ، ١٤٥ ، ولكن بالتصرف .

من نتائج التعامل الربـــــوى

ان هذا التعامل الربوى الذى يراه الناس شيئا تافها أو موردا من الموارد المالية ، قد نتجت عنه كوارث عـالمية كبرى ٠

١ ـ قد أدى الى الاحتكارات الخانقة :

وذلك ان تضخم الرأسمالية المتزايد ، والتقدم العلمى المتزايد ، أدى الى أن رؤوس الأموال الكبيرة صارت أقدر على الربح ـ بامكانياتها العلمية ـ من رؤوس الأموال الصغيرة فأكلتها ! أو اضطرتها الى الدخول معـــــــا في اتحادات ٠

من المعلـوم ، حين تتداخل كل رؤوس الأموال العاملة في صناعة ما ، وتكون اتحادا واحدا ، يصبح هذا الاتحاد بالضرورة محتكرا لهذه الصناعة وحده ٠٠ بدليل أنه لا يستطيع أصحاب رؤوس الاموال الصغيرة ان ينافسوه في هذا الميدان الذى تخصص فيه وتهيأ لاحتكاره ٠٠

فمن هنا قلنا : ان التعامل الربوى تودى الى الاحتكار والأنانية فلذا حاربه الاسلام بقوله تعالى : ﴿ أحل الله البيع وحرم الربا ﴾ (١)

ولأجـل هذا نجد عالمنا كله اليوم يريدون نظاما اقتصاديا عالميـــــا جديدا يخرجهم من هذه الاحتكارات التي تسود عالمنا اليوم الى الاستقرار الاقتصادى ٠

هذا من مساوئ اليهودى في أوربا أولا وفي العالم بأسـره أخيرا ٠٠

٢ ـ الاحتكار أدى الى فتح باب الاستعمار :

وبيان ذلك : ان الصناعات قد زادت وتكدس الانتاج هنا وهناك ٠٠ وأصبح لا بد من تصريف فائض الانتاج ٠٠

ومن هنا سعت الدول الرأسمالية الى الاستعمار والتوسع " الامبريالى " لكى تضمن الأسواق لفائض الانتاج ٠٠

* * *

---

(١) سورة الآية :

فكان من نصيب الدول الاسلامية والافريقية أن وقعتا تحت نير الاستعمار الأوربي ..

ولم يكتف هؤلاء المستعمرون بمحاولة بيع فائض الانتاج فحسب بل صاروا يمتصون دماء تلك البلاد المستعمرة وينقلون خيراتها الى بلادهم الأوربية .

هذه بعض نتائج التعامل الربوى الذى فتح بابه اليهود المرابون .....

وبعد : حان الأوان أن ننتقل الى الدور النظرى الذى استعمله اليهود في افساد أوربا الجاهلة الضالة ...

الدور النظرى :

وأما الدور النظرى : فهو بث النظريات الالحادية التى تنكر وجود الله وتنفي تدخله في الكون ، وتنزع الأفكار الدينية كلها من رؤوس الناس وقلوبهم . يقول البروتوكول الرابع في ذلك :

" يجب علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول غير اليهود وأن نضع مكانها عمليات حسابية ورغبات مادية " (١)

ومما لا يختلف فيه اثنان ان رباط الأمة الوثيق الذى يجعلها في مأمن من التدهور والانحطاط هو الايمان بالله وكذلك الأخلاق التى هي أثر من آثار الهداية الالهية والتي سمحت الأديان الى اشاعتها فكلما سارت الأمة في مضمار الهداية شوطا ازدهرت حياتها ويشمل السلام ربوعها ، ولذا كان تدهور الأخلاق في أمة ما نذيرا بالخراب . ومن الأهداف المرسومة عند هؤلاء الصهاينة تقويض الأخلاق عند الغير لاضعافه والسيطرة عليه فاستغلوا لذلك النظريات الهدامة والأفكار المضللة . هذا ما صرحت به سياستهم في البروتوكول .

---

(١) راجع البروتوكول الرابع – ترجمة خليفة التونسى ص١٣١ الطبعة الرابعة .

" ان الشباب قد انتابه الحته لانغماسه في الفسق المبكر الذى دفعه لمهـــه أعواننا من المدرسين والخدم والمربيات اللاتي يعملن في بيوت الأثرياء والموظفيـن والنساء اللواتي يعملن في اماكن اللهو ونساء المجتمع المزعومات اللواتـــــــــي يقلدنهم في الفسق والترف " (١)

وهذا ما اعترف به " أدولف هتلر " اذ قال : " فمنذ أن وضع اليهـود والبلاشفة نصب أعينهم تقويض صرح الدولة الالمانية ، رأينا الرذيلـة تنصـب شراكها في طريق الشبيبة الألمانية ،كيفما اتجهت وأنى وجدت ، ورأينـــا عرش الاباحة والخلاعـة ينتصب في دور العرض السينمائي والمراقص والحانات وحتى في الساحات العامة "

ثم أبدى أسفه بقوله :

" كيف يرجى من شبيبة هذا شأنها أن تهب للذود عن الوطن وأن تستميت في الدفاع عن مؤسساته وتقاليده ... " (٢)

ومن الروائع أن القرآن الكريم سبق أن قرر هذه الحقيقة منذ أربعـــــة عشر قرنا ، بما جاء في قوله تعالى عن اليهود :

﴿ ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين ﴾ (٣)

وقال تعالى في اليهود أيضا :﴿ وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون ، لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عـن قولهم وأكلهم السحت لبئسما كانوا يصنعون ﴾ (٤)

فما ذكره القرآن الكريم ينطبق على اليهود الصهاينة ــ اليوم ــ أشد الانطباق، فهم لا يتورعون عن الآثام وافساد الغير بشتى الطرق للسيطرة عليه . ومن طرقهـم المنحرفة استغلال النظريات التي توحي الى هدم قواعد الدين وازالة أهله . واليك نموذج لذلك .

---

(١) راجع اليهود في القرآن ،عفيف طبارة ص٥٠ الطبعة السادسة
(٢) راجع كفاحي ترجمة الاستاذ لويس الحاج ص١٤٦ ،١٤٧
(٣) سورة المائدة الاية : ٦٤
(٤) المصدر السابق الاية : ٦٣

نظرية داروين ودور اليهود

لقد فرحت اليهودية العالمية أعظم فرحة يوم ظهور داروين عدو المسيحي — بنظريته السالفة الذكر في أصل الأنواع وأصل الانسان ، فقد أدركت بذكائها بما وراء ذلك الحدث الضخم من صدام عنيف مع الكنيسة يقول كتاب بروتوكولات حكماء صهيون :

" ان داروين ليس منا ولكننا عرفنا كيف ننشر آراءه على نطاق واسع ونستغلها في تحطيم الدين المسيحي " (١)

واستغلت اليهودية العالمية نظرية (داروين) أبشع استغلال ..

استغلتها على يد ثلاثة من أكبر علمائها .. قاموا بصياغة الفكر الأوربي كله في ميدان الاقتصاد وعلم النفس والاجتماع .. أخطر ميادين ثلاثة في علم الفكر . أولئك هم ماركس وفرويد ودوركايم . وقد أشار اليهود الى هذا الاستغلال في بروتوكولاتهم فقالوا : " لقد رتبنا بنجاح داروين وماركس ونيتشة بالترويج لآرائهم . وان الأثر الهدام للا خلاق الذى تنشئه علومهم في الفكر غير اليهودي واضح لنا بكل تأكيد " (٢)

ونكتفي بهذا القدر هنا مخافة التطويل والا لو أردنا أن نأتى بأكثر من هذا لفعلنا لأن كتبهم كفيلة لذلك . وانما أردنا هنا أن نثبت فقط انهم استخدموا النظريات لهدم الأديان والأخلاق .

استغلال المنظمات السرية لمحاربة الدين

كما استغلت اليهودية العالمية النظريات لمحاربة الأديان ، استغلت أيضا المنظمات السرية للغرض نفسه . ومن أخطر هذه المنظمات السرية المنظمة الماسونية .

---

(١) البروتوكول الثاني ص ١٢٣
(٢) المصدر السابق

قد استغلت اليهودية هذه المنظمة الخبيثة بشكل فريد ، وخصوصهم في هذا الميدان كثيرة جـداً ، واليك نموذج من هذه النصوص الدالة على حقد اليهـود على جميع الأديان والمبادئ النبيلة ، ففي احدى الكلمات التي القيت في مؤتمر المشرق الأعظم الماسوني لعام ١٩٢٣ م قول أحدهم : (١)

" يجب أن لا تقتصر الماسونية على شعب دون غيره ولتحقيق الماسونية العالمية ، يجب سحق هؤلاء الأزلي الذي هو الذين مع ازالة رجاله " ..

" ستقصر رجال الدين وتعاليمهم على جانب صغير جدا من الحياة وسيكون تأثيرهم وبيلا سيئا على الناس حتى ان تعليمهم سيكون لها أثر مناقض للأثر الذي جرت العادة بأن يكون لها .. " (٢)

ثم لم يكتف اليهود بافساد المسيحية بل حاولوا العبث بالمؤسسات والهيئات والجمعيات الدينية وادخال عناصر فاسدة فيها وتولية أمورها السذج من رجال الدين الذين لا قدرة لهم على التبصر في الأمور الدقيقة .

جاء في نشر المشرق الأعظم الماسوني الفرنسي لسنة ١٩٢٣ م قولهم :

" على الاخوان أن يتغلغلوا في صفوف الجمعيات الدينية وغيرها بل ـ لاطمهم ـ ان احتاج الأمر أن يقوموا بتأسيس تلك الجمعيات على ان لا تشتم منها أيـــة رائحــة حقيقية للدين . عليكم أن تلموا شمل قطيعكم أينما كنتم ، حتى في المعابد الصغيرة وعليكم أن تولوا امورها السذج من رجال الدين وليطعموا خفيـــة ذوي القلوب الكبيرة من الرجال بقطرات من سمومكم " .

ثم قال : " وبغية التفرقة بين الفرد وأسرته عليكم ان تنتزعوا الأخلاق مـــن أسسها لأن النفوس تميل الى قطع روابط الأسرة والاقتراب من الأمور المحرمة . لأنها تفضل الثرثرة في المقاهي على القيام بتبعات الأسرة . وأمثال هؤلاء من الممكن اقتناعهم بالدرجات والرتب الماسونية ، وعليكم أن تنتزعوا من بين أطفالهم وزوجاتهم وتقذفوا بهم الى ملاذ الحياة البهيمية "

---

(١) مكائد يهودية عبر التاريخ ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ١٣٨
(٢) المصدر السابق ص ١٣٨ (٣) المصدر السابق ص ٢١٨

هذه هي مهمة الماسونية وهذه هي مخططاتها الفريدة • لقد أثبت تاريخ هذه الجمعية أنها من أخطر الجمعيات السرية العالمية التي لعبت أدوارا خطيرة في تاريخ العالم والأمم ، وأثرت تأثيرا مباشرا على مصائر كثير من الشعوب ، وتحكمت في سياسة معظم دول العالم ، من حيث لم تشعر هذه الدول أنها قد كانت فريسة خديعة يهودية دخلت اليها عن طريق المحافل الماسونية التي تديرها من وراء الستار أصابع المكر اليهودي ،

ولقد يبلغ الدهش عند من يبحث عن مخططات هذه المنظمة السرية ، مبلغه العظيم حينما يعلم أن حروبا عالمية كبرى قد كان اليهود هم العاملين على اثارتها واشعال نارها عن طريق الجمعية الماسونية ومحافلها في العالم •

وحينما يعلم أن كثيرا من القادة والزعماء المنحرفين في العالم قد أوصلتهم الى مراكزهم من الحيل اليهودية العالمية عن طريق الجمعية الماسونية ومحافلها في البلاد ••"

فقد يرى بعض السطحيين وقصيري النظر ان هذا ضرب من الوهم ، ومبالغة من مبالغات الحدس ولكن الحقيقة التاريخية والواقعية جديرة بأن يكشفها الباحثون ، ويفتحوا أعين الناس حتى يروها ، مهما كانت بعيدة عن مدى حدسهم ومهما استبان بهم عدم معرفتهم لذلك • ولأجل هؤلاء البسطاء نسوق هذه الأدلة التالية :

جاء في البروتوكول الرابع :

" من ذا وماذا يستطيع أن يخلع قوة خفية عن عرشها ؟ هذا هو حكومتنا الآن • ان المحفل الماسوني المنتشر في كل أنحاء العالم ليعمل في غفلة كقناع لأغراضنا ، ولكن الفائدة التي نحن دائبون على تحقيقها من هذه

---

(١) راجع عرض كتاب مكائد اليهود عبر التاريخ ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢١٩ ـ ٢٢٠

القوة في خطة عملنا وفي مركز قيادتنا ما تزال على الدوام غير معروفة للعالم كثيرا " (١)

وجاء في البروتوكول الحادي عشر قولهم (٢) :

" ان الأميين (اى غير اليهود) كقطيع من الغنم ، واننا الذئاب فهل تعلمون ما تفعل الغنم حينما تنفذ الذئاب الى الحظيرة انها لتغمض عيونها عن كل شيء " .

وقضية محاربة الماسونية للدين قضية لا تحتمل أى جدل أو مناقشة ، لأنها من الأمور الكثيرة التي كشفتها تصرفاتهم الدائمة ثم اعترافهم وأقوالهم المنتشرة في كثير من الوثائق الصادرة عنهم من تصريحات وخطب وكتابات . وقد جاء في مضابط مؤتمر بلغراد الماسوني لسنة ١٩٢٢ قولهم :

" ويجب أن لا ننسى بأننا نحن الماسونيين أعداء للأديان ، وعلينا أن لا نألو جهدا في القضاء على مظاهرها " (٣)

وجاء في مضابط المشرق الأعظم الماسوني لسنة ١٩١٣ م قولهم :

" سوف تتخذ الانسانية غاية من دون الله " (٤)

وجاء في مضابط المؤتمر الماسوني العالمي لسنة ١٩٠٠ م قولهم :

" اننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم ، انما غايتنا الأساسية هي ابادتهم من الوجود " (٥)

---

(١) البروتوكول الرابع ص١٣١

(٢) البروتوكول الحادي عشر ص١٥٨

(٣) مكائد يهودية عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص١٣٧

(٤) المصدر السابق ص ١٣٧

(٥) المصدر السابق ص ١٣٧

وفي مجلة أكاسيا الماسونية سنة ١٩٠٣ م قولهم :

" ان النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته الا بعد فصل الدين عن الدولة " (١)

وجاء في مجلة الشرق الاكبر التركية الماسونية قولهم :

" لا يمنعنا كفر الملحدين أو ثواب المتدين أو وصف الجنة والنار ، واذا وجد من يحاول العمل في ساحة الدين فنتركه وشأنه مع الله ، واذا أصر على رأيه فنرجو منه أن يتركنا وأن يدخلنا بينه وبين الله " (٢)

وفي النشرة الرسمية التي أذاعها الشرق الأعظم في فرنسا في تموز سنة ١٨٥٦ م قولهم : " نحن الماسون لا يمكننا ان نتوقف عن الحرب بيننا وبين الأديان لأنه لا مناص من ظفرها أو ظفرنا ، ولا بد من موتها أو موتنا ، ولن يرتاح الماسون الا بعد أن يغلقوا جميع المعابد " (٣)

وقال " كوتيل " في محفل منفيس بلندن :

" اننا اذا سمحنا لمسلم أو نصراني بالدخول في احد هياكلنا ؟ فانما ذلك قائم على شرط أن الداخل يتجرد من أضاليله ، ويجحد خرافاته وأوهامه التي خدع بها في شبابه " ؟

وفي المحاضرة الرابعة لمحفل السلامة الماسوني قولهم :

" ان الماسونية تجرد الافكار من الخرافات والنظريات اللاهوتية المدسوسة من قبل الأديان " (٥)

وفي محاضرات محفل الشرق لعام ١٩٢٣ م قولهم :

" انه يجب أن تبقى الماسونية لملة واحدة ، وعليه يقتضي محو الأديان ومنتسبيها من الأساس " (٦)

واليك نموذجا آخر من نماذج التخطيط اليهودي لهدم الخلافة الاسلامية عن طريق الماسونية .

---

(١) مكائد يهودية ، عبد الرحمن حبنكة الميداني ص ١٣٧
(٢) المصدر السابق ص ١٣٧ (٣) المصدر السابق ص ٢٣٧
(٤) المصدر السابق ص ٢٣٨ (٥) المصدر السابق ص ٢٣٨
(٦) المصدر السابق ص ٢٣٨

الماسونية والخلافة الاسلامية

لقد رأينا في تصريحات الماسونية ، ان اليهود يسعون دائما لمحو الأديان ومنتسبيها من الأساس .. فضلا قد رأينا الأعمال المتخربة التي قاموا بها ضد المسيحية .. فمن المستحسن أيضا وقبل أن ننتقل الى الثورة الصناعية التى أفسدت أخلاق أوربا ـ أن نعطى فكرة موجزة عن دور الماسونية في هدم الخلافة الاسلامية ليتضح لنا :

الدور الخطير الذى قام به اليهود لافساد العالم بأسره

ولما كان تفصيل ذلك وتأييده بالواقع مما لا يحتمله الا كتاب ضخم فاننا نكتفى بذكر الباعث الحقيقي الذى جعل اليهود يقومون دائما بالمؤامرات ضد الاسلام وأهله .

ان الدارس للتاريخ يجد أن الذى دفع اليهود للقيام بهذه المؤامرات ضد الاسلام وأهله يرجع الى عدة أسباب . ولكن نذكر في هذه المجالة سببين أساسيين بارزين هما :

(١) الحسد ضد الاسلام.

(٢) موقف السلطان عبد الحميد من الماسونية .

فلنعط فكرة سريعة لكل من هذين السببين :

أولا ـ الحسد ضد الاسلام :

ان اليهود قاموا بعدة مؤامرات ضد الاسلام منذ البداية حسدا من عند أنفسهم فقد حاربوا الاسلام في البدء ظاهرا أعنف حرب ، حتى فشلوا في ذلك [1] فارتدوا يسالمونه سلاما كان شرا عليه من حربه الظاهرة .. [2]

---

(١) راجع الخطر اليهودى ، بروتوكولات حكماء صهيون ، محمد خليفة التونسى ص٧٤
(٢) أباطيل يجب أن تمحى من التاريخ د. ابراهيم على شعوط ص ٤٥ سنة ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م شارح يعقوب بالمالية ص٥١

فلنضرب على هذه الحرب الخفية أمثلة بسيطة :

فكعب الأحبار – مثلا – يفسر القرآن ويروى الأخبار ويملأ ذلك كله بما يسمى عندنا " الاسرائيليات "(١) حتى أصبح من الصعب تخليص الكتب الاسلامية الجليلة من الاسرائيليات .. ثم انه من جهة اخرى يشترك في المؤامرة بقتل عمر رضى الله عنه .. (٢)

وينشط عبد الله بن سبأ نشاطا من نوع آخر .. فهو يثير نقمة المسلمين على خليفتهم (عثمان) لما أحدث من بدع (على حد تعبيرهم) وكان ينتقل بين العراق ومصر والشام مؤسسا " الخلافة الخفية " التي تثير النقمة على عثمان رضى الله عنه انتهى الأمر بقتل عثمان وانقسام المسلمين أحزابا ..

وهو من ناحية أخرى ينشط لنشر المبادئ الهدامة للاسلام فيدعو الى الايمان برجعة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته(٣) .. وغير ذلك من المؤامرات اليهودية الكثيرة المنتشرة في كتب التاريخ ..

وهكذا انخدع المسلمون فحشدوا في كتبهم خرافات التوراة(٤) ، وجرى بعضهم وراء تلك الأذكار الهدامة التي كان يبثها هذا اليهودي الخبيث (ابن سبأ) .

وهذه أمثلة بسيطة من المؤامرات التي قام بها اليهود ضد ديننا الاسلامي الحنيف ..

* * *

---

(١) الاسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير محمد بن محمد ابو شهبه ص ١٢ سنة ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م

(٢) البروتوكولات ص٧٦

(٣) المصدر السابق ص ٧٦

(٤) أباطيل يجب ان تمحى من التاريخ د. ابراهيم على شعوط ص ٥١ – ٥٢ ط٤ سنة ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م

فلنقفز قفزة واسعة الى الفقرة الثانية ، وهي موقف عبد الحميد من الماسونية لنرى أن أصبعا من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية ، وترمي الى هدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الانسان في جميع الأزمان .. فاليهود كانوا وراء هدم الخلافة الاسلامية العثمانية . واتخذوا لذلك وسائل متعددة .. سنبين بعضها فيما يأتي ..

(20)
ثانيا ـ موقف السلطان عبد الحميد من الماسونية :

ويذكر لنا التاريخ أن السلطان عبد الحميد ، قد تعرض لضغط الصهيونية العالمية برياسة (تيودور هرتسل) الذي زاره في سنتي ١٩٠١ـ ١٩٠٢ وعرض عليه السماح لليهود باستيطان فلسطين على نطاق واسع مقابل كميات كبيرة من أموال اليهود .. (١)

وكان مع هرتسل يهوديان آخران هما : (ايمانويل قره صو) رئيس الجالية اليهودية في سلانيك ، والحاخام (موسى ليوي) .

وبعد مقدمات مفعمة بالرياء والخداع ، فصح هرتسل عن مطالبه ، فلقي من السلطان الازدراء التام لذهب اليهود واطماعهم ووقاحتهم .. وما قاله السلطان ردا على هرتسل :

" ان أرض وطننا لا تباع بالدراهم ، ان بلادنا التي حصلنا على كل شبر منها ببذل دماء أجدادنا لا يمكن أن نفرط بشبر منها بدون أن نبذل أكثر ما بذلناه من دماء في سبيلها " .. (٢)

وحينما أدرك اليهود ثبات السلطان عبد الحميد في وجه اطماعهم زادوا من تآمرهم لاسقاطه ، واستعانوا في هذا السبيل بشتى الوسائل نذكر أهمها :

---

(١) خطر اليهودية العالمية ص٤٥ عن كتاب الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ، عبدالله التل ص٨٤

(٢) جواد رفعت ص ١٢٤ عن المرجع السابق ص ٨٤

الماسونية والقومية العربية واستغلال المبشرين للوصول الى هدفهم ..
واليك كلمة لكل واحد من هذه الأمور الثلاثة :

أولا — الماسونيـة :

لقد جندت الماسونية قواها لخدمة اليهود وهدم الخلافة الاسلامية . واستخدم اليهود محافل الماسون في فرنسا وايطاليا لنشر الدعاية الكاذبـة ضد الخلفـاء وبخاصة عبد الحميد الثاني الذى كان عدوا للماسون (١) .

ولم تترك أبواق الماسون عـيـبا من عيوب الحكم الا وألصقته بحكم عبد الحميد الثاني ، حتى أصبح رمزا للظلم والاستبداد والقسـوة .. وأخيرا شاءت الأقدار أن تسقط هذه الخلافة العظيمة التي كانت رمزا للقوة عـند المسلمين ..

والغريب أن الماسون لا يخفى علاقتهم بالانقلاب العثماني الذى أطـاح بالسلطان عبد الحميد الثاني . بل انهم يفخرون بالأدوار الاجراميـة التي قاموا بها في تلك المجالات .. فقد قال الفيلسوف الماسوني (شار يـبـا) في حفل اقيم للماسون :

" انظروا الى اخوانكم الماسونيين الذين قاموا بالحركة الدستورية التي قلبت الحكم العثماني في آخر عهد السلطان عبد الحميد دون أن تسيل نقطـة دم واحدة .. أجل فبمثل هذا الشعب الماسوني تفخر الماسونية ويعظم من شأن وسائلها السلمية السلبية .. " (٢)

---

(١) اعلان الحرية والسلطان عبد الحميد الثاني ، استانبول ١٩٦٠ ، نظام الدين نظيف ص١١ وراجع أيضا مجلة المنار العدد الأول سنة ١٣٢٩ هـ مقالة للسـيد محمد رشيد رضا . وراجع أيضا تركية الفتاة د . أرنست رامزور ، ترجمة الدكتـور صالح العلي . مكتبة الحياة بيروت ــ ١٩٦٠ م ص٤١

(٢) دائرة المعارف الماسونية ص١٦٦ نقلا عن كتاب الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ، عبدالله التل ص٧٨

وكذلك ضمت جمعيات الماسون السرية المجرمين والارهابيين من اليهود والبلغار واليونان وغيرهم : فهؤلاء عماد الثورة التى زحفت على استانبول وعزلت السلطان عبد الحميد ..

وكان يرأس الوفد الذى قدم للسلطان وثيقة العزل اليهودى الماسونى (قره صو) الذى صده السلطان مع (هرتسل) فى المحاولات الصهيونية الأولى (١) .

وبعد عزله أخذت النكبات تتوالى على الامبراطورية الاسلامية العظيمة (٢) فضاعت " ليبيا " واحتلتها (ايطاليا) ، ثم ضاعت مراكش ١٩١٢ م ..

وهكذا تتابعت الويلات اثر ويلات على الخلافة حتى جاء الشيطان الكبير .. مصطفى كمال الذى تم به كل مخططات الماسونية الماكرة ..

واليك نموذجا مما قام بهـذا الشيطان الكبير ..

مصطفى كمال رأس الأفعى اليهودية

لقد اختارت اليهودية العالمية هذا الشيطان الكبير (مصطفى كمال) للقيام بهدم الخلافة الاسلامية ، لما كانت تعلم أن مصطفى كمال هو الجواد الرابح الذى ينفذ أوامرها ويهدم الخلافة ..

والطريف في الأمر ، ان مصطفى كمال قد نجح في حشد القوى الشعبية التركية بسلاح الاسلام ، حيث يستنهض هممهم للدفاع عن الوطن الذى استباحته الصليبية اليونانية ..

وكان يتظاهر بالتدين والتعلق بأهداب الدين ويصلى في مقدمة الجنود البسطاء .. وكان يتملق العلماء ويعطف عليهم ويستخدمهم لشحن النفوس ودفعها الى الاستشهاد في سبيل الله . (٣) (أنظر الصورة المرفقة) ..

(١) عمر مفتى زادة ، جهاد ناطق ، الدار البيضاء ١٩٦١ ، ص ٨
(٢) الغارة على العالم الاسلامي ص ١٧٨
(٣) جهاد ناطق ص ١٠ عن كتاب الافعى اليهودية في معاقل الاسلام ، عبدالله التل ص ٨٨

وحالما استتب له الامر وأصبح أبا للأتراك كما كانوا يسمونه (أتاتـــورك) شرع بتنفيذ الخطة الجهنمية التي رسمت له لمحاربة الاسلام ولهدم الخلافة (١) .

وكانت الخطة الجهنمية ، بعد تفاوضه مع الحلفاء اليهود في الاتفاقيـــة المعروفة باتفاقية " كيرزن " ذات الشروط الأربعة :

(١) ــ الغاء الخلافة الاسلامية نهائيا من تركيا .

(٢) ــ أن تضمن تركيا تجميد وشل حركة العناصر الاسلامية الباقية في تركيا .

(٣) ــ أن تقطع تركيا كل صلة مع الاسلام .

(٤) ــ أن يستبدل الدستور العثماني القائم على الاسلام بدستور مدني بحت (٢) .

ولم يقدم مصطفى كمال على تنفيذ خطط اليهود والماسون دفعة واحدة وانمـــا تدرج بها ، ونفذ أجـــزاء الخطة بحسب الظروف المواتيـــة ..

ففي أول نوفمبر ١٩٢٢ م خلع وحيد الدين (محمد السادس) من الخلافة وبويع عبد المجيد بدلا عنه ، وفي اغسطس ١٩٢٣ م أنشأ حزب الشعب الجمهوري وأغلب اقطابـــه من يهود الدونمة والماسون .

وفي ٢٠ اكتوبر ١٩٢٣ م أعلنت الجمهورية التركيـــة وانتخبت الجمعيـــة الوطنية " مصطفى كمال رئيسا للجمهورية " .

وفي ٢ مارس ١٩٢٤ م ألغيت الخلافة التي طالما كانت خنجرا في صـــدر اعداء الاسلام (٣) .

فلنستمع الى المؤرخ " آرمسترونج " يصف هذه الخطوات الملتويـــة ، بالقـــول :

---

(١) انظر ايضا فصل صناعة الزعيم ، من كتاب عندما يحكم الطغاة د . جريشة .
وفي ظلال القرآن ، سيد قطب ٨٦:٨
والدبلوماسية والميكافيلية ، محمد صادق ص١٤٩

(٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، محمد محمود الصواف ١٣٨٩ هـ ص١٧٤

(٣) كتاب ترك واتاتورك ص١٨ــ٢٠ وراجع ايضا ، مصطفى كمال الذئب الأغبر ـ أرمسترونج دار الهلال ١٩٥٢ ص١٢٢

" انطلق كمال اتاتورك يكمل عمل التحطيم الشامل الذى شرع فيه وقد قرر أنه يجب عليه أن يفصل تركيا عن ماضيها المتعفن الفاسد ، يجب عليه أن يزيل جميع الأنقاض التي تحيط بها ، هو حطام فملا النسيج السياسى القديم ، ونقل السلطة الى ديمقراطية ، وحول الامبراطورية الى قطر فحسب ، وجعل الدولة الدينية جمهورية عادية ، انه طرد السلطان (الخليفة) وقطع جميع الصلات عن الامبراطورية العثمانية ، وقد بدأ الآن في تغيير عقلية الشعب بكاملها وتصوراته القديمة وعاداته ولباسه وأخلاقه وتقاليده وأساليب الحديث ومناهج الحياة المنزلية التي تربطه بالماضى .. " (١)

هذا ما فعلته الماسونية بالخلافة الاسلامية، وكانت ترغب أن تحول الأمة الاسلامية بكاملها الى دولة الحادية كما فعلت ذلك في أوربا ولكن العقيدة الاسلامية الصامدة حالت بينها وبين مآربها.

ومع ذلك استطاعت أن تغير جانبا كبيرا من الحياة الاجتماعية الاسلامية في تركيا ونحوها ..

فلذا نجد مصطفى كمال نصب نفسه الها من دون الله يشرع للأمة كما يشاء فلفق قانونا فريدا يتكون أكثره من القانون السويسرى والقانون الايطالي وغيرهما وأكمل الباقي من عنده ومع ذلك يدعي أنه كله من عنده قائلا :

" نحن لا نريد شرعا فيه قال وقالوا ولكن شرعا فيه قلنا ونقول " (٢)

ثم اقتفاه وزير العدل شارحا ومفسرا :

" ان الشعب التركي جدير بأن يفكر بنفسه بدون أن يتقيد بما فكر غيره من قبله وقد كانت كل مادة من مواد متبنا القضائية مبدوءة بكلمة قال (وقالوا) ":

---

(١) الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ، الندوى ، القاهرة ص١٦

(٢) حاضر العالم الاسلامي ، حواش شكيب ارسلان ٣٤٣/٣

فأما الآن فلا يهمنا أصلا ماذا قالوا في الماضي بل يهمنا أن نفكر نحـــن ونقول نحن : (١)

ولم يكتف مصطفى كمال بهذه الخطوات الماسونية اليهودية بل تجاوز كل ذلك فقام وألغى بالعنف والارهاب مايلي :

١ ـ الكتابة التركية بالاحرف العربية •
٢ ـ وحرم الاذان بالعربيـة
٣ ـ وكتب المصحف بلغة الهـجين التركيـة
٤ ـ وحدد عدد المساجد
٥ ـ وألغى وزارة الأوقاف
٦ ـ وألغى الأعياد الاسلامية
٧ ـ وأخرج النساء من الحشمة والحياء الاسلاميين

ماذا بقي للديـــن ؟

وبعد هذه الدسائس اليهودية والمؤامرات الماسونية وقعت تركيا في شبكـــة اليهود واصبحت ــ كما وصفها الأمير شكيب أرسلان " ليست حكومة دينية من طراز فرنسا وانجلترا فحسب • بل هي دولة مضادة للدين كالحكومة البلشفية في روسيـــا سواء بسواء •

اذ أنه حتى الدول اللادينيـــة في الغرب بثوراتها المعروفة لم تتدخـــل في حــروف الأناجيل وزى رجال الدين وطقوســهم الخاصة وتلغـــى الكنائس " (٢)

---

(١) المصدر السابق ٣:٣٤٦ ، ٣٤٥
ويراجع كتاب الرجل الصنم ضابط تركي سابق ، ت / عبدالله عبدالرحمن ، بيروت ص ٢٠٥

(٢) حاضر العالم الاسلامي ، الأمير شكيب ارسلان ٣/٣٣٦

النموذج للحكام

وبهذه الحقيقة المرة صار هذا الشيطان الكبير (مصطفى كمال) النموذج الصارخ للحكام في عالمنا الاسلامي أعني الحكام الذين اتبعوه في هذا الاتجاه المنحرف ..

ولقد كان لأسلوبه الاستبدادى الفذ أثره في سياسة من جاء بعده منهم .. كما أعطى الاستعمار الغربي مبررا كافيا للقضاء على الاسلام .. ولكن ربك لبالمرصاد ...

بهذا القدر نكتفي لنثبت أن الخلايا الخفية لها يد خفية في جميع الحروب والثورات التي تعصف بحياتنا ، والفوضى التي تسيطر على عالمنا وبعد كل ذلك ندرك يقينا أننا لسنا مع مخلوقات عادية من لحم ودم ، بل مع القوى الروحية والفكرية التي تعمل في الظلام وتسيطر على معظم هؤلاء الذين يشتغلون المراكز العليا في العالم بأسره .. (١)

رأيناها قد أنزلت الويلات على المسيحية حتى أصبحت أوربا دولة الحادية وكما رأينا أصابعها أيضا تحرك الأمة الاسلامية المجيدة حتى أسقطت خلافتها العريقة ، ان دل هذا على شيء فانما يدل على أن القرآن المجيد وحى من عند الله حيث أخبرنا عنهم قبل أربعة عشر قرنا بقوله :

﴿ ويسعون في الأرض فسادا ﴾

* * *

ولكن ليس بأعجب من هذا الرجل عميل الماسونية وزمرته ممن ينادون اليوم — من عالمنا الاسلامي — باقامة حكومات علمانية ويقولون ان مصطفى كمال هو قائدهم الروحى .. يا للعجب !!

---

(١) أحجار على رقعة الشطرنج ، الاميرال وليام ذى كار ص ٧

ان السر في قولهم هذا مجرد تقليد أعمى وليس عن دراسة وعلم وانصاف في التحقيق ..

انهم قلدوا في هذا القول بعض الأوربيين الذين يمدحون مصطفى كمال علــى فعلته هذه..

فمثلا نجد (توينبي) يمتدح مصطفى كمال على عمله واعتبره أعظم من هتلــر عبقرية في معرفــة فن الهدم وقطع الصلة بالماضي ، وقال :

" ان الدولة القومية التركيــة التي أقامها مصطفى كمال علــى النسق الغربــي تبدو ــ وقت كتابة هذه السطور ــ عملا ناجحا لم يتحقق مثله حتى ذلك الوقت في أي بلد اسلامي آخر " (١)

وكما امتدحــه (ولفرد كانتول سمث) ــ على طريقته الخاصة ــ قائلا :

" رأينا تركيا في سبيل رفعــة شأنها وخلق مثل عليا جديدة لــم تتــردد في سحــق السلطات الدينية وألغت تعاليمها وحررت الاســلام وكشف النقاب عن الدين الحق القويــم " (٢)

وبهذه الأقوال انخدع هؤلاء الدعاة الى اقامة الدولة العلمانية فــــي العالم الاسلامي . ولكن الله غــالب على أمره .

---

(١) مختصر دراسة التاريخ ، أرنولد توينبي ، ت فؤاد نبيل القاهرة ١٩٦١م.
١١٣/٣

(٢) الاسلام والخــلافــة ، علي الحسن الخربوطلي ، بيروت ١٩٦٩ م ــ ص ٢٨٥ .

ثانيا ــ الدعوات المفــرضة للقومية العربية :

ان هذه الدعوات قد أسهمت في تحقيق مآرب اليهود في القضاء على الخلافــة وقد استغل اليهود بعض مفكري العرب من النصارى الذين لم يروا الا فســـاد الخلافة وظلمها فأبرزوا المساوئ على نطاق واسع ودعوا الى القومية العربيـــة بأساليب يمكن الشك في اولئك الدعاة الذين نادوا بتحرير العرب وفصلهم عـــن الخــلافة مقلدين النزعات القومية التي اجتاحت دول أوربا في القرن التاســع عــشر .. (١)

و يعترف مؤرخو العرب من النصارى ، بأن الرواد الأوائل لحركة القوميـــة العربية كانوا من (النصارى) ، وأنهم تعاونوا مع الماسونية الأوربيــة وفروعها ومحافلها في المشرق العربي .. وكان لهذه الحركـة أثر فعــال في هـــدم الخلافــة الاسلاميــة ..

وأسهم ادباء النصارى وشعراؤهم في نشر الأفكار القوميــة منددين بالحكــم التركــي ومتغنين بأمجــاد العرب كما قال شاعرهــم ابراهيم اليازجــي :

" تنبهـــوا واستفيقوا أيها العرب   فقد طــمى الخطب حتى غاصت الركب

كم تظلمون ولستم تشتكون وكـــم   تستغضبون فلا يبدو لكم غضـــب

ألفتم الهون حتى صار عندكم   طبعاً وبعض طباع المرء مكتسب

أقداركم في عيون الترك نازلـــة   وحقكم بين أيدي الترك مغتصـــب

فشمروا وانهضوا للأمر وابتـــدروا   من دهركم فرصة ضنت بها الحقب" (٢)

* * *

(١) الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام ، عبدالله التل ص٨٠

(٢) القومية العربيـــة في القرن العشرين ، تأليف دكتور توفيق برو ، دمشق ، ص ١٦٨ .

الأعمال السياسية

وعلى ضوء هذا كان نصارى العرب على صلة وثيقة بالجمعيات الهدامة اليهودية وشبكات الجاسوسية العالمية ..

ولذلك كونوا الجمعيات السرية التي تناهض الخلافة الاسلامية وتدعو الى حكومة لادينية وطنية أوقومية .

ولنذكر على سبيل الاختصار عددا من هذه الجمعيات منها :

جمعية بيروت (فارس نمر) وجامعة الوطن العربي (نجيب عازوري)

والجمعية القحطانية ، ثم الحزب القومي السوري (أنطون سعادة) واخيرا

حزب البعث (ميشيل عفلق) (١)

ولم تكتف هذه الجمعيات في تنفيذ المخططات الماسونية في الحقل السياسي وانما نفذوها أيضا في الأعمال الفكرية أيضا . واليك نموذجا من ذلك :

الأعمال الفكرية :

حاول هؤلاء النصارى تنفيذ هذه المخططات الماسونية في الفكر والثقافة فاستعملوا لهذه الوسائل الآتية :

أ - الصحافة : فأصدروا صحفا كثيرة منها : الجنان والمقتطف والهلال وكان محرروها أمثال نصيف اليازجي ويعقوب وجرجي زيدان يمثلون طلائع اللادينية في الشرق الاسلامي .

ب - التراث الاسلامي : اتجه قسم منهم الى التراث الاسلامي اتجاها يشابه طريقة المستشرقين فألفوا المعاجم اللغوية والقواميس والموسوعات للترجمة .. ومن هؤلاء أحمد فارس الشدياق وبطرس البستاني ولويس شيخو. (١)

---

(١) القومية العربية في ضوء الاسلام (رسالة ماجستير) صالح العبود ، جامعة الملك عبد العزيز ص ٨٠

جـ — الفلسفة : قد أنكب بعضهم — تنفيذا لمخططات الماسونية الجهنمية — على الفلسفات المريبة تنشروا مؤلفاتها ومجدوا زعمائها ، ودعوا الحرب الى اعتناقها واقامة حياتهم على أسسها .

من هؤلاء شبلي شميل الداروينى المتطرف وسلامة موسى ..

د — الشعر : قد ظهر من هؤلاء النصارى شعراء أذكو بشعرهم الحماس القوى ضد الاسلام مثل ابراهيم اليازجى وبشارة الخورى والشاعر القروى وشعراء المهجر ..

يقول شبلي شميل :

" ... الأمم تقوى بمقدار ما يضعف الدين فهذه أوربا لم تصبح قوية ومتمدنة — فعلا — الا عندما حطم الاصلاح والثورة الفرنسية سلطة الاكليروس على المجتمع وهذا يصح أيضا على المجتمعات الاسلامية " (١)

ان هذا مما لا يدع مجالا للشك أن الماسونية لها يد في اسقاط الخلافة الاسلامية المجيدة ..

فلننتقل اذن الى الجزء الثالث والأخير لنرى كيف أسهم المبشرون ايضا في الغارة على العالم الاسلامي وفق مخططات الماسونية اليهودية العالمية ..

---

(١) المرجع السابق ص ٨٠

ثالثا ــ الصليبية الغربية الحاقدة :

قد مرّ بنا أن اليهود لما حاولوا بث مخططاتهم في قلب نظام الخلافـــة الاسلامية استعملوا خطوات عديدة قد ذكرنا منها أولا الماسونية ثـــم القومية العربية ثانيا والآن نحاول أن نتكلم عن الصليبية الحاقدة بكـــل ايجاز ... لأن قصدنا هنا بيان خبث الماسونية التي كانت من أسباب الانحلال الخفية في أوربا الحديثة ثم تجاوزت أوربا حتى امتدت الى هدم الخلافة الاسلامية .

الصليبية الماكرة الحمقاء بعد أن رأت امتداد رقعة الاسلام ولا سيمـــا بعد سقوط القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح وزحف الاسلام حتى أبواب فينا ــ فقد وضعت الصليبية الحاقدة نفسها في خدمة اليهودية ـــة العالمية ليسخرها رأس الأفعى في مساعدته على تحقيق خطط الهـــدم والتخريب .

ومن أجل هذا تحالفت قوى الصليبية الأوربية في دول عديدة هـــي :
([illegible]7) (26) (25) (24) (23) (22)
بلغاريا ورومانيا والنمسا وفرنسا وروسيا واليونان وايطاليا ، لمحاربة الدولـــة العثمانية وحرمانها من الهدوء والاستقرار والتفرغ للبناء .

وقد أدى الضغط الصليبي المستمر الى تضييق رقعة الاسلام في أوربا .. كما أدى الى تقطيع أوصال السلطنة التي كانت تمتد من تركيا شمالا الى حضرموت جنوبا ومن ايران شرقا الى طنجة غربا . فضاعت الجزائر سنة ١٨٩٠ م ثم احتلت مصـــر سنة ١٨٨٢ م ومن بعدها تونس وليبيا والمغرب .(١)

وفي الختام نثبت هنا ما قاله رئيس ارساليات التبشير الالمانية في تقرير وضعـــه من أعمالها سنة ١٩٠٠ م :

---

(١) انظر الأفعى اليهودية في معاقل الاسلام عبدالله التل ص ٧٦ .

" ان نار الكفاح بين الصليب والهلال لا تتأجج في البلاد النائية ولا في مستعمراتنا في آسيا وافريقيا ، بل ستكون في المراكز التي يستمد الاسلام منها قوته وينتشر سناه أكان في افريقيا أو في آسيا وبما أن الشعوب الاسلامية توجه جهودها نحو الاستانة عاصمة الخلافة ، لأن كل المجهودات التي نبذلها لا تأتي بفائدة إذا لم نتوصل الى قضاء لبنات فيها ..

ويجب أن يكون جل ما تتوخاه جمعية ارساليات التبشير الالمانية هو بذل جهود ذاتها نحو هذه العاصمة وهي قلب العالم الاسلامي .. " (١)

حقا انها عاصمة الخلافة — الاستانة — هي المقصودة أولا ، لأن الخلافة كانت الشبح الرهيب الذى يقض مضاجع المبشرين والمستشرقين من اليهود ....

كيف لا ! وهي التي كانت بهيبتها وسيطرتها تزلزل عروش أوربا وتحمل لواء الاسلام بصدق وأمانة .. وتذود عن المقدسات ، التى توحدت دون حدود أو سدود طوال خمسمائة عام ..

ومن أجل هدم الخلافة ابتدع شياطين اليهود فكرة القومية التركية (الطورانية) أولا ثم القومية العربية اقتداء بها ، ونكاية ...

وهذه هي اليد الخفية في أوربا وفي العالم الاسلامي وفي العالم كله ...

---

(١) الغارة على العالم الاسلامي ا. ل. شاتليه ت محب الدين الخطيب ط ٢ مصر ص ١٥٧

ثانيا – رجوع أوربا الى ارثها القديم

في الجزء الأول قد تحدثنا عن دور اليهود في افساد أوربا وقلنا أنه أحد السببين الخفيين من أسباب الالحاد ، وهنا نود أن نتحدث عن السبب الثاني الذى هو رجوع أوربا الى ارثها القديم . ان أوربا – بعد ما كفرت برب الكنيسة رجعت الى ارثها القديم . وهو الوثنية الاغريقية . فخير نموذج له الأسطورة الاغريقية الشهيرة .

" زيوس هو رب الالهة والناس جميعا ، وكانت الصراعات بينه وبين الالهة تشب باستمرار وكان بينه وبين الاله " بروميتون " عداوة أيضا .. فخلق بروميتوس الانسان من الطين وعندما انتهى من تشكيله نفخت فيه الروح الالهية " أثينا " وحقد زيوس على الجنس البشرى وقصد حرمانهم من كل خير في الدنيا وابتلاهم بحرمانهم من النار التي هي ضرورية جدا للانسان ، ولكن (بروميتوس) سرق النار من السماء أو من مصنع (هيفايستوس) اله النار والحرف . وبخاصة الحدادة كما علم البشر الفنون والحرف متحديا الاله الأكبر . فلما تعلم الانسان ذلك ، يئس زيوس من مقدرته على اهلاكه لكنه ظل على الدوام يتحين الفرصة للانتقام منه وتقليل فرص المعرفة أمامه كيلا يتجاوز حدوده فيصبح الها .. " (١)

هكذا ورثت أوربا الحديثة هذه الفكرة المنحرفة من الاغريق ، وفهمت من هذا الارث " الكبير " أن كل ظفر للانسان في مجال العلم والمعرفة انما هو هزيمة لارادة الاله وكل كشف يصل اليه انما هو انتصار على هذا الاله المزعوم .

وبقيت هذه الفكرة في أخلاد الناس في أوربا ، وحتى بعد أن تخلت أوربا عن عبادة زيوس وغيره ، ورفضت عبادة اله الكنيسة معتنقة عبادة الطبيعة ، وظلت

---

(١) انظر مثلا أساطير الاغريق ج ٥ سلسلة تراث الانسانية ، مجموعة من الأساتذة الهيئة العامة للكتاب ، مصر ..

في أفكارهم هذه الأمنية يعني انتصار الانسان على (الله) عز وجل عن طريق انتصاره على الطبيعة ..

وكلمة اليونسكو في كتاب " تاريخ البشرية توضح هذه النية ..

" كانت الفكرة العامة في معظم المجتمعات في الماضي ، ان الطبيعة موجودة ببساطة ، تؤثر في حياة الانسان على نحو لا يتغير ، وازاء قوتها العارمة لم يحاول أن يطوعها كثيرا لاحتياجاته بل كان عليه أن يكيف نفسه وفق ما يلائمها ولكن انسان القرن العشرين . قد أخذ بخناق الطبيعة مصمما على أن يستخرج أسرارها وأن يستغل مواردها وأن يقهر آثاره الخطرة "(١)

ويقول نخبة من العلماء السوفييت في كتاب أصدروه مايلي :

" الطبيعة كتوم لا تبح بأسرارها . فهي تكتب قوانينها بنظام غامض ثم تحكم غلقها واخفائها بعيدا في خزانات متينة .. وهي لا تكشف عن أسرارها الا قسرا فلا تعطي الباحثين من هذه الأسرار في كثير من الأحيان الا بدلائل للحقيقة فقط .. " (٢)

هذه هي فكرة العلماء الماديين الى الله عز وجل . فهم يحاولون - بكل ما أعطوا من قوة العلم أن يتغلبوا على الله حتى يصبح الانسان هو الله كما مر بنا سابقا . واعتمادا على هذه الفكرة الالحادية ، ذهب بهم الغلو الى حد أنهم يرفضون ذكر اسم الله على أي بحث علمي .

يحكي لنا استاذ من أساتذتنا في جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة .. انه قد شهد في أوربا بحثا قدمه طالب من المسلمين فكتب في الصفحة الأولى - (بسم الله الرحمن الرحيم) .. ولما رآه بعض الأساتذة الأوربيين استغرب فقال له : لماذا تكتب اسم الله على كتابك ؟ هل هو الذى بحث لك هذا البحث .. ألست أنت الذى قمت بهذا العمل بدون أي تدخل منه .. فلماذا تكتب اسمه ؟؟

هذا ما فعله هذا الارث اليوناني في افكار الملاحدة الأوربيين الى هذا الحد يظهر لنا بكل وضوح آثار التراث اليوناني في البحث العلمي الحديث.

(١) الفضاء الخارجي والانسان تأليف مجموعة العلماء السوفييت /زكريا فهمي ١٩٧ ص ٢٥

(٢) على مفترق الطرق ، محمد أسد ص ٦١

(٣) هذا الاستاذ هو محمد قطب قال ذلك في أثناء القائه لنا الدرس في السنة المنهجية بجامعة الملك عبد العزيز .

حواشي الباب الأول

(1) برترالد رسل (١٨٧٢ ــ) فيلسوف ورياضي انجليزي تعلم بكمبردج حيث تولى التعليم بعدئذ •• عارض الحرب لهان الحرب العالميـــة فسجن •• وبعد الحرب كتب مؤلفاته في الاصلاح الاجتماعي •• ســمى مذهبه الفلسفي (بالواحدية المحايدة) لانه يرى انه لا فرق بين عـقل ومادة الا في طريـقة التكوين •• وذلك ان الحوادث لا هي عقل ولا هي مادة •

(2) ستالين جوزيف فساريو نفتش (١٨٧٩ ــ ١٩٥٣) سياســي ودكتاتور روسي وزعيم شيوعي اتهم انه اشترك في سرقـة بنك ١٩٠٦ في تفليس وقبض البوليس القيصري عليه خمس مرات بين (١٩٠٢ ــ ١٩١٣) ولكـنه كان يهرب في كل مرة ثم صار يحكم روسيا بيد من حديد حتى وفاته في مارس ١٩٥٣

(3) أفيون له رائحــة قوية وطعم مر •• ان تعاطي الافيون بالتدخين او المضغ ينتج عنه الادمان مما يسبب تدهورا في عـقلية وصحة المدمنين •• وقد منعت بعض الحكومات زراعة الافيون الا ان كل هذه القوانين لم تفلح في منع التجارة فيه واستعماله بطرق غير مشروعـة •• الموسوعة ص ١٨٣

(4) جينتــر ، سيرجيمس (١٨٧٧ ــ ١٩٤٦) عـالم رياضـــي وفيزيقـي وفلك بريطاني ••

(5) ولز هربرت جورج (١٨٦٦ ــ ١٩٤٦) اديب صحفـي انجليزي ولد في برولي وتخرج في جامعة لندن ١٨٨٨

(6) يوحنا الرسول " احد الرسل الاثنى عشر " اخو يعقوب بن زبدى صاحب الانجيل الرابع وله ثلاث رسائل وكتاب الرؤيا كان التلميذ الذى كان يسوع يحبه (يوحنا ١٣ : ٢٤ ، ١٩ : ٢٦) اوصاه المسيح عـندما كان مصلوبا ان يتكـفل بوالدته (مريم) توفي يوحنا حسب اخبار القرن ؟ في جزيرة باتموس ــ (رؤيا ١ : ٩) توفي أفسس•

(7) متـى القديس : احد الرسل الاثنى عشر كان عشارا من كفرناحوم راجع انجيل متى ٩:٩ـ١٣ •• ولوقا ٥ : ٢٧

(8) مادة : كل ما يشغل حيزا من الفراغ وله وزن ومرونة وعزم وقصور هذا هو تعريف المادة في السابق • وعلى هذا يقول الماديون : ان المادة لا تخلق ولا تنعدم بل تتحول من صورة الى اخرى • وطبقا للنظرية الجزيئية • تتكون المادة من جسيمات صغيرة تسمى " جزيئات " في حركة دائمة داخل الجسم • للمادة ثلاث حالات طبيعية : الصلابة • والسيولة والغازية • وأما الان اصبحت المادة لا يمكن تعريفها على وجه الدقة •• لانها اصبحت تنقسم خلافا لمن قال انها لا تنقسم • ثم اصبحت المادة كهارب من بروتين والكترون •• فانفلت من أيدي الماديين كل ما كانوا يعتبرون حقيقة •• تفاصيل ذلك في الصفحة ( ) •

(9) فرساي : مدينة سكانها ٦٣١١٤ نسمة عاصمة محافظة السين ولواز (سن) فرنسا الى الجنوب الغربي من باريس بدأ ١٦٦١ لويس ١٤ تشييد القصر • ونقل اليه بلاطه ١٦٨٢ واكرهت الثورة الفرنسية لويس ١٦ على الانتقال لقصر التويلري بباريس ١٧٩٠ • حول لويس فيليب القصر الى متحف وطني • تشتهر هذه المدينة بكثرة قصورها وحدائقها • وفيها وقعت معاهدة فرساي في نهاية حرب استقلال الولايات المتحدة ضد انجلترا ١٧٨٣ وفي نهاية الحرب العالمية ١٩١٩ م راجع الموسوعة ص ١٢٨٩ •

(١٠) باستيل • حصن وسجن حكومي بباريس كان يقع — حتى هدم ١٧٨٩ م — بالقرب من موضع ميدان الباستيل الحالي •• بدأ تشييده • ١٣٦٩ م تقريبا هيو اوبريو حاكم باريس في عهد شارل / ٥ / ثم وسع • ومن بين نزلائه المسجونين السياسيين : نيقولا فوكيه • وذو القناع الحديدي وفولتير • وفي ١٤ يوليو ١٧٨٩ م هجم شعب باريس الذى غضب لطرد نيكر — على الباستيل أملا في الاستيلاء على الاسلحة •• وقتل حاكمه (الموكيز دي لوني) واطلق سراح نزلائه السبعة •• فكان هذا الحادث البداية الحقيقية للثورة الفرنسية واكتسب اهمية رمزية • واصبح يوم ١٤ يوليه العيد القومي للجمهورية الفرنسية • راجع الموسوعة ص ٣١١

(11) القسطنطينية : المراد بها هنا المسيحية التي غيرها الامبراطور القسطنطين في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ واما القسطنطينية : وهي استنبول اليوم مدينة في تركيا على ضفتي البوسفور ٨٤٥٠٠٠ حسي بيزنطا القديمة أسسها الاغريق الاقدمون (القرن ٧ ق.م) وجعلها قسطنطين من عواصم الامبراطورية الروسية بعد ان سماها باسمه القسطنطينية ٣٣٠ ثم اصبحت عاصمة الامبراطورية البيزنطية الى ان فتحها الاتراك العثمانيون ١٤٥٣ م وفيها استقر السلاطين وهي مركز تجاري هام ونقطة عسكرية حساسة في الشرق ، وبلد علم وفن المباني التاريخية وابدعها آجيا صوفيا وجامع السلطان سليم وخزانات المخطوطات النفيسة والمتاحف .. راجع شمس العرب ص ١٠٦

(12) غلاصم

(13) شلتوت محمود (١٨٩٢ ـ ١٩٦٣) عالم بالدين وشيخ الازهر ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣ ولد بمنية بني منصور بالبحيرة ، بمصر التحق بمعهد الاسكندرية الديني ١٩٠٦ وكان ترتيبه الاول في جميع سني الدراسة حصل على شهادة العالمية ١٩١٨م

عين مدرسا بالقسم العالي بالازهر ١٩٢٧ م ، فصله الشيخ الظواهري من المعهد ١٩٣١ م فمارس المحاماة .. بعد شهور اعيد الى منصبه مدرسا بكلية الشريعة ثم عضوا في لجنة الفتوى ثم وكيلا لكلية الشريعة ثم عضوا بالمجمع اللغوي عين شيخا للازهر في ٢٢ اكتوبر ١٩٥٨ م وظل في منصبه الى وفاته .. من مؤلفاته : " الاسلام عقيدة وشريعة " و " الدعوة المحمدية " و " القتال في الاسلام " و " المسئولية المدنية والجنائية في التشريع الاسلامي " و " فقه القرآن " .. الموسوعة ص ١٠٩١

(14) خلد الماء : حيوان ثدي نصف مائي استرالي يضع البيض ويسمى ايضا منقار البط وهو بني اللون ، والرأس والجذع والذيل كلها عريضة مفلطحة وطول الذكر البالغ ٥٠ سم .. الموسوعة ص ٧٦٢

(15) صبغى أوكروموسوم : شكل تتخذه المادة الصبغية في نواة الخلية في اثناء مراحل الانقسام غير المباشر والانقسام الاختزالي وبعتمد شكل عدد الصبغيات على النوع • فهي في الانسان ٤٨ وفي ذبابة الفاكهة ٨ واما الاعداد الشائعة في النباتات فهي : ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٤ وكلها اعداد زوجية •• واما الخلايا الجنسية الناضجة فتحوى بعد عملية الانقسام الاختزالي ، نصف هذا العدد وعند ما يتحد المشيج الذكرى بالانثى يعود العدد الى اصله •• وتحتوى الصبغيات على المورثات (الجينات) التي تحدد الصفات الوراثية المميزة وهي جوهرية في الوراثة وتحديد الجنس •• الموسوعة ص ١١١٥

(16) مشمش : نبات اسمه العلمي برونس أرمينياكا ، يتبع الفصيلة الوردية مواطنه المناطق الاسيوية المعتدلة •

(17) دراق ويسمى ايضا خوخ اسمه العلمي بروس دومستكا من الفصيلة الوردية •• مواطنها اسيا وتنتشر زراعته في المناطق المعتدلة شجرته صغيرة ازهارها وردية اللون جميلة المنظر تخرج مبكرة في اواخر الشتاء •• الثمرة كروية بديعة الالوان •

(18) بروتوكول : لفظ يطلق على الوثائق الرسمية : او الاتفاقات التي تقرر قواعد سياسية عامة •• صفاتها موجزة غالبا •
تعقد الوثيقة السياسية باجراء مفاوضات ويجتمع لها مندوبو الدول المتعاقدة كما انها تعقد بالمراسلة ومثل هذه الاتفاقات لا تكون طريقة الاجل بل نافذة لمدة معينة — الموسوعة ص ٣٥٧

(19) بلغراد : مدينة ٩٨٨ر٤٦٩ نسمة عاصمة يوغسلافيا على نهر الدانوب والساف وهو مقر لكبير اساقفة كاثوليكي روماني وبطريرك أرثوذكسي هي مفتاح البلقان •• نظرا لاهمية موقعها الاستراتيجي منذ عهد الرومان• اصبحت عاصمة صربيا في القرن ١٢ • استولى عليها الاتراك (١٥٢١ م

(20) عبد الحميد الاول ١٧٢٥ ـ ١٧٨٩ سلطان تركي .. بدأ حكمه بعقد معاهدة "كوجوك قينرجي" ليس هو المراد هنا .. وانما المعنى هنا هو عبد الحميد الثاني :

(عبد الحميد الثاني) : ١٨٤٢ـ ١٩١٨ سلطان تركيا واجلس مكانه مراد أخا عبد الحميد .. ولكنه انزل عن العرش بحجة جنونه واعتلى عبد الحميد الثاني مكانه .. قبل دستور مدحت باشا ولكنه ما لبث ان الغاه . استمر على الحكم حتى اكرهوه على منح دستور للبلاد سنة ١٩٠٨ ثم خلعوه ١٩٠٩ ، وسجن اولا في سالونيك .. ثم في جهة قريبة من ازمير .. الموسوعة العربية ص ١١٨٠

(21) مصطفى كمال : أتاتورك ١٨٨٠ ـ ١٩٣٨ مؤسس تركيا الحديثة .. اتخذ هذا الاسم ١٩٢٤ بدلا من اسمه الذى كان معروفا به وهو مصطفى كمال ومعنى (اتاتورك) : أبو الاتراك ولد بسالونيك . أقام جمهورية "تركيا" ١٩٢٣م وانتخب رئيسا لها .. واعيد انتخابه في ١٩٢٧ و ١٩٣١ و ١٩٣٥ ثم شرع في حزم ونشاط كبيرين في تنفيذ برنامج واسع النطاق "من التغيير الداخلي" واقتباس النظم الغربية .. فغير معالم تركيا تغييرا كليا دون اية معارضة . فالغى الخلافة ١٩٢٤م وفصل بين الدين والدولة .. واستبدل بالحروف العربية الحروف اللاتينية .. واستعمال الطربوش والعمامة .. والحجاب .. وجعل القانون المدني يقوم على اصول التشريعات الاوربية بدلا من الشريعة الاسلامية وكان يشرب الخمر فأضر ادمانه الخمر بصحته .. ومات في سن الثامنة والخمسين .. واجع الموسوعة ص ٤٥

(22) روما : مدينة سكانها ١٩،٤٤٠،٠٠٠ في وسط ايطاليا قرب الساحل الغربي على ضفتي نهر التيبر عاصمة ايطاليا .. وفيها الفاتيكان مقر البابوية يطلق عليها (المدينة الخالدة) وكذلك (المدينة المقدسة) وهي مركز ثقافي وفني وديني منذ عهد طويل .. وقد مرت على روما عصور مختلفة :
(١) قبل عصر اغسطس (٢) وعهد الامبراطورية (٣) وروما في العصور الوسطى (٤) وروما في عصر النهضة والعصر الحديث .. الموسوعة ص ٨٩٩

(23) النمسا او (اوستريا) جمهورية اتحادية ٨٢٨٥١ كم٢ و ٧٫٠٢٠٫٦٢٦ نسمة باوربا الوسطى يخترقها نهر الدانوب وتحد بوضلافيا وايطاليا جنوبا وسويسرا و (ليختنشتاين) غربا .. وباتريا وتشيكوسلوفاكيا شمالا .. والمجر شرقا .. عاصمتها فيينا ومقاطعاتها تسع .. وهي ممثلة في المجلس الاعلى من البرلمان الاتحادى ذى المجلسين .. ويغلب على سكانها المذهب الكاثوليكي واللغة الالمانية .

(24) فرنسا: جمهورية ٥٥٠٨٩٣كم٢ و ٤٥٫٨٤٠٫٠٠٠ نسمة في اوربا .. يحدها شمالا القنال الانجليزي .. وغربا المحيط الاطلنطي وجنوبا غربا اسبانيا والبحر المتوسط .. وشرقا الـ ايطاليا وسويسرا والمانيا وفي الشمال الشرقي لكسمبورغ وبلجيكا .. عاصمتها باريس .

وفرنسا اهم اعضاء (الاتحاد الفرنسي) وتشمل ٨٩ قسما اداريا . ويغلب على فرنسا الثقافة اللاتينية والدين الكاثوليكي .. ويرجع الفصل بين الكنيسة والدولة الى الصراع الذى دار ١٩٠٥ – ١٩٠٦ م قامت الثورة سنة ١٧٨٩م .

راجع الموسوعة ص ١٢٩٢ – ١٢٩٣

(25) روسيا .. الاسم الشائع الذى يطلق على اتحاد الجمهوريات السوفييتية الاشتراكية . قامت بالثورة الشيوعية سنة ١٩١٧م .

( ) اليونان : اسمها الاغريقي القديم (هيلاس اوالآمن) تؤلف مملكة ١٢٩٨٨٠ كم٢ و ٨٫٣٥٨٫٠٠٠ نسمة وتقع في جنوب شرق اوربا وعاصمتها (أثينا) راجع الموسوعة ص١٩٩٤

(26) ايطاليا : جمهورية مساحتها ٣٠١٫٠٢٣ كم٢ وعدد سكانها ٥٠٫٤٦٤٫٠٠٠ تقع جنوب اوربا وعاصمتها روما .. تفصل جبال الالب شمال ايطاليا عن فرنسا وسويسرا والنمسا ويوجسلافيا .. وهي شبه جزيرة على شكل حذاء .. وتحتوي على مدينة الفاتيكان وسان مارينو ..

الفهـــــــــــارس

الموضـــــــوع	رقـم الصفحـة
المقدمـــــــة	١ - ٢٢
تعريف الالحاد	١
الاشـــتقاق	٢
المعنـى اللغـوى	٣
تحديد معنى الالحـاد الاصطـلاحي	٨
موقف البشرية من الالحاد	١١
موقف الاسلام من الالحاد	١٤
انواع الالحـاد	١٥
كلمات مزيفـة	١٦
كلمـة الحضارة	١٧
الحضارة في الاصـطلاح	١٨
مفهوم الحضارة عـند الماديين المعاصرين	٢١
كلمة العلمانية	٢٣
العلمانية في تعريف الغربيين الماديين	٢٥
كلمة التطـور	٣١
فكرة عامـة عن اوربا الحديثـة	٣٥
بداية العصور الوسطـى	٣٦
بداية العصر الحديث	٣٩
الاكتشافات الجغرافية	٤١
اوربا في النهضة العلمية والأدبيـة	٤٢

الموضـــوع	رقم الصفحة

شهادات من اوربا

شهادة من النمسا	٤٤
شهادة من فرنسا	٤٦
شهادة من المانيا	٥٠
شهادة من امريكا	٥٢
شهادة من بريطانيا	٥٣
شهادة من الهند	٥٥
شهادة جوستاف لوبون	٥٨
هدايا العرب للغرب	٦٢
طريقة الاستدلال العلمي	٦٣
سر تفوق العرب على الاغريق في الابحاث العلمية	٦٥
سر تقدم العرب على المسيحية	٦٦
فرية عالمية	٦٩
من هدايا العرب موسوعات الطب الاسلامية	٧٣
كتاب القانون ، ابن سينا	٧٤
الترجمـــة	٧٩
كلمات عربيـــة في اللهجات الاوربية	٨١

الصراع في تاريخ الفكر الأوربي

سيادة الدين	٨٣
سيادة العقل	٨٥
سيادة الحس	٩٠
بناة المذهب الوضعي	٩٣
كارل ماركس	٩٤

الموضـــــوع	رقم الصفحة

الصراع بين الطبقات	٩٧
الدين مخـدر	١٠١
المذهب المادى التاريخي	١٠٢
الماركسية كنظام سياسي للجماعة	١٠٤

ظروف عامة مهدت لقيام دولة الالحاد في الارض

اول ملحد يعرفه تاريخ اليونان	١٢٩
اول من فتح باب الرهبنة في اليونان	١٣٢
نقد مذهب الذرى الديمقريطسي	١٣٢
العهد الروماني	١٣٣
العهد الجاهلي	١٤١
في عهد الكنيسة	١٤٤
اوربا المادية	١٤٦
حواشي التحريفات	١٤٨

البـــــاب الاول

الفصل الأول :

لماذا الحد الناس في اوربا الحديثة	١٦٣
اسباب الالحاد العامة	١٦٧
استنكار هدى الله	١٦٨
البحث عن الله عن طريق الحس	١٧٠
مرض من الامراض القلبية	١٧٣

الموضوع	رقم الصفحة
واتهمهم الهادى بكذبهم	١٧٦
بعض اقوال الطواغيت في العصر الحديث	١٨٣
الفصل الثاني :	
اسلوب المفكرين في اسباب الالحاد	١٨٦
الاسباب الظاهرة	١٨٧
الدين	١٨٨
عقيدة اليهود في الله	١٩٨
الاوصاف الحسية ليهوه	١٩٨
اليهود والالوهية عموما	٢٠٤
الانبياء في التوراة	٢٠٥
سيدنا ابراهيم والتوراة	٢٠٦
الدفاع عن التوراة	٢٠٨
فكرة موجزة عن التوراة	٢١١
نماذج من تحريف التوراة	٢١٢
الفصل الثالث :	
طغيان الكنيسة	٢٣٦
القرآن يذكر بعض انحرافهم	٢٣٩
صكوك الغفران	٢٤١
هذه هي القاصمة	٢٤٥
المسيحية والدخان	٢٤٦
الكنيسة تضطهد العلماء	٢٤٩
الاتاوات المالية	٢٥٠

الموضـوع	رقم الصفحة
فرض سلطانها على الملوك	٢٥١
قرارات الحرمان	٢٥١
الخضوع والذل لرجال الدين	٢٥٢
وقوف رجال الدين في صفوف الظلمة ضد الشعب المكافح	٢٥٢
جناية الرهبان على انفسهم	٢٥٤
من طغيان الكنيسة غياب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من الاناجيل الاربعة	٢٥٦
حقائق وأباطيل	٢٦٢
بشرية عيسى عليه السلام	٢٦٣
التثليث	٢٦٦
شواهد من كتب النصارى على عبودية عيسى عليه السلام	٢٦٩
انسانيته في الاناجيل	٢٧٠
الفصل الرابـع :	
قوانين المادة	٢٧٢
ما آلت اليه المادية	٢٧٣
الفصل الخامس :	
مقارنة الأديان	٢٧٧
قصة مقارنة الاديان في أوربا	٢٨١
مذهب التطور التقدمي	٢٨٢
المذاهب الروحية المشهورة باسم الحيوانية	٢٨٢
المذاهب النفسية	٢٨٣
المذهب الاجتماعي	٢٨٤

الموضـــــوع	رقـم الصفحة

الفصل السادس :

الثورة الفرنسية	٢٨٦
ما لقيه المســجونون في الباستيل	٢٨٨
الصفحة المظلمـة للثورة	٢٩٠
وقوف الكنيسـة ضد مطالب الجماهيـر	٢٩٠
الخلا يا الخفية في الجسم الاوربي	٢٩٢
الفكر اللاديني الذي طبع عصر التـنوير	٢٩٣

الفصل السابع :

مذهب النشوء والارتقاء	٢٩٦
فكرة عن مذهب النشوء والارتقاء	٢٩٧
ملخص تاريخي لتدرج العقول في فكرة اصل الانواع	٢٩٨
النوض الاساسي لهذه النظريـة	٣٠٠
الذنوب سبب هلاك الأمم وليس الانتخاب الطبيعي	٣٠٢
موقف الكنيسة مـن مذهب التطـور	٣٠٩
موقف الملاحدة من النظريـة	٣١٢
مواقف بعض المفكرين الاسلاميين من النظريـة	٣٢٠
اثار الداروينية في الحياة الاوربية	٣٢٨
عبدت أوربا الشيطان بطرق متعددة	٣٢٩
الرأي المؤيـــد	٣٣٧
خـلق آدم	٣٤٣
الاستاذ محمد فريد وجـدي والتطـور	٣٥٥
مصيـر دارون	٣٦٠
موقفنا من النظريـة	٣٦٤

الموضــــــــوع	رقم الصفحة

الفصل الثامـن :

دور اليهود في افساد أوربا	٣٦٦
الدور العملي	٣٦٧
من نتائج التعامل الربـوى	٣٨٣
الدور النظـرى	٣٨٤
نظريـة دارون ودور اليهود	٣٨٦
استغلال المنظمات السريـة لمحاربـة الأديان	٣٨٦
الماسـونيـة والخلافة الاسلامية	٣٩١
مصطفى كمال رأس الأفعـى اليهودية	٣٩٥
النموذج للحكام	٣٩٩
الدعوات المغرضـة للقوميـة العربيـة	٤٠١
الصليبيـة الغربية الحاقدة	٤٠٦
رجوع أوربا الى أرثها القديم	
حواشـى الباب الأول	٤٠٨

*

جامعة الملك عبدالعزيز
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
قسم الدراسات العليا الشرعية
فرع العقيدة

الإلحاد
وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة

رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص الاولى (الماجستير)

من الطالب:
صالح اسحق بابا صالح
باشراف الاستاذ:
محمد الغزالي

١٤٠٠ - ١٤٠١هـ

الجزء الثاني

الباب الثاني

مناقشة الملحدين

الفصل الأول : قضايا الملحدين

الفصل الثاني : نشأة الحياة و تنوعها

الفصل الثالث : الطبيعة او الصدفة

الفصل الرابع : الدين يتعارض مع العلم الحديث

الفصل الخامس : موقف الاسلام ازاء الكشف الكوبرنيكي

البـــاب الثانـي

مناقشـــة الملحديـــــن

مستندات الملحدين في انكار وجود الله سبحانه :

توطئـــة :

قبل أن نخوض في مناقشة الملاحدة ، كان علينا أن نبين أولا نقطـة هامة وهي : اننا عندما نناقش مستندات الملاحدة في انكار وجود الله، لا لكونها أدلة قائـــة على الحـق ، وانما نناقشها باعتبارها شبهة تمسك بها الملاحدة في انكار وجـود الله ــ سبحانه ــ والا لا يوجد أحد ــ على الاطـلاق ــ من الملاحدة ومن غـير الملاحدة ، يستطيع أن يثبت خطأ الفكرة التي تقول " ان الله موجود " كمـا أن احدا لا يستطيع أن يثبت صحة الفكرة التي تقول " ان الله غير موجود " .

وقد ينكر منكر وجود الله ولكنه لا يستطيع أن يؤيد انكاره بدليل ، وأحيانـــا يشك الانسان في وجود شيء من الأشياء ولا بد في هذه الحالة أن يستند شكه الى أساس فكري [1] . ولكني لم أقرأ ولم أسمع في حياتي دليلا عقليا واحدا ولاحسيا واحدا على عدم وجوده سبحانه وتـعالى .

وقد قرأت وسمعت في الوقت ذاته أدلة كثيرة على وجوده ، منها مقروءة في الكتب ومنظورة في كتاب الكون من الذرة [1] الى المجرة ...

ولكن لما تسربت تعاليم الملاحدة في عقول كثيرة من الناس فألحدوا ، كان علينا أن نقوم بدورنا من مقاومة هذه الأفكار الهدامة وبيان بطلانه وبعده عـــن الحقائق العلمية .

وعلى هذا الأساس نحاول هنا أن نناقش شيئا من أفكارهم الخطيرة التي يضللون بها الدهماء وضعاف القلوب ..

واليك بعضا من افكارهم ومناقشتها :

---

(١) راجع كتاب الله يتجلى في عصر العلم ، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض ص(١٤٤)

الفصـــــل الأول

قضـــــا يا الملاحـــــــــــــدة

لقد قامت قضايا الملاحدة على مغالطات كثيرة وشبهات متعددة لا تعدولا تحصى . الا أننا متبمون هنا أمهاتها وأهمها وهى كمايلي :

أولا — اصل الكون ونصيب الصدفة منه

ثانيا — نشأة الحياة وتنوعها

ثالثا — الدين يتعارض مع العلم مطلقا

تلك هى اهم حجج الملاحدة التى يتذرعون بها .. وقد سارت هذه التعاليم ، بواسطة الاستعمار والاستشراق والتبشير ، الى بعض الناس من الدهماء فألحدوا ..

ولسوف ننظر في صحة هذه القضايا الثلاثة ،على أسس علمية ان شـــــاء الله تعالى ..

جهد جهيد بذله الاستعمار والاستشراق والتبشير لتحقيق هذه الغاية ، ثم تلقفه منهم " تلاميذهم " المسلمون في العالم الاسلامي كامثال " د . عظـــم وطـه حسـين " فأخذوا يرددون الاسطوانة في عالمنا الاســلامي ..

يقولون : أن أوربا متقدمـة ..

وليست متدينـة ..

فتقدمت وتحضرت ووصلت الى القمة والسلطان ..

ونحن متدينون ..

وفي الوقت نفسه متأخرون ..

فينبغى أن نسلك الطريق القويم .. ننبذ ديننا — كما فعلت أوربا ..

فنتقدم ونتحضر ونصل الى القـوة والسلطان ..

وتلك خلاصة السمم في حياة البشرية ، التى وضعها التبشير والاستشراق والاستعمار.(1)

---

(1) التطور والثبات في حياة البشرية ، محمد قطب ص٢٦٦
وراجع ايضا (صراع مع الملاحدة حتى العظم) عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ص ٢٥١ سنة ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م فيه مقال للدكتور عظم بهذا الصدد . وراجع كتاب الشعر الجاهلى للدكتور طه حسين ص ١٢

أولا — أصل الكـــــون :

من الدعاوى المريضة التي يدعيها أصحاب المذاهب الهدامة ، أنهـــــم يعتمدون على الحقائق العلمية وعلى مناهج البحث العلمي الصحيح ، ويجتنبون الأوهام والخيالات التي تعلق بها دعاة الأديان الخادعون والمخدوعـــون في كل زمان ومكان ..

وإن كان أصحاب المذاهب الهدامة ، مضللين في كثير من الأمور ، فالأمـــر الأول منها هو هذه الصفة العلمية التي يزينون بها مذاهبهم الالحادية .. وهو مناقض لكل علم ، مخالف لكل حساب ..

سنرى عما قريب أن النظريات التي ترمي الى تفسير الكون تفسيرا آليا نانهـــا تعجــز عجزا تاما عن تفسير كيف بدأ الكون .. وكيف انفصل الكوكب الأرضي عـــن السماوات .. (١)

تعجز لأنها وقعت في الخطأ من حيث المبدأ لكونها تسند كل ما حدث من الظواهر التالية للنشأة الأولى الى محض "المصادفة" ..

ان هذا يخالف مخالفة تامة قواعد البحث العلمي ، يخالف ما يجب على رجـال العلم أن يتبعها في تفكيره ، وعمله وحياته ، فهو يتبع المبدأ الذي يقول بأنه لا يمكن أن توجد آلة دون صانع ..

وهو يستخدم العقل على أساس الحقائق المعروفـة ويدخل الى معمله لكـــي يصل الى النتائج الصحيحة عن طريق الملاحظات والتجربـة ..

---

(١) قلنا : "عن السموات" ولم نقل : "عن الشمس" كما في تعبيرات الملاحدة .. لأن القرآن لم يقل بذلك ، ولم ندر أي سماء انفصلت عنها الأرض اذن ان القول بأن الارض انفصلت عن الشمس بالذات ، مجـرد ظـن وليس مـن باب التجربـة الحسية التي يعتمد عليها العلم الحديث .

سنرى ـ عما قريب ـ أبرز العلماء الطبيعيين الذين قد حاولوا أن يعطوا صفة الخالق للمصادفة العمياء ، وأنها هي التي خلقت نفسها بنفسها ..

أليس هذا سخرية على عقول البشر جميعا ؟ واحتقار من قيمة العلم الحديث نفسه ؟

ألا يجب على معجزات المعرفة العلمية المعاصرة في هذا الميدان وغيره ، أن تقود الانسان الذى يتأمل الى نتيجة عكسية تماما ؟ ..

ان ذلك التنظيم الذى يتحكم في الكون ، وفي الحفاظ عليه ، ألا يراه كل من يدرسه متزايدا في التعقيد .. ؟

أفلا يرون كلما تقدمنا في امتلاك العلم ، وخاصة فيما يتعلق بكل ما هو متناه في الصغر مثل ذرة ، ازدادت الحجج القائلة بوجود الخالق المبدع الحكيم العليم الخبير ؟...

ولكن الملحد بدلا من أن يمتلئ بالتواضع أمام هذه الوقائع ينتفخ تكبرا على خالقه وبارئه ..

ذلك هو المجتمع المادى في تمام توسعه ـ الآن في الغرب ..

* * *

فيجب على المؤمنين بالله ـ اذن ـ أن يجابهوا أولياء الشيطان الذين لوثوا عقائد الناس وأفكارهم بهذه الخرافات التى تحمل الصفة العلمية زورا وبهتانا ...

يجابهوهم بحقائق القرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ..

* * *

نعم ! ان هذه الموجة المادية وغزو الالحاد للغرب لم تظهر الا بسبب عجز المسيحية عن الصمود .. لماذا ؟ لأنها كانت مشغولة بطغيانها وحماقتها ورهبانيتها

والتمسك بجهلها الموروث[1] .. هكذا كانت .. حتى أصبح الملحد لا يرى فيها الا نظاما تبناه البشر منذ حوالى الفى عام لا رساء سلطة لأقلية قليلة على بشر مثلها .. ولا يجد في كتابها المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) لغة تتشابه مع لغته ولو من بعيد ..

ولكننا — (المسلمون) نريد أن نجابه هؤلاء بقرآننا العظيم لكى نردهم الى حجمهم الطبيعى .. نفهم كل ملحد أن فكرة المصادفة فكرة لا يتبناها الا الجهـال " من العلماء " .

* * *

وأمثال هؤلاء الباحثين اذا سألتهم :

— كيف ظهرت مادة الكون الى حيز الوجود ؟

— ومن أين جاءت ؟ سيقولون : انها جاءت من المصادفة ..

— وما هو نوع القوى التى أدت الى نشوئها وانتظامها ؟ سيقولون : هى المصادفة ؟

— يا عجبا ! من الذى قام بتزويد المادة بطاقة لا زمة لهذا النشوء ؟

سيقولون : هو المصادفة !

— لو قلنا أيضا هل كانت لهذا الكون بداية ؟

سيقولون : لا ! ليست لها بداية ولا نهاية لأنها ترجع الى المصادفة

— ما حظ المصادفة — اذن فى نشوء هذا الكون ونظامه ، أهى ممكنة أو مستحيلة ؟ ترى الملاحدة يصدون عنك صدودا ...

فأصبحت القضية اذن — قضية صبيانية .. ومع ذلك كله .. سوف ندرس هذه الادعاءات على أسس علمية مستوحاة من القرآن الكريم والواقع الملموس .. ان شاء الله تعالى ..

---

(١) أى ورثت هذا الجهل المطبق عن آباء الكنيسة الذين غيروا تعاليم المسيح ونسوا حظا مما ذكروا به ... وأما أصل ديانة المسيح كان يفيض بالعلم والنور ..

أصل الكون والفروض التي تدمنها الملاحدة

ان المتأمل في كتب الباحثين الغربيين عن أصل الكون ، يجدهم من خريجي مدرستين اثنتين :

١ – مدرسة المذهب الذرى ..

٢ – مدرسة الفلكيين الطبيعيين ..

وأما المدرسة الأولى هي التي أسسها الفيلسوف الملحد اليوناني (ديمقريطس) (٤٦٠ – ٢٧٠ ق.م) . وقد سبق أن تحدثنا عنه ، وقلنا انه يرى العالم مؤلفا من ذرات متجانسة فى طبيعتها .. ولا تنقسم ، ولا تفنى .(١)

فقد ناقشنا هذا المذهب في مطلع هذا البحث فلا داعي لاعادته هنا ، وأما الذى يهمنا هنا هو المدرسة الثانية .. لأنها هي التي تدعي أن ما وصلت اليه من علم نفي للدين من تلقاء نفسه .. وأن الذى أتت به قوتها ، هو النهاية .. ولا قول لأحد بعده .. وأنه هو الجد .. وغيره هو الباطل .. (٢)

ان اصحاب هذه المدرسة قد عللوا أصل الكون ، بكثير من الفروض المتعارضة أشهرها ثلاثة ونوجزها في الكلمات التالية :

الفرض الأول :– فرض (دى بوفون) (Bofone)(3) العالم الفرنسي (١٨٠٨ – ١٨٨٨) الذى يقول في كتابه (التاريخ الطبيعي) الذى نشره عام ١٧٤٩ : ان المنظومة الشمسية نشأت من اصطدام الشمس بأحد المذنبات السابحة في الفضاء .. وأن الصدمة أطارت منها السيارات فانفقت تدور حولها بحكم الحركة المركزية والجاذبية(٣).

---

(١) الموسوعة العربية ص ٨٣٧

(٢) الزحف الأحمر ، محمد الغزالي

(٣) راجع عقائد المفكرين ، محمود العقاد ص ٣٥ – ٣٦

ولكن العلماء الذين تبصروا عرفوا من تركيب المذنبات ما لم يكن يعلمه (بوفون) في عصره ، فاستبدلوا بالمذنبات نجما عظيما يقارب الشمس في العظم ، لأن قوام المذنبات أخف من أن يحدث ذلك الاصطدام المنيف الذى فرضه (بوفون) ..

وبذا أصبحت نظرية بوفون ، في زاوية النسيان .. فانتقلوا الى نظرية أخرى وهي :

* * *

الفرض الثاني :— وهو فرض (لابلاس) (Laplace) الفرنسي أنه أظهر خطأ آخر في نظرية (بوفون) .. لأنه يرى أن السيارات طارت من الشمس على اثر انفجار شديد في باطنها .. وأن هذه السيارات على شكلها الذى نشهده اليوم .. (١)

لا شك ان هذا يخالف فرض (بوفون) مخالفة تامة بل نقول : ان بينهما تناقضا بيّنا لأن (بوفون) يرى أن الانفجار كان بسبب خارجي ..

وأما (لابلاس) يقول انه كان بسبب داخلي .

فأي الفرضين نأخذ به اذن ؟ ومع ذلك يدعون أنهم هم العلميون الباحثون الحقيقيون وغيرهم هم الجهال لا يعلمون شيئا ..

---

(١) تقدم أن أشرنا في مطلع هذا البحث أن نابليون بونابرت وجه سؤالا الى (لابلاس) هذا عن عمل القدرة الالهية في تنظيم الأفلاك السماوية .. فقال (لابلاس) : " انني لم أجد في نظام السماء ضرورة القول بتدبير اله " . انطلاقا من هذا التفكير الشارد ، ندرك مدى الضآلة التي وقع فيها هؤلاء الباحثون الفلكيون .. راجع عقائد المفكرين محمود العقاد ص ٣٠

ثم قال (لابلاس) ان الأجسام التى تتطاير من الشمس، ينبغى أن تـدور فى شكل بيضاوى ، خلافا لأفـلاك السيارات التى تستدير وتقترب مــن شـكل الدائرة التامـة ، فأثبت بذلك خطأ (بوفون) الذى يقول ان الدوران كان بشكل دائرى .. فأى القولين أولى بالصواب ؟ (١)

فلنتقدم الى فرض آخر ..

* * *

فرض "كانت" (Kante) (4) : الفيلسوف الألمانى وله رأيا آخر وهو يشبه نظرية (لا بلاس) الا أنه يفوق عليه بالقول ان الشمس هـى التى كونـت مجموعتها السيارة بنفسها (٢) دون تدخل أى جرم سماوى آخـر ولا خالـق مدبر حكيم .. يوافق بهذا القول قول (لا بلاس) الذى يقـول : " ان نظام الكون لا يحتاج الى أى اسطورة لاهوتية " .

واذا قلنا للفيلسوف "كانت" .. كيف كونت الشمس نفسها ومجموعتها ؟ يقول :

" كانت الشمس فى مراحلها الاولى كتلة ضخمة من الغاز المنخفض الحـرارة نسبيا ، تملأ حيز المجموعة السيارة الحالى بأكمله .. وتدور حول محورها ببطء ، وأخذت حرارتها تنخفض باستمرار لفقدها قسما منه بالاشعاع فـى الفضاء المحيط بها ، مما جعلها تتقلص تدريجيا ، ثم تولدت قـوة مركزيـة طاردة ناتجـة عن هذا الدوران حول المحور أدت الى التفلطح التدريجـى لمادة السديم ، أو الغاز الأصليـة مما ترتب عليه طرح عدد من الحلقـات الغازيـة من حافة خطها الاستوائى الممتد .. انظر الشكل (٢) ..

---

(١) عقائد المفكرين ، محمود العقاد ص : ٤٦

(٢) للتوسع انظر ايضا المريخ ، من ص ٦٠ الى ٧٠ وكتاب الجغرافية الطبيعية ص ١٢ وكتاب الفضاء الكونى ، ص ٢٢٠ وكتاب "وجه الأرض" للدكتور محمد متولى .

" وتكوين مثل هذه الحلقات من موارد تدور حول محورها .. ثم تفرض النظرية أن الحلقات الغازية المتكونة بهذه الكيفية تقطعت فيما بعد .. وتكونت منها الكواكب السيارة ، أما نواة السديم وهي الجزء الأوسط والأكبر ، فقد بقيت ولم تنفصل منها حلقات ، وتكونت منها الشمس ".

والفيلسوف صريح في أن الصدفة العمياء هي الخالقة الصانعة المدبرة كما ترى .

فلما جاء العالم الانجليزي " كلارك مكسويل " خالفه في شكل الغازات فقال : " ان الغازات — في هذه الحالة — لا تتجمع على شكل كرة بل ينبغي أن تتحلق حلقات متفرقات ".

ولكنه وافقه في أن الصدفة العمياء هي المصدر الوحيد في تشكل الأجرام السماوية كلها ..

ثم صار الناس في أوربا يؤمنون بهذه النظرية الأخيرة ويدرسونها في مدارسهم حتى تبين لهم أنها خطأ فانتقلوا الى فرض آخر وهو :

الفرض الثالث :— وجاء العالم الروسي الملحد (جورج جاموف) (4) — (GAMW) فهو يرى : " أن انشقاق السيارات انما نشأ من مرور نجم آخر على بعد من الشمس لم يبلغ من قربه أن تصطدم بها ولم يكن من البعد بحيث يمر هنا في طريقه نبرز من الشمس ، نتوء منجذب الى ناحية نجم آخر .. ثم انفصل على شكل مخروط تقطع رؤوسه على التوالي وتداركها الجاذبية وتعمل الحركة المركزية فتنعقد منها هذه السيارات، واحداها هذه الكرة الأرضية " (١) .

---

(١) عقائد المفكرين محمود العقاد ص ٤٦

فلما ظهرت هذه الفكرة الجديدة ،قامت أوربا وقعدت ،فآمنت بها بشكل فظيع ،واعتبرتها من الحقائق العلمية التي لا تجارى ولا تماثل .. وبقيت هذه النظرية مقبولة حتى عهد قريب ،فظهرت في كل المؤلفات والكتب المدرسية التي تبسط العلم للجمهور .. (١)

عودة الى نظرية التصادم

فبينما هم كذلك اذ هم يرجعون أيضا الى نظرية التصادم التي رفضوها أولا .. وكانت هذه العودة على يد ثلاثة من علماء الفلك وهم : (سامبرلن ،مولتون وجيمس جينز) .

ان هؤلاء الثلاثة رفضوا نظرية الانفجار الداخلى التي تبناها الفيلسوفان " كانت " و " لا بلاس " ورجعوا بأوربا مرة ثانية الى نظرية التصادم التي قد رفضت من قبل ..

الا انهم قالوا : ان سبب التصادم ليس كما يقول (بوفون) ولكنه كان بسبب هجوم جرم كبير على الشمس فاجتزأ من الشمس أجزاء هي " الكواكب " .

تعديلات جديدة على النظرية

ثم ان العلماء الفلكيين غيروا اراءهم خلال العقدين ،تغيرا تاما عن أصل الكون .. لأنهم بدؤا يقولون : " ان تكوين المجموعة السيارة ،لم يكن حادثا استثنائيا .. كما يدعيه الفلكيون الأول .. بل لا بد أنه تكرر عند تكوين الغالبيات العظمى من نجوم الكون ..

وبناء على ذلك : لا بد أن يوجد في مجموعتنا المجرية وحدها ملايين السيارات التي تكاد تماثل الأوضاع الطبيعية لسطح الأرض " (٢)

---

(١) مثل كتاب جورج جامو : " ميلاد الشمس وموتها " الذى صدر عام ١٩٤٠م وكتاب " حياة الأرض " الذى صدر عام ١٩٤١م
راجع كتاب : " تاريخ الأرض " لجامو ص ٢١

(٢) نقلا عن كتاب الانسان بين العلم والدين ، شوقي أبو خليل ص ٣٦

هذه هي النتائج التي قدمها علماء أوربا للعالم ، فآمنوا بها لمجرد التعصب الأعمى ...

انها نكسة كبرى ورجعية نكراء ان صح التعبير ..

ان القوم في بداية الأمر اتفقوا جميعاً على أن أصل الكون كان كتلة غازية ثم تفرعت الكواكب ... قلنا هذا جميل ولكن كيف تفرعت عن الأصل ، هل تفرعت بارادة منها أو من شيء آخر ؟

قالوا : ليس باختيار نفسها ولكن بصدفة عمياء : قلنا كيف ذلك : ..

قالوا : ان الشمس تصادمت مع مذنبات صغار .. ثم تبين لهم ان ذلك مستحيل .. فقالوا انها تصادمت بنجم أضخم من الشمس نفسها ثم تركوا هذا الرأى بكامله .. فقالوا : ان الصحيح هو الانفجار الداخلي .. فآمنوا بذلك برهة من الزمان حتى جاء اليوم الذى أعلنوا فيه مرة أخرى أن الصحيح كل الصحيح هو نظرية التصادم ولكن بسبب هجوم نجم أكبر من الشمس بكثير .. وهي النظرية السائدة الى هذه اللحظة ..

وأخيرا قرروا أن هذا التصادم لم يكن حادثا فريدا في تاريخ الكون — كما هو المظنون — وانما وجد هناك تصادمات عديدة في الكون .. واستنتجوا من ذلك : ان مجرتنا تحتوى على العديد من السيارات .. أى أن العالم متعدد في السماء ، والأسرة الشمسية هذه واحدة من هذه العوالم ..

تلك هي النتائج المتطرفة التى حاربوا بها الأديان جميعا ..

وكيف لا تكون النتائج من هذه الفروض متطرفة عندما نعرف المواقف المتطرفة التى اتخذها ابرز العلماء كهؤلاء .. الذين حاولوا أن يعطوا صفة الخلق للمصادفة العمياء وانها خلقت نفسها بنفسها .. هذه سخرية على عقول البشر جميعا واحتقار من قيمة العلم الحديث نفسه . . الا يجب على معجزات المعرفة العلمية المعاصرة في هذا الميدان وغيره — كما قلنا — أن تقرد الانسان الذى يتأمل الى نتيجة عكسية تماما .. ؟ فذلك التنظيم الذى يتحكم في

الكون وفي الحفاظ عليه ؛ الا يراه كل من يدرسه متزايدا في التعقيد ٠٠ ؟ كلما تقدمنا في أفلاك العلم ٠ وخاصة فيما يتعلق بكل ما هو متناه في الصغر مثل الذرة ؛ ازدادت الحجج القائلة بوجود الخالق المبدع الحكيم العليم الخبير ؛كما قلنا سابقا ٠٠

ولكن الملاحدة بدلا من ان يتحلى علمهم بالتواضع أمام هذه الوقائع ينتفخ تكبرا ٠ هو يعتقد أن من سلطانه السخرية من " فكرة الله " كما يسخر من كل ما يتصل بالدين من أخلاق وعفة وأمانة وايمان ٠

ذلك هو المجتمع المادي في تمام توسعه — الآن — في الغرب (١)

ما هي اذن القوى الروحية التي يمكن دفعها لمجابهة تلويث هؤلاء الملاحدة من العلماء الغربيين المعاصرين ٠٠ ؟

فقد رأينا فيما مضى من أول هذا البحث ان هذه الموجة المادية وغزو الالحاد للغرب لم تظهر الا بسبب عجز اليهودية والمسيحية عن الصمود ٠٠ كل منها غارق في الحيرة ٠٠٠ ان المادي الملحد لا يرى في المسيحية الا نظاما ابتناه البشر منذ حوالي ألفي عام لا رساء سلطة لأقلية قليلة على بشر مثلها ٠٠ ولن يجد في الكتب المقدسة (العهد القديم والعهد الجديد وغيرهما) لغة تتشابه مع لغته ولو من بعيد ٠٠ فهذه الكتب كما رأينا سابقا — تحتوي على كثير من الأمور التي لا تتفق مع المعطيات العلمية الحديثة ومن المتناقضات والأمور غير المعقولة وهل القرآن كذلك ؟ ؟ هذا ما نحاول الاجابة عنه في الصفحات التالية ٠٠٠ ان شاء الله تعالى ٠٠

---

(١) وقد تحدثنا عن هذه الجملة في الصفحات السابقة ؛ وأعدناها هنا للأهمية ٠٠

موقف القرآن من أصل الكــون

ان هذه الدراسة ، دراسة موقف القرآن من اصل الكون ، قد يبدو لبعـــض الناس انها قليلة الفائدة بدليل ان الناس منذ عهد نزول القرآن قد أمضـــوا بدون معرفة هذه الأشياء وهكذا يجب ان يؤملوا دون أن يحتاجـــوا الى هذه الدراسة الكونية ..

فنحن نخالف هذا الرأى مخالفة حاسمة فنبادرهم بالقول بأن دراســـة الآيات الكونية لها مكانة خاصة في الدعوة الى الله في هذا العصر ، عصـــر العلم الكونية التي كشف الانسان بعض أسرارها فبلغ من القوة الماديـــة ما بلغ ، وان لم يبرح في استثمارها واستغلالها ما شرع الله له .

ولكن هذا النوع من الدراسة يعجـز الالحاد أن يجـد موضعا للتشكيــك في الدين الا أن يتبرأ من العقـل ..

اذا كانت الكتب المقدســة المسيحية عجـزت عن مقاومـة الالحاد لمـا اشتملت عليه من معلومات مضللـة ، فجـاء القرآن الكريم بحقائق علمية كونيـة لم تعرفها الانسانية الا في القرن التاسع عشر أو العشرين ، أفلا يدل ذلـــك عند كل ذى عقل على أن خالق هذه الحقائق هو منزل القرآن ؟ ؟ .

ونكرر دائما أننا لسنا مع الذين يريدون أن يثبتوا القرآن بالعلم الحديث ولكنا نريد ان نبرز لهؤلاء الملاحـدة جانبا من الكنوز العلمية التى احتواها هـــذا الكتاب العظيم . سواء وافق معطيات العلم الحديث أولم يوافق وسنرى عـــن قريب أن اشارات القرآن الكريم الى نشـأة الكون تخالف جوهريا ـ كـل معطيـات العلم الحديث في هذا الميدان .

وقد رأينا الفروض الثلاثة التى ذكرها هؤلاء (بوفون ولابلاس وجونج جامو) ومن لف لفهم ... كلها تشير الى نقطة واحـدة وان اختلفت في مظاهرهـــا وهذه النقطة هي :

ان الكون جاء عن طريق المصادفة ولا يحتاج الى تدبير الخالق • وأن الكون تطور الى ما وصل اليه تطورا عشوائيا بدون ارادة ولا حكمة • هذا ما بينا كذبه في السابق • ولكن هنا نريد أن نبين للناس ان القرآن الكريم تناول الموضوع نفسه ولكن بطريقة نظيفة يقبلها كل عقل سليم •• يقول تعالى :

﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ (١)

ان الآية الكريمة من عجائب الاعجاز العلمي في القرآن لأنها سبقت علماء الفلك المحدثين الى ما قرروه من أن الكون كله ، قبل ان تتشكل عوالمه ومجاراته ونجومه ، كان كيانا سديميا غير متميز عن بعضه البعض ثم أخذ يتميز ويتطور ، وهنا وقف العلم وصار ينتقل من فرض الى فرض لكي يصل كيف تطور الكون وتميز بعضها عن بعض الى أن انتهى الى هذه الفروض الثلاثة المذكورة •

* * *

ولكننا اذا رجعنا الى الآية مرة ثانية نجدها تشير الى أن الفتق كان بأمر الله وارادة الله ، هذا ما يفر منه الملاحدة فقال : ﴿ ففتقناهما ﴾ اذن ان القرآن خالف العلم الحديث في كيفية تطور الكون بعدما كان سديميا أو دخانا على التعبير القرآني (٢) فانه يرى أن ذلك كان بفعل الله وارادته وأما أرباب العلم الحديث أسندوا كل ذلك الى الصدفة العمياء الخرقاء •

ثم اذا رجعنا الى الاية مرة ثالثة نجد فيها اعجازا آخر مدهشا •• نجد أنها تشير بوضوح الى أصل الحياة وهي المسألة التي شغلت العقول في كل عصور الانسان •

---

(١) الاية في سورة الأنبياء : ٣٠

(٢) اشارة الى قوله تعالى ﴿ ثم استوى الى السماء وهي دخان ﴾

ان القرآن قد ذكر ذلك بايجاز فقال ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾

فالا ية تعني ان كل شيء مصدره المادة كمادة جوهرية ، أو تعني أن أصل كل شيء حي هو الماء . ويتفق هذان المعنيان تماما مع العلمية .. فالعلم الحديث انتهى الى القول الى أن اصل الحياة مائي وأن الماء هو العنصر الاول المكون لكل خلية حية (١) ولكنه لا يعرف من الذى خلق الماء فأسنده الى الصادفة الحمقاء ... فهل هناك غباء اكبر من هذا ؟ ؟

* * *

ان كلمة الماء في الاية شاملة لجميع انواع المياه ، من ماء المطر أو ماء المحيطات أو أى سائل آخر .

تدل على ذلك الايات التالية :

﴿ ... وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ﴾ (٢)

﴿ .... والله خلق كل دابة من ماء ﴾ (٣)

واذن فسواء كان المقصود هو أصل الحياة عموما أو العنصر الذى يجعل النبات تولد في التربة ، أو كان المقصود هو بذرة الحيوان فان كل عبارات القرآن تتفق تماما مع المعطيات العلمية الحديثة الصحيحة ولا مكان مطلقا في نص القرآن لأى خرافة من الخرافات التي كانت سائدة في العالم في عصر تنزيل القرآن الكريم ...

فالحاد الملاحدة بعد ذلك الحق المبين يصبح مجرد التعصب أو مجرد شهوة الالحاد التي لا دليل عليها ..

---

(١)

(٢) سورة (طه) ٢٠ ـ الاية ٥٣

(٣) سورة النور ٢٤ ـ الاية ٤٥

القرآن معجزة قديما وحديثا

ان هذه الايات بقيت معجزة لعصرنا نحن ، كي يبقى القرآن في جدة كأنه أنزل ليومه هذا ..

معجزات رآها الصحابة من خلال ايات كتاب الله ، لم نرها نحن .. كقوله تعالى : ﴿ غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴾ (١)

وتحقق ما أورده القرآن الكريم ، فغلبت الروم وانتصر الفرس .. ثم قال عز شأنه مخبرا عمن ستكون له العاقبة ﴿ وهم من بعد غلبهم سيغلبون ﴾ وحددها ﴿ في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد .. ﴾ (١)

هذا ما حدث فعلا حسب أخبار القرآن الكريم ، حيث جمع هرقل جموعه بتركيز كبير وهاجم الفرس الذين استكانوا للنصر ولذاته ، وغفلوا عن الحفاظ عليه ، فانتصر عليهم ، أيام انتصار المسلمين في بدر (٢) .

ولما ملك " شهربراز " في فارس صالح الروم عام ٦٢٨ م ورد أسراهم وردوا أسراه ..

انها لمعجزة كبيرة تفوق حدود القياس والمعارف الانسانية ...

* * *

معجزة الوعد والوعيد :

وقال عز وجل قبل غزوة بدر الكبرى ﴿ واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ، ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ﴾ (٣)

---

(١) سورة الروم : الاية الكريمة ٣ ، ٤

(٢) في شهر أيار عام ٦٢٤ ميلاديا ، عن كتاب الانسان بين العلم والدين ، خليل شوقي ص٤٣

(٣) سورة الانفال : الاية الكريمة ٧ ، ٨

هذه الايات تنبأت بمستقبل غيبي آت .. انها ايات دقيقة وحساسة جدا ..

فالدعوة الاسلامية في بدئها . فلو جاءت آية واحدة مخالفة لما تنبأت به ، لشك الناس بالنبوة وشكوا بصحة القرآن الكريم ولجعلها الكافرون والمشركون سلاحا اعلاميا مضادا ..

ولكنه القرآن الكريم .. وحي السماء الى الأرض .. ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ (١)

* * *

هذه من المعجزات التي رآها الصحابة .. وها نحن اليوم نرى معجزات كثيرة من معجزات القرآن الكريم .. ومن هذه المعجزات (أصل الكون) وتكوينه من الدخان ثم تفتقه الى ما شاء الله تعالى .. وعندما أراد العلم الحديث أن يتطاول الى ذلك أخفق وسنرى في خلال هذا الفصل معجزات أخرى كلها تؤكد أن القرآن وحي من عند الله .. ولكن الملاحدة قصاري النظر .. لا يهتمون بالدين وكل ما يتصل به .. فلذلك تراهم في طغيانهم يعمهون ..

* * *

ومن أهم ما اتخذه الملاحدة سندا لنقض الأديان هو قضية نشأة الحياة انهم يدعون أنهم قد عرفوا ذلك بطريقة العلم الحديث ..

وفي الصفحات الاتية محاولات لبيان كذبهم وافترائهم .. وقبل ذلك نود أن نسجل هنا كلمة لبعض الباحثين المنصفين من الغربيين وهو (د . واين أولت) اذ يقول :

" أما النظريات التي ترمي الى تفسير الكون تفسيرا آليا فانها تعجز عن تفسير كيف بدأ الكون .. ثم ترجع ما حدث من الظواهر التالية للنشأة الأولى الى محض المصادفة " (٢)

---

(١) سورة فصلت الاية الكريمة : ٤٢

(٢) الله يتجلى في عصر العلم ص : ٣٨

الفصل الثاني

نشأة الحياة وتنوعها

لقد رأينا في السطور الماضية أن الملحدين يقولون : ان الحياة بدأت خلية واحدة ، ثم بدأ التكاثر يعمل عمله (١) ، والانتخاب الطبيعي يعمل عمله بطور حينا — بحتى الكائنات من جرثومة صغيرة الى حيوان كبير .. ثم يتطور الكبير الى جرثومة صغيرة أيضا .. وهكذا يعمل التطور عمله حتى وصلت الحياة الى ما وصلت اليه الآن ..

ولكن هل لهم على هذا من برهان ؟ ..

والجواب لا ! لو كان عندهم برهان لفعلوا ذلك في معاملهم ، لأنهم يدّعون أن كل شيء في الحياة معروف — وكل شرط تحتاجه الحياة يمكن أن تتوفر في المصنع .

والعناصر التي تتركب منها الاحياء — يقولون — انها معروفة ، ونسبها معروفة ، وأجزاؤها معروفة ..

فبقيت الظروف ، لأنهم يقولون : ان الظروف الأولى التي ولدت فيها الحياة لا تتوفر بالسهولة ..

فنقول لهم : يمكن لكم أن تقدروها وتوجدوا ظروفا مثلها ؟

هيهات! لن تستطيعوا أبدا ! والا فجربوها !

وقد ناقشهم القرآن — من قبل مناقشة هادئة لا مفرّ منها أبدا فقال :

﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب .. ما قدروا الله حق قدره ﴾ (٢)

---

(١) الله جل جلاله ، سعيد حوى ص٥٦

(٢) سورة الحج الآية : ٧٣ — ٧٤

روسيا الملحدة تبحث عن نشأة الحياة

ولقد حاول الملحدون في روسيا الملحدة أن يبرهنوا على امكانية نشأة الحياة كيماوية ،وذلك — في زعمها — كدليل تثبت به مذهبها الالحادى ..

وكيف كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة كالتالي :

وقد كلفت هذه الدولة الملحدة ، بهذا الموضوع " أوبارين " رئيس المعهد الكيميائي في الاتحاد السوفياتي ، وطلبت أن يتفرغ للبحث في أمر واحد ، وهو مدى امكانية ايجاد الحياة عن طريق التفاعل الكيميائي .

وبعد عمل متواصل قارب (عشرين عاما) أعلن حوالي سنة ٦٣ عن انتهائه من دراسة هذا البحث ،وأعلن عن النتيجة التى توصل اليها ،في تقرير رسمي أذاعته جميع وكالات الأنباء في العالم اذ ذاك ، وهي :

أن العالم الكيميائي عاجز عن ايجاد الحياة في المخبر ..

والعلم لا شأن له الا بالمادة المحسّة ..

* * *

وكانت الفرصة مهيأة لهذا الرجل ولأهل روسيا أن يؤمنوا بالله ويتوبوا عن الحادهم وتمردهم على الله ،ولكن سبقت اليهم شقوتهم .. وبدل أن يعترف هذا الباحث الملحد بأن الله هو خالق الحياة ، أجاب على سؤال كانت صيغته :

" هل التفاعل الكيمي في المادة قادر على بعث الحياة ،كما انبعثت الحياة الأولى منذ ملا يين السنين وعلى الصورة التى دعاها أرنست هيكل ؟

— ان هذا ممكن ولكن في كواكب أخرى غير كوكبنا هذا ." (١)

هل رأيت — أيها القارئ الكريم — تهربا واضحا أكثر من هذا الجواب ؟

---

(١) راجع الله جل جلاله ،سعيد حوّى ص ٥٧

ومع هذا التهرب الواضح نقول لهم :

اذن لم لــم تستطيعوا صناعة الحياة وكل شيء متوفر ؟

أفلا يدل هذا العجز الانساني على أن هناك قوة عظيمة أقوى من كل ما يتصــور ؟ هي موهب الحياة كلها ؟

أفلا يدل ذلك على أن تلك القوة هي خالق الحب والنوى ؟

يخرج الميت من الحي .. ويخرج الحي من الميت ؟

ويحيي الأرض بعد موتها ؟ ؟

* * *

والواقع ان عامة الذين لا يؤمنون بالله يتهربون من هذا الموضوع بمثـــل هذه الادعاءات ؟

تصور معنا أيها القارئ في قولهم :

" ان الحياة قد جاءت من بعض الكواكب في شكل جرثومــة انسلت دون أن يصيبها تلف ، وبعد أن بقيت زمنا غــير محدود في الفضاء استقـــرت على الأرض ، ومن ثم تسلسلت الحياة عن تلك الجرثومة ، أو يقولون .. انهـــا وصلتنا عن طريق نيزك أصاب أرضنا " (١)

هل هذا الكلام معقول ؟

هل هذا الكلام يفسر لنا حقيقة علمية ؟

الجواب : لا !

اذ كيف استطاعت هذه الجرثومة أن تبقى حيــة في درجــة الصفر المطلـــق في هذا الفضــاء الواســع ؟

فلنقل نعم استطاعت أن تبقى رغم ذلك ، ولكن كيف نجت من الاشعاع الكثيف ذي الموجــة القصيرة الذي يقتل أمثالها ؟

---

(١) المرجع السابق ص ٥٨

فلنقل أيضا — مجاراة معهم — انها بقيت حية رغم ذلك ، ولكن كيف وجدت لنفسها مكانا ملائما في الأرض ؟

وكيف وجدت هذا الاتفاق المدهش في الظروف ، حتى توالدت فبدأت الحياة ، وكم من السنين استغرقت هذه الرحلة التطورية حتى وصلت ؟

* * *

فلنقل نعم ! كل ذلك ممكن وحق ..

ولكن كيف بدأت الحياة على ذلك الكوكب الأول ؟

هذا سؤال يبقى دائما — بدون جواب الى يوم القيامة ..

اذن ان المنطق الوحيد المعقول ، هو أن الله الحيّ هو وحده خالق الحياة ..

﴿ والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون .. أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ﴾ (١)

ولا يستويان في منطق العقل :

﴿ أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ﴾ (١)

ولا يستويان كذلك عقليا :

انسان نسب الحياة الى المصادفة العمياء ، وآخر ينسبها الى الله ...

والقرآن يقول ان الذى يجعل الملاحدة ينسبونها الى المصادفة هو : الغفلة .. فهم لا يستعملون قلوبهم ، استعمال الفقه والفهم الصحيح . ولا ينظرون الى المخلوقات نظر الاعتبار والتفكر ، ولا يسمعون نداء الله بواسطة رسله — سماع من يطلب الخير لنفسه .. فلذلك نزلوا بقلوبهم هذه ، وأعينهم هذه ، وآذانهم هذه ، الى مستوى البهيمة .. وبتعبير أدق ان البهيمة أعقل وأبصر وأسمع من هؤلاء الملحدين :

---

(١) سورة النحل الآية : ٢٠ — ٢١

(٢) المصدر السابق الآية : ١٧

﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ، لهم قلوب لا يفقهون بهـا ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ﴾ (١)

﴿ أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ﴾ (٢)

ان الكون مخلوق لا خالق ، ومن أعطى الكون أو الطبيعة صفة الخلق ، فقد أشرك بالله جهلا وسفاهة ، بل قد ألحد في الله تعالى .

فنشأة الحياة لا تعلل الا بالله ،

ووجود الأنواع والأجناس لا يعلل الا بالله ،

وما في الحياة من عجب لا يعلل الا بالله ،

وكل جزئية من هذا كله آية من آيات الله .

﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا ﴾ (٣)

ونختم هذا الفصل بقولنا :

ان نشأة الحياة دليل على الله .

وتعقيدات الحياة دليل على الله .

وتنوع الأحياء دليل على الله .

ومركز الانسان في هذا الكون بصفاته العليا دليل على الله .

وفي النفس البشرية – اخلاقها وعجائبها – دليل على الله .

فهل يبقى للملحد بعد ذلك من حجة أو سبيل ؟ الا حجة الجهل وسبيل الهوى المؤدي الى البوار ثم النار ﴿ ألا لعنة الله على الملحدين ﴾ والعياذ بالله من الالحاد ..

---

(١) سورة الاعراف الاية : ١٧٩

(٢) = = = : ١٩١

(٣) سورة الاسراء الاية : ٨٥

الفصل الثالث

الطبيعة أو الصدفة

بعد ما تبين لنا ، بما لا يقبل الشك ، أن الالحاد ينتج عن الجهل لا عن العلم ، وتبددت أمامنا تلك الشبهات بقيت هناك شبهة من شبهات العصر وضلالة أخرى من ضلالته وهي — كما يظهر لك — مصطنعة كما تصطنع الأصنام .. مخيمة على الافكار كما تخيم الأوهام ، ولكنها — بكل أسف — مع اصطناعها هذا ، وعدم استنادها الى أساس ، نجدها مسيطرة على عقول كثير من يدعون " الثقافة والمعرفة " ، وقد أصبحت غشاوة على قلوبهم دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث والتمحيص .. تلك الشبهة هي : قولهم : ان الطبيعة هي التي أوجدت نفسها .. وبتعبير آخر ، ان الطبيعة وجدت عن طريق المصادفة ... الهه العصر المزعوم ...

* * *

حينما تبادر أحد الطبيعيين بالقول :

من خلق السموات والأرض ، يقول : الطبيعة ..

من خلق النبات والحيوان ؟ يقول : الطبيعة ..

من خلق الانسان ؟ يقول لك : الطبيعة ..

من يدبر جميع هذه الأمور الفلكية ، والحيوانية والغريزية . وكل بحساب دقيق ونظام لا يحيد ، فسيقول لك : الطبيعة(١) ..

وكل ما خفي عن الادراك ، سببه ، فسببه الطبيعة ..

واذا قلت كيف جاءت الطبيعة نفسها ؟ قالوا : انها جاءت عن طريق المصادفة أو أوجدت نفسها بنفسها .. يا للعجب !

---

(١) راجع كتاب الله جل جلاله ، سعيد حوى ص ١٢٣

وكل منطق يؤدي في نهايته الى التسليم بوجود خالق مدبر حكيم عند المؤمنين ينتهي عند الملاحدة بوجود شيء لا وجود له هو المصادفة .. وكل ما كان وكل ما يكون ، وكل ما هو كائن فعلته الأولى هي المصادفة وأساسه الحقيقي هو المصادفة ، منها صدر ، وعليها يقوم ، وبها يتخذ ما شاءت لـــه المصادفة من شكل أو كيف أو اتجاه .. (١)

وليس شأننا في هذا البحث أن نكتفي بالتسفيه والتشنيع ، ولكننا نناقش الأمر من جميع الوجوه .. نناقشه بأقوال الكثرة الكاثرة والأغلبية الساحقة من امثالهم من أساطين العلم الحديث ..

ثم نترك المجال للطبيعة نفسها لتكذب فكرة الصدفة العمياء . وبهذلك ننتقل الى مناقشة افكار بعض الملاحدة المؤيدين للصدفة وأخيرا نقرر للملاحدة قانون الصدفة للبيان أن الصدفة ليس لها عمل في الخلق ..

* * *

أولا — الطبيعة والكون :

الطبيعة في اللغة ، تعني الخلق والسجية ، وقد جاء في تـــاج العروس قوله : " والطبع والطبيعة والطباع كــتاب الخلقة والســـجية التي جبل عليها الانسان " (٢)

أما الكون في اللغة : فهو (الحدث) (٣) اذ أن لفظة (كون) فـــي الأصل تدل على حدوث شيء اما في زمان ماض أو زمان حاضر .. (٤)

اذن ان كلمة الطبيعة تختلف عن كلمة الكون اختلافا بينا ..

---

(١) راجع الجفوة المفتعلة بين العلم والدين ، محمد علي يوسف ص٣٤ — ٣٥
(٢) الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ج ٥ ص١٤٢٨
(٣) ابن منظور لسان العرب ج ١٣ مادة الكون
(٤) ابن فارس ، مقاييس اللغة ج ٥ مادة الكون

والكون عند المتكلمين مرادف للوجود [١]. وأما معنى الكون في القرآن هو عبارة عما يكون بالارادة الالهية من الموجودات على اختلاف الوانها واشكالها بعد أن لم تكن [٢]. يقول تعالى ﴿ اذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون ﴾ [٣] وتطلق الكلمتان : الكون والعالم على كل شيء سوى الله لعدم اتصافه بالحدوث ..

وقد استعمل الأوربيون كلمة الطبيعة (Nature) بمعنى الكون أو العالم . فالطبيعة في اصطلاحهم : هي العالم بما فيه من أشياء مختلفة [٤] وهي تنقسم الى مفهومين في عقولهم :

المفهوم الأول :ـ انها عبارة عن الأشياء بذاتها ، فالجماد والنبات والحيوان كل هذه الكائنات هي الطبيعة وهو مفهوم غير دقيق ، وحكم غير سديد كما سيتضح لنا فيما يلي :

المفهوم الثاني :ـ انها عبارة عن صفات الأشياء وخصائصها فهذه الصفات من حرارة وبرودة ، ورطوبة ويبوسة وملاسة وخشونة ، وهذه القابليات من حركة وسكون ، ونمو واغتذاء وتزاوج وتوالد كل هذه الصفات والقابليات هي : الطبيعة .

هذان هما المفهومان لمعنى الطبيعة عند الأوربيين . فما نصيبهما من الحق اذن ؟ ؟

أما القول الأول فلا يخرج بالطبيعة ـ بالنسبة لخلق الوجود ـ عن تفسير الماء بالماء . يقولون : الأرض خلقت الأرض ، والسماء خلقت السماء والأصناف صنفت نفسها وكل شيء أوجد ذاته . وهو في الوقت نفسه ، الخالق والمخلوق ، والحادث والمحدث ..

---

(١) البستاني ، بطرس ، محيط المحيط مادة الكون مكتبة البيان

(٢) التهانوي . كشاف مصطلحات الفنون مادة التكوين

(٣) سورة مريم ٦ ايـة رقم ٣٥

(٤) الفجوة المفتعلة بين العلم والدين : محمد علي يوسف ص٤١

وبطلان هذا القول واضح ، لا يحتاج الى أية مناقشة ، فهو ادعاء بـأن الشيء وجد بذاته من غير سبب • وقانون السببية عند جميع العقلاء — ما عدا الملاحدة — يبطل ذلك •• فمذهبهم هذا يدل على اندماج الخالق والمخلوق في كائن واحد فالسبب هو عين المسبب وهو مستحيل ، بل هو من التهافت والتناقض الصريح بحيث لا يحتاج الى الوقوف والشرح ••

أما القول الثاني : الذى هو جعل قابليات الاشياء خالقا لها • نقول : لوتكلف هؤلاء في البحث عن قابليات الأشياء التى اعتمدوا عليها فـــي خلق الأشياء لوجدوها سرابا خادعا يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لـم يجده شيئا •• ولا بد من توضيح ذلك بطريقة علمية :

لو أردنا استنبات حبة قمح ، نضعها في التراب أو القطن المبلل بالمـــاء فتنتفخ هذه الحبة وتنفلق فيظهر منها — أولا — الجذر متوجها نحو الأسفل ثم يظهر الساق يتوجه الى الأعلى ، ثم تظهر الأوراق فالأزهار فالثمار •

وفي هذه الحالة ، اذا سألت الملحد من الذى أنبت هذه الحبة يقول انهــا القابلية •• القابلية فقط !

فلا بد — اذن — أن نبحث عن هذه القابلية وعن حقيقتها :

لولم تنتفخ الحبة وتنفلق لما نشأ شيء•• فمن الذى نفخها وفلقها ، لوكان للحبة عقل وتدبير لقلنا : ان عقلها هو الذى هيأ لها ذلك ، ولو أن الماء هـو الذى نفخها وفلقها ، لأمكن للماء أن ينفخ في الحديد ويفلقه ، اذن فـــلا بد من مؤثر وقبول لذلك المؤثر ، وإن كانت الحبة بذاتها — جدلا — انتفخت وانفلقت فلماذا لم يجمد وتضمر بدلا من أن تنتفخ وتنمو ولكى يحصل التكاثر والبقاء يحتاج الأمر الى عقل وادراك ، ومنهاج مرسوم من قبل تلك البذرة ونعلم ومعنا الملاحدة ، أن البذرة لا تملك شيئا من ذلك ، فكيف حصلت اذن ثمرة بعينها؟ بل كيف حصلت ثمار كثيرة متنوعة ؟؟

وكيف كمنت الغاية المعينة والصفات المقصودة في صميم كل بذرة منها ؟

والحقيقة أن من أنعم النظر في تعبير الملاحدة المستندين الى القابلية حينما يقولون : طبع النبات على ذلك ،انتفخت الحبة وانفلقت وتوالدت الخلايا ، تميل الخلية الحية الى الانقسام ... يجد أنها افعال مبنية للمجهول لجهلهم أوتجاهلهم الفاعل الحقيقي .. فكأن الملحد الطبيعي أغمض العين عن السبب الحقيقي وبنى الفعل للمجهول تخلصا من ذكر الله تعالى .

فتقول له : فمن الذى نفخ في الحبة ؟ ومن الذى فلقها ؟ ومن الذى أدى الى التوالد ؟ ومن جبل الخلية على الانقسام ؟ ومن الذى جعلها تتفسخ بدلا من أن تضمر ،كل هذا التحقيق لا تصل اليه نظرة الملاحدة الطبيعيين القصيرة! بل هي مقتصرة على وصف الظواهر دون الذهاب للالى أسبابها ، بل هي مخطئة في جعل الصفة المنفعلة سببا فاعلا ، والقابلية مؤثرا ،والظاهرة المجهولة عاملا مكونا ..

والعجيب أن تجد الملحد الطبيعي يجعل من مجموع هذه الصفات مفهوما مركبا سماه (قابلية التوالد والنمو) ، فجعل من القابلية التى هى عرض من أعراض الشىء سببا فى الخلق ومن الصفة الانفعالية التى لا تعى ولا تدرك سببا فاعلا واعيا في تكوين الأشياء !

اذن فمن الذى ركز الطبيعة في العناصر ؟ ومن الذى نوع تلك الطبائع ؟ اذا قلت ذلك ترى الملحدين – بدون حياء – يقولون : ان ذلك كله من فعل الصدفة ! الصدفة وحدها التى اعطت الطبيعة قانون الطبيعة .... واذا قلت ان بذرة المشمش وبذرة الأرز مثلا حين توضعان في التراب تنتج كل واحدة منهما ثمرا يختلف عن الاخر ، بلونه ، وطعمه ،ورائحته مع أنه يسقى بماء واحد ، ومع اتفاقنا على أنه ليس للبذرة عقل ولا لجذر الشجرة ادراك ، فكيف كان الجذر يمتص الماء ويصطفي ذرات بعينها ،ويكون العصارة ،وينشيء الحلاوة اذا قلت له ذلك يرجع الى صنمه الأول فيقول : ان ذلك من فعل الصدفة وقوانين الطبيعة واليك قول هكسلي :

اذا كانت الوقائع نتيجة لعلل طبيعية فهي بالطبع ليست نتيجة لعلل ما فوق الطبيعة "(١)

* * *

أين يكمن الضعف في استدلال الملاحدة الطبيعيين ؟

اننا نستطيع فهم هذا الضعف من المثال البسيط التالي :

قد يشاهد احد الرجال قاطرة تجري على قضبان الحديد فيتبادر الى ذهنه سؤال : كيف تجرى هذه العجلات الثقيلة ؟

وبعد قليل من المشاهدة يصل الرجل الى الات وتروس القاطرة فيرى ان العجلات الثقيلة تتحرك بتحرك التروس والالات . أفبعد هذا الاكتشاف يحق لهذا الرجل أن يزعم أن الات القاطرة وحدها هي السبب في تحرك عجلاتها .

ومن الواضح أن الأمر ليس كذلك بهذه البساطة ، لأنه يجب أن نعترف بالسائق الذى يدير الماكينات ، ثم بالمهندس الذى صنع تلك الماكينات وأوجد القاطرة ، فلا وجود في الحقيقة للقاطرة ، ولا يمكن احداث الحركة في الاتها بدون عمل المهندس والسائق . فالماكينات الداخلية ليست هي الختام في قصة القاطرة بل ان الحقيقة النهائية هي " العقل " الذى أوجد تلك الماكينات ثم أدارها وحركها وفق ارادة مرسومة .

لقد أصاب عالم مسيحي حين قال : " ان الطبيعة لا تفسّر الكون ، وانما هي نفسها في حاجة الى تفسير " (٢)

وذلك لأن الطبيعة مجرد حقيقة من حقائق الكون وليست تفسيرا له ..

---

(١) راجع الدين ، وحيد الدين خان ص٦٥

(٢) نفس المرجع السابق ص٦٦

ولنفهم هذا من مثال آخر .

ان الكتكوت يعيش أيامه الاولى داخل قشرة البيضة القوية ، ويخرج منها بعد ما تتكسر مضغة لحم . لقد كان الانسان القديم يؤمن بأن اللـــــه أخرجه ، ولكنا شاهدنا اليوم — بالمنظار — أنه في اليوم الحادى والعشرين يظهر قرن صغير على منقار الكتكوت يستخدمه في تكسير قشرة البيضة ليخرج خارجا منها ثم يزول هذا القرن بعد بضعة أيام من خروجه من البيضة ..

* * *

هذه المشاهدة — كما يزعم الملاحدة — أبطلت الفكرة القديمة القائلة بأن الاله يخرج الكتكوت من البيضة اذ قد رأينا يقينا أن قانون " الواحد والعشرين يوما " يحدث هذه العملية . والحقيقة أن المشاهدة الجديدة لا تدلنا الا على حلقات جديدة للحادث ، ولا تكشف عن سببه الحقيقي ، فقد تغير الوضع الان فاصبح السؤال لا عن (تكسر البيضة) بل عن (كيف يظهر القرن) ؟ ان السبب الحقيقي سوف يتجلى لأعيننا حين نبحث عن العلة التي جاءت بهذا القرن ، العلة التي كانت على معرفة كاملة بأن الكتكوت سوف يحتاج الى هذا القرن ليخرج من البيضة ، فنحن لا نستطيع أن نعتبر الوضع الأخير (وهو مشاهدتنا بالمنظار) الا أنه مشاهدة للواقع على نطاق أوسع " ولكنه ليس تفسيرا له .

ان الاكتشاف الذى اعتبروه بديلا " للاله " يمكننا أن نفسره بصورة أنســه " أسلوب عمل الطبيعة " . اننا نستطيع أن نقول بكل قوة ، ان الله يجرى ارادته في الكون بواسطة هذه القوانين التي كشفت علومنا الحديثة بعض أجزائها فقط حتى الآن — يقول الله تعالى ﴿ وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا ﴾ (1) فالله تعالى جعل هذه القوانين [illegible]

---

(1) سورة الكهف : ٨٤

وليست هذه الأسباب أو هذه القوانين هي الخالقة المدبرة ، وأما الفاعل الحقيقي هو الله جل جلاله وعز كماله ..

ولو قصر النظر عند الملاحدة على هذه الأسباب ، لوجدنا الجواب شافيا منطقيا منسجما مع ما تقدم من التحقيق العلمي في الآية الكريمة التالية :

﴿ ان الله فالق الحب والنوى ، يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي ذلكم الله ربكم فأنى تؤفكون ﴾ (١) بذلك ترجع الاسباب كلها الى الخالق الأول وتعرف المجاهيل ، ويحسم الأمر ...

* * *

ولكي نزيد الأمر وضوحا ، نضرب لذلك مثلا آخر :

لنفرض ان رجال الدين يعتقدون ان الله يأتي بالمد والجزر في البحار ثم يأتي عالم من "علمائنا" الجدد ويقول لنا : ان المد والجزر له سببان هما قوة الجاذبية في القمر ، والتكوين الجغرافي أي الوضع الجغرافي لأجزاء الأرض البرية والبحرية .

اننا سنقبل هذا الكشف العلمي بكل سرور فليس هناك من داع يقتضي رفض هذا الكشف لأنه لا يؤثر اطلاقا على صواب عقيدتنا ، اننا نسلم بأن حدوث المد والجزر يقتضي قوة الجاذبية القمرية ، ويقتضي وضعا جغرافيا معينا لأجزاء الارض ، ولكن ما هي قوة الجاذبية ، وما هو الوضع الجغرافي الأرضي ؟ انهما — ايضا — من خلق الله ، والله يستخدم هذه الوسائل لتنفيذ ارادته وفعله ، ولولا استخدامه لهذه الوسائل المحددة لتنفيذ مشيئته لحلت الفوضى في الكون ولا نعدم النظام ، فالله سبحانه وتعالى لا يزال هو السبب الاول والحقيقي لطوفان البحار وفلق الحبوب والزارع الحقيقي كما ورد ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى :

﴿ أفرأيتم ما تحرثون ؟ أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون ؟ لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون : انا لمغرمون بل نحن محرومون ﴾ (٢)

(١) في سورة الانعام : ٩٥ (٢) في سورة الواقعة : ٦٣

هذا الزرع الذى ينبت بين ايديهم وينمو ويأتى ثماره ، ما دورهم فيه ؟ انهم يحرثون ويلقون الحب والبذور التي صنعها الله ، ثم ينتهى دورهم وتأخذ يد القدرة في عملها المعجز الخارق المجيب ... تأخذ الحبة أو البذرة طريقها لاعادة نوعها ، تبدؤه وتسير فيه سيرة العاقل العارف الخبير بمراحل الطريق ، الذى لا يخطئ مرة كما يخطئ الانسان في عمله ولا ينحرف عن طريقه ولا يضل الهدف المرسوم ! ..

هل هذه البذرة الصغيرة عاقلة حتى تعمل هذه الاعمال العجيبة ؟ لا! والله ! بل يد القدرة الالهية هى التي تتولى خطاها على طول الطريق ، ولولا ذلك تصبح هذه البذرة الصغيرة اعقل من الانسان ! لأن الانسان يخطئ في جميع أعماله حتى اتخذ العلم الحديث الخطأ والاحتمال قاعدة تنطلق منها للوصول الى الحقائق العلمية ، واذا انتفى أن هذه البذرة عاقلة لا يبقى هناك الا ان نقول ان العجيبة التى نراها في هذه الحبة هى من صنع الله العليم الحكيم .

* * *

ولولا ذلك كيف تأخذ هذه الحبة رحلتها العجيبة ، الرحلة التي ماكان تالعقل ليصدقها ، وما كان الخيال ليتصورها ، لولا أنها حدثت وتحدث ويراها كل انسان في صورة من الصور ، ونوع من الأنواع ، والا فأى عقل كان يصدق ، وأى خيال كان يتصور أن حبة القمح - مثلا - يكمن فيها هذا العود وهذا الورق وهذه السنبلة ، وهذا الحب الكثير ؟ أو أن النواة تكمن فيها نخلة كاملة سامقة بكل ماتحتوي به ؟!

* * *

---

(١) هذا الشرح أخذناه من كتاب في ظلال القرآن ، سيد قطب ج ٢٧ ص٧٠٣ المجلد السابع ولكن بالتصرف .

أي عقل كان يتطاول به الخيال الى تصور هذه العجيبة . لولا أنه يراهـا تقع بين يديه صباح مساء ولولا أن هذه القصة تتكرر على مرأى ومسمع من جميع الناس ؟

وأي انسان يمكنه أن يدعي انه صنع شيئا في هذه العجيبة سوى الحرث والقاء البذور التي صنعها الله ؟

ثم يقول الناس : زرعنا !! وهم لا يتجاوزون (الحرث) والقاء البذور . أما القصة العجيبة التي تشملها كل حبة وكل بذرة ، وأما الخارقة التي تنبت من قبلها وتنمو وترتفع فكلها من (صنع الله) الخالق الزارع الحقيقي . بل ولو شاء الله لم تبدأ رحلتها . ولو شاء لم تتم قصتها . ولو شاء لجعلها حطاما قبل ان تؤتي ثمارها وهي بمشيئته تقطع رحلتها من البدء الى الختام !

ولو وقع ذلك لظل الناس يلونون الحديث وينوعونه يقولون : ﴿ انا لمغرمون ﴾ : غارمون ﴿ بل نحن محرومون ﴾ ولكن فضل الله يمنحهم الثمر ويسمح للنبتة أن تتم دورتها ، وتكمل رحلتها ، وهي ذاتها التي تقوم بها الخلية التي تمنى .. وهي صورة من صور الحياة التي تنشئها القدرة الالهية وترعاها .. (١)

ومع هذا كله نقول للملاحدة : ان التفاعلات والاسباب كل ذلك ارادة الله في الكون . وان الطبيعة مجرد حقيقة من حقائق الكون ، وليست تفسيرا له ..

ومع كل ذلك تجد الملاحدة يصدون عنه صدودا ويقولون : ان فاعل ذلك كله ، هو الصدفة ! الصدفة هي تعمل عملها في الظلام بدون ارادة ولا علم ولا عقل وانما هي تخبط خبط عشواء ...

---

(١) لخصنا هذا الشرح أيضا من كتاب في ظلال القرآن ، لسيد قطب المجلد السابع الجزء ٢٧ /ص٧٠٤

وان بدت سخافة هذه المقالة الصهيانية فانها تستحق النظر لأنهـــا أفسدت في العالم قلوبا وأفكارا ..

اذ فما هي الصدفة وما قيمتها عند العلماء وعند البحث العلمي الصحيــح البعيد من الهوى والالحاد ؟

العلم والدين يقاتلان فكرة المصادفـة العمياء

كثيرا نسمع من الملاحدة المعاصرين يقولون : " ان هذا الكون المادى لا يحتاج الى خالق ويلخص ببرتراندرسل هذه النظرية المادية المتطرفـــة فيـقول :

" ليس وراء نشأة الانسان غايـة اوتدبير . ان نشأته وحياته وآماله ومخاوفـه وعواطفه وعقائده ليست الا نتيجـة لاجتماع ذرات جسمه عن طريـق المصادفة .. ولا تستطيع حماسته أو بطولته أو فكره أو شـعـوره أن تحول بينه وبين الموت .. وجميع ما قام به الانسان عبر الاجيال من اعمال فذة وما اتصف به من ذكاء واخلاص مصيره الفناء المرتبط بنهاية المجموعـة الشمسية . ولا بد أن يدفـن جميـــع ما حققه الانسان من نصر وما بناه من صروح المدنية تحت انقاض هذا الكون .. ان هذه الأمـور جميعا حقائق لا تقوى فلسفة من الفلسفات على انكـارها " (1)

ذلك هو منطق الملحدين الذى عبـر عنه هذا الملحد العاتي ولكنه منطـق سلبي .. لأنه ليس كل العلماء الطبيعيين يعتقدون في قدرة العلم على كـــل شيء حتى تستطيع أن تجد تفسيرا لكل شيء .. كما مر ذلك سابقا .

فالعلم لا تستطيع أن تحلل (الحق والجمال والسعادة) وذلـك باعتراف جميع الماديين . كما أنها عاجزة عن ان تجد تفسيرا لظاهرة الحياة او وسيلة لادراك غايتها .. بل ان العلم اشد عجـزا عن ان تثبت عدم وجود الله سبحانــــه وتعالى ..

---

(1) الله يتجـلى ص ٥٢

والكل يعلم — حقيقة — أن العلم لا تستطيع ان تفسر لنا كيف نشأت تلك الدقائق الصغيرة المتناهية في صغرها والتي لا يحصيها عدّ وهي التي تتكون منها جميع المواد • كما لا تستطيع العلم ان تفسر لنا بالاعتماد على (فكرة المصادفة) وحدها كيف تتجمع هذه الحقائق الصغيرة لكي تكون الحياة • ولا يوجد عند احد دليل قديما وحديثا على ذلك••

بل نتحدى هذا الملحد وغيره ان يبين لنا كيف تستطيع المصادفة أن تخلق هذا الكون• بل ان العلم نفسها قد أيدت فعلا كثيرا من النبوءات التي جاء بها الأديان الحقة• كما قاتلت العلم ، فكرة المصادفة — مع الأديان جنبا الى جنب كأنهما من مشكاة واحدة• بل انهما من مشكاة واحدة لأن الاديان أتت بكتب الله المقروءة وأما العلم فهي تدرس كتب الله المنظورة وهي هذا الكون الفسيح من الذرة الى الاجرام السماوية ••• هذا ما صرح به العالم الطبيعي والكاتب اللامع (أوليفر وندل) في هذه المناسبة : " كلما تقدمت العلم ضاقت بينها وبين الدين شقة الخلاف ، فالفهم الحقيقي للعلم يدعو الى زيادة الايمان بالله " (١)

وأيده (ايرفنج وليام نوبلوتشى) أستاذ العلوم الطبيعية — الحاصل على درجة الدكتوراة من جامعة أيووا — اخصائي الحياة البرية في الولايات المتحدة — أستاذ العلوم الطبيعية في جامعة ميشيجان منذ سنة ١٩٤٥ م اخصائي في وراثة النباتات ودراسة شكلها الظاهرى • أيده بقوله : (٢)

" أما بالنسبة الى نفسي بوصفي احد المشتغلين بالعلم ، فانني لا أستطيع أن انفي قوانين المصادفة (٣) لأنني ألمس نتائجها في كثير من أمور حياتنا

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص٥٣

(٢) المرجع السابق ص ٥٣

(٣) يرى فريق من العلماء المعاصرين ان استخدام لفظ المصادفة هو تخلص من تفسير الظاهرة او الأمر الذى حدث تفسيرا طبيعيا ، وعلة ذلك اننا لم نصل بعد الى تلك التفسيرات الطبيعية • هذا يقصده هذا العالم في استعمال لفظة المصادفة •

اليومية • ولا أستطيع كذلك أن أرفض النظريات الماديـة رفضا باتا لأن نجاح المشتغلين بالعلوم يتوقف على مدى وصولهم الى تفسيرات طبيعية للظواهـر الـوبصـة التي يدرسونها ••

" ولكنني او من بوجود الله • انني اعتقد في وجوده ـ سبحانه ـ لأنني لا أستطيع أن اتصور ان الصادفـة وحدها تستطيع أن تفسر لنا ظهـور الالكترونات والبروتونات الاولى او الذرات الأولى او الأحماض الأمينية الأولى او البروتوبلازم الأول أو البذرة الأولى او العقل الأول • انني اعتقد في وجود الله لأن وجوده القدسي هو التفسير المنطقي الوحيد لكل ما يحيط بنا من ظواهر هذا الكون التي نشاهدها " (١)

وبعد هذا التقرير الصريح من عالم أتيحت له هذه الفرصة السانحـة للاطلاع على نتائج هذه العلوم كلها • ننتقل الى استعراض صورة من العلم الحديث في ابطال الصدفة • واستعراض بعض الايات القرآنية للاثبـات أن العلم والدين يقاتلان معا ضد الصدفة العمياء •

العلم يبطل فكرة الصادفـة

أولا ـ شهادة علم الهندسـة :

ان هذه الشهادة يؤديها عـالم من العلماء الطبيعيين بل هو الذى استطاع أن يخترع المخ الالكتروني (٢) فلندعه يتكلم (٣) :

---

(١) المرجع السابق ص٤ه

(٢) مستشار هندسي ـ حاصل على درجة الماجستير من جامعة كلوراد و مستشار هندسي بمعامل جنرال (التريك ـ مصمم العقل الالكتروني للجمعية العلمية لدراسة الملاحة الجوية بمدينة لا نجلى فيلد) اخصائي في الالات الكهربائي والطبيعية للقياس •

المرجع السـابق ص ٨٨

(٣) تنبيه :لا اعتراض بين ما قررنا أولا أن الملاحدة اتخذوا العلم لضرب الأديان وبين ما نقرره هنا من ان العلم يدل على الايمان •• في التقرير الاول/هم الذين اتخذوا العلم سلاحا للالحاد والعلم برئ من ذلك• ان الملاحدة

" وانى احب ان أبدأ بذكر الحقائق التي لا سبيل الى انكارها والتى لا أشك فى أن غيرى ممن اسهموا في هذا الكتاب قد تناولوها : وهى ان التصميم يحتاج الى مصمم • وقد دعم هذا السبب القوى من اسباب ايمانى بالله ما أقوم به من الاعمال الهندسية •• فبعد اشتغالى سنوات عديدة في عمل تصميمات لأجهزة وأدوات كهربائية ، ازداد تقديرى لكل تصميم أو ابداع اينما وجدته •• وعلى ذلك فانه مما لا يتفق مع العقل والمنطق أن يكون ذلك التصميم البديع للعالم من حولنا الا من ابداع اله أعظم لا نهاية لتدبيره وابداعه وعبقريته ••

* * *

" حقيقة ان هذه طريقة من طرق الاستدلال على وجود الله ، ولكن العلوم الحديثة قد جعلتها أشد بيانا وأقوى حجة منها فى أى وقت مضى ••

ثم زاد قائلا :

" ان المهندس يعلم كيف يمجد النظام ، وكيف يقدر الصعاب التي تصاحب التصميم عندما يحاول المصمم أن يجمع بين القوى والمواد والقوانين الطبيعية في تحقيق هدف معين ، انه يقدر الابداع بسبب ما يواجهه من الصعاب والمشكلات عندما يحاول ان يضع تصميما جديدا •

* * *

لقد اشتغلت منذ سنوات عديدة بتصميم مخ الكترونى يستطيع ان يحل بسرعة بعض المعادلات المعقدة المتعلقة بنظرية " الشد في اتجاهين " • وقد حققنا هدفنا باستخدام مئات من الانابيب المفرغة والادوات الكهربية والميكانيكية والدوائر المعقدة ووضعها داخل صندوق يبلغ حجمه ثلاث اضعاف حجم اكبر " بيانو " ولا تزال الجمعية الاستشارية العلمية فى (لانجلى فيلد) تستخدم هذا المخ حتى الان •• وبعد اختراعى هذا الجهاز سنة أو سنتين ، وبعد أن واجهت كثيرا من المشكلات التى تطلبها تصميمه ووصلت الى حلها ، صار من المستحيلات بالنسبة

الى أن يتصور عقلي أن مثل هذا الجهاز يمكن فعله بأية طريقة اخرى غير استخدام العقل والذكاء والتصميم .." (١)

" وليس العالم من حولنا الا مجموعة هائلة من التصميم والابداع والتنظيم وبرغم استقلال بعضها عن بعض ، فانها متشابكة متداخلة ، وكل منها أكثر تعقيدا في كل ذرة من ذرات تركيبها من (ذلك المخ الالكتروني) الذى صنعته ..

فاذا كان هذا الجهاز يحتاج الى تصميم أفلا يحتاج ذلك الجهاز الفسيولوجي الكيمي البيولوجي الذى هو في جسمي ، والذى ليس بدوره - الا ذرة بسيطة من ذرات هذا الكون اللانهائي في اتساعه وابداعه ، الى مبدع يبدعه ..

ان التصميم أو النظام أو الترتيب ، أو سميها ما شئت لا يمكن أن تنشأ الا بطريقين : طريق المصادفة أو طريق الابداع والتصميم ، وكلما كان النظام أكثر تعقيدا ، بعد احتمال نشأته عن طريق المصادفة ..

ونحن في خضم هذا اللانهائي لا نستطيع الا أن نسلم بوجود الله تعالى .. (٢)

شهادة العلوم الطبيعية

يتساءل العلامة أ. كريسي موريسون عن سر الحياة وهل هي من صنع المادة :

" ان المتفق عليه عموما هو أنه لا البيئة وحدها ولا المادة مهما كانت مواتية للحياة ولا أي اتفاق في الظروف الكيماوية والطبيعية قد تخلقه المصادفة يمكنها أن تأتي بالحياة الى الوجود " (٣) ويقول :

" فالحياة هي المصدر الوحيد للوعي والشعور وهي وحدها التي تجعلنا ندرك صنع الله ويبهرنا جماله وان كانت أعيننا لا تزال فوقها غشاوة " .

---

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص٨٩

(٢) المصدر السابق ص٩٠

(٣) العلم يدعو الى الايمان . تاليف أ. كريسي موريسون ص٩٧

(٤) المصدر السابق ص٩٠ الطبعة الخامسة بوتية سنة ١٩٦٥ م .

ويقول : " والطبيعة لم تخلق الحياة ، فان الصخور التى حرقتها النار ، والبحار الخالية من الملح ، لم تتوافر فيها الشروط اللازمة " .

" نرى انه مما يدعو الى الدهشة على الاقل ان يكون تنظيم الطبيعة على هذا الشكل بالغا هذه الدقة الفائقة . لأنه ، لوكانت قشرة الأرض أسمك مما هى مقدار بضع أقدام ، لا متص ثانى اوكسيد الكربون والاوكسجين ، ولما امكن وجود حياة النبات ، وهناك احتمال بأن قشرة الأرض والمحيطات السحبة قد امتصت كل الاوكسجين ، وأن ظهور جميع الحيوانات التي تستنشق الاوكسجين وأن الحساب الدقيق قد يجعل هذا المصدر للأوكسجين في حيز الامكـــــان ولكن مهما كان مصدره فان كميته هى بالضبط مطابقة لاحتياجاتنا .

ولو كان الهواء ارفع كثيرا مما هو ، فان بعض الشهب التي تحترق الان كل يوم بالملايين في الهواء الخارجي ، كانت تضرب في جميع أجزاء الكرة الأرضية . وهى تسير بسرعة تتراوح بين ستة اميال واربعين ميلا في الثانية ، وكان في امكانها ان تشعل كل شيء قابل للاحتراق ...

وعجلة الموازنة العظيمة هي تلك الكتلة الفسيحة من الماء أى المحيط الذى استمدت منه الحياة والغذاء والمطر والمناخ المعتدل والنباتات ، وأخيرا الانسان نفسه .. فمن الذى يدرك ذلك يقف في روعة أمام عظمته . ويقر بواجباته شاكرا " .

---

(١) العلم يدعو للايمان . كريسى موريسون ص ٨٩

(٢) العلم يدعو للايمان . كريسى ص ٦٦ .

قد أصاب هذا الباحث حيث اثبت ان الحياة مستمدة من الماء لأن الله تعالى يقول : ﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ سورة النساء

وقد استدللنا بهذه الاية في مبحث " موقف القرآن من أصل الكون ولكنا رجعنا اليها هنا لعلاقتها الواضحة بما نحن بصدده .

شهادة علم الفلك في ابطال فكرة المصادفة

ورائدنا في هذه الشهادة رائد الفضاء الامريكي الذى يقول :

" ... عندما وقع عليّ الاختيار لبرنامج الفضاء كان بين اوائل الأشياء التي اعطيت لي ، كتيب (صغيرة) يحوى الكثير من المعلومات عن الفضاء ، وكان بين محتوياته فقرتان تتعلقان بضخامة الكون أثرتا فيّ تأثيرا بالغا ..

" ولكي ندرك هاتين الفقرتين يجب ان تعرف أولا ما هى السنة الضوئية : ان الضوء يسير بسرعة تبلغ ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية — أي ما يعادل الدوران حول الأرض حوالي سبع مرات في الثانية — فاذا أطلقت هذا الشعاع من الضوء وجعلته يستمر لمدة عام فان تلك المسافة التي يقطعها — تبلغ حوالي ٩,٥ مليون مليون كيلو متر — وهى السنة الضوئية !

واني اقتبس هنا ما ورد في الكتيب عن حجم الكون الذى نعيش فيه .. وعندما نذكر أن المجرة التي تضم كوكبنا يبلغ قطرها حوالي ١٠٠ الف سنة ضوئية نشعر بدهشة .

" ولما كانت الشمس نجما لا يعتد به يقع على مسافة حوالي ٣٠ الف سنة ضوئية من مركز المجرة ، ويدور في مدار خاص به كل ٢٠٠ مليون سنة أثناء دوران المجرة فاننا ندرك مدى صعوبة القياس الهائل للكون الواقع وراء المجموعة الشمسية ..

" بل ان الفضاء الذى يقع بين النجوم في مجرتنا ليس نهاية هذا الكون فوراء ه ملايين من المجرات ، الأخرى تندفع جميعا فيما يبدو وبتباعدة عن بعضها البعض بسرعة خيالية وتمتد حدود الكون المرئي بالمجهر مسافة ٢٠٠٠ مليون سنة ضوئية على الأقل في كل اتجاه .

" ان هذا الوصف يظهر مدى ضخامة الكون الذى نعيش فيه ... "

---

(١) راجع كتاب تذائف الحق ، للأستاذ محمد الغزالي ص ١٦ — منشورات المكتبة العصرية صيدا — بيروت .

" ... ولنعـد الان لما نعرفه عن تكوين الذرة[1] وهي أصغر جسم حتى الآن فنجد ان هناك تشابها كبيرا بين الذرات ومجموعتنا الشمسية فـــــي الكون ... "

" ذلك ان هذه الذرات لها الكترونات تدور حول النواة بصورة منتظمـــــة كدوران الأسرة الشمسية حول امها الشمس .. "

ثم قال :

" والآن ماذا أريد أن أقول ؟ أريد التحدث عن نظام الكون بأسره مـــن حولنا ...

" من أصغر تكوين ذرى الى اضخم شيء يمكن تصوره . مجرات تبعد ملا يين السنين الضوئية ،كلها يسير في مدارات مرسومة محدودة تضبط علاقـة كل منها بالأخرى . فهل يمكن ان يكون ذلك كله قد حدث اتفاقا ؟

" أكانت مصادفـة ان حزمة من نفايات الغازات الطافية بدات فجأة في صنـــع هذه المدارات وفقا لاتفاقهـا الخاص ؟

فقال في صراحة وصرامة :

" اني لا أستطيع تصديق ذلك.. بل ان ذلك مستحيل .. والمؤكد ان ذلك تم وفق خطة مرسومة محددة .. وهذا واحد من الأشياء الكثيرة في الفضـــــاء التي تبين لي أن هناك الها.. وأن قوة ما قد وضعت كل ذرة الأشياء في مدارات وأبقتها هناك تؤدى وظيفتها المعتدة ..

" ولنقارن السرعة في مشروعنا " عطارد " مع بعض هذه الأشياء التــــي نتحدث عـنها :

" اننا نظن أحيانا ان المشروع على ما يرام و فقد بلغنا سرعة تصل الى حوالـي ٢٩ الف كيلومتر في الساعة في الدوران حول الارض ــ أى حوالي ٨ كيلومترات في الثانية ــ وهى سرعة كبيرة حقا بالنسبة لمقاييسنا الأرضية كما أنها سرعـــة

(١) راجع المصدر السابق ص١٧ مع تغييرات طفيفة .

مرتفعة الى حد مناسب ونحن على ارتفاع يزيد قليلا على ١٦٠ كيلومتر ٠

أما بالنسبة لما يجرى فعلا في الفضاء فان مجهوداتنا هذه تعد ضئيلة جدا " اهـ ٠ (١)

وصدق رائد الفضاء في كلمته تلك ، فان ما يصل اليه الانسان بجهده وفكره شيء محدود القيمة بالنسبة الى ما يقع في العالم حوله ، ان الذى يتجول في مصانع السكر ــ مثلا ــ يرى الانابيب الطافحة بالعصير والأفران الملتهبة بالوقود ، والآلات التي تشغل مساحة شاسعة من الأرض ٠٠٠ فلا بد أن يتعجب من ذلك ٠٠٠

ولكن لو تأمل هذا الانسان في بطن نحلة صغيرة يؤدى هذه الوظيفة ٠٠ وظيفة صنع السكر دون كل تلك الاجهزة الدوارة والضجيج العالي : لو تأمل في ذلك لقال سبحان الله ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ﴾ (٢)

وأين نصيب الصادفة في كل ذلك ؟ هل للمصادفة نصيب في قطرة الماء التي ترى تحت المجهر وهى تحتوى الكترونات تدور حول نواة في المركز وهي تتشابه بتلك النجوم التي تشاهد خلال المنظار المكبر ؟ ؟

ان العقل السليم لا يقبل هذا بحال من الأحوال ٠ بل لا يسعه الا أن يمجد ذلك النظام الرائع وتلك الدقة البالغة والقوانين التي تعبر عن تماثل طواف الالكترونات حول كعبتها (البروتون) وطواف الأسرة الشمسية حول كعبتها أيضا التي هي الشمس ٠ هل في ذلك نصيب للمصادفة المزعومة ٠ ﴿ فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ (٣) .

---

(١) المصدر السابق ص ١٩

(٢) الاية من سورة لقمان / ١١

(٣) الاية من سورة الحج / ٤٦

هذا غريب من غرائب الفكر الالحادى

ولست أدرى كيف يفسر الملاحدة على أساس المصادفة ما أثبته العلم الحديث للأرض من صور الملاءمات العديدة .. ان العلم الحديث يرى أن الأرض كرة معلقة في الفضاء تدور حول نفسها ، فيكون في ذلك تتابع الليل والنهار ، وهى تسبح حول الشمس مرة في كل عام ، فيكون في ذلك تتابع الفصول الذى يؤدى بدوره الى زيادة مساحة الجزء الصالح للسكنى من سطح كوكبنا ويزيد من اختلاف الأنواع النباتية اكثر مما لوكانت الأرض ساكنة ..

ولست أدرى كيف يفهمون على أساس المصادفة ما قرره العلم الحديث من أن الأرض محيطة بغلاف غازى يشتمل على الغازات اللازمة للحياة ويمتد حولها الى ارتفاع كبير يزيد على ٥٠٠ ميل .. ويبلغ هذا الغلاف الغازى من الكثافة درجة تحول دون وصول ملايين الشهب القاتلة ..

والغلاف الجوى الذى يحيط بالأرض يحفظ درجة حرارتها في الحدود المناسبة للحياة ، ويحمل بخار الماء من المحيطات الى مسافات بعيدة داخل القارات حيث يمكن أن يتكاثف مطرا يحيى الأرض بعد موتها ، والمطر مصدر الماء العذب ، ولولاه لأصبحت الأرض صحراء جرداء خالية من كل أثر للحياة . ومن هنا نرى أن الجو والمحيطات الموجودة على سطح الأرض تمثل عجلة التوازن في الطبيعة (١) كما أفاد بذلك ا . كريسى موريسون في شهادته السابقة ...

ان الغريب كل الغريب كون الملاحدة يؤمنون بكل ذلك ولكنهم ينحرفون عن نتائجها اللازمة وهى اثبات الاله لهذا الكون الغريب .

---

(١) يراجع في ذلك كتاب الله يتجلى في عصر العلم ص٦ ــ ٧

يلمت أنهم ايضا كيف يقررون للماء خواصا هامة ثم ينسبونها الى شـــــيء لا عقل له بل هو يخبط ـ على زعمهم ـ خبط عشواء ـ ان ذلك لهـــــو الضلال المبين .

فهم يقررون ما أقره العلم الحديث من أن الماء يمتاز بأربع خواص هامة تعمل على صيانة الحياة في المحيطات والبحيرات والانهار ،وخاصة حينما يكون الشتاء قارسا وطويلا ، فالماء ـ كما يقرر العلم الحديث ـ يمتص كميات كبيرة مــــن الاوكسجين عندما تكون درجة حرارته منخفضة .. وتبلغ كثافة المـــاء أقصاها في درجة أربعة مئوية .. والثلج أقل كثافة من الماء مما يجعل الجليد المتكون في البحيرات والانهار يطفو على سطح الماء لخفته النسبية فيهيء بذلك الفرصة لا ستمرار حياة الكائنات التي تعيش في الماء في المناطق الباردة . وعندما يتجمد الماء تنطلق منه كميات كبيرة من الحرارة تساعد على صيانة حياة الأحياء التي تعيش في البحار .. هذا بعض ما قرره العلم الحديث (رب الملاحدة) ولكنهم يهربون من د لالات العلم الحديث . العلم يقول ان التصميم لا بد أن يكون له مصمم ... ولكن الملاحدة يرون خلاف ذلك .. فهـــم يعترفون بالتصميم الموجود في الكون ولكنهم ينكرون المصمم و يقولون : ان نظام الكون لا يحتاج الى أية اسطورة لا هوتية ، واذا وضعنا خواص الماء جانبـــا وانتقلنا الى الأرض اليابسة التي تعمل في صمت ولكنها عجيبــة . نجد الملاحدة يعترفون بتلك الأعاجيب كلها ثم ينحرفون عن لوازمها و دلالاتها .

فالأرض اليابسة ـ كما يقول العلم الحديث ـ فهي بيئة ثابتة لحياة كثيرة من الكائنـــات الأرضية ، فالتربـــة تحتوى العناصر التي يمتصها النبات ويحولها الى أنواع مختلفة من الطعام يفتقر اليها الحيوان .. ويوجد كثير من المعادن قريبا من سطح الأرض ، مما هيأ السبيل لقيام الحضارة الراهنـــة ونشأة كثير مـــــن الصناعات والفنون .

---

(١) المرجع السابق ص ٧ ولكــن بالتصرف

وعلى ذلك فان الأرض ـ بلغة العلم الحديث ـ مهيأة على أحسن صورة للحياة وهذا ـ بلا شك ـ من تدبير حكيم عليم لا يضل ولا ينسى ، وليس من المعقول ولا من المألوف ان يكون كل ذلك مجرد مصادفة أو خبط عشواء ..

وأخيرا لست ادري كيف عميت قلوبهم حينما يعترفون بوجود البروتونات وقوانينها المعقدة التي تحيرت منها قلوب الباحثين ، ثم يقولون بالصدفة العمياء .

أليس العلم الحديث (خالقهم الأوحد) يقول على لسان (فرانك ألسن) البيولوجي .. " ان البروتينات من المركبات الاساسية في جميع الخلايا الحية . وهي تتكون من خمسة عناصر هي : الكربون ، والايدروجين والنتروجين والاكسجين ، والكبريت .

" ويبلغ عدد الذرات في الجزيء البروتيني الواحد ٤٠٠٠٠ ذرة ، ولما كان عدد العناصر الكيموية في الطبيعة ٩٢ عنصرا موزعة كلها توزيعا عشوائيا ، فان احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة لكي تكون جزيئا من جزئيات البروتين يمكن حسابه لمعرفة كمية المادة التي ينبغي أن تخلط خلطا لكي تؤلف هذا الجزيء ، ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة لكي يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزيء الواحد ...

" وقد قام العالم الرياضي السويسري (تشارلز يوجين جاي) بحساب هذه العوامل جميعا فوجد أن الفرصة لا تتهيأ عن طريق المصادفة لتكوين جزيء بروتيني واحد الا بنسبة (١) الى ١٠/١٦٠ أي بنسبة الى رقم عشرة مضروبا في نفسه ١٦٠ مرة . وهو رقم لا يمكن النطق به او للتعبير عنه بكلمات . وينبغي أن تكون كمية المادة التي تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزيء واحد اكثر مما يتسع له كل هذا الكون بملايين المرات ويتطلب تكوين هذا الجزيء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة بلايين لا تحصى

---

(١) الله يتجلى ص ٩ ـ ١٠

من السنوات قدرها العالم السويسري بأنها عشرة مضروبة في نفسها ٢٤٣ مرة من السنين (١٠^٢٤٣ سنة) .

ثم يقول متسائلا :

" ان البروتينات تتكون من سلاسل طويلة من الأحماض الأمينية فكيف تتألف ذرات هذه الجزيئات ؟ انها اذا تألفت بطريقة اخرى غير التي تتألف بها ، تصير غير صالحة للحياة ، بل تصير في بعض الأحيان سموما . وقد حسب العالم الانجليزي ج . ب ليتز (J.B. Letz) الطرق التي يمكن ان تتألف بها الذرات في أحد الجزيئات البسيطة من البروتينات فوجد أن عددها يبلغ (١٠^٤٨) وعلى ذلك فانه من المحال عقلا أن تتألف كل هذه المصادفات لكي تبني جزيئا بروتينيا واحدا .

* * *

ثم صرح بأن المصادفة لا تعجز عن تأليف الذرات فقط ولكنها تعجز بشكل واضح عن ايجاد الحياة في المواد الكيماوية فقال :

" ولكن البروتينات ليست الا مواد كيماوية عديمة الحياة ، ولا تدب فيها الحياة الا عندما يحل فيها ذلك السر العجيب الذى لا ندري من كنهه شيئا . انه العقل اللانهائي (١) وهو الله وحده ، الذى استطاع أن يدرك ببالغ حكمته أن مثل ذلك الجزيء البروتيني يصلح لأن يكون مستقرا للحياة فبناه وصوره وأغدق عليه سر الحياة .." (٢)

---

(١) اننا لا ننكر المجهود الجبار الذى قدمه العالم للوصول الى الايمان بالله وحده ولكنه لم يزل – بعد – يحمل في ذاكرته بعض المصطلحات الالحادية وهو : تسمية الله سبحانه وتعالى " بالعقل اللانهائي " ان هذه التسمية ولو كان يراد بها اثبات وجود الله ، ولكنها في الوقت نفسه لا يجوز لمسلم أن يسمي الله بها لانها ليست من الاسماء الحسنى . ولقوله تعالى ﴿ فلله الاسماء الحسنى فادعوه بها . وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾ .

(٢) راجع الله يتجلى في عصر العلم ص ١٠

وقد رأينا في هذا الاستعراض السريع ان العلم الحديث يحارب فكرة الصدفة محاربة شديدة الا أن الملاحدة الجهلاء الذين ليس لديهم علم واسع في العلوم الطبيعية ولا في العلوم الدينية ، هم الذين ينكرون وجود الله الخالق المدبر . هذا ما أكده " آينشتاين " :

" ان التجربة الدينية للكون افضل وأقوى من كل ما يتفجر من أعماق البحوث العلمية والذى لا يفهم المجهودات الجبارة والثقة بالنفس التى من دونهـا لا يكتشف شئ جديد في التفكير العلمي فهو لا يستطيع أن يقدر قوة الشعور الذى ينشأ من خلال هذا العمل العلمي البعيد عن الحياة اليومية المباشرة . ولا بد أنه يوجد عند كـيبلير ونيوتن مثلا ايمان عميق بحكمة نظـام الكون وارادة قوية لفهمه وحتى لو لم يكن هذا الفهم الا شعاعا ضئيـلا من الحكمة المنزلة في الدنيا " (١)

ويقول أيضا : " ان العلم لا يستطيع أبدا أن ينفي بجد وجود الالـه الواحد الذى يقدر جميع الحوادث الطبيعية " .

ويقول : " والعلم لا يكتشف الا من طرف من هو متشبع جدا بطموح معرفة الحقيقة بتمامها وانما هذا الشعور مستمد من الدين ومن أيضا يظهر الايمان بأن القواعد المطبقة في عالمنا هذا منطقية أى ان العقل يدركها وانى لا أتصور عالما لا يملك هذا الايمان العميق وانى أعبر عن الحالة تلك بهاته الصورة : " العلم بلا دين أعرج والدين بلا علم أعمى " (٢).

هكذا يتضح خلال هذا المثال البسيط الذى يخص الضوء أن الموقف الفكرى عند أصحاب العلم الحديث الجهابذة ، يتنافى مع فكرة الصدفة وبعد هذا نود أن نرى أيضا موقف الدين .. في هذا المجال ..

---

(١) راجع كتاب للـه العلم : بشير التركى ص٣٣

(٢) المرجع السابق ص٣٣

الدين يبطل عقيدة الصدفة العمياء

ليست مصادفة ان تكون اول كلمات القرآن الكريم امرا بالدعوة الى القراءة .. وأن تدعو اول آياته الى العلم .. فان أول ما نزل من الآيات الشريفة هي :

﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم ﴾ (١)

وهي دعوة صريحة لتعلم القراءة والكتابة .. بل وجهت نظر الانسان الى ادق العلوم التى تخرجه من ظلمات فكرة المصادفة الى العلم بالايمان العميق .. وحتى علم الحيلة وخلق الانسان ..

فما نصيب الصدفة العمياء في خلق الجنين في بطن امه كما أخبرنا به القرآن الكريم في الايات التالية :

﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين • ثم جعلناه نطفة في قرار مكين • ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴾ (٢)

ثم بعد مئات السنين يقرر العلم الحديث بعد الاستعانة بالمجاهر وأجهزة للتصوير والأشعة ، أن الترتيب المنصوص عليه في هذه السورة هو ترتيب خلق الجنين ، والأكثر من هذا أنه حتى لم يمكن الاستعاضة من ألفاظ القرآن بغيرها ، فهي الألفاظ التى تدل على المعنى بغير لبس أو غموض أو زيادة أو نقصان .. فهذا ان دل على شيء فانما يدل على أن الدين والعلم يقاتلان معا هذه الفكرة الخاطئة ، فكرة الصدفة العمياء التي لا وجود لها في عالم الواقع .. كما يدل أن القرآن حق .

ثم تتابع الايات التى توجه النظر الى دقائق خلق الانسان فيقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ فلينظر الانسان مم خلق .. خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ (٣)

---

(١) في سورة العلق آية : ٥ (٢) في سورة المؤمنون آية : ١٤
(٣) في سورة الطارق آية : ٧

ثم يقرر القرآن حقائق وراثة الصفات في خلق الانسان فيقول المولى في سورة الانسان :

﴿ انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا ﴾(١)

أنجد ذلك مكان للصدفة العمياء في العقول النيرة ؟ أفليس ذلك دعوة صريحة من الله عز وجل للمسلمين بأن يتعلموا ؟ وليست مصادفة كذلك أن تتكرر في القرآن الكريم آيات الدعوة الصريحة الى النظر في خلق السموات والأرض وما فيهما مثل :

﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغنى الايات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾(٢)

﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾(٣)

﴿ أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ﴾(٤)

ولم يكتف القرآن بذلك بل دعا الى النظر في خلق النبات ومراقبة نموه ودراسة حياته اذ يقول المولى :

﴿ وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب ﴾(٥)

وقال : ﴿ أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا .. ﴾(٦)

تؤكد هذه الايات ان مراقبة نمو النبات ودراسة حياته شيء ينفي الصدفة العمياء التي لا تتفق مع العقل السليم ثم أكدت الآيات كذلك على اهمية العيون المائية وتموينها بماء المطر الذى يتجه اليها . ويستحق الأسر وقفة لنذكر بتسلط بعض المفاهيم في القرون الوسطى كمفهوم (أرسطو) الذى كان يرى أن الينابيع المائية تتكون بواسطة بحيرات جوفية . ويصف ر . آمينيـــرا س (R. Remeneras) الأستاذ بالمدرسة الوطنية للهندسة الزراعية

---

(١) سورة الانسان آية : ٢
(٢) سورة يونس اية : ١٠١
(٣) سورة الاعراف اية : ١٨٥
(٤) سورة ق اية : ٦
(٥) سورة الانعام اية : ٩٩
(٦) سورة الرعد اية : ١٧

والمياه والنباتات في مقاله " الهيدرولوجيا " (Hydrologie
بدائرة معارف اونيفرسال يصف المراحل الرئيسية في علم المياه ويستشهد بأعمال الرى القديمة الرائعة وخاصة تلك التى انجزت في الشرط الاوسط ، وهو يلاحظ أن المعرفة الملموسة قد سادت كل هذه الانجازات على حين كانت الافكار صادرة عن مفاهيم مغلوطة • ويردف المؤلف قائلا : " ويجب أن ننتظر حتى عصر النهضة ما بين ١٤٠٠ و ١٦٠٠ تقريبا حتى تتخلى المفاهيم الفلسفية الصرفة المكان لأبحاث تعتمد على الملاحظة الموضوعية للظاهرات الهيدرولوجية • (١)

فقد ثار (ليوناردو دافنشى) (Leonardo De Vinci
(١٤٥٢ ـ ١٥١٩) على دعاوى أرسطو ••

ويعطى (برنارد باليس) (Bernard palessy
في بحث له بعنوان " خطاب في روعة طبيعة المياه والعيون الطبيعية منها والصناعية Discours Admirable De La Nature Des Eaux Et Fontaine Tant Naturelles qu'artificielles.
(باريس ١٥٧٠) يعطى تفسيرا صحيحا في دور المياه وخاصة عن تموين الأمطار للينابيع " •• (٢)

أليست هذه بالتحديد هي الاشارة التى نجدها في الاية التالية التى تذكر اتجاه مياه الأمطار نحو الينابيع في الأرض ••

﴿ ألم تر أن الله يزجى سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ﴾ (٣)

---

(١) راجع عرضا كتاب دراسة الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة موريس بوكاى ص ٢٠٢

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٢ (٣) سورة النور آية : ٤٣

ويقول تعالى : ﴿ أفرأيتم الماء الذى تشربون ؟ أأنتم أنزلتموه من المـــزن أم نحن المنزلون لو نشاء لجعلناه أجاجا فلولا تشكرون ﴾ (1)

الاستشهاد بأن الله تعالى كان يستطيع أن يجعل الماء الطيب بطبيعتـــــه مالحا شديد الملوحـــة هو يدل على عجـــز الانسان وقصور فهمه عن طبائـــع المخلوقات ومنها المياه ٠

وقد كتب م٠١٠ فاس (M.A. Facy) مهندس عام الارصـاد الجوية الوطنية في مقالة " المهواطل " بدائرة معارف (أونيفرساليس) مايلى (٢) :

" لن يمكن أبدا اسقاط المطر من سحابة لا تحتوى على سمات السحابة القابلة للهطول او من سحابة لم تصل الى درجـة مناسبة من التطور (أو النضـج) ، وبالتالى فان الانسان لا يستطيع الا أن يعجل بعملية الهطول مستعينـــــا في ذلك بالوسائل التقنية الملائمة ، على شرط ان تكون الظروف الطبيعيـــــة لذلك جاهزة سلفا ٠ ولوكان الامر غير ذلك لما كان الجفاف عليا ٠ وهذا غير حادث ٠ كما هو واضح ٠٠ التحكم في المطر والطقس الجميل ما زال حتـــــى اليوم حلما ٠٠

" لا يستطيع الانسان ان يقطع كيفما يشاء الدورة الثابتة التي تضمن حركـة المياه في الطبيعة وعلى حسب تعليمات (الهيدرولوجيا) الحديثـة فيمكن تلخيص هذه الدورة كمايلى :

" يثير الاشعاع الحرارى للشمس تبخر الماء في المحيطات وكل السطوح الأرضية المغطاة أو المشبعة بالماء ٠ يتصاعد بخار الماء بهذا الشكل نحو الجـــو ويشكـل سحبا عن طريق تكاثفــه ٠٠ عندئذ تدخل الرياح لتؤدى دورها في نقـــــل السحب بعد تشكلها الى مسافات متنوعـة ٠٠ وقد تختفى السحب دون أن تعطى

---

(١) سورة الواقعة الايات ٦٨ ــ ٧٠

(٢) الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص٢٠٣

مطــرا • كما يمكن أن تلتقي كــتل السحاب مع كتل اخرى لتعطي بذلــك سحبا ذات كثافــة كبرى ، وقد تتجــزأ لتعطي مطرا في مرحلة من تطورها • وسرعان ما تتم الدورة بوصول المطر الى البحار التي تشكل ٧٠٪ من سطح الكــرة الأرضيــة •

أما المطر الذى يصل الى الأرض فقد يمتص جزئيا بواسطة النباتات • مساهما بذلك في نموها وهذه بدورها تتم خلال ترشحها باعطاء جزء من الماء الــى الجــو • أما الجزء الاخر فانه يتسلل بمقدار قد يقل او يكثر الى التربة ليتجه نحو المحيطات عبر مجارى الماء أو قد يتسرب في التربة ليعود نحــو الشبكة السطحية عن طريق الينابيع أو الاماكن الأخرى التي يخرج منهــــــا الماء الى الســطح " •

ولوقارنا معطيات علم الهيدرولوجيا الحديث بتلك التي نجدها في كثــير من الايات القرآنية المذكورة في هذه الفقرة ، سنلاحظ وجود توافق رائــــع بين الاثنين •

فعلى أى يدل هذا التوافق العجيب ؟ ؟ يدل على أن العلم والديـــــن من منبع واحد ، لانأحدهما كتب تتلى والآخر كتب تتدبر فيها ••• ان النتيجـــة الحتمية لهذا التوافق تراجــع الى شيء واحد لا ثاني له هو :

أن خالق هذا الكون اله واحد لا شريك له وليس له معين في الخلق لا من العقلاء ولا من غــير العقلاء مثل الصدفــة المزعومــة ••

الآفاق والأنفـــــس

فمخلوقات الله في السماء والأرض اكثر من أن تحصى ، فهل الى ذكرهــــا من سبيل ؟ الجواب : لا ولكننا لواتبعنا طريقــة القرآن في عرض هذه الأشياء لكان أيسر لأن القرآن يحض على النظرة الشاملة الكاملة حين يقول :

---

(١) يراجع في هذا التقرير الى المصدر السابق ص ٢٠٣

﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾ (١)

ثم نجد القرآن الكريم يقسم هذه النظرة الشاملة الكاملة الى قسمين : ويقول :

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ (٢)

اذا يحسن بنا أن نسير في هذه الفقرة على طريقة القرآن في اختيار بحسن آياته في الآفاق بالذكر . وقصدنا في كل ذلك : اثبات ان العلم والدين لا يعترفان — بحال من الاحوال — بوجود المصادفة المزعومة بل انهما يحاربانها محاربة ضيقة . فلنقرأ هذه الايات من كلمات ربي . يقول الخلاق العظيم في كتابه الكريم :

﴿ والسماء بنيناها بأيدينا وانا لموسعون ﴾ (٣)

﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء ﴾ (٤)

﴿ أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج ﴾ (٥)

﴿ الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ﴾ (٦)

﴿ وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها معرضون ﴾ (٧)

﴿ الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمان من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ﴾ (٨)

﴿ أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسوّاها وأغطش ليلها ﴾ (٩)

﴿ ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ﴾ (١٠)

﴿ تبارك الذى جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا ﴾ (١١)

﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ (١٢)

﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ (١٣)

---

(١) سورة الاعراف اية : ١٨٥ (٢) سورة فصلت اية : ٥٣

(٣) الذاريات اية : ٤٧ (٤) الاعراف اية : ٧٥

(٥) ق اية : ٧ (٦) الرعد اية : ٢ (٧) الأنبياء اية : ٣٢

(٨) سورة الملك آية : ٦ (٩) النازعات آية : ٢٨ (١٠) فاطر آية : ٤١

(١١) الفرقان آية : ٤١ (١٢) يس آية : ٢٨ (١٣) الواقعة اية : ٧٦

فتعال أيها الملحد المفترى ، تنظر ، كما أشارت الايات على ضوء العلم الحديث الذى تعتبرونه الخالق المدبر ، الى ما في هذه السماء من مخلوقات ثم تبدى رأيك في الصدفة الخرقاء العمياء ..

هل نظرت الى هذه السماء وما تحتويه من شئ مخلوق بلا تفاوت ، وبنيان مشيد بلا عمد وسقف محفوظ بلا فطور وسمك مرفوع بلا فروج والى ما فسى بنا ئها من نجوم لا تعد ولا تحصى وما لهذه النجوم من (مواقع)تستحق أن تكون محلا للقسم العظيم يقسمه الخلاق العظيم .

بماذا أحدثك هذه الجولة عن سعة السماء يا ملحد وان كنت لا تؤمن بهذه الايات القرآنية النيرة المباركة وما تحدثت عنه من سعة السماء ؟ فتعال مرة ثانية الى معطيات العلم الحديث في هذا المجال سترى ان السعة التى عرفها العلم اليوم عن السماء لم تكن تخطر على قلب بشر في العصر الذى نزل فيه القرآن .

انت قد درست فيما درست معنا فيما مضى من هذا البحث ، وبالتحديد في مبحث " شهادة علم الفلك " ، " وأن الضوء يقطع في الثانية ١٨٦ الف ميل أو ٣٠٠ الف كيلو متر أى أنه يقطع في الثانية (١١ مليون و ١٦٠ الف ميل) في السنة الواحدة من سنينا يقطع ستة ملايين مليون او ستة الاف مليار ميل تقريبا) ..

وهذه المسافة هى التي اصطلحوا على تسميتها (السنة الضوئية) ليعبروا عن ابعاد السماء الهائلة ، فمتى قيل لنا ان نجما يبعد عنا سنة ضوئية فهمنا أنه يبعد عنا ستة ملايين مليون ميل (1) ..

أليس هذا ما تؤمنون به يا ملحد ! نعم ! نعم ! هذا هو الحق ان العلم لا ينطق الا بعد التجربة الحسية .

اذن نتقدم خطوة اخرى معك يا ملحد !

---

(١) راجع كتاب قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، نديم الجسر ص ٣٠٥

" فالقمر يا ملحد ، وهو أقرب الاجرام السماوية الى الأرض ، يصل نوره الينا في أقل من ثانيتين لأن بعده عن الأرض ٢٤٠ الف ميل تقريبا أليس هذا يقره العلم الحديث يا ملحد ! نعم هذا هو ما تعتقده وتموت عليه . أحسنت يا ملحد فلنتقدم أيضا الى الأمام ..

" أما الشمس فيصل نورها الينا في نحو ٨ دقائق لأن بعدها عن الأرض ٩٣ مليون ميل تقريبا . فهل أزيدك يا ملحد ! نعم زدني !

فاعلم أن أقرب نجم الينا بعد الشمس يبعد عنا أربع سنوات ضوئية تقريبا ومعنى ذلك انه يبعد عنا ٢٣ مليون مليون ميل تقريبا .

أتؤمن بهذا التقرير العلمي الحديث يا ملحد ! طبعا طبعا فكل ما يصدر عن العلم لا مساومة فيه ابدا .. طيب ! ان هذا العدد تافه جدا امام التقارير الحديثة التي تقول : " ان وراء ذلك (النسر الطائر) الذي يبعد عنا ١٤ سنة ضوئية و (النسر الواقع) الذي يبعد عنا ٣٠ سنة ضوئية و (السماك الرامح) الذي يبعد عنا ٥٠ سنة ضوئية أي ٢٩٤ مليون مليون ميل تقريبا .

فما رأيك في هذا ؟ يا ملحد ! ان الحقيقة ان هذا الاخير شيء مدهش (1) . وهذا أيضا تافه يا ملحد !

" فوراء ذلك نجوم تبعد عنا الف سنة ضوئية ، ووراء مجرتنا هذه سدم منها سديم " المرأة المسلسلة " الذي يبعد عنا مليون سنة ضوئية ، ووراءه من السدم ما هو أبعد في تقدير العلماء " .

أليس هذا الذي وصل اليه العلم الحديث يا ملحد ! انه هو !

" هذا في سعة السماء ، أما عدد النجوم فماذا أحدثك عنه العلم الحديث يا ملحد ؟ واصل حديثك انني موافق لكل ما ذكر ..

---

(١) ان هذا الحوار نقلناه عن المصدر السابق مع تغييرات كثيرة ص ٣٠٥

" ان العلم يذكر ان النجوم بعدّ البعو بالملايين بعد ان كان الناس فى السابق يعدونها بالالوف ... فقد وصلوا – الآن – الى ثلاثين مليار في مجراتنا التى نحن من عالمها . هذا شيء يسير في سعة هذا العالم . اليس كذلك يا ملحد ! نعم لأنه من نتائج العلم الحديث الصرفة .. أفلا تحدثنا يا ملحد عن مواقع النجوم؟

لا ! لا ! واصل كلامك اذا وجد هناك خطأ فسوف أبينه !

" لقد رأى العلماء ان لهذه النجوم مواقع لا تتبدل ولا تتغير فظنوها ثابتة وسموها (الثوابت) ومنها شمسنا . وما هي بثوابت كما حقق العلماء في هذا العصر . بل كلها تدور وتجرى لمستقر لها في مجرى بين مختلفين متداخل احداهما في الاخر ..

هل توافق العلم في تقريره الاول أم الثاني ؟

الملحد : أوافقه في الثاني ! ولماذا لا توافقه في الأول ؟

الملحد : انه قد تبين انه خطأ .

أيقع العلم الحديث في خطأ ؟ ؟

الملحد : وكيف لا ! انه في تطور دائم ومحاولات جديدة مستمرة ..

وكيف تؤمنون بشيء في كل شئونكم مع الاعتراف بأنه متعرض للخطأ ؟ ولما طالت مدة انتظار الجواب من الملحد قلنا : فلنتقدم اذن يا ملحد الى الامام مع هذا المأخذ الواضح على العلم الحديث الذى لا مفر منه ..

يا ملحد ! الست قرأت معنا الايات السابقة أن القرآن يقول : ﴿ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾

الملحد : نعم قد قرأنا هذه الاية .

هل هي تتنافى مع حقائق العلم الحديث التي توصل اليها اخيرا ؟

الملحد : لا منافاة بينهما !

لماذا لا تؤمن بالحقائق التي جاءت بها الأديان والتي وافقت معلوماتك ؟

الملحد : أعرف بعد هذا الحوار ان الدين كذلك قام على حقائق علمية ولكننا لا نستطيع ان نتصور ان لهذا الكون خالقا لأن بعض علمائنا المشهورين مثل برتراند رسل أثبت أن هذا الكون لا يحتاج الى موجد ومثل لابلاس الذى يقول : ان هذا الكون لا يحتاج الى اية اسطورة لا هوتية وكما قال داروين :
تدخل عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت
ان تدخل الله في الكون بمثابة / فكيف اذن أترك هذه التقارير من هؤلاء العلماء الفطاحل ؟

يا ملحد : ما زلت على ضلالك القديم ؟ اذن نغير معك اسلوب الحوار فلننتقل سريعا الى قانون المصادفة لنرى معك نصيب المصادفة من هذا العالم المنظم المتقن ..

الملحد : طيب فلننتقل اليه فهو الفيصل في هذا الباب ..

وهكذا رأينا ان الالحاد مبنى على تقليد أعمى اكثر من ان يكون مبنيا على علم ودراسة • ان الملحد اقرّ بأن الشمس تجرى كما قال القرآن ولكنه لا يستطيع أن يؤمن بقيمة هذه النتيجة لأن علمائهم اثبتوا في اقوالهم أن هذا العالم لا يحتاج الى موجد مدبر حكيم • فلا يؤمن بالله
هذا فوز
الا اذا اثبتنا علميا أن الصدفة عاجزة عن خلق هذا الكون ه/ —
ان نقدم له
اذن —/ قانون الصدفة الذى اتفق عليه علماء الطبيعة ومعهم الملاحدة ايضا •

قانون الصدفة

ان المصادفة تبدو شاردة ، غير منتظمة ، وغير خاضعة لأية طريقة من طرق الحساب ، ولكن اذا كنا تدهشنا مفاجآتها ثانيا مع ذلك خاضعة لقانون صارم نافذ (١) • ولا بد من ايضاح ذلك بضرب الأمثلة :

---

(١) العلم يدعو للايمان ، ا• كريسى موريسون ص١٣

اذا أخذنا — مثلا — لوحا ، واغرزنا فيه ابرة ، ووضعنا في ثقبه ابرة ثانية أخرى وقل لي يا ملحد ، اذا رأى انسان عاقل هاتين الابرتين ، وسأل كيف أدخلت الثانية في ثقب الأولى ؟ فأخبره انسان ، معروف بالصدق ، ان الذى ادخلها رجل ماهر قذف بها ، من بعد عشرة أمتار ، فاستطاع أن يدخلها في شق الابرة الاولى ..

ثم أخبره انسان ، معروف بالصدق ، ان الذى ادخلها في ثقب الاولى ، صبي صغير ولد من بطن أمه أعمى ، فوقعت في الشق (بطريق المصادفـــة)

فأى الخبرين تصدق يا ملحد !

الملحد : انه ولا ريب أميل الى تصديق الخبر الأول وكما يميل اليه كل عاقل ، ولكنني مع ذلك أرى أن المصادفة ممكنة ، فلذا لا أستطيع بهذا المثال أن أجزم بترجيح أحد الخبرين على الآخر ... اذا كان عندك شيء آخر غير هذا فأت به ! (١)

فاسمع اذن يا ملحد ! لو اذا رأى هذا الرجل ابرة ثالثة مغروزة في شق الابرة الثانية ايضا ، فهل يبقى عدم الترجيح على حاله عندك ؟

الملحد : كلا بل يتقوى ترجيح (القصد) على المصادفة ، ولكنه مع كل ذلك لا أستطيع أن انفي فكرة المصادفة كليا وانما ارجح القصد ترجيحـــا ضعيفا ..

يا عجبا . ولكن اذا رأيت أن هناك عشر ابر ، كل واحدة منها مغروزة في ثقب الاخرى التي تليها ، فهل ترجح فكرة القصد ترجيحا ضعيفا أو قويـــا .

الملحد : الآن القصد مرجح عندي ترجيحا قويا حتى يبدو ان أقول ان فكرة المصادفة كادت أن تتلاشى .. ولكنني أجد في نفسي دائما — أن المصادفة موجودة ولكنها تكون مستبعدة احيانا كهذه الحال وليست مستحيلة ؟

---

(١) راجع كتاب قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، نديم الجسر ، ولكن أغلب الالفاظ قد تصرفنا فيها .. ص ٢٩٢

الى الان ما زلت على فكرتك القديمة يا ملحد ؟

اذن فلا بد أن نغير معك اسلوب الحوار أيضا وصدق الله : ﴿ وكان الانسان أكثر شيء جدلا ﴾ فخذ مثلا آخر لعلك به تهتدى :

يا ملحد ! لو رأيت احدا يقول لك ان حروف مطبعة كونت بنفسها عند اختلاطها ، بالصادفة كتابا كاملا من (٥٠٠) صفحة ينطوى على قصيدة واحدة تؤلف بمجموعها وحدة كاملة مترابطة بتلائمة منسجمة بالفاظها واوزانها وقوافيها ومعانيها ومجازيها ، فهل كنت تصدق ذلك يا ملحد ؟

الملحد : لا ! لا ! أبدا لا أصدقه !

ولماذا لا تصدقه يا ملحد ! (١)

الملحد : لأني هنا أجد الاستحالة بديهية حقا بخلاف الابر العشر ، لا أجد وجه الاستحالة واضحا وبديهيا كما أجده في مثال الكتاب .

أتدرى — يا ملحد — ما هو السبب في ذلك ؟

السبب يرتكز على قانون الصادفة نفسه : فالتزاحم بين الابر يجرى بين عدد قليل فيحمل خط الصادفة بنسبة معينة .. وهذه النسبة وان كانت تكفى لا بطال فكرة الصادفة ، ولكن التزاحم بين حروف الكتابة يجرى بين (٥٠٠) الف حرف على تكوين (١٦٥) ألف كلمة تقريبا ، بأشكال وترتيبات لا تحد ولا تحصى أبداً . وهذا ما يجعل خط الصادفة بنسبة واحد ضد عدد هائل جدا جدا لو قلت عنه أنه مليار مليار مليار لكان قليلا ...

هذا في كتاب المطبعة وكلماته المحدودة المعدودة يا ملحد !

فما قولك في كتاب الله الأعظم وكلماته التي يقول عنه جلت قدرته :

﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا ﴾

ويقول : ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾ .. ؟

---

(١) المرجع السابق ص ٢٩٥

وبهذا الاستعراض نصل الى النتيجة التالية :

" ان حظ المصادفة من الاعتبار يزداد وينقص ، بنسبة معكوسة مع عدد الامكانيات المتكافئة المتزاحمة " (١)

وتوضيح ذلك : انه كلما قل عدد الأشياء المتزاحمة ازداد حظ المصادفة من النجاح ، وكلما كثر عددها قل حظ المصادفة ، فاذا كان التزاحم بين شيئين اثنين متكافئين ، يكون حظ المصادفة بنسبة (واحد ضد اثنين) واذا كان التزاحم بين عشرة يكون حظ المصادفة بنسبة (واحد ضد عشرة) وهكذا الأمر حتى تصبح المصادفة في حكم العدم ، بل المستحيل ..

تعال نتصور في عدد ما في عالم الخلق (من شيء) في ملكوت السموات والارض ، من الذرة الى المجرة ، وعدد ما يربط بينها ، في عالم الأمر ، من روابط وعلائق على اختلاف النواميس ، والاقدار ، والعدد ، والأشكال والحركات والأوضاع .. هل يتصور أن توجد هذه الأشياء بطريق الصدفة ؟ انه مستحيل في حكم العقل السليم .. ؟

هذا ما أكده الدكتور (واين اولت) بقوله :

" أما النظريات التي ترمي الى تفسير الكون تفسيرا آليا فانها تعجز عن تفسير كيف بدأ الكون ، ثم ترجع ما حدث من الظواهر التالية للنشأة الاولى الى محض المصادفة ، فالمصادفة هنا فكرة يستعاض بها عن فكرة وجود الله بقصد اكمال الصورة والبعد بها عن التشويه .. ولكن حتى بغض النظر عن الاعتبارات الدينية عامة ، نجد ان فكرة وجود الله أقرب الى العقل والمنطق من فكرة الصدفة ولا شك ، بل ان ذلك النظام البديع الذي يسود هذا الكون يدل دلالة حتمية على وجود اله منظم وليس على وجود مصادفة عمياء تخبط خبط عشواء " (٢)

---

(١) قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن — نديم الجسر ص٢٩٣

(٢) عن كتاب الله يتجلى في عصر العلم ص١٣٣ — ١٣٤

ويقول (أدوين فاست) : " وإذا نظرنا الى الكائنات الحية الراقية فاننا نرى من بينها ما لديه من الذكاء ما يجعله قادرا على التخطيط والابتكـــار والقيام بأعمال تقرب من حدّ الاعجاز ويحاول أن تتغلب على القوانيـــن الطبيعية ... فاذا تصورنا أن كل ذلك يتم بمحض المصادفة التي تجعـل الجزيئات تجتمع بصورة معينة لكي تكون ذرات يتآلف بعضها مع بعض لكي تكون أجساما تقوم بدورها بالتكاثر وأداء سائر وظائف الحياة ويكون لها عقل وتفكير دون أن يكون وراء كل ذلك إله مدبر هو الذى خلق فصور فأبدع .. فان ذلك ما لا يقبله عقل او يتصوره فكر .. (١)

" وحتى اذا فعلنا ذلك فاننا نكون قد أخذنا بفرض مستحيل من الوجهة العلمية ، وطرحنا وراء ظهورنا فرضا منطقيا ألا وهو وجود الله الذى أنشـأ هذا الكون وبدأه بقدرته . فالله هو المبدئ " (٢)

وهكذا رأينا مع الملحد أن نظريــة المصادفة لا تقوم على أى دليل علمى مقبول ولا يقبلها أى عقل سليم .. ولهذا نرى القرآن يخاطب هؤلاء المتشككين بأسلوب انشائى يبين فيه أن الكون لا بد له من مسبب وهـــو الله سبحانه (أفي الله شك فاطر السموات والأرض) أى أفي وجود اللـــه وألوهيته وحده شك وهو خالق السموات والأرض ؟

وبلفت القرآن النظر الى الحكمة المتمثلة في خلق المخلوقات والتى تدل على خالق في نهاية العلم والحكمة . ﴿ صنع الله الذى أتقن كل شيء ﴾ فالمصادفة لا تخلق وجودا فيه علم وحكمة واتقان صنع ...

والغرض في هذه الفقرة ، اثبات أن العلم والدين يحاربان المصادفـــة معا . وقد حصل ذلك بمنه وكرمه .. فقد رأينا مختلف العلوم الحديثة قـــد حاربت هذه الفكرة وكما رأينا القرآن حاربها ثم رأينا أخيرا قانون الصدفـــة الذى يعترف به الملاحدة قد حاربها : والحمد لله على ذلك .

---

(١) المرجع السابق ص ٩٦ ـ ٩٧ (٢) المرجع السابق ص٩٦ ـ ٩٧

وليس معنى ذلك أن الملحد يرفض الالحاد بمجرد اثبات الدليل على بطلانه لا ! ان ذلك بتوفيق الله وعنايته لأن الملحد قد تعطلت فيه أجهزة الاستقبال الفطرى فليس في استطاعته أن يؤمن بمجرد وضوح دليل هذا ما أشار اليه القرآن بقوله :

﴿ الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون ﴾ (١)

ولولا ذلك كيف يلحد الانسان وهو يتلو الايات التالية :

﴿ انا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ (٢)

﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديرا ﴾ (٣)

﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ (٤)

﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وانبتنا فيها من كل شيء موزون ﴾ (٥)

﴿ وان من شيء الا عنده خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ﴾ (٦)

﴿ وأنزلنا من السماء ماء بقدر ﴾ (٧)

﴿ الذى أحسن كل شيء خلقه ﴾ (٨)

﴿ لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ﴾ (٩)

﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض ﴾ (١٠)

﴿ ما ترى في خلق الرحمان من تفاوت ﴾ (١١)

﴿ وكأين من آية في السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾ (١٢)

﴿ سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ﴾ (١٣)

---

(١) سورة الانعام اية : ١٢ — (٢) سورة القمر اية : ٤٩ — (٣) الفرقان آية : ٢

(٤) سورة الرعد اية : ٨ — (٥) سورة الحجر اية : ١٩

(٦) سورة الحجر اية : ٢١ — (٧) سورة المؤمنون اية : ١٨

(٨) سورة السجدة اية : ٧ — (٩) سورة التين اية : ٤

(١٠) سورة يونس اية : ١٠١ — (١١) سورة الملك اية : ٣

(١٢) سورة يوسف اية : ١٠٥ — (١٣) سورة فصلت اية : ٥٣

هذا يا ملحد بعض آيات الله التى أنزلها على عبده ورسوله محمد صلـــى الله عليه وسلم النبى الأمى سليل القبيلة الأمية وربيب البيئـــــة الأمية ، منذ أربعة عشر قرناً .

والملاحدة قديما وحديثا اذا اقيمت عليهم أدلة الاثبات لوجود الله تراهـــم ينتقلون الى حجة شيطانية خبيثة لا يستطيع المرء من أن يردها الا بعد تعمق في العلوم الدينية والفلسفية والمادية .

فما هي اذن هذه الحجة الشيطانية ؟

وفيما يلى محاولات لبيانها وابطالها :

حجـــة شـــيطانيـــة

رغم أننا قد ابطلنا في الفقرة السابقة ، فكرة الصادفة ، ولكن تبقى هناك حجة شيطانية يتمسكون بها – قديما وحديثا – لاثارة الشكوك في قلوب المرء ممن الذين لم يجربوا الأمور . .

وهذه الحجة الشيطانية قولهم : " اذا كان الله هو الخالق ، فمن الـذى خلقه " ؟ (١) ﴿ كبرت كلمة تخرج من أفواههم . سبحان الله عما يشركون ﴾

ان هذا الهذيان لا يقوله مؤمن جاد ، ولا عالم طبيعى جاد ، وانما يقولـه جاهل بالدين وجاهل بالعلم الحديث " والقديم " .

فالمؤمن الجاد يعلم يقينا ان للخالق صفات تخصـه ، وللمخلوق صفات تخصـه فلا يجعل من كان وجوده ذاتيا وواجبا في درجة من كان وجوده جائزا ان الخالق ليس بحادث ، فينطبق عليه قانون الحوادث في السؤال عن خالق له فذلك غير سائغ ، لأنه كامل مطلق ، والكامل المطلق لا يحتاج الى غيره . .

---

(١) الوجود الحق ، الدكتور حسن الهويدى ص ٣٦

وقول الملحد هنا بعد اقراره بأن الله يجب ان يكون هو الكامل المطلق: أين موجود الكامل المطلق ؟ تناقض بيّن ، وخطأ ذريع تشتمل عليه الجملة في طرفيها ، فأولها عجز وافتقار : (أين موجده) ؟ وآخرها (كمال مطلق) لا يتطرق اليه العجز والافتقار ، اذن فالكامل المطلق لا يفتقر بحكم كماله الى سبب يحدثه ، والا كنا مضطرين الى نقض كماله ، وذلك أمر ثابت مقرر عندنا ..

ولعل بعض السطحيين يظن أن هذه المفاجأة بهذا السؤال غريبة على عقول المؤمنين بالخالق ، والحق ان السؤال ليس مفاجئا ، فقد أشار اليه الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذى رواه البخاري :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يأتي الشيطان احدكم فيقول من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول من خلق ربك ؟ فاذا بلغه فليستعذ بالله ولينته " (١)

وقد ورد معناه في حديث اخر ، يرويه البخاري ايضا ومسلم عن ابي هريرة قال " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال : هذا خلق الله الخلق ، فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل : آمنت بالله ورسله ".

والتورط في هذا الخطأ راجع الى علة نفسية وجهل صاحب السؤال بالدين والعلم . ذلك ان شدة سيطرة القاعدة الاولى الخاصة بالحوادث (لا بد لكل حادث من محدث) والتي تبرز لأعيننا في مئات الحوادث كل يوم ، جعلته يطبق (بقصد او بغير قصد) هذه القاعدة على الله الذى ليس كمثله شيء .

---

(١) رواه البخاري في باب الاعتصام ١٣ ورواه مسلم في باب الايمان ٢١٢
(٢) رواه البخاري ، ، بدء الخلق ١١ ورواه مسلم ، ، ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧

وشأنه في هذا القياس الشيطاني ، شأن رجل يشتغل طوال عمره بكيميـــاء النحاس فعرض له الذهب فجأة ، فراح يطبق عليه قوانين النحاس ، افتـراء بعيب أم يخطـىء ؟ لا جرم انه مخطيء ٠٠ وأن خطاه نشأ من انهماكـه الدائم في قانون معين وقلته عن التفريق بين القوانين حينما اختلفت مجالاتها التطبيقيـة و تعرف كل فطرة سليمة أن خالق الحوادث لا يتصف بالحدوث قطعا فكيف نطبق عليه قانون الحوادث ٠

ان هذه الشبـهة مع سخافتها وحماقتها ، يقيم في ظلماتها الكثيرون ، هـي التي ردت كثيرا من الناس اليوم عن قبول الحق ، وهي نتيجـة سـيئة لامتداد الفلسفة الى ما وراء حدود اهلها ، حتى بلغت عقول العامـة من المتطفلين على الفلسفة ، أو ادعاء العلم الحديث ، فأصبحوا في كل واد يهيمون و يتكلمون فيما لا يعرفون ، وهم لقصور باعهم في هذا المضمار لا يستطيعون تمحيـــص الحق من الباطل ، ولو اخلصوا في ذلك ، لعدم الاستعداد ، كالرجل الذى لم يدرس الهندسة والحساب ، ويحاول ان يبرهن لك صحـة نظر يـــــــــة (فيثاغورس) مثلا واليك نموذج من هؤلاء المتطفلين :

الدكتور العظم والحـجة الشيطانية

خذ مثلا الدكتور صادق جلال الدين العظم ، الذى ألف كتابا سماه : نقـــد الفكر الدينـي ٠ ومن قرأ هذا الكتاب يرى فيـه عجبا من المغالطات والا باطيل والافتراءات ٠ وسائر وسائل الجدال بالباطل كدحض قضيـة الحـــق ٠٠

ومن هذه الافتراءات قوله :

" ان قولنا باحتضار الله في المجتمعات المتخلفة يشكل تمثيلا رمـز يا لحالـــة الثورة والفوران ، وفقدان الجذور التي تعانيها هذه المجتمعات في محاولاتهـــا الوصول الى نوع من التعايش المرحلي بين الافكار العلمية الجديدة وتطبيقاتهـــا

---

(١) راجع كتاب نقد الفكر الديني ، د٠ عظم ص٢٨٠

العملية والصناعية ، وبين تراثها الديني السحيق ، دون أن يتنازل كليسا ورة واحدة عما في ماضيه من قيم غيبية ، لذلك نسمع دائما أصداء صرخة تقول :

" حتى لو سلمنا كليا بالنظرة العلمية للأشياء ستبقى أمامنا مشكلة (المصدر الأول) لهذا الكون .

لنفترض مع (رسل)(٢) ان الكون بدأ بسديم ، ولكن العلم لا يقول لنا : من أين جاء هذا السديم ، انه لا يتبين لنا من أين جاءت هذه المادة الأولى التي تطور منها كل شيء ؟ فلا بد للعلم اذن من أن يتصل بالدين في نهاية المطاف .

" ولكن السؤال بهذه الصورة يبين لنا مدى تحكم تربيتنا الدينية ، وتراثنا الغيبي في كل تفكيرنا ..

" لنفرض اننا سلمنا بأن الله وحده هو مصدر وجود المادة الأولى ، هل يحل ذلك المشكلة ؟ هل يجيب هذا الافتراض على سؤالنا عن مصدر السديم الأول ؟

والجواب هو طبعا بالنفي ، أنت تسأل عن علة وجود السديم الأول وتجيب بأنها (الله) ..

وأنا أسألك بدوري : " وما علة وجود الله " ؟

وستجيبني بأن الله غير معلول الوجود .

وهنا أجيبك : ولماذا لا نفترض أن المادة الأولى غير معلولة الوجود ؟ ابهذا يحسم النقاش دون اللجوء الى عالم الغيبيات ، والى كائنات روحية بحتة لا دليل لدينا على وجودها ، علما بأن ميل الفلاسفة القدماء بما فيهم المسلمون كان دائما نحو هذا الرأي اذ قالوا : (بقدم العالم) ولكنهم اضطروا

---

(١) راجع ايضا كتاب صراع مع الملاحدة حتى العظم ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص١٠١

(٢) يقصد (رسل) الملحد العاتي (برتراند رسل) الذي تحدثنا عنه مرارا .

للمداورة والمداراة بسبب التعصب الديني ضد هذه الفكرة الفلسفية للموضوع:(١)

" في الواقع علينا أن نعترف بكل تواضع بجهلنا حول كل ما يتعلق بمشكلة المصدر الأول للكون ..

عندما تقول لي : " وما علة وجود الله " ؟ ان أقصى ما تستطيع الاجابة به ،" لا أعرف الا أن وجود الله غير معلول ".(٢)

ومن جهة اخرى عندما تسألني : وما علة وجود المادة الأولى فان أقصى ما أستطيع الاجابة به : " لا أعرف الا أنها غير معلولة الوجود " ..

في نهاية الأمر اعترف كل منا بجهله حيال المصدر الأول للأشياء . ولكنك اعترفت بمدى بخطوة واحدة ،وأدخلت عناصر غيبية لا لزوم لها لحل المشكلة . ثم قال :

" والخلاصة ، اذا قلنا : ان المادة الاولى قديمة وغير محدثة ، أو أن الله قديم وغير محدث ، نكون قد اعترفنا بأننا لا نعرف ولن نعرف كيف يكون الجواب على مشكلة المصدر الأول للأشياء .

فالأفضل اذن — أن نعترف بجهلنا صراحة ومباشرة عوضا عن الاعتراف به (بطرق ملتوية) وبكلمات وعبارات رنانة ..

ليس من العيب أن نعترف بجهلنا ، لأن الاعتراف الصريح بأننا لا نعرف ما لا نعرفه من أهم مقومات التفكير العلمي .

وتعرفون أن العالم ملزم على تعليق الحكم عندما لا تتوفر لديه الأدلة والشواهد والبراهين الكافية لاثبات أو لنفي قضية ما .

" هذا هو الحد الأدنى من متطلبات الأمانة الفكرية في البحث الجاد عن المعرفة والحقيقة ".(٣) .

* * *

---

(١) المصدر الأول ص ١٠٢

(٢) المصدر الأول ص ١٠٣

(٣) المصدر الأول ص ١٠٣

هذا كلام (المحطم) حرفيا ، وعلينا أن نقوم بدورنا لتعرية أباطيلـــه أمام القارئ وبيان مغالطاته السخيفـة ..

اننا لا نرد عليه في سخافته حيث أطلق على هذا الخلاق العلي القدير كلمة (الاحتضار) ، وقد سبق لنا في هذا البحث أن (نيتشة) يقول : ان الله قد مات . ان مثل هذه الحماقة لا تستحق الوقوف عندها ولا تدخل في أي مجال أو في أي مستوى من مستويات النقاش العلمي أو البحث المنطقـي . ولا جواب لها في الحقيقـة الا أن ينزل الله عليه صاعقـة ، ولكن الله يمهل ولا يهمل حتـى اذا أخذه بالعذاب لا تجد له من نصيـر ..

ومن تأمل هذه المقالة الشنيعة ، يجدها ترتكز على النقاط التالية :

أولا :- ان المؤمن والملحد سواء ، فكل منهما لا يجد جوابا في اثبات مـا يعتقده الا أن يقول : لا أعرف الا أن وجود هذا الاصل غـيـر معلول .. اذن فلا فضل للايمان على الالحاد .. لأن كلا منهما يؤمن بشـيء غـيـر معلول ، وكلا هما قديم .

ثانيا :- وبعبارة اخرى : ان كلا من الله والسديم يصلح أن يكون هو الموجد لهذا الكون على حـد سواء ..

ثالثا :- اذا كان الله ـ سبحانه وتعالى ـ علـة لوجود الكـون فما هو علـة وجوده ؟ لأن القاعدة الفلسفية تقول : " كل موجود لا بد له من موجد " .

فهذه هي أهم النقاط التي دار حولها كلام هذا الملحد : فلنحط " كلا " كلمـة ..

أولا ـ قوله ما دام الله غير معلول فلم لا يكون السديم غير معلول أيضا ؟ (١)
ولدى البحث المنطقي الهادئ ، يتبين لكل ذي فكر صحيح ، ان هذه الحجة التي ساقها ليست الا مغالطة من المغالطات الفكرية ..

---

(١) راجع كتاب صراع مع الملاحدة ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ص١٠٤ــ١٠٥

وهذه المغالطة قائمة على التسوية بين أمرين متباينين تباينا كليا ولا يصح التسوية بينهما في الحكم . وفيما يلي تعرية تامة لهذه المغالطة من كل التلبيسات التي جللها بها .

فاذا أردنا أن نبين المغالطة في قوله هذا ، يكون التعبير كالتالي :

ما دام الموجود الأزلي غير معلول الوجود فلم لا يكون الموجود الحادث غير معلول الوجود أيضا ؟

وقد رأينا في الصفحات السابقة أن قياس الحادث على القديم الأزلي الذى لا أول له . من سخافة العقول ومن الحماقة والجهل ..

واذا قال الملحد : ولم لا تكون المادة الاولى لهذا الكون (كالسديم مثلا) قديمة أزلية غير حادثة . يصدر منها الخلق ثم يعود عليها ؟

نقول ان جوابه يؤخذ من طبيعة هذا الكون وما فيه من صفات وخصائص . لقد اتفق العلماء الطبيعيون المنصفون على حدوث العالم . وقد رأينا فيما مضى حينما ناقشنا الملحد الأول (ديمقريطس) القانون الثاني للحرارة الديناميكية وهو القانون الذى يسمونه (قانون الطاقة المتاحة) أو يسمونه (ضابط التغير) ان هذا القانون يثبت أنه لا يمكن أن يكون وجود الكون آزليا : اذ هو يفيد تناقص عمل الكون يوما بعد يوم . ولا بد من وقت تتساوى فيه حرارة جميع الموجودات . وحينئذ لا تبقى أية طاقة مفيدة للحياة والعمل وتنتهي العمليات الكيماوية والطبيعية وبذلك تنتهي الحياة ..

يذكر هذا التحقيق العلمي عالم امريكي في علم الحيوان ، هو : " ادوارد لوثر كيسل " ثم يقول :

" وهكذا تلقائيا وجود الاله ، لأن كل شيء ذى بداية لا يمكن أن يبتدئ بذاته ، ولا بد أن يحتاج الى المحرك الأول الخالق الاله " .

ونجد مثل هذا في كلام (السير جينس) اذ يقول في كلام له :

" تؤ من العلوم الحديثة بأن (عملية تغير الحرارة) سوف تستمر حتى تنتهي طاقاتها كلية ، ولم تصل هذه العملية حتى الان الى آخر درجاتها ، لأنه لوحدث شيء مثل هذا لما كنا الآن موجودين على ظهر الأرض حتى نفكر فيها ، ان هذه العملية تتقدم بسرعة مع الزمن ، ومن ثم لا بد لها من بداية ، ولا بد أنه قد حدثت عملية في الكون يمكن أن نسميها (خلقا في وقت ما) حيث لا يمكن هذا الكون أزليا "(١)

اذن — فحدوث الكون أمر معترف به عند العلماء الماديين ، ولكن الملحدين بالله يغالطون في الحقائق ، ويتظاهرون بالانتماء الى قافلة العلم والبحث العلمي زورا وبهتانا ،

فيبدو لنا بعد ذلك — أن تسوية (المعظم) بين الاله الخالق الأزلي وبين العالم المخلوق الحادث في موضوع الأزلية تسوية مبنية على الهوى لا على العلم والانصاف في التحقيق ...

وقد حققنا فيما مضى أن من كان أصله الوجود ووجوده أزلي ، فانه لا يحتاج أصلا الى علة لوجوده ، واذا كان لا يحتاج الى علة لوجوده ، فالسؤال عن هذه العلة خطأ وضلال .. ومخالف للمنطق السليم ..

وأما قوله ان المؤمن بالله ليس في استطاعته أن يثبت وجود الله الا أنه غير معلول ، ان القول فيه حقائق وأباطيل ،

وأما الحقائق في هذا القول ان الانسان لا يستطيع أن يدرك كنه الله لأنه لم يحط — بعد — الوسائل الكافية في معرفة الله عز وجل حسيا ، بل أن المنطق الصحيح يقضي أن الصغير لا يستوعب الكبير ، وأن الناقص لا يحيط بالكامل ، وقد عرفنا أن الانسان لا يتمتع اكثر من الكمال النسبي وأن الخالق يتصف بالكمال المطلق ..

---

(١) نشقلا عن كتاب صراع مع الملاحدة حتى العظم ص١٠٧

ومعنى ذلك ان الكمال النسبي لا يمكن ان يحيط بالكامل المطلق ، كمــا لا يحيط المحدود المحدود باللانهايــة ، أي : ان الانسان لا يمكن ان يحيط بالخالق حين البحث في معرفته او أن يدركــه ادراكــه للمحسوسات التي بين يديــه ..

ولكن ليس معنى ذلك ان عدم الاحاطة يقتضي عدم المعرفة ، كما يقول هذا الدكتور العظام ، فان الطفل الصغير يمكن أن يعرف رجلا كبيرا دون ان يحيط بجميع صفاته فالطفل عرفه ولكنه لم يحط به ، فالعجـز عن درك الادراك ادراك " فمن نفي ذلك فانه اما مصاب في عقله او متعصب لالحاده واغوائه ..

الفطرة السليمة تقر معرفة الله بدون احاطته

ان هذا يعرفه كل ذى فطرة سليمة ، تجد ذلك مصورا تصويرا حسيا فيما يروى " عن رجل مرتاب مر برجـل مؤمن على ساحل البحر ، فدعــاه الى الايمان فأبى الا أن يرى الله جهرة ــ كما يحتج بذلك كل ملحد ــ فانتحى المؤمن جانبا وحفر حفرة صغيرة وأخذ يصب من ماء البحر والماء يطفـح من جوانبها ، واستمر على ذلك حتى عجب منه صاحبه الملحد ، فأقبـل عليه قائلا :

ماذا تفعل ؟ قال : أريد أن انقل البحر الى هذه الحفرة ! قال : وهل يفعل ذلك عاقل ؟ وهل يستوعب هذه الحفرة الصغيرة مياه البحر الكبير ؟ قال المؤمن : "وهل يستوعب هذا الانسان الصغير الخالق الكبير ؟ " (١) انك لتجد تحديد هذا النوع من المعرفة في آيات القرآن الكريم " (٢)

﴿ لا تدركه الابصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ (٣)

لأن ادراك الاحاطة من خصائص الأكبر بالنسبة الى الأصغر ، وهو مفقــود في الأصغر بالنسبة الى الأكبر .

---

(١) الوجود الحق الدكتور حسن هويدى ص٣١
وراجع أيضا في ظلال القرآن ط١ ص ١٣ في المقدمة
(٢) المرجع السابق ص٣١ (٣) سورة الانعام اية : ١٠٣

﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نؤ من لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقـــة وأنتم تنظرون ﴾ (١) لا ستحالة اشتمال العين عليه ، لأنه ليس من الحـوادث المحسوسة فينتقل بطريق الحس، أي انه غير مادى فينطبق عليه قانـــــون المادة .

﴿ قال رب أرني انظر اليك قال لـــن تراني ولكن انظر الى الجبـــل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخرّ موسى صعقا ﴾ (٢)

وفيه اشارة الى أن الخالق لم يحجب نفسه ضنا على المخلوق بل ان نقص المخلوق الذى يتناسب مع الخلافة في الأرض هو الذى حجبــه عن الرؤيـــة ولذا يقول تعالى :

﴿ وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا ﴾ (٣)

لماذا لا يستطيع البشر أن يرى الله في هذه الدنيا ؟ فتجيب الآيـــة :

﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (٤)

وما دام لا يماثل الأشياء ولا تماثله فلن يدرك ادراك الأشـياء اذن فالذى نخلص اليه أن المبدع الأول لا يمكن أن يحيط به حين معرفتـه ولا أن ندركه ادراك المحسوس فهو يعرف معرفة كما قال تعالى :

﴿ قالت رسلهم أفي الله شـك فاطر السموات والأرض ﴾ (٥)

ولكنه لا يحاط به احاطة .. وبهذا تتضح للناس مغالطات الدكتور العظم وتدارفاته بل الحاده المضلّ .

* * *

---

(١) سورة البقرة آية : ٥٥

(٢) سورة الاعراف آية : ١٤٣

(٣)

(٤) سورة الشورى اية : ١١

(٥) سورة ابراهيم اية : ١٠

وهنا يحاول الملحدون على عوام المسلمين مغالطة في سوق الدليل على وجود الله فيقولون لهم : ألستم تقولون : " ان كل موجود لا بد له من موجد " وان هذا الكون موجود فلا بد له من موجد ، وذلك هو الله تعالى ...

فيقول له العامي الذى لا يعرف أصول المغالطات : بلى ، عندئذ يستدرجه الملحد فيقول له : الله موجود وهو على حسب الدليل لا بد له من موجد فيجد العامي نفسه قد انقطع اذ لم يستطع جوابا ..

لكن الخبير الذى يسير على ضوء الكتاب والسنة ، لا يقبل أصلا صيغة الدليل على هذا الوجه القائم على المغالطة ..

وذلك لأن المقدمة (كل موجود لا بد له من موجد) مقدمة كاذبة غير صادقة . فالخبير لا يسلم بها لفسادها لأنه قياس شمولي .

فالله تعالى لا يتناوله القياس الشمولي ولا قياس التمثيل والذى ينبغي في حقه هو قياس الأولى ..

فماذا يقول الخبير ؟ فالخبير يقول بدل ذلك (كل موجود حادث لم يكن ثم كان لا بد له من موجد) .. ثم يقول :

(وهذا الكون موجود حادث لم يكن ثم كان بشهادة العقل وشهادة البحوث العلمية) عندئذ تتحصل النتيجة على النحو التالي : (اذن فلا بد لهذا الكون من محدث) وهذا المحدث للكون لا بد أن يكون موجودا أزليا غير حادث ولا بد أن يكون منزها عن كل الصفات التي يلزم منها حدوثه ، حتى لا يحتاج الى موجد يوجده ، بمقتضى الدليل الذى أثبتنا فيه وجود الله ..

وهكذا تجرى مغالطات الملحدين ، ليتصيدوا بها الجهلة والغافلين من المسلمين .. بغية استدراجهم واحراجهم ، ونقلهم من مرحلة الايمان الى مرحلة التشكك .

فالمؤمن يعلم أن الخالق أزلي ليس له من الصفات ما يلزم حدوثه ، وليس من الكائنات التي ندركها في العالم الخارجي ، لأن الكائنات عرضة للتغيير

والأفول ، وأن صفاتها الطارئة تملى عليها املاء وتتحكم بها قهرا والزاما ، وأن اكمل الكائنات هو هذا الانسان الذى نجده مقهورا لأسباب كثيرة فهـــو يولد ، ثم يعانى الام الحياة ثم يموت ، يجرى عليه كل ذلـــك رغم أنفه .

فما أروع ما استدل به أبو حنيفة على الفرق بين واجب الوجوب وبيـــــن الانسان العاجــز ... لقد سئل أبو حنيفة رضى الله عنه عن الدليل ، فتمسك بأن الانسان يريد أن يكون له ابن فتكون انثى وبالعكس فدل على وجـــود الصانع المختار ... وهو الله تعالى وقد أشار القرآن الكريم الى ذلـــك فيقول ﴿ يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم ﴾ (٢)

وانك لتجد ذلك التحقيق واضحا في القرآن الكريم في عدة صـــور ، منهـــا ما ورد بشكل حجـــة منطقية ، ومنها ما استند الى الواقع في آياته الكونيـــة والله أعـــلم ...

---

(١) مع الله نظرات في الكون والحياة ، عبد الجواب رجـــب ص٥٣

(٢) سورة آل عمران آية/٦

الفصل الثالـــث

الدين يتعـارض مع العلم الحديــث

ان الدين ــ كما يزعم الملحدون ــ من " الغلماء " : شيء لا حقيقـة له ، وهو مظـهر للغريزة الانسانيـة الباحـثة عن حقائق الكون ..

بل لا يعتقدون بأن للوجود خالقا ، انما يقولون أن كل ما في الوجـود أزلي صادر عن المادة ..

فلذا سخروا جميع طوميهم لمحاربـة الله ودينه ، وتشنيع " الغيبيـات " وتسفيه المؤمنين بها .. (١)

فهذا الفيلسوف الفرنسي " أوجست كونت " يدعـي لن التاريخ الانساني قد وصل ــ الان ــ الى المرحلة الأخيرة .. يعني المرحـلة الوضعيـــــــة (positive Stage) حيث لا تذكر الأرواح والالهــة والقوى المطلقـة .. فقد سبق وتحدثنا عن كل ذلك وأما هنا نود أن نشير الى منشأ هذا الضـلال وهذه السخافة التي يترنم بها الملاحدة أمام العــوام السـذج البسطـاء ..

x x x

ان المتتبع لأقوال الملاحدة ، يجد أن قضية العصر الحاضر ، ضـد الدين هـي : قضيـة " طريقة الاستدلال العلمي " (٢) أعني الطريقـة التي اتخذوها للوصول الـى الحقـائق العلميـة الماديـة..

هذه الطريقة الجديدة ، هي معرفة الحقيقة بالتجربـة والمشاهدة ، على حين تتصل عقائد الدين ــ في زعمهم ــ بعالم ما وراء حواسنا ، ولا يمكن اخضاعها للتجربة وهو ما يجعله متعارضا للعلم..

---

(١) أسس المادية الديلكتيكية والمادية التاريخية ، تأليف سبيركين ، " ياخوت " ت ، محمد الجندي ، دار التقدم موسكو ص٤٤

(٢) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص٦٠

هذا هو مصدر الضلال والالحاد الذى حال بين الملاحدة وبين الايمان بالله وقد نقلنا عنهم قولهم :

" كل معرفة حقة ، مرتبطة بالتجارب ... بحيث يمكن فحصها أو اثباتها بصورة مباشرة أو غير مباشرة " (١)

بناء على هذا يدعى الملحدون المعاصرون أن التطور الذى بلغ به الانسان ـ اليوم ـ أعلى مستوى من الانسانية ، وهو نفى للدين من تلقاء نفسه ...

وذلك أن (نيوتن) أثبت " أنه لا وجود لا له يحكم النجوم " ..

وقال (لا بلاس) الفرنسى قولته المشهورة ، التى تحدثنا عنها مرارا ـ وهى : " ان النظام الفلكى لا يحتاج الى أى اسطورة لا هوتية " (١)

* * *

وقبل ان ننقل اليك اقوال بعض العلماء الطبيعيين الذين ردوا على الملاحدة ، نقول اولا : ان قضية العصر الحاضر باطلة .. لأنها لا تقوم على أسس علمية .. وذلك ان الطريقة الجديدة ، لا تنفى وجود أشياء لم تجرب مباشرة ، كما لا تنفى الأشياء التى لا تدخل ـ بطبيعتها ـ تحت التجارب الحسية .. مثل وجود الارواح ، والعقل ، والذات الالهية ... وما أشبه ذلك .. ان مجاله أن يسأل فقط عن (ما هذا) ؟ ولا يدخل فى نطاقه السؤال الذى صيغته : (لماذا) ؟ .. فالدين من النوع الثانى ..

فليس من الممكن البحث عن حقائق الدين ، كما يبحث عن تطورات فنون العمارة ، والنسيج والحياكة والسيارات ..

فالدين علم على حقيقة يقبلها المجتمع أو يرفضها ، أو يقبلها فى شكل ناقص كالمسيحية مثلا .. ويبقى الدين فى جميع هذه الأحوال ، حقيقة واحدة فى ذاتها .. وانما تختلف فى أشكاله المقبولة ..

---

(١) الاسلام يتحدى ، وحيد الدين خان ص : ٢٤ نقلا عن كتاب :

ولهذا لا يمكن ان نفهم حقائق (الدين) بمجرد فهرسة مماثلة لجميع الأشكال الموجودة في المجتمعات باسم الدين .. أو بدراسة الشعوب البدائية في استراليا أوفي افريقيا كما فعل ذلك (أميل دوركايم) وأمثاله .. (١)

وكما فعل (كارل ماركس) الملحون الذي يقول : " ان الدين وليد التطور الاقتصادي ولا ارادة للانسان أن يتخلص منه أو هو أفيون الشعوب .. " (٢)

اننا لا نرد على كارل ماركس هنا أكثر من اشارتنا : اذا كانت هذه السخافة صحيحة ، فكيف تمكن كارل ماركس — وليد النظام الرأسمالي — من أن يفكر ضد العوامل الاقتصادية الرائجة في عصره ، حل صعد القمر لكي يبحث في أحوال الأرض ؟

وبعبارة أخرى : لوصح أن الدين وليد عصر مخصوص فكيف لم تكن الماركسية وليد النظام الرأسمالي لعصرها ؟ ..

واذا لم تصح هذا الوضع فيما يتعلق بالماركسية فكيف نصيغه بالنسبة الى الدين ؟

الحق ان هذه الفكرة ، فكرة معارضة الدين لحقائق العلم ، صيت مثير لا يحمل على ظهره أي دليل علمي أو عقلي كما ترى .. (١)

فلذا تصدى لهم علماء آخرون من علماء الطبيعة وبينوا أن العلم الحقيقي لا يتنافى مع الدين الصحيح .. وأن الالحاد ينتج عن الجهل .. الجهل فقط . واليك بعضا من أقوالهم :

يقول الفيلسوف الانجليزي فرانسيس بيكون الذي نقلنا عنه قوله سابقا : " ان قليلاً من الفلسفة يقرب الانسان من الالحاد وان التعمق في الفلسفة فيرده الى الدين .. "

---

(١) تهافت العلمانية ، الدكتور عماد الدين خليل ص٣٦ / مؤسسة الرسالة .
(٢) قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ، نديم الجسر ص ١٢٥

وما يسجل للقرآن كونه سبق أن قرر هذه الحقيقة منذ أربعة عشر قرنا فقد حصر خشية الله على وجهها الأكمل في العلماء .. قال تعالى :

﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ (١)

لأن العلماء - بما أوتوا - من صفات النظر العميق والتحقيق الدقيق يقفون على أسرار الابداع الالهي في الوجود ونواحي الاعجاز فيما لا يظهر لغيرهم من الملاحدة الماديين .

ويؤكد العلامة المؤرخ الطبيعي (فابر) (٢)

"كل عهد له أهواء جنونه ، فاني اعتبر الكفر بالله من الأهواء الجنونية وهو مرض العهد الحالي وأيسر عندي ان ينزعوا جلدي من أن ينزعوا مني العقيدة بالله".

هذه بعض أقوال المنصفين من العلماء الطبيعيين . وهناك أقطاب آخرون يرون ان العلم هو سبب تقوية ايمانهم .

يحسن بنا اذن ان ننقل اليك بعض تصريحاتهم في هذا المجال ليعرف حشرات الالحاد أنهم بعيدون عن العلم والدين معا ...

---

(١) سورة فاطر / ٢٨

(٢) روح الدين الاسلامي ، عفيف طبارة ص١٣

العلم يدعو الى الايمـــان

ان الماديين صرحـوا أن الكفر من ضرورات العلم ، وأن أكثر الناس علما هم اكثرهم الحادا ٠٠ فتصدى لهم جمهرة من اقطابهم فقالوا ان العلـــم يدعو الى الايمان وان الالحاد ينتج عن الجهل ٠٠ (١)

واليك شواهد على ذلك ٠٠

فقد نشر الدكتور " دينـرت " الالماني بحثا حلل فيه الاراء الفلسفيـة لاكابر العلماء الذين أناروا العقول في القرون الاربعة الأخيـرة وتوخى أن يدقق في تحرف عقائدهم فتبين له من دراسات ٢٩٠ منهم أن :

٢٨ منهم لم يصلوا الى عقيدة ما ٠٠

٢٤٢ أعلنوا على رؤوس الاشهاد الايمان بالله ٠٠

٢٠ فقط تبين أنهم غير مبالين بالوجهة الدينية أو ملاحدة ٠٠ (٢)

واذا اعتبرنا غير المبالين ملاحدة ، وجدنا ان ٩٢ في المئة من كبار العلماء يعتقدون بوجود الله تعالى ٠٠

فهذه النسبة الكبيرة تدل دلالة واضحة على أن التناقض بين الايمـــان والعلم الذين يزعم الماديون أنه وصف مميز للعلماء ، ليس له أصل ٠٠

وكما تشير ايضا الى أن الايمان والعلم يتكاملان ولا يتنافيـان ٠٠

واذا أردنا مزيدا فلنقرأ الكلمات الآتـية :

يقول ١٠ كرسي مور يسون :

" ان وجود الله ـ تدل عليه تنظيمات لا نهاية لها ٠٠ تكون الحياة بدونها مستحيلة " ٠٠

وان وجود الانسان على ظهر الأرض ، والمظاهر الفاخرة لذكائه ٠٠ انما هي جزء من برنامج ينفذه بارئ الكون ٠٠

---

(١) الله والعلم الحديث ، عبدالرزاق نوفل ص ٥ ط الثالثة سنة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣ م

(٢) روح الدين ، عفيف طبارة ص ٨٢

وقـــال :

" واني لأورد قول أوسبـورن (Osborn) في هــذا المجال : " بين جميع الأشياء التي لا يمكن ادراكها في الانسان ، تتركـز الصعوبــة الكبرى فيما له من مخ ، وذكاء ، وذاكرة وآمال ، وتوق كشـف وبحث ، وقدرة على تذليل العقبات .. (١)

ولنقرأ ايضا للدكتور (رنز) الكيماوي وعضو اكاديمية العلوم وعميد كلية الطب الباريزية فقد كتب يقول :

" اذا احسست في حين من الاحيان ان عقيدتي بالله قد تزعزعـت ، وجهت وجهي الى اكاديمية العلوم لتثبيتها ".

وقال (فاي) : " من الخطأ القول بأن العلم يفضي بصاحبه الى نكـران وجود الله " .

فلندع الكلام – الان – للجيلوجي الذائع الصيت (أدمون هربرت) المدرس بجامعة السوربون ، اذ يقول :

" العلم لا يمكن أن يؤدي الى الكفر ، ولا الى المادية ، ولا يفضي الـــى التشكيك " .

وقال الأستاذ الرياضي المشهور (كوشي) : ليست عقائدي ثمرة أوهامي الوراثيــة ولكنها نتيجــة تحقيقاتي العميقــة " (٢) .

وهكذا رأينا ان الالحاد ينتج عن الجهل ، وليس ما يقابل العلم والديـــن الصحيح .. لأن اكبر دعائم العلم .. كل العلم –هــو الايمان بقانون السببية ثم قانون العناية في الخلق ..

ولما كان الالحاد لا يؤمن بهذين القانونيــن اللذين –بدونهما – لا تستقر الحياة الدنيا – عرف انه ينتج عن الجهل والخرافــة ..

---

(١) يراجع العلم يدعو الى الايمان : ا . كرســي موريسون ص ٤٦ من الطبعة العربية
(٢) روح الدين الاسلامي ، عفيف طبارة ص ٨٣

أو ينتج عن جهل مركب بتعبير أدق .. وبيان ذلك : ان الملاحدة لما رأوا ان الذى يدعو الباحثين الى الايمان بالله ونسبة الأفعال الكونية اليه هو ما يرونه في الكون من دقة وحكمة واتقان تدل بوضوح على أن له غاية محدودة ، وهدفا مقصودا ، مما يدعم الايمان بالله - لما رأوا ذلك - بحثوا عن احدى السبل للحيلولة دون الوصول الى هذه النتيجة فلم يجدوا الا القول المتعصب المتحكم بأن الوجود ليس له غاية أصلا [1] وأن القول بذلك ينافي فن البحث العلمي لذا قال قائل منهم :

" ان العلماء يجب أن يتساءلوا عن " الكيفية " لا عن السبب .. ان السؤال عن السبب يعني ان هناك غرضا عاقلا وراء تصميم الأشياء .. وأن عوامل فوق الطبيعة توجه الأفعال نحو غايات معينة ..

ولهذا عرفنا ان هؤلاء الملاحدة الذين يرفضون الدين باسم العلم يرفضونه بجهل مركب فلذا يقول (فون بروكه) ذات مرة قائلا :

" ان الغائية سيدة لا يقدر عالم بيولوجي ان يحيا بدونها ومع ذلك فهو يخجل ان يظهر بصحبتها امام الناس " (٢)

---

(١) مصير الانسان ، ليكونت دى نوى ، ت خليل الجسر ، المنشورات العربية ص ٢٧٧ .

(٢) في البحث العلمي د. ١٠ ب بفروج . ت زكريا فهمي ، الألف كتاب ١٩٦٣ م ص : ١٠٧ - ١٠٨

المادة أم الله ؟

ولنقف قليلا ، عند أولئك الذين يقدسون التجربة والحس العلمي ..
ويعلنون بكل وقاحة : " اننا لا نؤمن بأن فكرة ، ما لم تثبت بالتجربة ،
ولم يبرهن عليها عن طريق الحس. وما دامت المسألة الالهية مسألة غيبية ،
وراء حدود الحس والتجربة ، فيجب أن نطرحها جانبا ، وننصرف الى ما
يمكن التعرف في الميدان التجريبي ، من حقائق ومعارف ... " (١)

ويقول وليم جيمس لا يزال بعض رجال العلم يقولون : " ان الحقيقة
العلمية ، هي الهنا الوحيد ، فهو ليس له الا امر واحد وقول واحد ، وهو
أن ليس لكم أن تؤمنوا بالله " (٢) نقف عندهم لنسألهم ، ماذا تريدون
بالتجربة ؟ وماذا تعنون برفض كل عقيدة لا برهان عليها من الحس ؟

فان كان فحوى هذا الكلام ، انهم لا يؤمنون بوجود شيء ، ما لم يحسوا
بوجوده احساسا مباشرا ، ويرفضون كل فكرة ما لم يدركوا واقعها الموضوعي ،
بأحد حواسهم ، فقد نسفوا بذلك الكيان العلمي كله ، وأبطلوا جميع
الحقائق الكبرى ، المبرهن عليها بالتجربة التي يقدسونها ، فان اثبات
حقيقة علمية بالتجربة ليس معناه الاحساس المباشر بتلك الحقيقة ، في
الميدان التجريبي ، فلنضرب على ذلك أمثلة بسيطة ..

قانون الجاذبية :

فـ (نيوتن ـ مثلا ـ حين وضع قانون الجاذبية العامة ، على ضوء التجربة
وانما اكتشفها عن طريق ظاهرة اخرى محسوسة لم يجد لها تفسيرا الا بافتراض وجود
القوة الجاذبة .. (٣)

---

(١) فلسفتنا ، محمد باقر الصدر ص ٣٤٢
(٢) العقل والدين ، وليم جيمس ، ت محمود حسب الله ، مصر ١٣٦٨ هـ ص ٩٨
(٣) فلسفتنا محمد باقر الصدر ص ٣٤٣

فقد رأى أن السيارات لا تسير في خط مستقيم ، بل تدور دورانا ، وهذه الظاهرة لا يمكن ان تتم — في نظر نيوتن — لو لم تكن هناك قوة جاذبية لأن مبدأ القصور الذاتي يقضي بسير الجسم المتحرك ، في اتجاه مستقيم ما لم يفرض عليه أسلوب آخر من قوة خارجية .. فانتهى من ذلك الى قانون الجاذبية ، الذى يقرر ان السيارات تخضع لقوة مركزية هي الجاذبية.

والجاذبية ، لم تزل فرضا من الفروض .. وما يزال الأثير فضاء أو كالفضاء، ولا ريب أن هذا مأزق من أشد مآزق التجريبيين .. (١)

* * *

ثم نسألهم ماذا تعنون — أيها التجريبيون — الذين ينادون بالتجربة ويقدسونها ؟

هل تعنون نفس الاسلوب الذى تم به علميا — قوى الكون وأسراره ، وهو درس ظواهر محسوسة ثابتة بالتجربة ، واستنتج شيء آخر منها استنتاجا عقليا ، باعتبار التفسير الوحيد لوجودها ..

فهذا هو اسلوب الاستدلال على المسألة الالهية تماما .. بل ان الاستدلال بالمخلوقات على الخالق أبين وأظهر من استدلال دوران الأجسام حول نفسها على وجود الجاذبية ..

وذلك ان ظاهر الحياة يدل على الله ،

أعنى نشأتها وتنوعها والانسان والأخلاق ..

ظاهرة الاجابة تدل عليه ..

ظاهرة الهداية تدل عليه ..

ظاهرة الابداء تدل عليه ..

ظاهرة الحكمة تدل عليه ..

ظاهرة العناية تدل عليه ..

---

(١) هزيمة الشيوعية ، أنور الجندى ص٩٣

ظاهرة وحدة الكون تدل عليه ..

ظاهرة الكون بضخامته تدل عليه ..

ظاهرة الليل والنهار تدل عليه ..

ظاهرة الحياة والموت تدل عليه (١) (بل) .. في كل له آية تدل على أنه واحد ..

حقيقة المادة ومصيرها :

كان تعريف المادة عند الماديين هو : " كل ما تقع عليه الحواس " .. وكان هو التعريف الوحيد عندهم حتى تقدم العلم من بعد .. وتوالت الاكتشافات العلمية .. فاذا هم بالمادة تتجاوز ما يقع عليه الحس الى عالم الذرة .. ومن ثم أعادوا صياغة التعريف فقالوا :

" ان المادة هي الموجود الموضوعي خارج الذهن " (٢)

وبدراسة الذرى ، ثبت أن كل ذرة ، تشابه المجموعة الشمسية في تركيبها ونظامها فكما كان المجموعات الشمسية ، تتكون من الشمس التي تدور الكواكب حولها في سباحة طويلة ..

كذلك الذرة تتكون من بروتونات مركزية موجبة الشحنة ، والكترونات سالبة الشحنة ، وتدور حول البروتونات .. مما تعتبر في ذاتها سرعة خيالية .. (٣)

* * *

---

(١) يراجع لتفاصيل كل ذلك الكتاب " الله جل جلاله " سعيد حوّى من ص ٥٥ ـ ١١٨

(٢) هزيمة الشيوعية في العالم الاسلامي ، أنور الجندي ص ٩١

(٣) الله والعلم الحديث ، عبد الرزاق نوفل ص : ١٩٧

راجع فلسفتنا ، محمد باقر الصدر ص ٣٤٤